

# دليل الدفاعيات

[www.christianlib.com](http://www.christianlib.com)



إعداد

شريف فتحى إبراهيم

مدرس اللاهوت الدفاعى بجامعة  
هولي صوفيا القبطية الأرثوذكسية

مراجعة: أبونا / لوقا ماهر

تقديم: أبونا/ داود لمعى

# دليل الدفاعيات

مراجعة

أبونا/ لوقا ماهر

تقديم

أبونا/ داود لمعي

إعداد

د/ شريف فتحي إبراهيم

مدرس اللاهوت الدفاعي- جامعة هولبي صوفيا

الكتاب: دليل الدفاعيات.

إعداد: د/ شريف فتحي إبراهيم.

مراجعة: أبونا/ لوقا ماهر.

تقديم: أبونا/ داود لمعي.

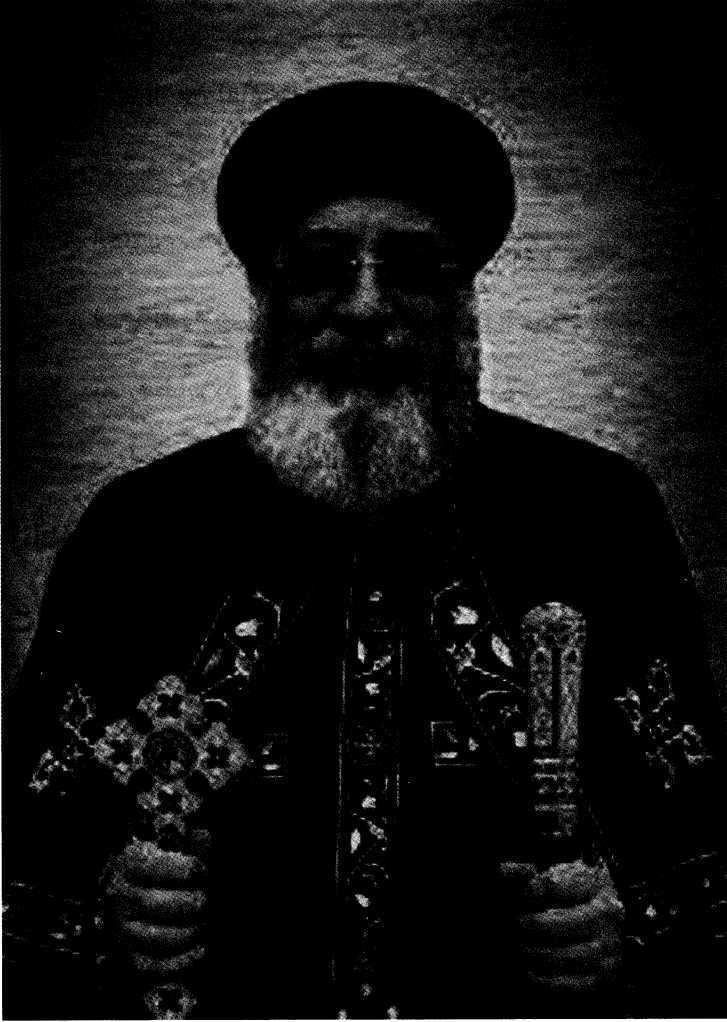
الناشر: كنيسة مار مرقس- بمصر الجديدة.

الطبعة: الطبعة الأولى - مارس ٢٠٢٦

رقم الإيداع: ٧٠٢٠ / ٢٠٢٦ م

الترقيم الدولي: 978-977-9654-08-9

المطبعة: مطابع النوبار - العبور



## التقديم

كنا وما زلنا نحتاج إلى مراجع قبطية أرثوذكسية في مجال اللاهوت الدفاعي أو ما يُسمى عادة بعلم الدفاعيات.

وفي زمن طغيان الsocial media، وحرب التشكيكات المستمر من جهات متعددة، يزداد احتياجنا إلى مراجع متخصصة ومُتعددة، تكون مادة في يد الرعاة والخدام وأفراد الشعب الأرثوذكسي، للدفاع عن الإيمان المسيحي ولجذب الكثيرين.

نهنيئ ابنا الغالي د. شريف فتحي الخادم والباحث المجتهد على هذا العمل الدسم، والذي أظنه لا بد أن يجد مكانه في مكتبة كل كاهن قبطي وكل خادم وبالأخص خدام الشباب.

هذا الكتاب القيم يحمل أساسيات علم الدفاعيات بشكل منظم وعميق، والإجابات كلها تحترم المنطق والعلم وتقدم لنا في إطار كنسي كتابي شبابي نحتاجه في هذه الأيام، لكي نكون أمناء لأولادنا وحراساً لعقيدتنا. ربنا يسوع للمسيح له كل المجد، يعوض ابنا الغالي، ولعل هذا العمل يكون باكورة لحصاد كثير من النفوس، وللغنى الروحي لكل.

أبونا/ داود لمعي

## الإهداء

أهدي هذه العمل إلى كنيسة القبطية الأرثوذكسية التي تربيته داخل جدرانها، وتذوقت أصالة وسلامة تعليمها. كما أهدى العمل لأباء الكنيسة وشهداءها الذين بذلوا دماءهم وحياتهم لأجل الحفاظ على الوديعة الثمينة التي استلموها من رب المجد يسوع المسيح. كذلك أهدى العمل لكل أبناء الكنيسة، وأدعوهم إلى الرجوع إلى كتابات آباء الكنيسة، حتى يتذوقوا عذوبة ونقاء التعليم المستقيم، ولكي يتخذوها درعًا لمواجهة التعاليم الغربية التي يبثها عدو الخير.

أيضًا أهدى العمل إلى زوجتي الحبيبة وشريكتي في الحياة شيري بباوي، التي تحملت الكثير بسبب انشغالي الدائم للدراسة والبحث والخدمة بصدر رحب وبتشجيع دائم. كذلك أهدى العمل إلى أبنائي الأعزاء شادي وشانتال شريف، أحبائي وقرّة عيني وأغلى عطية منحها لي رب المجد يسوع المسيح.

أخيرًا أهدى هذا العمل، لكل خادم دفاعيات، لعله يجد فيه ما يساعده في خدمته، ويكون سببًا في خدمة

رعية المسيح.

## شكر وتقدير

من قلبي أشكر إلهي ومخلصي الصالح على كل نعمه الجزيلة التي أنعم بها علينا.

وأتوجه بالشكر لقداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني بابا الإسكندرية وبطربرك الكرازة

المرقسية، رئيس جامعة هولي صوفيا وراعي التعليم في الكنيسة القبطية، وأطلب من الله أن يحفظه للكنيسة سنين وأزمنة عديدة.

كما أشكر نيافة الحبر الجليل الأنبا دافيد نائب رئيس جامعة هولي صوفيا، وأشكر سيدنا الحبر الجليل

الأنبا رافائيل الأسقف العام لكنائس وسط البلد، مُعلمي الأول الذي تذوقت منه سلامة التعليم والذي كان لي الشرف أن أتتلمذ تحت يديه.

كذلك أشكر كل الذين ساهموا في تشكيل فكري وكياني وإتجاهاتي في الحياة، أب اعترافي القمص

داود داود. والقمص داود لمعي، أبي الروحي الذي وجهني في كل خطوات حياتي. وصديقي ومُرشدي القس

لوقا ماهر الذي ساندني كثيرًا وكان له دورًا رئيسيًا في ظهور الكتاب، وكل أسرة البابا كيرلس عمود الدين

للدفاعيات بكنيسة مار مرقس بمصر الجديدة. وأيضًا القس الدكتور بيشوي حلمي الذي تعلمت منه الكثير.

كما أتوجه بالشكر لكل أساتذتي في جامعة هولي صوفيا، الذين تعلمت منهم الكثير وتعلمت تحت

أيديهم، وعلى رأسهم قدس أبونا إبراهيم عزمي عميد الجامعة، وقدس أبونا بنيامين المحرقي، وقدس أبونا

فيلوباتير مجدي، وأستاذ جرجس صالح، ود. نجلاء حمدي. كذلك أتوجه بالشكر الخاص لد. ماجد غالي عميد

كلية اللاهوت الدفاعي على كل ما قدمه لي من دعم، وعلى ما قدمه للكنيسة من مجهودات لأجل الحفاظ على

الإيمان المستقيم.

أطلب البركة للجميع بشفاعات والدة الإله وكل القديسين خاصة الذين حفظوا لنا الإيمان نقيًا مُستقيمًا:

القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة، البابا أثناسيوس الرسولي، القديس كيرلس عمود الدين، البابا

ديسقوروس، القديس ساويرس الأنطاكي، القديس يوحنا ذهبي الفم، وكل مُعلمي الكنيسة القديسين.

## قائمة المحتويات

- 1 ..... الفصل الأول:.....
- 1 الحق:
- 1 :1 مقدمة (البحث عن الحق والمرجعية):.....
- 3 :1 2 عصر ما بعد الحداثة، وتأثيره على مفهوم الحق:.....
- 6 :1 3 خطورة النسبية وإدعاء عدم وجود حق مطلق:.....
- 9 :1 4 تأسيس فلسفة حياتية مبنية على الحق:.....
- 2 الدفاعيات:
- 11 :2 1 تعريف الدفاعيات (Apologetics):.....
- 12 :2 2 تعبير " أبولوجيا " في كتابات العهد الجديد:.....
- 13 :2 3 معنى " أبولوجيا " *απολογία* والسياق الذي استخدمت فيه:.....
- 15 :2 4 ارتباط الدفاعيات بعلم المنطق:.....
- 16 :2 5 حوارات السيد المسيح مع اليهود وعلاقتها بالمنطق:.....
- 18 :2 6 خصائص الدفاعيات كما جاءت في كتابات العهد الجديد:.....
- 2 :7 7 طبيعة جمهور المتشككين واختلاف خلفائهم التاريخية والثقافية  
وعلاقة هذا بالدفاعيات:.....
- 19 :2 8 الدفاعيات تاريخياً:.....
- 21 :2 9 قيام الآباء المدافعين:.....
- 22 :2 10 أهم الآباء المدافعين:.....

- 23 ..... 2: 11 أهمية كتابات وأعمال الآباء المدافعين:
- 24 ..... 2: 12 أهداف الآباء المدافعين:
- 25 ..... 2: 13 المهام الرئيسية للدفاعيات:
- 26 ..... 2: 14 الهدف الرئيسي للدفاعيات في كتابات العهد الجديد:
- 27 ..... 2: 15 الفرق بين الكرازة والدفاعيات:
- 28 ..... 2: 16 الدفاعيات والإيمان:
- 30 ..... 2: 17 هدف الدفاعيات الأسمي:
- 30 ..... 2: 18 أوجه المهمة الدفاعية:
- 31..... 2: 19 المداخل المتاحة للدفاعيات "كيفية فتح الأبواب لنور الإيمان":
- 34 ..... 2: 20 أنواع الدفاعيات المختلفة:
- 35 ..... 2: 21 أهداف المدافع المسيحي:
- 35 ..... 2: 22 صفات المدافع المسيحي:
- 3 الإلحاد، أهم أسبابه وأشهر المدارس
- 38 ..... 3: 1 أشهر مدارس الإلحاد:
- 40 ..... 3: 2 أسباب الإلحاد:
- 42 ..... 3: 3 خدمة الملحد أو المتشكك:
- 42 ..... 3: 4 طبيعة الشكوك ومصادرها:
- 44 ..... 3: 5 دور الإعلام في إثارة الشكوك والتشجيع على الإلحاد:
- 45 ..... 3: 6 إرشادات عامة للتعامل مع الشكوك:
- 48 ..... 3: 7 إرشادات عملية للتعامل مع الشكوك:

- 3: 8 مبادئ إرشادية للمدافع، لمشاركة الآخرين الإيمان: 48 .....
- 3: 9 التعامل مع أسئلة المُشككين: 50 .....
- 3: 10 نصائح عملية لخدمة المتشككين: 51 .....
- 3: 11 الدوافع التي تقود إلى الإيمان: 52 .....
- 3: 12 الوقاية من تأثير الشكوك والأفكار الإلحادية: 53 .....
- 4 قضية وجود الله والبراهين الدالة
- 4: 1 أهمية أن يكون الله موجودًا: 55 .....
- 4: 2 علم اللاهوت النظري: 58 .....
- 4: 3 دلائل وجود الله من خلال فلسفة توما الأكويني: 59 .....
- 4: 4 الحُجة الكونية: بداية نهاية الإلحاد: 62 .....
- 4: 5 هل الانفجار الكبير يُشير إلى الله؟ 68 .....
- 4: 6 صفات المُسبب الأول: 69 .....
- 4: 7 ماذا لو كانت نظرية الانفجار خاطئة؟ 71 .....
- 4: 8 الحُجة الغائية، حُجة التصميم: 74 .....
- 4: 9 الضبط الدقيق: 78.....
- 4: 10 حُجة النظام الموحد: 82 .....
- 4: 11 الحُجة الأخلاقية: 84 .....
- 4: 12 أسباب تؤكد ضرورة وجود قانون أخلاقي: 86 .....
- 4: 13 لماذا يعتقد البعض في نسبية الأخلاق؟ 89 .....
- 4: 14 حُجج أخرى تؤكد وجود الله

ر

- 91 .....:4 15 حجة الوعي الإنساني:
- 91 .....:4 16 حُجة الحقيقة:
- 92 .....:4 17 حُجة الرغبة:
- 93 .....:4 18 حُجة الجمال:
- 93 .....:4 19 الحُجة الأنتولوجية:
- 94 .....:4 20 حُجة التوافق المشترك:
- 95 .....:4 21 حُجة الخبرة الروحية:
- 95 .....:4 22 حُجة المعجزات:
- 96 .....:4 22 رهان باسكال
- 97 .....:4 23 إله الفجوات والرد عليه
- 98 .....:4 24 تراكم الأدلة
- 5 إفتراضات بديلة لوجود الله
- 101 .....:5 1 هل العلم يتعارض مع الإيمان؟
- 103 .....:5 2 ما هو العلم؟
- 103 .....:5 3 سمات الدليل العلمي:
- 104 .....:5 4 التشكيك في الحجة الكونية
- 105 .....:5 5 احتمالات نشأة الكون:
- 107 .....:5 6 نماذج بديلة للخلق والرد عليها:
- 112 .....:5 7 التشكيك في الحجة الغائية
- 113 .....:5 8 الضبط الدقيق:

- 5: 9 تصميم الحياة وأصل الكائنات الحية: ..... 114
- 5: 10 التطور الكيميائي: ..... 115
- 5: 11 صدفة أم تصميم (نظرية الاحتمالات): ..... 119
- 5: 12 التطور البيولوجي: ..... 125
- 5: 13 الطفرات كمحرك للتطور البيولوجي وأوجه قصورها: ..... 127
- 5: 14 مقاومة البكتريا للمضادات الحيوية، وتأثير الطفرات على الحشرات: ..... 129
- 5: 15 أدلة قصور الانتخاب الطبيعي: ..... 131
- 5: 16 تصميم الإنسان، ومراحل تطوره وفقًا للرؤية الدارونية: ..... 135
- 5: 17 إشكاليات تطور الإنسان: ..... 136
- 5: 18 تزوير حفريات الحلقات الوسيطة للإنسان: ..... 137
- 5: 19 ملايين السنين كطوق نجاة لفرضية التطور: ..... 140
- 5: 20 أدلة الترسيب السريع (الطوفان): ..... 142
- 5: 21 نتائج الاعتقاد بملايين السنين: ..... 146
- 5: 22 الاعتقاد بأن اليوم يمثل حقبة زمنية: ..... 151
- 5: 23 الرد على تلك الافتراضات: ..... 152
- 5: 24 أدلة قصر عمر الأرض: ..... 157
- 5: 25 اعتراضات على حجة التصميم: ..... 159
- 5: 26 التشكيك في الحجة الأخلاقية ..... 161
- 5: 27 إدعاءات الملحدون لتفسير وجود القانون الأخلاقي: ..... 161
- 5: 28 هل القانون هو الغريزة؟ ..... 162

- 5: 29 هل القانون الأخلاقي عرف اجتماعي أو صفة مُكتسبة؟ ..... 163
- 5: 30 حقيقة القانون الاخلاقي: ..... 164
- 6: 1 قضايا تشككية خاصة بوجود الله وطبيعته
- 6: 2 قضية الشر: ..... 166
- 6: 3 حقيقة الشر: ..... 166
- 6: 4 الشر الأخلاقي والشر الطبيعي: ..... 168
- 6: 5 مصدر الشر: ..... 168
- 6: 6 الرؤية المسيحية لعلة وجود الشر: ..... 169
- 6: 7 هل وجود الشر دليل على عدم صلاح الله؟ ..... 174
- 6: 8 علاقة العناية الإلهية بالشر، وهل يوجد بينهم تعارض؟ ..... 176
- 6: 9 لماذا خلق الله العالم، وهو يعرف بعلمه السابق ما سيتضمنه من شر؟ ..... 178
- 6: 10 كيف حل السيد المسيح مشكلة الشر؟ ..... 182
- 6: 11 الألم مشكلة البشرية ..... 185
- 6: 12 لماذا يسمع الله بالألم؟ ..... 187
- 6: 13 كيف يُمكن التعامل مع خبرة الألم؟ ..... 190
- 6: 14 قضايا تشككية أخرى لوجود الله ..... 193
- 6: 15 لماذا يبدو الله مختفياً؟ ..... 193
- 6: 16 لماذا لا يستجيب الله للصلاة؟ (الصلاة غير المستجابة) ..... 195
- 6: 17 لماذا يسمع الله بالفشل؟ ..... 198

- 200 ..... 2 براهين وحدانية الله:
- 203 ..... 3 سمات وحدانية الله:
- 204 ..... 4 مدخل إلى عقيدة الثالوث:
- 208 ..... 5 بعض أقوال آباء ما قبل نيقية عن الثالوث:
- 209 ..... 6 إعتراضات على مفهوم الثالوث والرد عليها:

## الفصل الثاني

### 1: الإعلان الإلهي

- 1: 1 ضرورة تواصل الله مع البشرية:
- 213 ..... 1: 2 طرق تواصل الله مع البشرية:
- 214 .....

### 2: يسوع المسيح كمال الإعلان الإلهي ومخلص البشرية

- 2: 1 يسوع المسيح شخصية تاريخية حقيقية وليس أسطورة تم تأليفها:
- 218 ..... 2: 2 ملخص إدعاءات وافتراضات مدارس النقد الكتابي:
- 218 ..... 2: 3 مدرسة نقد الشكل:
- 219 ..... 2: 4 المسيحية دين تاريخي، وليست تصور أسطوري:
- 224 ..... 2: 5 تعريف الأسطورة، والفرق بين الأسطورة والخرافة:
- 226 ..... 2: 6 شخصية المسيح التاريخية من الأناجيل:
- 228 ..... 2: 7 سبب التشابه الضئيل بين شخصية المسيح وبعض الشخصيات الأسطورية:
- 231 ..... 2: 8 تاريخية شخصية المسيح من مصادر أخرى:
- 234 ..... 2: 9 من هو يسوع الناصري؟ نبي وأعظم من نبي:
- 239 ..... 2: 10 انتظار اليهود للمسيا:
- 240 .....

2: 11 من يقول الناس إنني أنا؟..... 246

2: 12 العهد الجديد يقدم المسيح كإله بكل بوضوح :..... 249

2: 13, من هو يسوع الناصري؟ كاذب، أم واهم، أم هو حقاً الرب؟..... 251

2: 14 إيمان الكنيسة الأولى بألوهية السيد المسيح:..... 253

3: إيمان الكنيسة تجاه عقيدة التجسد الفداء وتديير الخلاص:

3: 1 كيف حدث التجسد الإلهي؟..... 257

3: 2 ما هو هدف التجسد؟..... 258

3: 4 هل التجسد يقتل من قداسة الله؟..... 259

3: 5 هل التجسد يحد من وجود الله؟..... 259

3: 6 لماذا لم يكتفي المسيح بالتجسد ثم الفداء مباشرة ؟ لماذا عاش وعلم بيننا؟..... 260

3: 7 الفداء و تديير الخلاص

3: 8 لماذا يجب سفك دم كي يحدث مغفرة و فداء؟..... 261

3: 9 لماذا ذبيحة المسيح قادرة على فداء كل إنسان على مر العصور؟..... 262

3: 10 ما هي الشروط التي يجب توافرها في الفادي؟..... 263

3: 11 لماذا كان الفداء ضروري لخلاص الانسان؟ ألا تكفي التوبة؟..... 263

4: عقيدة الكنيسة في ما يخص طبيعة السيد المسيح:

4: 1 طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد:..... 265

4: 2 الطبيعة الواحدة والآلام..... 268

4: 3 تعبير ابن الإنسان والطبيعة الواحدة..... 268

4: 4 تشكك البعض في ألوهية السيد المسيح بسبب الأفعال والأقوال البشرية..... 269

- 4: 5 فصل الأقوال والأفعال.....271
- 4: 6 مشينة واحدة وعمل واحد للكلمة المتجسد:.....271
- 4: 7 آية: " يَا أَبَتَاهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ.  
وَلَكِنْ لَيْتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ" (لوقا 22: 42).....272
- 4: 8 معرفة اليوم والساعة.....272
- 4: 9 "أبي أعظم مني".....275
- 5: الكتاب المقدس والإعلان الإلهي المكتوب:
- 5: 1 معايير مصداقية الكتاب المقدس:.....277
- 5: 2 مفهوم الوحي في المسيحية:.....281
- 5: 3 نظريات الوحي المختلفة وأوجه قصورها:.....282
- 5: 4 النظرة المسيحية للوحي:.....283
- 5: 5 قانونية أسفار الكتاب المقدس(العهد الجديد):.....284
- 5: 6 الأدلة على قانونية أسفار العهد الجديد:.....286
- 5: 7 الأبوكريفا (الأسفار المنحولة):.....288
- 5: 8 علاقة الغنوسية بالأبوكريفا:.....290
- 5: 9 العوامل التي أدت إلى ظهور الكتب الأبوكريفية:.....292
- 6: 10 قانونية أسفار العهد القديم:.....293
- 6: 11 أسفار العهد القديم اليونانية وأسباب رفض اليهود لها:.....295
- 6: 12 موقف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من الأسفار اليونانية:.....295
- 6: 13 قائمة البابا أثناسيوس الرسولي:.....297

7: موثوقية الكتاب المقدس (العهد الجديد):

300 ..... 1:7 الفحص البيبلوغرافي:

302 ..... 2:7 البرهان الداخلي:

310 ..... 3:7 حدث القيامة كبرهان قوي على موثوقية العهد الجديد:

313 ..... 4:7 أدلة القيامة:

313 ..... 5:7 نظريات القيامة والرد عليها:

314 ..... 6:7 البرهان الخارجي:

321 ..... 7:7 هل نحتاج إلى أكثر من بشارة؟

323 ..... 8:7 سر التوافق والتشابه بين البشائر الأزائية:

8: النقد النصي للعهد الجديد:

328 ..... 1:8 النقد الاعلى والنقد الأدنى (النصي):

331 ..... 2:8 مبادئ عامة لفحص النصوص الكتابية:

331 ..... 3:8 أسباب تميز العهد الجديد من جهة النقد النصي:

334 ..... 4:8 قواعد التحليل الداخلي والخارجي الخاصة بالنقد النصي:

340 ..... 5:8 أمثلة لتطبيق قواعد التحليل الداخلي والخارجي:

340 ..... 6:8 "في أفسس":

341 ..... 7:8 "عظيم هو سر التقوي":

343 ..... 8:8 "الذي هو في السماء":

345 ..... 9:8 خاتمة إنجيل مرقس:

347 ..... 10:8 الفاصلة اليوحناوية:

- 8 : 11 المرأة التي امسكت في ذات الفعل:.....354
- 8 : 12 هل الاختلافات في القراءات تؤثر على مصداقية النص أو الإيمان؟..... 360
- 8 : 13 أخطاء النساخ العارضة:..... 361
- 8 : 14 الرد على إدعاء تحريف الكتاب المقدس..... 362
- 8 : 15 كيف يُمكن الرد على من يهاجمون الكتاب المقدس؟..... 364
- 8 : 16 لماذا يبدو الله عنيفًا في العهد القديم؟(التشكيك في الكتاب المقدس)..... 368
- 8 : 17 الرؤية المتممقة لحروب العهد القديم:..... 371
- 8 : 17 ورطة الملحدين..... 374
- 9 التقليد والكتاب المقدس:..... 375

### الفصل الثالث: ملحق الأرثوذكسية وأسرار الكنيسة

- 3 : 1 سر الفداء وأسرار الكنيسة:..... 379
- 3 : 2 سر المعمودية:..... 383
- 3 : 3 من أمن وأعتد خلص:..... 386
- 3 : 4 الإفخارستيا سر الحياة:..... 389
- 3 : 5 الأبوة (الكهنوت) والبنوة في الكنيسة الأرثوذكسية:..... 396



## الفصل الأول

### مقدمة:

يرتبط وجود الإنسان ببحثه الدائم عن مرجعية يستند عليها، ويرجع إليها لتقييم أفعاله وأفكاره

وقراراته. وقد مرت مراحل بحث الإنسان عن مرجعية، بثلاث مراحل:

**أولاً: مرحلة "التدين الأخلاقي":**

وقد ارتبطت بعصر الزراعة، وكان الله والكتاب المقدس هما مرجعا الإنسان، اتسمت تلك المرحلة

بالإيمان بقوة وعظمة الله التي تتجلى في الطبيعة، وبوجود حقيقة مطلقة مصدرها الله وقد أعلنها في الكتاب

المقدس. وبرغم من وجود إنحرافات كثيرة في تلك المرحلة وابتعاد البعض عن عبادة الله، إلا أن الله ظل في

العموم هو ذاته الحقيقة المطلقة والمرجعية الثابتة.

**ثانياً: مرحلة "الحداثة Modernism":**

وقد دُعيت تلك المرحلة باسم "مرحلة الحركة العقلانية أو عصر التنوير"، وقد ارتبطت تلك الفترة

بعصر الصناعة، وبتعظيم العقل البشري الذي أصبح يُنظر إليه باعتباره المرجع الأول والأخير للإنسان في

أثناء بحثه عن الحقائق، فالإنسان صار يقبل ما يقبله العقل ويرفض ما يرفضه. في هذه المرحلة، أصبحت

السلطة الأعلى للعقل، فهو الذي يفحص كل شيء ويحكم في كل الأمور بما في ذلك الأمور الدينية والكتاب

المقدس.

**ثالثاً: مرحلة "ما بعد الحداثة Postmodernism":**

تلك التي أطلق فيها الإنسان الحرية لرغباته، لتصبح هي الحكم، فلم يعد الله والكتاب المقدس هما

المرجعية، ولا أيضاً العقل، بل صار المرجع هو "أسلوب الحياة" والتفضيلات الشخصية.

في تلك المرحلة أصبح لكل مجموعة منفصلة، أسلوبًا معينًا تقبله الجماعة وتعيش بموجبه بغض النظر عن مدى صحة هذا الأسلوب، فالشرط الوحيد هو أن لا يتم التعدي على حرية الآخر أو يتم مخالفة القانون المدني، وبالتالي أصبح سقف الإنحرافات بلا حدود.

شهدت هذه المرحلة ظهور حركة "العصر الحديث New

age"، والتي تعتقد أن الله هو الكل "all is God"، فالكون بكل ما يحتويه من إنسان وحيوان ونبات وجماد هو الله، والله هو كل شيء، وهو ما يُطلق عليه "وحدة الوجود". كما يدعي رواد هذه المرحلة، أن الحقيقة لم تعد مطلقة بل صارت نسبية، ولذلك فكل أمر مقبول وكل عقيدة أو رأي جيد "all is good"، حتي لو تعارضت الاختلافات وتباعدت المتناقضات. بناء على ذلك، فالدعوة متاحة



لكي تجتمع البشرية تحت راية تلك الحركة بإعتبار أن الكل واحد، بدلاً من الفرقة التي قد تصنعها الأديان المختلفة كما يدعون.<sup>1</sup>

يقول ستانلي جرينز في كتابه "مقدمة خاصة بموضوع ما بعد الحداثة": "ما بعد الحداثة بزغت كظاهرة ثقافية حفرها بشكل كبير قدوم عصر المعلومات. وهي تنظر إلى العديد من المبادئ الهامة والأفكار المميزة للحضارة البشرية، بإعتبارها باطلة وغير مفهومة".<sup>2</sup>

1. حلمي القمص يعقوب، النقد الكتابي: الجزء الثاني، مدارس النقد والتشكيك والرد عليها (الإسكندرية: كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس خاتم الشهداء، 2006)، 330-333.

2. جوش ماكديويل، برهان جديد يتطلب قرارًا (القاهرة: هيئة الخدمة الروحية وتدريب القادة، 2004)، 537-548.

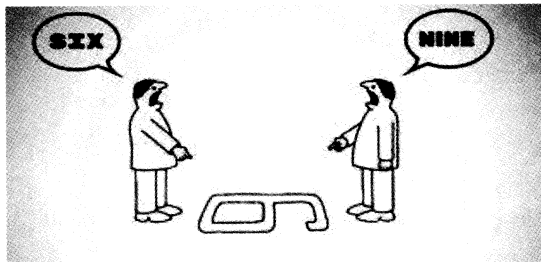
وبناء عليه، فإن ثقافة ما بعد الحداثة، تؤكد على أمرين هامين، وهما:

**أولاً:** الحقيقة لا تتطابق مع الواقع لأن الكلمات والعبارات تظل عاجزة عن وصف الواقع، بما في ذلك

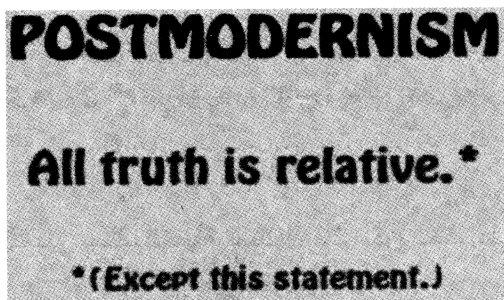
الأديان المختلفة. وقد يرجع البعض هذا الاعتقاد إلى قصور الحواس البشرية، وبالطبع إلى عدم اعتقادها بحقيقة بالإعلان الإلهي.

**ثانياً:** تؤكد على عدم وجود أساس مطلق تركز عليه المعرفة، بل كل الأمور نسبية، ولا يوجد قياس

ثابت يصلح كمرجعية، وبناء عليه فإن الموضوعية وهم، والحقيقة أمر تخيلي، ولذلك فجميع الأفكار يجب قبولها على قدم المساواة مهما اختلفت وتباينت (يغيب عن ذهن دعاة ما بعد الحداثة، أنها تهدم ذاتها حين



تدعي أنه لا يوجد حقيقة موضوعية، لأن هذا الإدعاء إن صح فهو لا بد أن يشمل ذاته، وبهذا تصير هي ذاتها ليست حقيقة بما أنه لا يوجد حقيقة).



عصر ما بعد الحداثة، وتأثيره على مفهوم الحق:

يُعرف العصر الحالي، بعصر ما بعد الحداثة، وذلك نسبة للحركة الفلسفية التي نشأت في النصف الثاني من القرن العشرين، كرد فعل لإدعاءات المعرفة المرتبطة بعصر النهضة (عصر الحداثة). إن ما بعد الحداثة كحركة فلسفية، كان من نتائجها التشكيك في كل المُسلمات والثوابت، خاصة تلك المتعلقة بالأصل والهوية والتاريخ والعقل، وبالتالي فهي تسعى إلى تحطيم كل الثوابت الفكرية بما فيه الأديان والمعتقدات التي

تقدم تفسيرًا لأصل الكون والإنسان، ومعنى الحياة وغايتها، ومرجعية الأخلاق، وهو ما يدفع الإنسان إلى حالة من اللايقين في كل شيء.

تُنكر تلك الحركة وجود أي واقع موضوعي وقيم أخلاقية موضوعية وأي مطلق بشكل عام، كما أنها تبحث عن تفسيرات جديدة للأخلاق (لماذا هذا صواب وهذا خطأ وما هي الحقيقة)، وللطبيعة البشرية (كيف أتينا إلى العالم، وما هو المصير؟)، كما تحاول إيجاد إجابات من منظور كل شخص على حدة، بأعتبار أنه لا وجود للحقائق المطلقة، وأن "الإنسان هو مقياس كل شيء".

مما سبق، يتضح الفارق بين فلسفة الحداثة التي كانت تؤكد على وجود حق مطلق، يُمكن الوصول له باستخدام العقل والبراهين العقلية. في مقابل خطورة ثقافة ما بعد الحداثة التي ترفض هذا الفكر وتُنكر كل المُسلمات والحقائق المطلقة، وترفض استخدام العقل كأداة للحكم على الأمور، وتستند فقط على الرغبة البشرية، وما يتبعها من انحرافات لا يُمكن توقع مداها، وهو ما نراه حاليًا من خلال إدعاء النسبية الشخصية في كل الأمور.<sup>3</sup>

**إن النسبية هي إنكار المطلق، وهناك أربعة أنواع مهمة للنسبية:**

**أولاً: النسبية الما ورائية (الميتافيزيقا).** وهي تزعم بأن الله غير موجود، فليس هناك كائن مطلق. وهذا النوع يُنكر المطلق بشكل عام، إذ ينكر أصله.

**ثانياً: النسبية الديني.** وهي تدعي بأنه ليس هناك دين يمتلك الحقيقة المطلقة، فلا يمكن الحكم على أي إيمان أنه صحيح أو خطأ.

3. داني سمارنة، السبب الكافي: حجج في مسألة وجود الله (الأردن: اوفير للطباعة والنشر، 2023)، 13.

ثالثاً: النسبية المعرفية (الابستمولوجيا<sup>4</sup>). وهي تدعي بأنه ليس هناك مطلق في المعرفة البشرية،

فالحقائق غالباً غير موجودة، وإنما كل شخص يفسر الحقيقة من وجهة نظره.

رابعاً: النسبية الأخلاقية. وهي تدعي أنه ليس هناك مطلق في الأخلاقيات أو في التصرفات

البشرية، فليس هناك ما "ينبغي فعله أو عدم فعله"، فليس هناك ضروري أو واجب. وبالتبعية لا يوجد سلطة

عُليا تشرع الأخلاق، فالإنسان هو من يحدد الصواب والخطأ لنفسه وهو مرجعية ذاته.

النسبية بشكل عام كمفهوم تعني ما يستند على شيء آخر سواء إنسان أو جماد، فينسب إليه، وبناء

عليه ففكر ما بعد الحداثة يُنسب المرجعية للإنسان ذاته، فتصير

الحقيقة نسبية لكل إنسان، يحدد بنفسه إطارها العام.

أما الحق المطلق فيستمد حقيقته من ذاته، فهو لا يعتمد

على الزمن، وهو لا يتغير ولا يعتمد على مكان أو أمة أو جنس

أو ثقافة أو فئة معينة، وهو عام ولا يعتمد على الآراء أو الأفكار

أو المعتقدات أو الرغبات أو المشاعر أو أي توجه شخصي. إنه واقعي بطريقة موضوعية، وهو كذلك لأي

شخص، سواء عرف ذلك أو لم يعرف، أحبه أو لم يحبه، أطاعه أو لم يطعه.<sup>5</sup>

4 . الإبستمولوجيا Epistemology: هي نظرية العلوم، تتكون الكلمة من مقطعين، الأول هو Epistemo، وهو مشتق من الكلمة اليونانية ἐπιστήμη بمعنى المعرفة، والثاني Logy، بمعنى العلم، وبالتالي تعني علم المعرفة هو يشمل التحليل الفلسفي لطبيعة المعرفة، ومدى ارتباطها بمفاهيم مثل الحقيقة والمعتقد، ومشاكل التشكيك المختلفة. أنظر: جان بياحية، الإبستمولوجيا التكوينية، ترجمة وتقديم د. السيد نفاذي (دمشق: دار التكوين، 2004)، 24.

5 . بيتر كريفت، نقد النسبية الأخلاقية: حوارات مع مؤيد للأخلاق المطلقة (القاهرة: مدرسة الإسكندرية، 2023)،

**خطورة النسبية وإدعاء عدم وجود حق مطلق: إن فلسفة ما بعد الحداثة، تنكر أي حق مطلق أو**

موضوعي، وخاصة في الأمور الدينية.

وبالتالي فعند المواجهة بالحق فيما يخص حقيقة الله والممارسة الدينية، يكون لسان حالها: "قد يكون

هذا صحيح بالنسبة لك ولكنه ليس بالنسبة لي".

**إن هذا التوجه خطير جدًا عند تطبيقه على الحقيقة، لأنه يخلط بين الرأي والحق أي ما بين الحق**

**الموضوعي والرأي الشخصي.**

**إن مخاطر فلسفة ما بعد الحداثة، تبدأ برفض الحق الإلهي المطلق، هو الأمر الذي يقود إلى فقدان**

**التمييز بين أمور الدين والعقيدة، ويصل إلى فكر تعدد الأديان، الذي يدعي عدم وجود دين أو معتقد صحيح**

موضوعيًا، فلا أحد يستطيع أن يدعي أن دينه هو دين الحق وأن دين الآخر ليس كذلك، فجميع الأديان

والمعتقدات متساوية في صحتها ( وهو ما يتعارض مع القانون الثاني للمنطق، قانون عدم التعارض الذي

ينص على أنه لا يمكن لتقيضين أن يكون كلاهما صحيحًا في نفس الوقت وبنفس المعنى)<sup>6</sup> وهو ما نجده

بدراسة الاختلافات بين الأديان والمعتقدات، فعلى سبيل المثال تعلم المسيحية أن السيد المسيح هو الله الظاهر

في الجسد، صُلب وقبر وقام من بين الأموات، في حين أن كل الأديان الأخرى لا تؤمن بهذا الإدعاء، وبناء

عليه لا يمكن أن يكون كلاهما صحيحًا في نفس الوقت وبنفس الكيفية).

إذا كان الحق الموضوعي والمطلق غير موجود، تصبح كل الأمور بمثابة تفضيل شخصي لا يستند

على مرجعية ثابتة، بل تكون مجرد رأي خاص لشخص ما، وبالتالي لا يوجد ما يمكن أن نتحاجج به، لأنه لا

يوجد وسيلة مستقلة للتمييز بين الصواب والخطأ، ومن خلالها يتم الحكم بين الأمور المتضادة.<sup>7</sup>

6 . نورمان جايسلر، وفرانك تورك، لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد (القاهرة: مكتبة الأخوة للنشر، 2017)، 65.

7 . القس رفيق إبراهيم، حتميات الإيمان المسيحي: دراسة مقارنة بين أثناسيوس وترتليان (القاهرة: دار الثقافة، 2021)، 65-66.

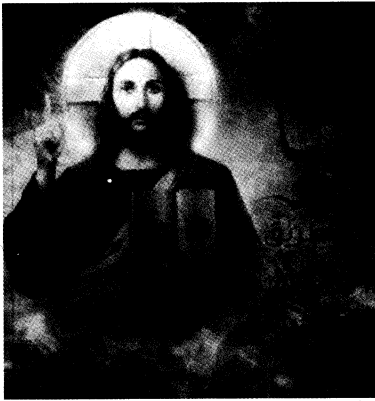
إن ثقافة ما بعد الحداثة، قد أنكرت وجود الحق المطلق، فهي تُعلم بأن الحق والأخلاق أمور نسبية، وأنه ليس هناك حق مُطلق. وهذا الأمر له تبعيات هامة، لأنه في غياب الحق، تُنزع كل سلطة للكتاب المقدس وللإعلان الإلهي، وبالتالي لا يكون هناك ما يُدافع عنه (الدفاعيات)، أو نركز به (الكراسة).

إن الأفكار الحديثة من "قبول الاختلاف tolerance"، والتعددية تُمثل نتيجة مباشرة لهجوم تلك الثقافة على الحق، فالبعض في نظره أن "قبول الإختلاف"، لا يقتصر على معاملة من يعتنقون أفكارًا مختلفة بأحترام ورقي، ولكنه يعني التأكيد على أفكارهم بوصفها أفكارًا صحيحة ومقبولة منطقيًا.<sup>8</sup>

إن الأشخاص الذين ينتمون إلى تيار ما بعد الحداثة، يؤمنون بأن لكل جماعة ثقافية حقائقها الخاصة بها، وهم بذلك ينكرون وجود أي حقيقة موضوعية. يقول تشالز كولسون: "أحيانًا يكون الجدل بغيضًا، ولكنه على الأقل ينطوي على أن هناك حقائق تستحق الدفاع عنها. إلا أنه في عالمنا، عالم ما بعد الحداثة، الحقائق الخاصة بك هي لك، والحقائق الخاصة بي هي لي، ولا شيء منها ذو قيمة بالدرجة التي تدعو للتأثر بها".<sup>9</sup>

في المقابل يقول السيد المسيح: "لَهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ

مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي" (يو 18:37). إن الحق الموضوعي الثابت الأبدى الحي الذي لا يخضع لأي أهواء بشرية موجود، هو الله ذاته. ولأجل هذا قال السيد المسيح عن ذاته بكل بوضوح: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي." (يو 14:6)، وهو الحق الذي يحرر البشر ويفديهم ويقودهم إلى الكمال: "وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّزُكُمْ" (يو 8:32). إنه هو الحق الذي يقود كل من



يؤمن به إلى ملء الحياة، وهو الحق فيما يخص الهوية والغاية المصير. تقول الأم تريزا: "يسوع هو الحق

8 . جاسيلر و تورك، لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، 10-13.

9 . الأب أنتوني م. كونيارس، ماذا حدث لتشيوش الحق؟ (ألمانيا: مطرانية بني مزار والبهنسا، 2014) 29-32.

الذي ينبغي أن يُقال. الطريق الذي ينبغي أن يُسلك. النور الذي ينبغي أن يستنار به". إن أحد معاني الحق في اليونانية هي *Αληθεια* (أليثيا)، وهي تعني بدون حجاب أو نقاب، وكان الحق كان يرتدي حجابًا من قبل، ولكنه الآن أنتزع في يسوع وصار مكشوفًا.<sup>10</sup>

إن إدعاء النسبية وعدم وجود حقيقة مطلقة له تداعيات خطيرة وآثار مدمرة على المجتمع والحياة وللأفراد. فبدون حق مطلق لا قيمة لأي نقاش أو بحث أو مجادلة لأن كل شئ يصبح مجرد رأي أو إنفعال أو فتاعة شخصية، كما أنه لا يمكن منطقيًا اكتشاف خطأ ما بدون مرجعية يتم القياس عليها، وبالتالي لا مجال للحديث عن الإصلاح، أو حتى قيمة للتعلم الذي يستبدل مفهوم خاطئ بأخر صحيح.

كما أن مدعي النسبية يؤكدون على أننا لا نملك معرفة مطلقة بالحقائق وبالتالي لا يمكن أن توجد حقيقة مطلقة، وهذا عكس الواقع لأنه يوجد أشياء مثل الوجود والقوانين الرياضية وغيرها، يمكن اليقين بمعرفتها. كما أن إنكار وجود الحق المطلق له تبعيات خطيرة سواء في الحياة الحاضرة حين يتلشى المقياس المطلق للأخلاقيات في التعاملات اليومية، كذلك في الحياة الأخرى، تلك التي تتطلع وتشتاق إليها النفس البشرية.<sup>11</sup>

أن فكرة الحق النسبي، هي أحد أهم التحديات التي قد يواجهها المؤمنون بشكل عام المدافعين بشكل خاص. لأنه إذا كانت كل الأفكار صحيحة وحق على نفس القياس وبنفس الكيفية، حتى لو كانت متعارضة، فإن هذا يقوض مفهوم الحق الإلهي المطلق الذي يدافع عنه المدافعون ويكرز به الكارزون، لأنه هو الحق وحده وبالتالي يستبعد كل ما يتعارض معه. إن في غياب الحق المطلق، لا يكون هناك أهمية للعمل الدفاعي، فلا يوجد ما يستحق أن ندافع عنه أو نكرز به.

10 . الأب كونيارس، ماذا حدث لتشويش الحق؟، 108-115.

11 . جورج باسيليوس ، الله و الإلحاد وجهات نظر العالم ( جامعة هولى صوفيا القبطية الارثوذكسية ، برنامج ماجستير اللاهوت الدفاعي ) ، 43-45 .

## ولذلك فإن أحد أهم المهام المطلوبة من المؤمنين في العصر الحالي هي ضرورة التأكيد على وجود

حق مطلق، هو الله ذاته. يقول معلمنا بطرس الرسول أن على المسيحيين أن يركزوا بالحق، حتى لو سبب ذلك لهم معاناة أو إضطهاد، وحتى لو تم إتهامهم برفض الإختلاف والعنصرية، قائلًا: "لَأَنَّ تَأَلَّمَكُمْ إِنْ شَاءَتْ مَشِيئَةُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ صَانِعُونَ خَيْرًا، أَفْضَلُ مِنْهُ وَأَنْتُمْ صَانِعُونَ شَرًّا." ( 1بط 3:17)، غير أن هذه الكرازة يجب أن تتم بوادعة وخوف. وهذا يقود إلى أهمية تأسيس فلسفة حياتية، تُبنى على الحق.

### تأسيس فلسفة حياتية مبنية على الحق:

المقصود بالفلسفة الحياتية، هو مجموع الأفكار والمعتقدات التي تجيب عن أهم أسئلة في الحياة، وهي ما تخص أصل الإنسان وهويته وغاية وجوده وأخلاقه ومصيره. ولتأسيس فلسفة حياتية صحيحة تتوافق مع الحق المطلق، لا بد أن نجتاز بامتحانات معينة للتمييز بين المعرفة الحقيقية وبين ما هو مجرد رأي، وهذا يُعد من صميم عمل الدفاعيات.

الفلسفة الحياتية هي العدسة التي يُنظر من

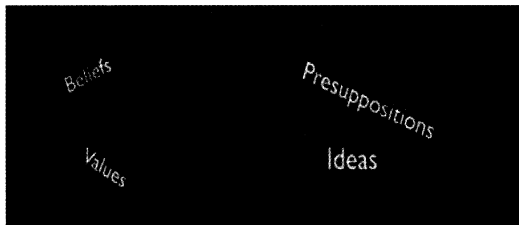
خلالها على الأمور، ويتم إتخاذ القرارات وفقاً لها، كما يتم تقييم الأفعال تبعاً للمقاييس الخاصة بها، كما أنها بمثابة خريطة للطريق المؤدي للحياة الأبدية، وبناء

عليه، على كل إنسان أن يكون شديد الحرص عند تبني فلسفة حياتية معينة، لأن تلك الفلسفة هي التي ستحدد طبيعة أفعاله وتصرفاته واختياره في الحياة الحاضرة، كما سيكون لها اليد العليا في تحديد مصيره الأبدى.

### عناصر لازمة لتأسيس فلسفة حياتية:

هناك أمور أو شروط تساعد الإنسان على الوصول إلى فلسفة حياتية تتسق مع الحقيقية والحق

الموضوعي.



**أولاً:** يجب أن تكون تلك الفلسفة متوافقة مع الواقع، ومُدعمة بأدلة كافية تؤيد صحتها، وبالتالي

تستوعب كل جوانب الواقع بشكل حيادي.

**ثانياً:** يجب أن تتمتع هذه الفلسفة بدرجة عالية من الإتساق والإنسجام الذاتي. فإي نظام متناقض

منطقيًا لا يمكن أن يكون صحيحًا وفقًا للقواعد الأولية للمنطق.

**ثالثاً:** أيضًا يجب أن تتمتع هذه الفلسفة بقدرة تفسيرية، فترتيب الحقائق ومقارنتها، يؤدي إلى التوصل

لنتائج سليمة، وبهذا تكون الحقائق بمثابة النظارة التي يُنظر من خلالها إلى الوجود.

**رابعاً:** كذلك يجب أن تتجنب أي تطرف، فيُفترض أن لا تقدم تفسيرات شديدة التبسيط ولا شديدة

التعقيد.

**خامساً:** وهي لا بد أن تستند على أكثر من دليل ولا تعتمد على حُجة واحدة، بل على أدلة تراكمية

تتجمع معاً من عدة مصادر للمعلومات.

**سادساً:** الفلسفة الحياتية السليمة لا تكتمل إلا عندما تتمكن من تنفيذ الإدعاءات المضادة، سواء ضمناً

أو بشكل صريح.<sup>12</sup> من خلال تطبيق تلك الشروط، يستطيع كل إنسان الحكم على عدسته الخاصة للحكم

عليها، كما يُمكنه الوصول إلى الحق.

**وهنا يأتي دور الدفاعيات،** باعتبارها الأداة التي يتم من خلال إزالة المعوقات لقبول الإيمان،

والتحقق من مدى منطقية وحقيقة الإيمان المسيحي، بالإضافة إلى قيامها بالرد على الإدعاءات التي تشكك

في الإيمان، وبالتالي التأكيد على أن المسيحية هي الفلسفة الحياتية الوحيدة التي تعبر عن الحق الإلهي

المطلق. المدافع المسيحي هو شخص يُبين كيف أن المنطق السليم والدليل يدعمان معتقده، فالشي يُمكن

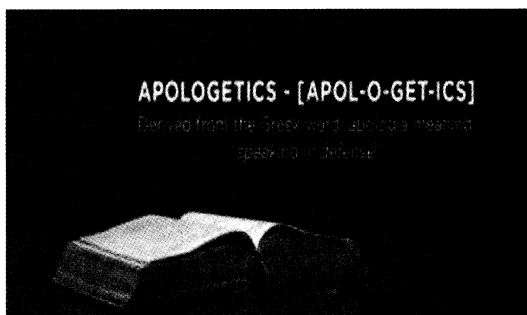
تصديقه إذا كان منطقيًا ومدعومًا بالأدلة ويقدم أفضل تفسير للبيانات، وخاصة في زمن تتعد فيه الأفكار

والمعتقدات، تلك التي لا تشير إلى الحق ولا تدعمها الأدلة، فقط الأستحسان الشخصي.

12 . رافي زكرياس، الوجه الآخر للإلحاد (القاهرة: د. ماهر صموئيل، 2014)، 191-194.

## الدفاعيات

### تعريف الدفاعيات (Apologetics):



في اللغة اليونانية "απολογία" تشير إلى الدفاع عن السلوك وما يتبعه من إجراء، ولا تحمل معنى "الإعتذار عن فعل ما to apologize"، بل هي تعني "الدفاع": أي دفاع إنسان ما عن معتقداته التي يعتقد فيها ويؤمن بصحتها.

يشرح ويلبر سميث الكلمة بشيء من التفصيل، قائلًا: "أبولوجيا تعني دفاع شفهي أو خطاب يتم

إلقائه دفاعًا عن أفعال محددة أو ثوابت يؤمن بها إنسان ما"<sup>13</sup>.

إن كلمة "απολογία" تُترجم في اللغة الإنجليزية لكلمة "apology" وهي تعني تقديم مرافعة منطقية عن قضية معينة (فهي تشير إلى الدفاع بالمعنى الذي يُستخدم في المحاكم المدنية)، وهي كانت شائعة الاستخدام في العصور القديمة، وكان من أشهر الكتب في اليونان القديمة، كتاب "مرافعة سقراط The apology of Socrates".

تعبير "أبولوجيا" في كتابات العهد الجديد:

استخدمت كلمة "απολογία" أي دفاع- "defense" ثمانية مرات في العهد الجديد، فيقول معلمنا بطرس في رسالته الأولى: "بَلْ قَدِّسُوا الرَّبَّ الْإِلَهَ فِي قُلُوبِكُمْ، مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَابَوَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ" (1بط 3:15 فان دايك)، "وإنما كرسوا المسيح ربا في قلوبكم. وكونوا دائما مستعدين لأن تقدموا جوابا مقنعا لكل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي في داخلكم" (1بط 3:15 الحياة)

13 . جوش ماكدول، برهان جديد يتطلب قرارًا (القاهرة: هيئة الخدمة الروحية وتدريب القادة، 2014)، 25.

” but in your hearts regard Christ the Lord as holy, always being prepared to **make a defense** to anyone who asks you for a reason for the hope that is in you;” ( 1pt 3:15 ESV).

“κύριον δὲ τὸν θεὸν ἀγιάσατε ἐν ταῖς καρδίαις ὑμῶν· ἔτοιμοι δὲ ἀεὶ πρὸς ἀπολογίαὶν παντὶ τῷ αἰτοῦντι ὑμᾶς λόγον περὶ τῆς ἐν ὑμῖν ἐλπίδος, μετὰ πραύτητος καὶ φόβου”( 1Pt 3:15 BYZ)

وفي سفر أعمال الرسل، يقول معلمنا بولس: "أَيُّهَا الرَّجَالُ الْإِخْوَةُ وَالْآبَاءُ اسْمَعُوا احْتِجَاجِي الْآنَ لَدَيْكُمْ" (أع 1:22 فان دايك)، "أيها الإخوة والآباء، اسمعوا الآن دفاعي عن نفسي" (أع 22:1 الحياة). وأيضًا نجد أن معلمنا بولس يقدم يدافع عن نفسه قائلاً: "فَأَجَبْتُهُمْ أَنْ لَيْسَ لِلرُّومَانِ عَادَةٌ أَنْ يُسَلِّمُوا أَحَدًا لِلْمَوْتِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الْمَشْكُوكُ عَلَيْهِ مُوَاجِهَةً مَعَ الْمَشْتَكِيْنَ فَيَحْصُلُ عَلَى فُرْصَةٍ لِلِاحْتِجَاجِ عَنِ الشَّكْوَى" (أع 16:25 فان دايك)، "فقلت لهم إنه ليس من عادة الرومان أن يصدروا حكماً على أحد قبل أن يواجهه الذين يتهمونه، لتتاح له فرصة الدفاع عن نفسه" (أع 16:25). وفي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، يقول معلمنا بولس: "هَذَا هُوَ احْتِجَاجِي عِنْدَ الَّذِينَ يَفْحَصُونَنِي" (1كو 3:9 فان دايك)، "وهذا هو دفاعي لدى الذين يستجوبونني" (1كو 3:9 الحياة).

"My defence to them that examine me is this.( 1 Co 9:3 ASV)

"Ἡ ἐμὴ ἀπολογία τοῖς ἐμὲ ἀνακρίνουσιν αὕτη ἐστίν" (1 Co 9:3 BYZ)

وفي رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس، يقول معلمنا بولس: "فَأَبْتَهُ هُوَذَا حُرُّكُمْ هَذَا عَيْنُهُ بِحَسَبِ مَثَبِيَّةِ اللَّهِ، كَمْ أَنْشَأَ فِيكُمْ مِنَ الْإِحْتِهَادِ، بَلْ مِنَ الْإِحْتِجَاجِ، بَلْ مِنَ الْعَيْطِ، بَلْ مِنَ الْخَوْفِ، بَلْ مِنَ الشَّقْوِ، بَلْ مِنَ الْغَيْرَةِ، بَلْ مِنَ الْإِنْتِقَامِ" (2كو 11:7). كذلك في رسالته إلى أهل فيلبي: "كَمَا يَحِقُّ لِي أَنْ أَفْتَكِرَ هَذَا مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ، لِأَنِّي حَافِظُكُمْ فِي قَلْبِي، فِي وُثْقِي، وَفِي الْمَحَامَاةِ عَنِ الْإِنْجِيلِ وَتَشْبِيَّتِهِ، أَنْتُمْ الَّذِينَ جَمِيعَكُمْ شَرَكَايَ فِي النِّعْمَةِ"

(في 7:1)، "كما أن من الحق أن يكون لي هذا الشعور تجاهكم جميعا، لأنني أحتفظ بكم في قلبي، لكونكم جميعا شركاء لي في النعمة، سواء أكان في قيودي أم في الدفاع عن الإنجيل وتثبيته" (في 7:1 الحياة). وفي نفس الرسالة، يقول: "وَأَوْلَيْكَ عَنْ مَحَبَّةٍ، عَالَمِينَ أَنِّي مَوْضُوعٌ لِجِمَايَةِ الْإِنْجِيلِ." (في 16:1)، "فهؤلاء تدفعهم المحبة، عالمين أنني قد عينت للدفاع عن الإنجيل" (في 16:1 الحياة).

معنى "أبولوجيا *απολογία*" والسياق الذي استخدمت فيه:

إن السياق الذي استعملت فيه كلمة دفاع أو مجاوبة *απολογία* defense، يدل على الدفاع الذي يقدمه إنسان حين يتم استجوابه بشكل قانوني عن إيمانه، وبالتالي يتطلب الأمر تقديم جوابًا ملائمًا ومتناسقًا فكريًا ومقبول منطقيًا. إن هدف الدفاع، هو تقديم الحقائق المسيحية بأسلوب يخاطب العقل، وبشكل منطقي، حتى يتمكن المتلقى من اتخاذ قرار واعٍ في ظل القوة العاملة للروح القدس، وذلك بعد أن يتم إزالة العقبات وإثبات أن الإيمان المسيحي منطقي ومقبول عقليًا.

عندما كان السيد المسيح والرسول يدعون شخصًا إلى الإيمان، لم يكن الإيمان أعمى، ولكن بالحري كان إيمانًا واعيًا. لذلك يقول رب المجد: "وتعرفون (ليس تجهلون) الحق، والحق يحرككم" (يو: 8: 32 فان دايك)، ويقول معلمنا بولس الرسول: "لأنني عالم بِمَنْ آمَنْتُ" (2 تي: 1: 12). إن القلب لا يمكن أن يبتهج بما يرفضه العقل، وذلك لأن كلاهما يعمل معًا في تناغم، ولذلك كانت الوصية الأولى: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكَرِكَ" (مت: 22: 37). إن إيمان الفرد، يتضمن الفكر والعقل، إلى جانب القلب المشاعر. يقول ف.ر. بيتي: "الروح القدس لا يؤسس في القلب إيمانًا أعمى لا سند له".<sup>14</sup> ويقول بول ليتل: "الإيمان بالمسيحية يستند على البرهان العقلي، إنه إيمان منطقي قد يفوق العقل ولكنه لا يتناقض معه، فالإيمان هو إطمئنان القلب لسلامة البرهان".<sup>15</sup>

14. F.R.Beattie, *Apologetics*, Richmond: Pressbyterian Comitte of publication, 1903.p.25.

15. Paul Little, *Know what you believe*, Wheatin: Scripture Press publication, Inc, 1987, p.30.

كما يقول بينوك المدافع الشهير: "إن هدف الدفاع عن العقائد المسيحية ليس إقناع المرء أن يصير مسيحيًا من غير وعي أو رغماً عن إرادته، وإنما الهدف هو محاولة تقديم برهان البشارة المسيحية للبشر بأسلوب يخاطب العقل". ويضيف قائلاً: "إن المسيحي الواعي يجب أن يُلقي الضوء على مواطن الضعف والقصور في الموقف غير المسيحي، وأن يقدم الحقائق والحجج التي تؤيد الإيمان بشكل منطقي، يتوافق مع أساسيات التفكير وقوانين علم المنطق".<sup>16</sup>

### ترتبط الدفاعيات ارتباطاً وثيقاً بالمنطق وبالتفكير المنطقي، وبالقدرة على تقديم حُجة منطقية على

### صحة الإيمان المسيحي وصدقه.

يُمكن تعريف الحُجة بأنها مصطلح فلسفي يعنى "ما يُراد به إثبات أمر أو نقضه"، ومن هنا تكون الحُجة مرادفة للاستدلال أي محاولة إيجاد الدليل. يقول ابن سينا<sup>17</sup>: "جرت العادة أن يُسمى الشيء الموصول إلى التصديق، بحُجة".<sup>18</sup>

### ارتباط الدفاعيات بعلم المنطق:

"المنطق" لفظ مُشتق كمصدر من الفعل "نطق"، وهو يعني الكلام المنطوق المتلفظ به، والذي يحمل معانٍ ودلالات وأفكاراً. عرف ابن سينا "علم المنطق"، قائلاً: "هو آلة قانونية تعصم الذهن من الوقوع في خطأ التفكير، حين يتم مراعاتها"، ومن خلال هذا التعريف يتضح أن علم المنطق يهدف إلى الوصول إلى

16. Clark Pinnok, *set forth your case*, Nutley, N.J: The Craig Press, 1967, p.7.

17 . هو ابو الحسين بن عبد الله بن الحسين بن سينا واشتهر بلقب "ابن سينا"، وقد أُطلق عليه الغرب لقب "أمير الأطباء"، وقد وُلد في عام 980م في منطقة "سامان"، وكان والده والياً على المدينة، فحرص على تعليمه أمور الدين والفقه والشريعة. احب ابن سينا علوم الطب ونبغ فيها، فنال شهرة واسعة بين أطباء عصره، فكان كتابه "القانون في الطب" مرجعاً لأطباء عصره حتى القرن التاسع عشر. كما كان ابن سينا فيلسوفاً، حيث اهتم بالفلسفة اليونانية وقام بترجمة العديد من المؤلفات وعمل على شرحها في كتابه "الشفاء"، كما كان له إهتمامات بعلم الفلك.

انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة الجزء الأول (لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984)، 40.

التفكير الخالي من الخطأ عن طريق مراعاة قوانين العلم وشروطه. وبما أن الدفاعيات تبرهن عن الحق، وبالتالي يجب أن تكون مؤسسة على الطرح العقلي المنطقي.

إن إعمال العقل يتطلب استخدام قوانين المنطق، وهي قوانين مجردة كونية ثابتة، تُطبق على كل المناطق وفي كل الأوقات، وهي ضرورية للتفكير العقلاني والمنطقي، وليست موضع خلاف، ويُطلق عليها المبادئ الأولى، لأنه ليس هناك أي شيء أبعد منها أي لا يُبرهن عليها بمبادئ أخرى لأنها متأصلة في طبيعة الواقع، مما يجعلها واضحة في ذاتها، مثل قانون الهوية، قانون عدم التعارض، قانون الوسط المرفوع.<sup>19</sup>

والسؤال الذي يحتاج إجابة، هو: من أين تُتبع تلك القوانين؟، فالملحد يؤمن أن كل شيء موجود هو مادي وجزء من العالم المادي، ولكن قوانين المنطق ليست مادية، وبالتالي هو لا يملك تفسيراً وضاحاً لسبب وجودها. إن اتفاق الجميع على حقيقة قوانين المنطق الأولى، هو في حد ذاته دفاع ضد الإلحاد وإنكار الحق.

قد يقول أحدهم، ان قوانين المنطق هي أعراف من صنع الإنسان، ولكن الأعراف وفقاً لتعريفها هي أفكار مُتفق عليها بين البشر في وقتٍ ومكان ما. ولكن تبعاً لهذا، فإن الجدل المنطقي سيصير مستحيلاً، لأن الخصمين قد يتخذوا معيارين مختلفين للتفكير العقلاني، وكل منهما سيكون على صواب وفقاً لمعياره الإختياري.

وقد يشكك بعضهم، قائلاً أننا نستخدم قوانين المنطق لأنها فقط فعالة، وهذا طرح براغماتي أي أنه ينظر للفائدة بغض النظر عن آلية تحقيقها، وهو بهذا لا يجيب عن سؤال لماذا هي موجودة في المقام الأول؟ وكيف بأشياء غير مادية مثل القوانين أن تُوجد، إذا كان الكون مادي فقط؟ ولماذا هذا الكون المادي مضطراً

لطاعة قوانين غير مادية؟ وإذا كان الكون ذاته بما فيه العقل البشري، نتاج لعمليات عشوائية، فكيف يُمكن أن نثق في نتاج تلك العمليات؟<sup>20</sup>

إن النظرة الكونية الإلحادية لا تستطيع الإجابة على تلك الأسئلة، وخاصة أن قوانين المنطق لا تصف العالم المادي، بل هي ترتبط بالتفكير المنطقي، فنقوم بالربط بين العلاقات وتنتج النتائج.

إن قوانين المنطق هي انعكاس لطريقة الله في التفكير، فهو ذاته المعيار المطلق الخارجي الذي تتبع منه تلك القوانين، والبشر ينسقون أفكارهم وفقاً للنسق الإلهي. فقوانين المنطق هي معايير الله في التفكير، ولأن الله لا يتغير ودائم السلطان، هكذا تكون قوانين المنطق، وهكذا هي تُشير إلى طبيعة الله وصورته التي أودعها داخل البشر.

أن الدفاعيات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم المنطق، وذلك لأن البراهين العقلية لكي تكون مقنعة يجب أن تكون مؤسسة على استدلال منطقي سليم، حيث أن النتائج المرجوة تتبع المقدمات السليمة، وبالتالي فإن التفكير المنطقي بمثابة آلية تساعد على الفرز بين الصدق والكذب، وهذا هو هدف الدفاعيات الأساسي، أي استبعاد المعطلات والأمور الزائفة التي قد تعوق المسيرة نحو الإيمان. وقد استخدم رب المجد نفسه اللوغوس نبع الحكمة ومصدرها، المنطق في حوارته حين أسس مقدمات منطقية يتبعها نتائج حقيقية. حوارات السيد المسيح مع اليهود وعلاقتها بالمنطق:

السيد المسيح لم يتردد في استخدام البراهين للتدليل على صحة إدعائه عن نفسه وعن الله، ففي كثير من حواراته مع اليهود والفريسيين، كثيراً ما استخدم حججاً منطقية تتبع قواعد علم المنطق، وذلك لإقناع مستمعيه بما يريد، وبالتالي فهي تُصنف كحوارات دفاعية.

20 . جايسون ليسل، سلسلة الخليقة تجيب – الإلحاد: نظرة كونية منافية للمنطق، ترجمة ياسر فرج ( القاهرة: خدمة ذهن جديد، 2021)، 68.

ففي حادث شفاء المفلوج، قال له السيد المسيح: " يَا بُنَيَّ مَعْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ. وَكَانَ قَوْمٌ مِّنَ الْكُتْبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفٍ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ؟ فَلَوْلَقَتِ شَعَرَ يَسُوعَ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهِذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟، أَيُّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ مَعْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟، وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِابْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا- قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: لَكَ أَقْوَلُ قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَادْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ" (مر 2: 8-11). لم ينزعج السيد المسيح من دعوى التجديف، ولم يضطرب بل واجه الموقف بهدوء وحكمة وتحليل ومنطق، ولذلك استخدم أسلوب السؤال المضاد (أيما أيسر)، لتحليل الموقف قبل الوصول إلى إجابة، وبناء عليه قاد السيد المسيح تفكير الجموع لاستنتاج ما أراد أن يعلنه عن لاهوته، وذلك ببرهان الشفاء، وهو بذلك أراد أن يثبت قدرته على الغفران غير المنظور، بفعل الشفاء المنظور، لئلا يظن أحد انه يدعي ما ليس في سلطانه.<sup>21</sup>

تكرر نفس الأمر في سؤالهم: " أَبْجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزِيَّةً لِقَيْصَرَ أَمْ لَا؟ نُعْطِي أَمْ لَا نُعْطِي؟" (مر 12: 14)، قدم اليهود للسيد المسيح إجابتين لكي يختار من بينهما، وهذا مغالطة منطقية<sup>22</sup>، لأنه قد توجد إجابة ثالثة، فالإجابة الأولى تشير أنه يجب أن تُعطي الجزية، مما يجعل رب المجد خائناً لوطنه ومنحازاً للرومان، وهذا ما أراده اليهود. أما الإجابة الثانية، فتجعل السيد مقاوماً لقيصر ويدعو لثورة. أدرك رب المجد مكر اليهود، وأجاب إجابة تحتمل تفسيرات وإجتهادات، ولكنها لا تلغي بكل حال فكرة الجزية، كما أنها تفصل بين

21 . ابونا داود لمعي، المنطق في حوارات المسيح ( القاهرة: كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة، 2014)، 14-15.

22 . هي مغالطة "السؤال المشحون (المركب)"، " loaded or complex question"، وهي أسلوب من المغالطات يعتمد على وضع "فروض مسبقة" غير مبررة وغير داخلية ضمن التزامات الخصم، بحيث ان أى جواب مباشر يعطيه المجيب يوقعه فى الإعتراف بهذه الفروض، والمثال التقليدى على هذه المغالطة: "هل توقفت عن ضرب زوجتك؟"، فأيا كان الجواب نعم أو لا، فالمجيب يعترف ضمنيا بالفرض المسبق (كان هناك وقت يضرب فيه زوجته)، ان هذا النوع من المغالطات يضيق نطاق الخيارات، على نحو يزعزع موقف المجيب فى الحوار.

أنظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية فصول فى المنطق غير الصورى(المملكة المتحدة: مؤسسة هندواى سى آى سى، 2017)، 131.

الأمر المادية والأمور الروحية.<sup>23</sup> وأيضًا في اتهامه بأنه "ببعزبول يخرج الشاطين"، استخدم رب المجد الأسلوب المنطقي في تنفيذ الاتهام بدون انفعال، كما أثبت بطلان الإدعاء بأدلة ملموسة، كما لم يكتفي بذلك بل أشار إلى اقتراب ملكوت السموات.

إن أساس علم الدفاعيات في العهد الجديد، قد وضعه رب المجد ذاته، وذلك في حواراته مع اليهود للبرهنة عن ذاته باعتباره هو الحق في كماله. وعليه فإن كل مدافع يجب أن يوجه قلبه وعقله إلى دراسة حوارات السيد المسيح، كبداية لا غنى عنها عند بداية دراسة علم اللاهوت الدفاعي.

**خصائص الدفاعيات كما جاءت في كتابات العهد الجديد:**

عند دراسة التعبير الذي استخدمه القديس بطرس في رسالته الأولى: "مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمَجَابَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ" (1بط 3:15)، يجب فحص الخلفية التاريخية لسياق الأحداث، فرسالة القديس بطرس موجهة للمسيحيين في آسيا الصغرى في زمن سيادة الإمبراطورية الرومانية، ولذلك حرص القديس بطرس على تعزيزية المؤمنين وهم يواجهون خطر الإضطهاد، كما شجعهم على التفاعل بإيجابية مع من ينتقدونهم ويسألونهم، وذلك من خلال شرح أساس الإيمان ومحتواه بوداعة وخوف.

لقد وضح القديس بطرس أن الأفكار المسيحية تبدو أنها تتعرض لسوء فهم أو سوء تفسير، ولذلك نجده يدعو إلى تصحيح المفاهيم مع مراعاة حسن الخلق دون الإساءة للآخر.

وعن طريق هذا يحدد القديس بطرس منهج دفاعيات العهد الجديد، وهو الدفاع عن الحق من خلال فتح عيون من هم خارج الإيمان، ليرى مدى واقعية وصدق الإيمان المسيحي وملانمته لحياتهم واحتياجاتهم، وذلك بلطف ومن خلال احترام الآخر.

لقد أخذ المسيحيون هذه النصيحة مأخذ الجد منذ الأيام الأولى للكنيسة، فالعهد الجديد يحتوي على عدد من النصوص التي توضح، كيف قام الرسل بشرح الإيمان وإظهار كماله، والدفاع عنه أمام جماهير من خلفيات مختلفة.<sup>24</sup>

### طبيعة جمهور المتشككين واختلاف خلفياتهم التاريخية والثقافية وعلاقة هذا بالدفاعيات:

يختلف جمهور المتشككين من حيث خلفيتهم التاريخية وأفكارهم وتطلعاتهم ومرجعياتهم وبالتالي في تساؤلهم، ولذلك على الخادم المدافع أن يستوعب تلك الاختلافات، ليصبح قادرًا على تقديم دفاع مناسب لكل مجموعة لأن ما يصلح للبعض، قد لا يفهمه الآخرون. ومن ثم على المدافع أن يطوع أسلوبه ومدخله في الدفاع، وعليه أيضا أن يدرك المرجعيات التي تتمتع بثقل لدى مستعبيه حتى يستطيع أن يمد جسرا من الثقة نحوهم وبالتالي يستطيع تقديم حجة مقنعة ومقبولة للإيمان المسيحي.

أدرك القديس بطرس في عظته يوم الخمسين (أع: 2) هوية الجمهور اليهودي الذي يركز له، فيقول عنهم "كَانَ يَهُودٌ رِجَالٌ أَتَقِيَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ سَاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ" (أع 5:2)، وبالتالي ركز في دفاعه التاريخي على الموضوعات الهامة في نظر اليهود، فنراه يوضح أن تطلعاتهم قد تحققت في شخص يسوع، مستندا على فهمهم للنبوءات المسيانية التي تمثل مرجعية هامة ذات ثقل. كما استخدم لغة ومصطلحات مقبولة ومفهومة لجمهوره "رَبًّا وَمَسِيحًا" (أع 2:36).

كذلك نجد أن القديس بولس في عظته في أثينا (أع: 17) قد أدرك هوية جمهوره اليوناني، وبالتالي قدم أفكارًا تتناسب مع ثقافة وخلفية مستعبيه، فقدم مقدمة هامة عن موضوع الإله الحي الذي يتقونه ولا يعرفوه "فَالَّذِي تَتَّقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ هَذَا أَنَا أَنَادِي لَكُمْ بِهِ" (أع 17:23)، بهدف جذب إنتباههم، واستغل الإحساس بالالوهة الموجود داخل كل إنسان ليصبح مدخل للحديث عن الإيمان المسيحي، حتى أنه يستشهد

24 . اليستر ماجراث، الدفاعيات المجردة، ترجمة ماريانا كتكوت ( القاهرة: مؤسسة رزيم الشرق الأوسط، 2013)،

بأحد أهم شعرائهم (أراتوس) الذى له مرجعية وثقل عند الأثنيين ليدعم فكرته: "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد. كما قال بعض شعرائكم أيضا: لأننا أيضا ذريته" (أع 17:28). وبعد أن وضع أساس لأرضية مشتركة، قام القديس بولس بصنع نقلة إيمانية: فالاله الذى يعرفونه بطريقة غير مباشرة من خلال الطبيعة، أصبح الآن معروف من خلال قيامة يسوع المسيح: "لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات" (أع 17:31).<sup>25</sup>

### الدفاعيات تاريخياً:

اتسمت المسيحية منذ انطلاقتها بالروح المسكوني، فالمسيحية لم ترتبط بثقافة معينة أو شعب محدد، فالكراسة المسيحية امتدت عبر كل العالم القديم، فقد حمل الكارزون بشارة الإنجيل إلى كل الشعوب عملاً بأمر رب المجد "أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعبدوهم باسم الأب والابن والروح القدس" (مت 28: 18). تزامن ذلك مع سيطرة الدولة الرومانية على إمبراطورية مترامية الأطراف، وقد اعتادت الدولة الرومانية أن تترك الدول التابعة لها أن تمارس عبادتها المحلية ونشاطها الثقافي، دون تدخل، وذلك لكسب ولاء الشعوب. ولذلك فقد أظهرت الدولة الرومانية أولاً تسامحاً تجاه الكرازة المسيحية، ولكن سرعان ما تغير الامر، فقد تم إتهام المسيحيين بخيانة الإمبراطور بسبب رفضهم السجود لتمثاله ولآلهته، وهو الأمر الذي كانت تقره الدولة الرومانية، كنوع من الديانة العامة، لضمان ولاء المقاطعات الرومانية للدولة وللإمبراطور.

أما على المستوى الشعبي، فقد هاجمت الجماهير الوثنية المسيحيين، إذ رأوا فيهم أحتقار لمشاعرهم الشعبية، وذلك بسبب إحتجاجهم عن المشاركة في الاحتفالات الدينية العامة.

كذلك هاجمت الجماعات اليهودية المسيحيين، بسبب اعتقادهم أن المسيحية تهدد الناموس الموسوي والتقاليد اليهودية.

نتج عن ذلك، قيام بعض الكُتّاب والفلاسفة من يهود وأممين، بتكريس جهودهم للهجوم على المسيحية والمسيحيين، فقد إتهموهم بالكفر والإلحاد (يُقصد عدم عبادة الآلهة الرومانية)، كما قاموا بالإفتراء على الإيمان المسيحي بما ليس فيه، كما نسبوا للمسيحين بعض التهم الأخلاقية.<sup>26</sup>

يقول أثيناغوراس الفيلسوف الأثيني في بداية دفاعه: "اطلب منكم أيها الأباطرة العظماء أن تستمعوا بإنصاف دون تحيز، وألا تُساقوا خلف الأحاديث العامة غير العقلانية مصدرين أحكامًا مسبقة على قضيتنا"، ثم يوضح قائلاً: "ثلاث اتهامات يشتكون بها علينا وهي إشاعة: أننا بلا إله، وإقامة المأدب الثيستية (نسبة إلى ثيست ملك أولمبيا الذي قتل أخوه في الميثولوجيا اليونانية، وهو يرمز إلى القتل الوحشي والمأدب التي تُؤكل فيها لحوم البشر)، وممارسات أوديبية (نسبة إلى أوديب الملك الذي تزوج أمه، وتشير إلى زنا المحارم والممارسات الجنسية غير الأخلاقية)". قام أثيناغورس بالرد على هذه الاتهامات الباطلة مؤكداً أنها مجرد إشاعات تافهة وإدعاءات فارغة، قائلاً: "إذا شهدتم أننا لم نرتكب أيًا من هذه الافتراءات، فلنصدروا الأمر مانعين المخبرين المجهولين".<sup>27</sup>

### قيام الآباء المدافعين:

في ذلك الوقت، ظهرت الحاجة لقيام أفراد يقومون بالدفاع عن المسيحيين كمجتمع وأفراد، وعن المسيحية كديانة، وقد عُرف هؤلاء الرجال باسم "المدافعون"، لأنهم كتبوا رسائل أو خطابات مفتوحة إلى الأباطرة ليشرحوا ماهية العقيدة المسيحية، ولكي يدافعوا عن السلوك والأخلاق المسيحية.

لقد كرس هؤلاء المدافعين جهودهم للدفاع عن الإيمان المسيحي والمسيحيين. لقد أكد المدافعون على حقيقة أن المسيحيين يقبلون العالم الذي يعيشون فيه، وأنهم لا يختلفون في عاداتهم وحياتهم اليومية عن بقية

26 . القمص تادرس يعقوب ملطي، نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى (الإسكندرية: كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بسبورتنج، 2008)، 23.

27 . أثيناغوراس الفيلسوف الأثيني، المرافعة، ترجمة مارك الفونس كامل (القاهرة: مدرسة الإسكندرية، 2017)،

الناس، بل هم أكثر إخلاصًا للإمبراطورية من الآخرين لأنهم مسيحيين.<sup>28</sup> وهكذا فقد خطا المدافعون بالفكر المسيحي خطوة إلى الأمام وذلك بمخاطبة العالم الوثني، وكان هدفهم الأساس من ذلك، أن يُظهروا المسيحية في حقيقتها السامية.<sup>29</sup>

أهم الآباء المدافعين:

(1) يوستينيوس الشهيد الفيلسوف المدافع Iουστινός ὁ μάρτυς / Justin Martyr (100-165م)، ويُعد من أشهر المدافعين حيث كان محبًا للفلسفة اليونانية، واستخدم عناصر الفلسفة الأفلاطونية للدفاع عن المسيحية، ومن أشهر أعماله "الدفاع 1، 2"، وقد كتبه عام 153م إلى الإمبراطور أنطونيوس بيوس ليدافع عن المسيحية ويقدمها للحكام، كذلك "الحوار مع تريفو اليهودي"، والذي كتبه ليثبت أن المسيحية حلت محل اليهودية.

(2) كوادراتوس من أثينا Κοδράτος/ Quadratus of Athens (أواخر القرن الميلادي الأول-129م)، الذي كتب دفاع إلى الإمبراطور هارديان عام 130م.

(3) أرسطيدس Αριστειδής/Aristidis عام 140م، وقد قدم دفاعه إلى الإمبراطور أنطونيوس بيوس مبرهنًا على سمو المسيحية على اليهودية وكل الديانات الأممية.

(4) تاتيان السرياني Τατιανός / Tatian (110-172م)، وهو تلميذ يوستينيوس وقد ألف خطابًا إلى اليونانيين عام 160م، هاجم فيه الفلسفة اليونانية، وحاول فيه أن يثبت أن المسيحية هي الفلسفة الصحيحة الواحدة.

28 . جاء في الرسالة إلى ديجونيتس عن المسيحيين: "لا وطن، ولا لغة، ولا عادات تُميز المسيحيين عن غيرهم من سائر البشر، لا يقطنون مدناً خاصة، ولا ينفردون بلهجة غير مألوفة، ولا يُمارسون أي شيئاً فريداً أو غريباً في حياتهم. وبينما هم يعيشون في المدن اليونانية أو في المدن البربرية (خارج الإمبراطورية) وفقاً لظروف كل منهم، ويتبعون عادات البلاد التي يعيشون فيها، إلا أنهم يظهرون بحياتهم وبأعمالهم ما في انتمائهم الروحي من سمو".  
أنظر: الرسالة إلى ديجونيتس، ترجمة أنطون فهمي جورج (الإسكندرية: كنيسة مار مرقس والبابا بطرس، 1992)، 44-45.

29 . جون لوريمر، تاريخ الكنيسة – عصر الآباء: من القرن الأول وحتى السادس (القاهرة: دار الثقافة، 2013)،

(5) ميلتو من ساردس (Melito of Sardis) Μελίτων Σάρδεων (100-180م)، وقد كتب إلى الإمبراطور مرقس أوريليوس قائلاً: أن المسيحية هي التي نبتت بين البرابرة (غير الرومان)، وأزهرت وأثمرت في وسط الإمبراطورية.

(6) أثيناغوراس الفيلسوف (Athenagoras) Ἀθηναγόρας ὁ Ἀθηναῖος (133-190م) الذي

كتب إلى نفس الإمبراطور عام 180م، ليدافع عن المسيحية ولكي يبرهن على خلود النفس.<sup>30</sup>

### أهمية كتابات وأعمال الآباء المدافعين:

تميزت كتابات الآباء المدافعين في القرن الثاني، بتوجهها إلى العالم الخارجي لأول مرة، فقد دخلت إلى ميدان الثقافة والعلم، واستبدلت العظات الكرازية بالشروحات التي يغلب عليها الطابع الدفاعي. ومن خلال عملهم وشرحهم للإيمان، قاموا بوضع أساس "علم اللاهوت"، فأصبحوا من أوئل الآباء الذين اشتركوا في صياغة الإيمان في الكنيسة، ولذلك تُعد كتاباتهم بداية الدراسات الأكاديمية للعقائد الإلهية.<sup>31</sup>

وعند الإشارة إلى مجابهة العالم الوثني والفلسفات اليونانية، يجب ذكر قيام مدرسة الإسكندرية، التي أسسها القديس مارمرقس بنفسه، كمدرسة للموعوظين الذين يتقدمون لدراسة الإيمان المسيحي والكتاب المقدس كمرحلة تأهيلية للعماد المقدس. وقد أطلق عليها "الأكاديمية المسيحية الأولى" لأنها كانت مثل معهد للدراسات المسيحية المتقدمة، فقد تأسست لتواجه العالم اليوناني ليس كعدو بل كنور يجذب طبقة المتقنين والفلاسفة إلى المسيحية. فقد كانت كانت المهمة الأولى لمدرسة الإسكندرية هي الوصول إلى ذهن العالم اليوناني.<sup>32</sup>

30 . جون لوريمر، تاريخ الكنيسة – عصر الآباء: من القرن الأول وحتى السادس، 74-75.

31 . جوهانسن كواستين، علم الآبائيات " باترولوجي" - المجلد الأول " بدايات الأدب الآبائي"، ترجمة وتقديم أنبا مكار ( القاهرة: مركز بناريون للتراث الآبائي، 2015)، 207.

32 . القمص تادرس يعقوب ملطي، 62.

## أهداف الآباء المدافعين:

وضع الآباء المدافعون أمام أعينهم ثلاث أهداف، حاولوا الدفاع عنها في كتاباتهم:

**أولاً:** الرد على الإتهامات العامة، وخاصة الإتهام بأن الكنيسة تُمثل نكبة على الدولة، فقد أكد هؤلاء

الآباء أن الإيمان المسيحي يُمثل قوة تسند سلام الدولة وتعمل على رفاهيتها، لا لصالح الإمبراطور والدولة فقط، بل للحضارة الإنسانية بشكل عام.

**ثانياً:** الكشف عن لا أخلاقيات الديانة الوثنية والأساطير اليونانية، في مقابل الإيمان المسيحي الذي يُقدم

فهماً صحيحاً لله والعالم والإنسان. دافع الآباء المدافعون عن العقائد الرئيسية مثل وحدانية الله، ولاهوت السيد المسيح، وقيامة الأموات، وغيرها. ولذلك فقد حملت كتاباتهم روحاً كرازية، فقد أهتمت بجذب الآخر لكي يقبل الحق المسيحي ويتفهمه. ولكي يتحقق ذلك، استخدم الآباء لغة وأدوات العصر، لبيان الإيمان المستقيم وكشف سمو الحياة المسيحية، بشكل منطقي وموضوعي يقبله الآخر.

**ثالثاً:** توضيح حقيقة الفلسفات السابقة التي أتمدت على العقل وحده، للوصول للحقائق المختلفة تجاه

الله والعالم، ولذلك أوضح الآباء أن تلك الفلسفات، قد حملت جانباً من الحق ولكن ليس كل الحق، بالإضافة إلى امتزاج هذا الجزء بالعديد من الأخطاء.<sup>33</sup>

وعن قصور الفلسفة في الوصول إلى الله، يقول أثيناغوراس الفيلسوف الأثيني: "الفلاسفة والشعراء قد

قاموا بتركيز طاقتهم في الطريق التأملي والافتراضات النظرية عن الله، ولكنهم بعد ذلك تحركوا بقوة المنطق الذي للنفس، وبالتالي لم يكونوا مؤهلين بشكل كافي لإدراك الحق، لأنهم ظنوا أنهم أكفاء للمعرفة والتعلم، ليس من الله عن الله، بل من أنفسهم عن الله، وبالتالي فقد توصل كل منهم إلى معتقده الخاص فيما

33 . القمص تادرس يعقوب ملطي، نظرة شاملة لعلم الباتولوجي في الستة قرون الأولى، 24-25.

يخص الله"، وعن تفوق المسيحية يقول أثيناغوراس: "أما نحن فلدينا شهود لما ندركه ونؤمن به، رجال تقودهم روح الله، قد تكلموا عن الله وأعماله".<sup>34</sup>

لقد برهن المدافعون من خلال الكتاب المقدس، ومن خلال المنطق العقلي المشترك، أن المسيحيين يؤمنون بالألوهية وبالأخلاق المستقيمة التي ينادي بها العالم اليوناني الثقافي. وبهذا فإن الآباء المدافعون هم أول من قاموا بفتح باب التواصل بين العالمين المسيحي واليوناني، وخاصة في المراكز الثقافية العظيمة في الشرق، مثل: الإسكندرية وإنطاكية.

### المهام الرئيسية للدفاعات:

ومن خلال دراسة الدفاعات في كتابات العهد الجديد، يتضح وجود ثلاث مهام رئيسية للدفاعات:

**أولاً:** الدفاع عن الإيمان، وذلك عن طريق كشف العوائق التي تقف أمام الإيمان والتي قد تنتج بسبب سوء فهم أو تفسير خاطئ، وبالتالي لا بد أن يتم تصحيح المفاهيم المغلوطة. فالدفاع هو رد فعل تجاه شكوك محددة، فهو يقوم بتحديد الحواجز التي تقف عائقاً أمام الإيمان، ثم يقوم بتقديم إجابات تساعد على التغلب على تلك العوائق. الدفاعات تشجع المسيحي على "تلمذة العقل وتهذيبه"، فهي تهتم بالتعمق في الإيمان المسيحي والغوص فيه لاكتشاف ما به من كنوز، ومن ثم الرد على أسئلة من هم خارج الإيمان، وكذلك تثبيت من هم داخل الإيمان ويحتاجون إلى إجابات وتفسيرات تساعدهم على الاحتفاظ بإيمانهم.

**ثانياً:** إبراز الجمال، فالمدافع المسيحي يسعى لإتاحة الفرصة للمستمع أن يُقدر حق الإنجيل وملأتمته بحياته، فالدفاعات تهدف أن يُدرك كل إنسان تلك الحقيقة، وفي سبيل ذلك قد يلجأ المدافع إلى أمثلة توضيحية أو تشبيهات تساعد على إدراك روعة الحق الإنجيلي، وهذا ما فعله رب المجد حين شبه ملكوت السموات بلؤلؤة كثيرة الثمن (مت 13: 41)، تلك التي تستحق أن يتخلى الإنسان عن كل شيء لكي يكتسبها.

**ثالثاً:** الترجمة، يقول سي. أس. لويس: "إن الاستنتاج الذي توصلت إليه، أنه لو لم تتمكن من ترجمة أفكارك إلى لغة يفهمها المستمع، فلن تكون أفكارك مفهومة. فالقدرة على الترجمة هي المحك الذي يثبت، ما إذا كنت أنت نفسك فهمت المعنى الذي تقصده".<sup>35</sup> إن الأمر يتعلق بمدى فهم المدافع وإدراكه لحقائق الإيمان، وقدرته على استخدام لغة وصور تكون مفهومة لمستمعيه، فليس من قبل الصدفة أن رب المجد أعتمد على الأمثال لكي يُعلم عن ملكوت السموات وحقائق الإيمان. إن رب المجد استخدم تعبيرات وصور مألوفة لثقافة عصره الريفية الفلسطينية، لتوصيل حقائق روحية هامة.

### الهدف الرئيسي للدفاعيات في كتابات العهد الجديد

بشكل عام تهدف الدفاعيات في كتابات العهد الجديد، على إظهار الأسس المنطقية والعقلانية للإيمان، وبالتالي فهي قادرة على تقديم حُججاً تتأسس على المنطق، لكي تستطيع مخاطبة العقل البشري. تحديداً العهد الجديد يحتوي على قسمين، كلاهما يعتبر أن المتلقى غير مؤمن ولكنه مهتم بالإيمان، وهما الأناجيل وسفر أعمال الرسل (بخلاف رسائل القديس بولس وباقي الرسل، التي كُتبت لمؤمنين بالفعل)، فالأناجيل تسجل لقاءات بين السيد المسيح وأفراد عديدة، ومنها نتعلم أفضل السبل لتقديم البشارة المفرحة، كذلك سفر أعمال الرسل الذي يسجل مجموعة من العظات التي استخدمها القديس بولس الرسول وسائر الرسل، للدفاع عن الإيمان.

ففي سفر الأعمال تحديداً نجد مادة دفاعية صريحة في شكل سلسلة من العظات والأحداث التي تفاعل فيها الرسل بشكل مباشر مع أفكار عدد من الفئات الاجتماعية الكبرى وشكوكهم. وهذه المنهجيات الدفاعية المتكررة في سفر الأعمال، تزودنا بفكرة قيمة عن الأساليب الدفاعية التي تقوم على أساس كتابي، كما أنها

35 . C.S.Lewis, *Christian Apologetics*, C.S.Lewis: essay collection, London: Harper-Collins, 2000, p.153.

تعرض الاستراتيجيات المختلفة للتفاعل مع فئات مختلفة وجمهور متباين. وفي كل حالة من الحالات التي يتم دراستها، يوجد إهتمامات مختلفة لدى كل فئة، غير أن الأنجيل الذي يتم الدفاع عنه واحد في كل الحالات.<sup>36</sup> وبهذا الشكل وبهذه الكيفية، فإن الدفاعيات تهئ الطريق أمام الكرازة، لأنه تقوم بإزالة الحجارة وكل ما قد يعيق سبيل التقدم نحو الإيمان. فالكرازة تشبه تقديم الخبز لشخص، أما الدفاعيات في إقناع الشخص بوجود خبز يمكن تناوله والاستفادة منه.<sup>37</sup>

### الفرق بين الكرازة والدفاعيات:

ترتكز الكرازة في أساسها على الإعلان الإلهي، وتعتمد في ذلك على الحق الكتابي، وهدفها هو توصيل الإيمان وشرحه كما تسلمته الكنيسة من رب المجد وتلاميذه القديسين. أما الدفاعيات، فهي ترتبط بوجود إعتراضات على الإيمان بشكل عام، ولذلك فهي تعتمد على المنطق والحُجة، وهدفها هو توضيح وفهم الإيمان المسيحي عن طريقة إزالة العوائق والحواجز التي قد تعوق سبيل الإيمان. وبهذا فإن الدفاعيات تسبق الكرازة، وتمهد الطريق لها، بل أنها تُعد في حد ذاتها أداة كرازية لا غنى عنها، وخاصة عند التعامل مع غير المؤمنين الذين يواجهون حواجز فكرية تعيقهم عن الإيمان. جدير بالذكر أن تلك العوائق الفكرية في الأغلب مجرد ذريعة لرفض الإيمان، وذلك بسبب الرغبة في الحياة بلا قيود أو ضوابط. وهكذا تظهر قيمة الدفاعيات، عندما تقوم بنزع مادة هذه العوائق، فيقف غير المؤمنين في مواجهة رغباتهم الحقيقية.<sup>38</sup>

36 . ماجراث، الدفاعيات المجردة، 25-26.

37 . ماجراث، الدفاعيات المجردة، 22-26.

38. Norman Geisler, *when skeptics ask?*, Victor Books, Wheaton: Illinois, 1990, p.8-9.

## الدفاعات والإيمان:

وفقاً للإيمان المسيحي، فإن الله قد خلق البشر على صورته ومثاله، فالبشر كائنات ذات عقل وإرادة. وفي بداية الخليقة، كان لهم معرفة واسعة وعلاقة حميمة بالله ومشاعر صحيحة، بما في ذلك الإمتنان لصالح الله. ولكن كان لسقوط البشر في الخطية، عواقب وخيمة، عاطفية ومعرفية على حد سواء. بالنسبة للمشاعر العاطفية، فقد إنحرف البشر وأصبحت قلوبهم تأوى شرًا عميقًا وجذريًا "رَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ أَنَّمَا هُوَ شَرٌّ كُلَّ يَوْمٍ" (تك 6:5)، وأيضًا عواقب معرفية مدمرة، فقد تشوهت معرفة البشر الأصلية بالله، وأصبح البشر عاجزون عن معرفة الله من خلال الإعلان الطبيعي. وبسبب عجز البشرية عن تخليص نفسها من هذا المستنقع، وفر الله لها علاجًا للخطية ولآثارها المدمرة في حياة ابنه يسوع المسيح، وفدائه وآلامه وموته وقيامته، تلك التي قامت باستعادة وإصلاح صورة الله في البشر.<sup>39</sup>

إن تشوه الطبيعة البشرية وميلها إلى الشر بسبب تغلغل الخطية وآثارها المدمرة في النسيج البشري، يلقي بظلاله على إمكانية قبول الإيمان "لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَسُوعُ رَبٌّ» إِلَّا بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ" (1كو 12:3). ولذلك على المدافع أن يستند إلى الطرح العقلي، والحجج المنطقية التي تخاطب بقايا صورة الله داخل الإنسان، والتي من خلالها يستطيع المدافع أن يبرهن على صحة الإيمان المسيحي، وبهذا يفتح المدافع الطريق لعمل الروح القدس، الذي يقود إلى قبول الإيمان.

وهو ما يؤكد د.موريس تاووضروس، قائلًا: "الحقيقة الدينية لا تقع مباشرة تحت الإدراك الحسي، فالعالم الروحي يُكشف فقط لعيون النفس التي استنارت بنور الإيمان. فالعقل المحدود لا يمكن أن يدرك كلية

<sup>39</sup> ألفين بلانتينجا، المعرفة والإيمان المسيحي، ترجمة ديانا مجدي ( القاهرة: مدرسة الإسكندرية، 2022)، 74-

الله غير المحدود. غير أن الحقيقة الإيمانية لا تناقض العقل، ويمكن للعقل أن يُعد الطريق للإيمان ويمهده، ولكن لا يجب أن يكون العقل هو علة الإيمان".<sup>40</sup>

المسيحية تطلب أعمال العقل، ولذلك يقول توما الأكويني Thomas Aquinas (1225-1274م): "لو لم ير العقل أنه يجب عليه أن يؤمن لما كان يؤمن". ولكنه أيضًا يوضح: "ليس على الإنسان أن يحاول ادراك ما فوق العقل، كقول الحكيم: "لا تطلب ما يُعيبك نيّله، ولا تبحث عما يتجاوز قدرتك، ولكن ما أمرك به الله، فيه تأمل ولا ترغب في استقصاء أعماله الكثيرة" (سي: 3: 23)، وإن كان ينبغي للإنسان أن يبحث بالعقل عما يفوق ادراكه في الوحي الإلهي، فهو عليه أن يقبله بالإيمان".<sup>41</sup>

ويقول القديس أغسطينوس: "إني أومن وإن لم أر ما يحملني على الإيمان"، ثم يضيف قائلاً: "آمن فتصبح أهلاً لأن تفهم. فعلى الإيمان أن يسبق الادراك، ليكون الادراك جزءاً الإيمان، كقول إشعياء النبي: "إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا فَلَا تَأْمَنُوا" (إش: 7: 9). آمن تفهم، فالإيمان مرقاة، عليها تبلغ الفهم، والفهم جزء الإيمان. وذلك لأن الإيمان يدرك ما لا يُدرکه العقل البشري، وحيث يعجز العقل ينجح الإيمان".<sup>42</sup>

يقول القديس كيرلس الإسكندري في شرحه لأية "أَمَّنًا وَعَرَفْنَا" (يو: 6: 69): "على الإنسان أن يؤمن وأيضاً أن يفهم، وليس معنى أن الأمور الإلهية لا بد من قبولها بالإيمان، أن تبتعد عن أي فحص لها، بل نحاول بالحري أن نبلغ إلى معرفة معتدلة". ثم يضيف قائلاً: "وحسنًا أن يقولوا أيضًا أنهم عرفوا أولاً ثم

40 . موريس تاوضروس، علم اللاهوت العقدي الجزء الأول (القاهرة: بطريركية الأقباط الأرثوذكس- أسقفية الشباب، 1994)، 12.

41. توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ترجمة الخوري بولس عواد (لبنان: المطبعة الأدبية ببيروت، 1881)، 11.

42 . القديس أغسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، نقلها للربرية الخوري يوحنا الحلو (لبنان: دار المشرق ببيروت، 2013)، 84.

أمنوا، بل هم يضعون الإيمان أولاً، ويلحقونه بالمعرفة. لأن الإيمان قد سبق وُضع فينا، كنوع من الأساس، ثم بنيت المعرفة عليه فيما بعد وعلى درجات".<sup>43</sup>

### هدف الدفاعيات الأسمي:

هو ربح النفوس وليس هزيمة الآخر وسحقه: "مُنْذِرِينَ كُلَّ انْسَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ انْسَانٍ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ، لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ انْسَانٍ كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ." (كو 1:28). وبالتالي ليس هدف الدفاعيات، اكتساب معرفة أعمق للفوز بمناظرة أو جدال، ولا هو التفاخر بقوة الحجة في كبرياء. فالدفاعيات لا تعادي أو تحقر من الآخر، بل تمد يد المساعدة لكي تُفتح القلوب لقبول الإيمان.

ولذا لا ينبغي على المدافع أن يسئ للآخر بلفظ أو بأسلوب عدائي يفنق للحكمة. فالمدافع عليه أن يتذكر أن البشر يتحركون بواسطة قلوبهم أكثر من عقولهم، وعليه يجب أن لا يكون هناك تناقضًا بين الرسالة المعلنة وطريقة التبشير بها. فالمدافع عليه أولاً أن يعيش روح الدفاعيات، وأن يمارس ما يعظ به، لكي يكون فعالاً في عمله، ولكي يرى الآخرون المسيح معلناً في حياته، وليس فقط كلماته " (غل 19:4).<sup>44</sup>

### أوجه المهمة الدفاعية

أولاً: الرد على إعتراضات محددة تُثار ضد الإيمان، مثل وجود تناقضات مزعومة بين التصريحات الكتابية، يترتب على ذلك ضرورة إيجاد حلاً لتلك التناقضات على أساس البحث العقلي والتفسير الدقيق والبحث اللغوي والتحليل النصي وفهم السياقات والأساليب المختلفة، إن هذا العمل من شأنه تشديد الأمانة وتقويتهم، ورفع العوائق في سبيل المتشكك، تلك التي تحول دون إكمال بحثه عن الحق.

ثانياً: الكرازة بأساسيات الإيمان، وهذا النوع من الدفاع، يهتم بإجابة أسئلة الدين الأكثر عمقاً، كما أنه يسعى لتقديم برهان عن الإيمان المسيحي من خلال الإجابات المنطقية العقلانية.

43 . القديس كيرلس الإسكندري، شرح إنجيل يوحنا المجلد الأول، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد (القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2009)، 444-445.

44 . جورج باسيلوس، الحقيقة في زمن ينكر الحقيقة (كاليفورنيا: كنيسة القديس أنطونيوس القبطية الأرثوذكسية، 2022)، 136.

**ثالثًا:** مواجهة الأنظمة غير المسيحية، لبيان اللاعقلانية داخل أنظمة التفكير غير المسيحية.

**رابعًا:** إقناع الناس بإدعاءات الحق التي يركز عليها الإيمان المسيحي، والإشارة إلى كماله وكونه

وحدة واحدة هامة منسجمة مع نفسها ومتماسكة وتتوافق مع العرض التاريخي.<sup>45</sup>

**المدخل المتاحة للدفاعات "كيفية فتح الأبواب لنور الإيمان":**

حتى عهد قريب، كان الإتجاه السائد في الدفاعات يعتمد على استخدام الحجج للدفاع عن الإيمان

المسيحي بشكل عقلائي، إلا أن هذا الاتجاه كان يمثل لحد كبير استجابة لثقافة عقلانية سابقة، اتخذت من العقل

وحده معيارًا للحق. أما الآن فيوجد مداخل أخرى للدفاعات قد تكون أنسب للأجيال الحالية.

**مداخل الدفاعات المتاحة:**

المدخل الأول، **الشرح:** فهو بمثابة أفضل دفاع عن المسيحية، وذلك لأن الكثيرين لديهم مفاهيم خاطئة

عن المسيحية قد تعيق قبولهم للإيمان. وهذه المفاهيم الخاطئة، قد يلتقطها البعض دون وعي، وقد يثيرها

البعض الآخر عن قصد غير برئ. ولذلك لا بد من تحديد تلك المداخل وإبطال مفعولها بخطة محكمة مدروسة.

فعلى سبيل المثال، أرتبط القديس أغسطينوس في بداية حياته بالمانويين<sup>46</sup>، وهم طائفة شديدة الإنتقاد

للمسيحية، وعليه فقد أستقى القديس أغسطينوس معرفته بالمسيحية من نقادها، وبالطبع لم تكن المعرفة

الدقيقة، وعليه فقد رفض القديس أغسطينوس المسيحية باعتبارها أمرًا لا يستحق اهتمام شخص في ثقافته

وذكائه. غير أنه عند وصوله إلى روما، اكتشف أن أسقف المدينة القديس أمبروسيوس، مشهور ببراعته في

45 . روبرت ل. ريموند، الإيمان وموجباته المنطقية، ترجمة ميشال خوري (لبنان: مركز مورجان للطباعة

والنشر، 2015)، 24-26.

46 . نسبة لماني الذي ولد في عام 239م، وقد حاول أن يوفق بين المسيحية والديانات الفارسية، فخلط بينهم خلطًا

عشوائيًا هرطوقيًا. وقد كان يؤمن بالثنائية الإلهية أي وجود إلهين أحدهما إله الخير والأخر إله الشر الذي هو إله اليهود. وإله

الخير أخرج من نفسه كائنين عظيمين هما المسيح والروح القدس. وقد أرسل المسيح إلى عالما بجسد غير حقيقي لكي يخلص

النفوس من أجسادها، ولكن إله الظلمة أغوي اليهود لكي يصلبوه، ولما لم يكن له جسدًا لم تؤثر عليها الألام، وبعد ان ترك

تلاميذه، وعدهم بإرسال البارقليط الذي هو ماني الذي رفض أسفار العهد القديم. وقد احتقر ماني الجسد ورفض الزواج.

أنظر: القس إبراهيم عبد السيد، البدع والهرطقات خلال عشرين قرنًا (القاهرة: كنيسة مارجرس بالمعادي، 1987)،

الخطابة، فأراد أن يكتشف بنفسه ما إذا كان يستحق هذه الشهرة، فبدأ يحضر عظاته ويستمع لشرحه للمسيحية، وهو الأمر الذي كان له عظيم الأثر في تغيير فكره السابق.<sup>47</sup>

المدخل الثاني، هو الحجة المنطقية العقلية: تؤكد المنهجيات الكلاسيكية في الدفاعيات على أهمية العقل في بناء حُجج فكرية تؤيد الإيمان المسيحي، وتوضح بشكل واضح أن الإيمان بالله وبالمسيحية له أسباب وجيهة، يمكن التحقق منها عقليًا ومنطقيًا، بالإضافة إلى ذلك يمكن استخدام الحجج في نقد بدائل الإيمان المسيحي وتقييمها، وذلك بإظهار عدم ترابطها على المستوى الفكري أو إفتقارها الأساسي للأدلة التي يُمكن الوثوق بها.<sup>48</sup>

المدخل الثالث، القصص: إن تيار ما بعد الحداثة شهد استعادة الأهتمام بالقصة الكتابية بما فيها الأشكال القصصية الخاصة بالأمثال التي رواها رب المجد لتعليم الجموع عن ملكوت السموات. فلم يعد إثبات الحق قاصر على الحجة، بل استخدم رب المجد قصص الأمثال لنقل المعنى بشكل مُبسط وعميق. فالمسيحية تعلن عن عالم تأسس على تعاملات الله مع شعبه، والتي تبلغ ذروتها في أحداث الفداء.

فالمسيحية في أساسها ليست مجموعة من الأفكار ولكنها قصة خلاص الله للبشرية وتعاملاته معها. إن قصة الخلاص المسيحية يمكن تقييمها بناء على قدرتها على أن تخلق للأشياء معنى أعمق من منافسيها، وذلك بسبب بساطتها وسهولة فهمها وقدرتها على خلق معنى يتجاوز الحدود، بالإضافة إلى ترابطها الفكري حول قضية واحدة وحل واحد في شخص رب المجد. فهي قصة قادرة على التعبير عن حياة البشر، كما أنها قصة قادرة أن تعطي أسبابًا جديدة للحياة ورجاء أكيد للمستقبل، فهي قادرة على التجديد والتغيير والاستنارة.<sup>49</sup>

47 . ماجراث، 128-130.

48 . ماجراث، 131-134.

49 . ماجراث، 141.

إن استخدام رب المجد للأمثال، حتى يتفاعل مع مستمعيه، لم يكن من قبيل الصدفة، فقد كانت أمثالا بسيطة، جذابة لانتباه المستمعين ، وكانت تحمل في داخلها قدرة دفاعية هائلة يجب اكتشافها، بل استخدامها. فعلى سبيل المثال نجد رب المجد يشبه ملكوت السموات بلؤلؤة كثيرة الثمن: "يُسْبِيهِ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لآلِيَّ حَسَنَةً. فَلَمَّا وَجَدَ لَوْلُؤَةً وَاجِدَةً كَثِيرَةً الثَّمَنِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا" (مت 13:45-46). تم صياغة القصة بأقل عدد من الكلمات (خمسة وعشرون كلمة في الأصل اليوناني)، غير أن التأمل البشري يمكنه تذوق أثرها، كما أن التجربة البشرية الحياتية تؤكد صحتها، بالإضافة إلى إنه من السهل البناء عليها وتطبيقها، فالتاجر لم يتمتع بالشعب على الرغم من كثرة مقتنياته، ولذلك سعى لإقتناء جوهرة ثمينة تفوق غيرها، وهي ما يشير إلى بشارة الإنجيل المفرحة. تلك القصة وغيرها تصلح كمدخل للدفاعيات، يتم العبور من خلاله.

المدخل الرابع، الصور: وهي تمتع بمصادقية وقوة من نوع خاص، قد تتجاوز الحدود المعروفة للكلمات. فالعقل البشري يعمل على توليد صور تساعدنا على تطوير العالم المحيط بنا وفهم معناه. ويمكن تشبيه الصور بالخرائط الذهنية التي تساعد على رسم أرض الواقع.

إن هذه الصور مفيدة جداً للدفاع، لأنها تعبر على الفكر المسيحي بشكل قادر على جذب الخيال البشري. وقد استخدم القديس بولس الرسول مجموعة من الصور القوية في رسائله، ليساعدنا على فهم ما فعله رب المجد لأجلنا بصلبه وقيامته. ومن هذه الصور صورة التنبئ، وفيها يؤكد القديس بولس أن المؤمنين أصبحوا أبناء الله بالتبني في المسيح، فيقول: " لِيَقْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ النَّبِيَّ.. ثُمَّ بِمَا أَنْكُم أَبْنَاءَ، أَرْسَلَ اللَّهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: يَا أَبَا الْأَبِّ" (غل 4:5-6). وصورة التنبئ سهلة الفهم نسبياً، فهي تُعبر عن أسرة قادرة أن تمنح طفلاً لم يُولد في أحضانها بعض الإمتيازات التي يحصل عليها الابن الشرعي. وهكذا يري المؤمن حديثاً نفسه كفرد جديد نال التنبئ، وأُدخل في عائلة الله، ومُنح امتيازات شرعية "فإن كُنَّا أولاداً فإِنَّنا وَرَثَةٌ أيضًا وَرَثَةُ اللَّهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ." (رو 8:17). إن صورة التنبئ لا تُخاطب العقل فقط،

بل تستحوذ على الخيال والقلب أيضاً، كما أنها تُخاطب الوجدان، لأنها تتضمن الترحيب والقبول والشعور بالانتماء والحب الغير مشروط. وهي كلها أمور تتفق بشدة مع إشتياق الإنسان العميق، وعليه فإن المدافع قد يستخدم مثل هذه الصور كمدخل للنفس البشرية، بل يستطيع أن يطورها بما يتناسب مع خدمته.<sup>50</sup>

### أنواع الدفاعيات المختلفة:

يوجد ثلاثة أنواع للدفاعيات: أولاً: الدفاعيات كإثبات "proof" ، وهي نوع من الدفاعيات يهتم بتقديم برهان عقلي عن الإيمان، أي إثبات صدق الإيمان المسيحي بالأدلة لهؤلاء الذين يجدون صعوبة في قبول بشارة الإنجيل، يقول معلمنا بولس: "أَعْرِفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُمْ بِهِ وَقَبِلْتُمُوهُ وَتَقَوْمُونَ فِيهِ" (1كو 1:15)، وأيضاً للمؤمنين الذين قد يواجهون شكوكاً تعترض سبيلهم.

ثانياً: الدفاعيات كدفاع "defense" ، ويقصد بهذا النوع من الدفاعيات إجابة أسئلة وأعتراضات غير المؤمنين. وهكذا يصف القديس بولس إرساليته وكرازاته بأنه مؤسسة على " المحاماة عَنِ الإِنجِيلِ وَتَنْبِيئِهِ" (في 1:7). ومن يدرس رسائل القديس بولس، يجد أن الكثير منه يتصف بهذا النوع من التوجه الدفاعي، فنجده كثيراً ما يتجاوب مع أسئلة المُشككين والمعترضين وخاصة في رسالة رومية.

ثالثاً: الدفاعيات كهجوم "offense" ، ويُقصد بها الكشف عن عقلانية أو منطقية إدعاءات المُشككين. يعبر القديس بولس عن هذا النوع من الدفاع، قائلاً: "هَادِمِينَ ظُنُوناً وَكُلَّ غُلُوٍ يَرْتَفِعُ صِدِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلِّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ" (2كو 5:10).

من يتعامل بالدفاعيات، يجد أن من الصعب الفصل بين التوجهات الثلاثة للدفاعيات، لأنهم يتداخلون، غير أنه في النهاية فإن المقصود بالدفاعيات، هو تقديم برهان عقلاي عن حقيقة الإيمان المسيحي، سواء بتقديم أدلة أو إجابات لتساؤلات أو كشف سطحية وعدم معقولية بعض التوجهات أو الفلسفات.<sup>51</sup>

## أهداف المدافع المسيحي:

دور المدافع هو أن يصنع أمرين، أولاً: أن يُجيب على التساؤلات من واقع معرفته بكلمة الله الصادقة، ومن خلال بحثه عن الحقيقة اليقين، و ثانياً: أن يُشير إلى مصدر الشبغ الحقيقي (السيد المسيح )، بعد أن يكون أزال المعوقات.

يسعى المدافع إلى المحاماة عن الإنجيل وتثبيتته، والتصدي لكل المحاولات التي تحاول زعزعة الإيمان

التشكيك فيه، كما يسعى إلى تصحيح الأفكار الخاطئة عن الإيمان،

وإزالة الصور المغلوطة عن الله. وهو في دفاعه، يتشبه بسيدته "الراعي

الصالح" الذي يسعى إلى حماية الخراف الصغيرة: "أَنَا هُوَ الرَّاعِي

الصَّالِحُ وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذُلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ" (يو 11:10). كذلك

يهدف المدافع إلى حماية صغار النفوس، وخاصة الشباب (الذين ليس

لهم العمق الإيماني ولا المعرفة الكتابية الكافية) الذين يقعون ضحية

للأكاذيب: "أَنْظُرُوا أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَيَغْرُورُ بِاطِّلٍ،

حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ" (كو2:8). فالمدافع عليه أن يعمل على إزالة

العثرات والعوائق من أمام من يريدوا أن يقبلوا الإيمان "الَّذِينَ فِيهِمْ إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ

المؤمنينَ، لِئَلَّا تُضَيَّءَ لَهُمْ إِنْارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ" (2كو 4:4).<sup>52</sup>

## صفات المدافع المسيحي:

أولاً: على المدافع المسيحي أن يتحلى بالإتضاع التام، عالماً أنه إذا استخدمه الروح القدس لإجابة أي

تسأل، فالمجد كل المجد لله وليس له "حَدِّثُوا فِي الْأَمَمِ بِمَجْدِهِ وَفِي كُلِّ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ" (1 أخ 16:24).

51 . John M.Frame, *Apologetics: A justification of Christian belief*, New Jersey: PUBLISHIN COMPANY, 2015, p.24.

52 . ماجد غالي، "علم اللاهوت الدفاعي مقدمة الجزء الثاني ، موقع هولي بايبل، تاريخ الأقتباس : مارس

<https://www.drghaly.com/articles/display/11961.2024>

**ثانياً:** يجب أن يتصف المدافع بالوداعة والخوف، فلا يبحث عن انتصار شخصي، بل يسعى لكسب الشخص وليس الانتصار في الحوار، فلا يسبب أسلوبه أي عثرة، بل يختفي لكي يظهر المسيح: "إِذَا نَسَعَى كُسْفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللَّهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللَّهِ" (2 كو 5:20).

**ثالثاً:** تقديس القلب يبدأ بالعلاقة الشخصية والحقيقية مع الله "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَقَرِيبِكَ مِثْلَ نَفْسِكَ" (لو 10:27).

**رابعاً:** الاستعداد للمجابهة يبدأ بفهم الإيمان بشكل إيساسي (يفضل تكوين نظرة خارجية لما يدور في عقول الآخرين)، بالإضافة فهم طبيعة الجمهور، لأن لكل جمهور أسئلته وإعتراضاته ومشكلاته التي يجب التفاعل معها، كذلك يجب ترجمة الإيمان إلى لغة يفهمها المستمعين، فنحقق تواصل حقيقي، يقول سي . أس لويس "مهمتنا أن نقدم من لا زمن له ، بلغة زماننا".

أخطر ما يواجه خادم الدفاعيات، هو حين يشعر أنه



أصبح لا يحتاج إلى التعليم، وأن زمن التلمذة قد إنتهى، وهو بذلك يسقط في الكبرياء. فعلى المدافع أن يستمر في تلمذته لرب المجد وللكنيسة، فيعيش بروح التلمذة، التي تهزم أي روح جدال أو عناد: "لَا تَكُنْ حَكِيمًا فِي عَيْنَي نَفْسِكَ. اتَّقِ الرَّبَّ وَابْعُدْ عَنِ الشَّرِّ" (أم 7:3).

إن خدمة صغار النفوس تحتاج بالأكثر إلى قلب تقى ملتصق بالله، لكي يوصلهم إليه ويكون قدوة لهم. وهذه هي غاية خدمة الدفاعيات الأساسية، فالإقناع الكامل لا يأتي فقط من شهادة المدافع، بل من اللقاء الشخصي مع المسيح. وهذه هي غاية المدافع، أن يوجه الناس إلى رب المجد يسوع، الذي فيه تتحقق أشواق البشرية: "دُوفُوا وَانظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبِّ! طُوبَى لِلرَّجُلِ الِّمَتَوَكِّلِ عَلَيْهِ." (مز 8:34). فالحجج والأدلة والبراهين وقوة البلاغة، مجرد مداخل أو أدوات، يسعى من خلالها المدافع إلى إزالة ما يعوق الإيمان . فقط

اللقاء الشخصي مع السيد المسيح، هو ما يصنع الفارق، لأن الشفاء و المغفرة فيه هو وحده وهو عطية الأب ويعمل الروح القدس. ومن يدرس دفاعيات آباء الكنيسة الأولين، يجد أن اللقاء الشخصي مع السيد المسيح هو الغاية النهائية للدفاع.

## الإلحاد، أهم أسبابه وأشهر المدارس

### الإلحاد:

الإلحاد،<sup>53</sup> هو إنكار وجود الله، أو رفض إقامة علاقة معه، وبالتبعية في الحالتين رفض الدين وكل ممارسته.

### أهم مدارس الإلحاد:

**أولاً: الإلحاد في معناه الواسع (Atheism):** هو مصطلح عام يُستخدم لوصف تيار فكري وفلسفي، يتمركز حول إنكار وجود خالق أعظم أو أي قوة إلهية بمفهوم الديانات السائدة. والتعبير مركب من مقطعين "A" بمعنى "لا"، "Thesis" من الكلمة اليونانية Theos وتعني "إله".<sup>54</sup>

الإلحاد ببساطة يعلن إنكار وجود إله، لعدم توافر الأدلة على وجوده من وجهة نظر الملحدين أو رفضهم لرويتها، فمنطق الإلحاد إن ما لم تثبتته التجربة العلمية يكون خاطئاً وتافهاً ومنقوصاً من أساسه. فهذه المدرسة لا تؤمن إلا بالعلم والمنهج التجريبي، وما يخرج عن دائرة العلوم التجريبية ومنهجها لا يتم قبوله. (بالطبع هذه نظرة قاصرة، لأن هناك الكثير من الأمور لا تخضع للعلوم التجريبية، رغم اليقين من وجودها، مثل القيم والجمال، بالإضافة إلى كل الأمور والأحداث التاريخية الحقيقية).

أتباع هذه الفلسفة، يعتقدون أن وجود إله هو تهديد لوجود الإنسان وسلطانه، كما أنه يلغي كرامته. يقول كارل ماركس (1818-1883م): "كل كائن لن يعتبر نفسه مستقلاً، إلا إذا كان مكتفياً بذاته، ولن يكون مكتفياً

53 . إلحاد: من الفعل "لحد أو حاد" أي مال عنه أو أبتعد عنه، لحد عن الطريق المستقيم: عدل عنه، مال. لحد الشخص في الدين: كفر وأشرك بالله، طعن فيه. إلحاد (اسم) إنكار الألوهية ورفض أدلتها. أنظر: القاموس الجامع تحت كلمة "الإلحاد".

54 . حلمي القمص يعقوب، رحلة إلى قلب الإلحاد ج.1- الإلحاد..بذار ورجال (الأسكندرية: كنيسة القديسين مار مرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء، 2011)، 8.

بذاته، إلا إذا كان هو مصدر وجوده. إن الإيمان بالله يعنى هدم قيمة الإنسان وقدره، ولا بد من الإستغناء عن الله لإنقاذ الإنسان".<sup>55</sup>

**ثانياً: اللا دينية:** وهي فلسفة تنكر الإيمان بالأديان، سواء عن تعمد لأسباب خاصة، أو لعدم توافر معلومات ترجح كافة دين محدد، وفقاً لرؤية وأعتقاد أتباع تلك الفلسفة، كما أنها ترفض فكرة اتخاذ الدين كفكرة مركزية لتنظيم حياة الإنسان، كذلك يتضمن الفكر طريقة وأسلوب حياة لا تتماشى مع الدين، فالشخص اللا ديني يُنكر جميع الأديان، لأنها في نظره تقيد حريته.<sup>56</sup>

**ثالثاً: اللا أدرية (Agnosticism):** وهي فلسفة تقر أن كل معرفة هي معرفة نسبية وليست أكيدة ولا يمكن الجزم بأمر ما، وأن الحقيقة لا يُمكن الوصول إليها بسبب قصور الحواس البشرية. فما يراه البعض صائباً، قد يكون خطأً للآخرين. الشخص اللا أدري شخصاً تائهً، لا يدرك طريقه، ولا يستطيع أن يأخذ قراراً لأنه لا يملك حقيقة الأمور، فهو مثل ريشة في مهب الريح. إن الفكر اللا أدري لا يُشبع الإنسان، بل يجرده من شخصيته ويتركه في متاهة.<sup>57</sup> والمصطلح مُشتق من كلمة "gnosis-γνوصις" أي معرفة.

**رابعاً: وحدة الوجود (Pantheism):** أصحاب هذه المدرسة، يقرون أن هذه الحياة هي حياتهم الوحيدة، وأن الأرض هي فردوسهم الوحيد إذا أعتنوا بها، وهم لا يؤمنون بالحياة بعد الموت. وقد تمادوا في تصورهم، حتى أنهم قالوا أنه ليس هناك خالق للطبيعة، وإنما الكون والله كياناً واحداً وجوهراً واحداً، ولا فرق بينهما، وعليه نادوا بألزلية الكون. كما أدعوا أن ما نتصوره أنه عملية خلق، إنما هو تغييرات في الطبيعة

55 . حلمي القمص يعقوب، رحلة إلى قلب الإلحاد ج.1- الإلحاد..بذار ورجال، 10.

56 . حلمي القمص يعقوب، 11.

57 . حلمي القمص يعقوب، 12.

تتم من أن لأخر. فالطبيعة مقدسة وهى إلههم، والبشر جزء غير منفصل عنها، وبالتالي على البشر واجب العناية بها.<sup>58</sup> التعبير "pantheism" مُشتق من كلمة "pan" أي "كل-all".

بالطبع يوجد أشكال وصور أكثر للإلحاد، ولكن بشكل أو آخر جميعها لا يعترف بوجود إله كائن حي حقيقي خلق الكون والكائنات ويتفاعل مع خليقته ويرعاها ويدبرها ويدخل في علاقات مع خليقته العاقلة.

## أسباب الإلحاد:

### أولاً: أسباب شخصية:

- (1) الإيمان بقدرات العلم والاكتشافات الحديثة، فالإنجازات العلمية المذهلة التي حققها الإنسان في السنوات الأخيرة، قد أوهمت البعض بأنه ليس هناك حاجة إلى الله. فقد اعتقدوا أن العلم يستطيع الإجابة على كل التساؤلات المعرفية.
- (2) اعتناق بعض الأفكار الفلسفية الوجودية، والتي ترفض قبول أي أمر، دون أن يتم إثباته علمياً بالتجربة أو رياضياً أو منطقياً بأساليب البرهنة المختلفة.
- (3) إعلاء قيمة الفكر المادي الذي يعتمد على الحواس الخمس فقط، وضرورة إخضاع كل معرفة للحواس الخمس. وفي هذا تجاهل لطبيعة الله التي لا تخضع للمقاييس البشرية أو الحواس المادية.
- (4) البحث عن الحرية الزائفة، بعيداً عن وصايا الدين وتأنيب الضمير. يقول ألدوين هكسلي الكاتب البريطاني الشهير (1893-1961م): "إن تبني الإنسان لمفهوم الإلحاد وفلسفة العدمية، إنما كان بدافع البحث عن التحرر".
- (5) الإصطدام بمشكلة الشر والآلم، فهم يتساءلون: "إن كان هناك إله، فلماذا يسمح بالشر والآلم، ولماذا لا يمنعهما؟"، وهو ما يُطلق عليه معضلة الشر والآلم.
- (6) بعض الإضطرابات النفسية، مثل الإحساس بالنقص أو البحث عن المظهرية وحب الظهور.

58 . القس بيشوي حلمي، وجود الله حقيقة أم خرافة؟ (القاهرة: مطابع النوبار بالعبور، 2017)، 22.

**ثانياً: أسباب أسرية:**

للتنشئة الأسرية السليمة دور هام في تشكيل الشخصية الإنسانية، وبالتالي فإن الظروف القاسية تنعكس بشكل قوي على توجهاتها. ومن أهم تلك الأسباب غياب الأب أو قسوته (حيث يتم عمل اسقاط من صورة الأب على شخص الله)، بالإضافة إلى إلحاد أحد الوالدين أو كلاهما، وغياب التنشئة الدينية السليمة.

**ثالثاً: أسباب مجتمعية:**

مثل الإنفلات الأخلاقي لبعض المجتمعات وسيادة الفكر المادي الذي يُعطي من الإنسان، وإزدهار الإعلام الذي يشجع على الإلحاد، وغيرهم من الظروف التي تشجع على التوجه الإلحادي.

**رابعاً، العثرة:**

سواء من رجال الدين، أو من تشدد الخطاب الديني، أو من الإعتقاد بمفاهيم مغلوطة عن الله، مثل الزعم أنه قاسي وأن كل ما يهتم به هو تقديم العبادة والخضوع له. كذلك العثرة بسبب التشكيك في الكتاب المقدس وصحة ما جاء به، وربط بعض أحداث الكتاب بقصص أسطورية، كذلك ربط الدين عند البعض بالنخلف والرجعية والتعصب والعنصرية.

**خامساً، أسباب سياسية:**

قد تتبناها بعض الدول أو الجماعات بهدف نشر الإلحاد ومحاربة الإيمان بالله، أو بسبب تعارض الإيمان مع مصالح تلك الجماعات ومبادئها. وفي هذا الصدد، لا يجب أن ننسى الدور الذي لعبته بعض الدول الشيوعية في نشر الإلحاد بين شعوبها.<sup>59</sup>

## خدمة الملحد أو المتشكك

### مقدمة:

في مسيرة الحياة، قد يواجه الإنسان المسيحي بعض الاعتراضات أو الصعوبات العقلية الخاصة من جهة الإيمان المسيحي، وقد لا يجد لها إجابة. تلك الأسئلة التي تبدو أنها بدون إجابة شافية، ربما تقود إلى التشكك في حقيقة الإيمان المسيحي، وقد تهدم الشكوك أساس الحياة الروحية، بحيث قد يظن المؤمن أنه يعيش في أوهام. ولهذا فإن دور الدفاعيات هو أن تقدم إجابة لتلك الأسئلة، بحيث لا يُسمح للشك أن يتسلل لزراعة الإيمان.

### معنى الشك لغويًا:

"شك" (فعل)، "شك في الأمر" أي أرتاب فيه ولم يصل فيه إلى يقين. "شك عليه الأمر" أي ألتبس عليه وأرتاب فيه". "شك" (اسم) والجمع "شكوك"، هو حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الإثبات والنفي، ويتوقف عن الحكم. "الشك" هو ألتباس وأرتياب، نقيض اليقين. "بدون شك" أي أمر مُسلم به لا يقبل الأرتياب بمعنى أكيد. "الشكاك" هو الكثير الشك، و"الشكاكون" هم جماعة يترددون بين إثبات حقائق الأشياء وإنكارها.<sup>60</sup>

### طبيعة الشكوك ومصادرها:

إن الشكوك أمر طبيعي، وهي جزء من تطوير وتعميق الإيمان. البعض قد يعتقد أن الشك هو عكس الإيمان، ولكن هذا غير صحيح. يقول العالم المسيحي السويسري كارل بارث: "إن الشك لا يعني الإنكار. وإنما الشك هو التراجع والترنح ما بين نعم ولا. إنه فقط "الإرتياب"، الشك هو رحلة البحث عن أدلة

60 . مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز (جمهورية مصر العربية: مجمع اللغة العربية، 1980)، 348.

وبراهين. أما الاستمرار في الشك بعد إدراك الحقائق، فهو ببساطة عدم رغبة في الإيمان، ولذلك ليس من الخطأ لشخص ما أن يكون لديه شكوك، ولكن ما يهم هو مبررات تلك الشكوك، وما يفعله تجاهها.<sup>61</sup>

### مصادر الشكوك:

تأتي الشكوك من ثلاثة مصادر: عقلانية، عاطفية، إرادية:

(1) **الشكوك العقلانية:** قد تنتج من الأشتراك مع غير المؤمنين في مناقشات، وخاصة حين لا يمتلك المؤمنون إجابات منطقية لما يطرحه الطرف الآخر من شكوك. إن عدم معرفة أساسيات الإيمان، تجعل الإنسان فريسة سهلة لتشكيك الآخر. وعلى نفس القياس قد يكون مصدر الشكوك كتاب أو موقع إلكتروني أو أي وسيلة إتصال إلكترونية. وقد يظهر الشك بسبب مفاهيم خاطئة، أو صورة مغلوطة أو مشوهة عن الله، وخاصة حين يركز البعض على صفتي المحبة والرحمة لدي الله، ويتجاهلوا عدله وبره وقداسته.

(2) **الشكوك العاطفية:** قد يكون الشك بسبب قيام بعض الأشخاص ببناء إيمانهم بالكلية على المشاعر العاطفية، وحينها يعتبرون أن هذه الشحنة العاطفية هي ترمومتر الإيمان، فإذا فترت المشاعر، تسرب اليأس والشك. بالإضافة إلى أن بعض الأشخاص، يكون لديهم ميول عاطفية شخصية وطبيعة حساسة تجعلهم أكثر عرضة للأسئلة والشكوك.

(3) **الشكوك الإرادية:** وإلى جانب العقل والعاطفة، قد يدخل الشك من خلال الإرادة، حينما يصير الإنسان أن يحيا في نمط حياة خاطئ ويرفض تقديم توبة.<sup>62</sup>

يقول الملحد السابق جاي بذريسويسكي في كتابه "انتقام الضمير" عن سبب إتجاهه الأول إلى الإلحاد: "وجود الله حرمني من الراحة أكثر وأكثر، فبدأت في البحث عن أسباب لكي أؤمن أنه غير موجود، معظمنا

61. Karl Barth, *Theology: An Introduction*, translated by Grover Foley, Holt, Rinehart, Winston, 1963, p. 124.

62. باسيليوس، الحقيقة في زمن ينكر الحقيقة، 146-148.

لم يشك في وجود الله ثم بدأ أن يخطئ، بل العكس بدأ يخطئ أولاً ثم بعد ذلك أخذ يشك في وجود الله".<sup>63</sup> ما قصده جاي هو أن إنكار وجود الله رد فعل لحياة يرغب أن يحيها الإنسان، ويبحث عن أسباب لنفسه ليبرر هذا الاعتقاد وليسكت صوت ضميره.

### دور الإعلام في إثارة الشكوك والتشجيع على الإلحاد:

يساعد الإعلام المعاصر بما يقدمه من مواد إعلامية على نشر الفكر المادي المثير للشكوك والداعي للإلحاد، فالإعلام له دور مؤثر في تشكيل قناعات المجتمع وميوله، وذلك بما يقدمه من مادة مفترضا أنها حقائق ثابتة. وفي هذا يركز الإعلام أهتمامه على العنصر المادي للإنسان، ولا يدع مجالاً للعنصر الروحي، ويُمكن تحديد سمات الخطاب الإعلامي من خلال عدة نقاط، أهمها:

(أ) العنف، الذي يُعتبر جزءاً أساسياً في المادة الإعلامية، سواء بشكله اللفظي أو الجسمي، وهو الأمر الذي ينعكس على المُتلقي بشكل عام، فيجعله أقل تعاطفاً مع آلام ومعاناة الآخرين.

(ب) الأهتمام المبالغ بالجسد، وإشاعة أن قيمة الإنسان في المجتمع تكون بمظهره وشكل جسمه، وهكذا تترسخ قيمة الجسد المادي على حساب الروح والعقل.

(ج) الأباحية والجنس، وتلك المادة تعد محورا أساسياً في الإعلام المعاصر، فلا تخلو المادة الإعلامية من إحياءات أو مشاهد أو ألفاظ جنسية، مما يؤثر على عقلية المشاهد الذي تتزين أمامه طرق الشر.

(د) إنعدام المرجعية وتقديم نماذج باهتة للنجاح، تلك التي تزيف مخيلة الشباب وتصيبهم بالأحباط. يقول المفكر الأمريكي جون باسكويني في كتابه "العلمانية": "ماذا تنتظر من إعلام الحضارة المادية، إنها حضارة تتبني رؤية تنعدم فيها المرجعية والحق المطلق، والأخلاق فيها نسبية، والإنسان مجرد مادة، والمفاهيم الأساسية فيها غائبة".

63. J.Budziszewski, *The revenge of Conscience: Politics and the fall of man*, Wipf, Stock Pub.,2010,p.12.

ه) ثقافة الاستمتاع، فالإعلام يروج لنوع من السعادة يتحقق من خلال الاستمتاع بكل الصور، بعيداً عن تحقيق القيم العليا وعلى حساب أي شخص وبأي وسيلة دون مراعاة لقيم أو طرق مشروعة.

و) التدني المعرفي، بسبب الإنشغال والتركيز على إمتاع الذات، على الرغم من الثراء المعرفي والمعلوماتي الذي يتميز به العصر، غير أن الإعلام لا يقدم هذا المحتوى الفكري، بل يعتمد استخدام مصطلحات ورموز، هدفها الأساسي تضليل الإنسان.

ي) هدم مفهوم الأسرة، بأعتبارها أساس المجتمع. لقد بلغت احترافية الإعلام حداً، جعلته يُبث مفاهيمه المادية والإلحادية إلى عقل المُتابع، دون مقاومة ودون تفكير نقدي، وهو ما أثر في عقلية المجتمع وسلوكيات أفرادهِ.<sup>64</sup> كل تلك العوامل التي يروج لها الأعلام، أوجدت بيئة خصبة لنمو الفكر الإلحادي والجنوح بعيداً عن الطريق الإلهي.

#### إرشادات عامة للتعامل مع الشكوك:

**أولاً:** يجب على كل إنسان أن يدرك أن الشك ليس بمشكلة عقلية خالصة، فهناك بُعد روحي للمشكلة، يجب إدراكه والتعامل معه. فالشك ليس مجرد حالة من الجدل الأكاديمي أو الحوار العقلي غير المجدي، بل هو حرب روحية، فالشيطان يستخدم الشك لكي يُضعف الإيمان، والكتاب المقدس كثيراً ما يصف الشك بأنه مُفسد للحياة الروحية. وبالتالي فالشك ليس مجرد صراع عقلي فقط، ولذلك يجب على كل إنسان أن يسهر على حياته الروحية، يقول معلمنا بولس الرسول: "إِنَّمَا يَطْمَعُ فِينَا الشَّيْطَانُ، لِأَنَّنا لَا نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ" (2كو 11:2)، ولذلك حين تحاصر الشكوك أي إنسان، عليه أن يأخذ تلك الشكوك وي طرحها أمام الله في صلاته، طالباً حلاً لها. بالطبع هذا لا يعني أننا نساوي بين التفكير في الإيمان- وهو الأمر الذي يوصي به الكتاب المقدس: "أَيُّهَا الْأَجْبَاءُ، لَا تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الْأَرْوَاحَ" (1 يو 4:1)- وبين الشك في الإيمان.<sup>65</sup>

64 . القس بيشوي حلمي، وجود الله حقيقة أم خرافة؟، 40-44.

65 . وليم لين كريج، أجوبة ليست سهلة، ترجمة القس عزت شاكرا ( القاهرة: دار الثقافة، 2023)، 35-37.

**ثانيًا:** يجب الموازنة بين العقل والإيمان، لأن البعض يفترض أن العقل هو أساس الإيمان، غير أنه من الواضح أنه لا يمكن البرهنة على صحة الإيمان بالاعتماد على دلائل وبراهين فقط، فالأمر يستلزم الشهادة الداخلية للروح القدس داخل النفس البشرية "الرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لَأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ" (رو 8:16)، فالعقل هو الوسيلة التي أعطاها الله لنا لتساعدنا على فهم أفضل لإيماننا، أما الروح فهو وحده القادر أن يُعطي

تأكيدًا وفهمًا للحقائق الإيمانية. قد نستخدم العقل في الدفاع عن الإيمان بتقديم أدلة أو براهين أو من خلال تفنيد الاعتراضات، غير أنه يظل أساس الإيمان هو شهادة الروح القدس نفسه. ولأجل هذا يُصبح الشك أمرًا خطيرًا حين يُسمح للعقل أن يأخذ دور السلطة العليا وأن يأخذ مكان الروح

القدس. بالطبع هذا لا يعنى أن المسيحية ضد العقل، غير أن الحقيقة هي أن الإنسان مهما أرتفع، لا يستطيع أن يملك كل الحقائق، وأن يكون معصوما من الخطأ، فقط روح الله يملك هذه المواصفات. وهكذا على الإنسان أن يعرف قدره وإمكاناته، وأن يحفظ دومًا التوازن بين العقل والإيمان، وأن لا يهتز إذا واجه في بعض الأحيان أسئلة تبدو للوهلة الأولى بلا إجابة.<sup>66</sup>

**ثالثًا:** إدراك محدودية العقل البشري وضآلة المعرفة البشرية، لقد واجه القديس بولس الرسول الغنوسيين<sup>67</sup> الذين كانوا يعطون كل الأهمية للمعرفة، ويظنون أن الخلاص بها، فيقول: " فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ

66 . كريج، أجوبة ليست سهلة، ترجمة القس عزت شاكرا، 38-39.

67 . الغنوسية: من الكلمة اليونانية "γνῶστικός" ومعناها "المعرفة"، وهي حركة وثنية مسيحية ترجع جذورها إلى ما قبل المسيحية بعدة قرون، كخليط بين الفكر الأغرقي والمصري القديم وبعض التقاليد الفارسية، وهي لا تؤمن بالإيمان التسليمي، بل تعتمد على العقل والمعرفة، فالعقل فوق الإيمان والوحي. حاول الغنوسيون تفسير وجود الشر، بادعاء الثنائية الإلهية، بوجود أصليين للكانات، إله الخير: هو أصل الروح، وإله الشر: هو أصل المادة، وسعوا لخالص الروح من سجن الجسد بالمعرفة السرية. وأدعوا أن جسد السيد المسيح غير حقيقي، لأن المادة شر. أنظر: القس إبراهيم عبد السيد، البدع والهرطقات خلال عشرين قرنًا، 19-20.

أَنَّهُ يَعْرِفُ شَيْئاً فَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئاً بَعْدُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ" (1كو 2:8)، وهنا يشير إلى أن الإنسان كلما تعمق في المعرفة، كلما أدرك أن طريق المعرفة لا ينتهي، "إِنَّا نَنْظُرُ الْآنَ فِي مِرَاةٍ فِي لَعْنٍ حِينِيذٍ وَجْهًا لَوَجْهِهِ. الْآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ لَكِنْ حِينِيذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ" (1كو 12:13). في المقابل من يحب الله يسير في طريق المعرفة الحقيقية له، فيبدأ بالحب وينمو في المعرفة. وحتى إذا لم يستطيع أن يجد حلاً لبعض المشاكل والتحديات التي تواجهه بعقله المحدود أو بسبب مصادره القاصرة، فإنه يتمسك بالحق مؤمناً أن الصعوبات تنبع من نقص وضعف القدرات البشرية وليس في كمال الحق الإلهي.<sup>68</sup>

البعض قد ينظر إلى الإيمان، وكأنه عمل غير عقلي، يصدر فقط عن الإرادة والشعور، بالطبع يوجد أنواع من المعارف يستطيع العقل أن يصل إليها دون حاجة إلى الإيمان (كالعلوم الرياضية والتجريبية أو حتى المعرفة الحسية)، غير أن العقل لا يمكنه أن يدرك المعرفة التي تتصل بالعالم ككل أو بالخير الأقصى للإنسان، دون إفتراضات مُستخلصة من الإيمان، وهذا ما قد سبق أن أشار إليه القديس أغسطينوس حين قال: "أومن لكي أتعمل". فبدون الإيمان، تصبح جميع معارفنا عن الحقيقة المطلقة ناقصة، كونها مكتسبة من الحواس البشرية، وذلك لأن الحقيقة المطلقة أكبر من مداركنا، مما يستدعي خطوة الإيمان بالإعلان الإلهي.<sup>69</sup>

**رابعاً:** ضرورة تتبع الشكوك حتى يتم قهرها، فعلى الإنسان أن لا يتجاهل شكوكه، بل عليه من وقت لآخر أن يختار أحد الأسئلة التي تشغله، ويبدأ رحلة البحث عن إجابة لها، وذلك لأن البحث الجاد يُثري الحياة الروحية، فالعثور على إجابة يشجع العقل، ويعطي إحساساً رائعاً بالسلام العقلي ويمنح الثقة بوجود حلولاً لباقي الصعوبات والأعتراضات. وبذلك تصبح رحلة البحث عن أجوبة أحد أروع الأختبارات في الحياة الروحية المسيحية. إن الشك تجربة مريرة وقاسية ولا يوجد علاج سريع لحلها، فهي تحتاج إلى جد وإحتمال،

68. جريج، أجوبة ليست سهلة، 44.

69. موريس تاووضروس، رسائل إلى عزيزي الملحد (القاهرة: الكلية الإكليريكية اللاهوتية للقبط الأرثوذكس، 2016)، 10.

وصلاة جادة قبل كل شيء وطلب معونة من الروح القدس لكي يُعطي استنارة عقلية، بها يتم قهر الشك وأسر كل فكر لطاعة المسيح.<sup>70</sup>

### إرشادات عملية للتعامل مع الشكوك:

**أولاً:** الأمانة مع النفس لإكتشاف الجذور والأسباب الحقيقية التي يتسلل من خلالها الشك.

**ثانياً:** طلب العون من الله ومن الآخرين، من الله أولاً لكي يفتح القلب والذهن كي يدرك الإنسان الحقيقة، لقد قبل رب المجد طلبه والد الإنسان الذي به روح نجس، حين طلب قائلاً: "أومِنْ يَا سَيِّدُ فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي" (مر 9:24)، ومنحه الشفاء. ومن الآخرين ثانياً، خاصة هؤلاء الذين لهم خبرات روحية، فيمكن الاستعانة بالأباء الروحيين والمرشدين لتقديم المساعدة.

**ثالثاً:** وضع خطة مناسبة للعلاج، من خلال التعامل مع أسباب الشك.

**رابعاً:** السعي لنمو الحياة الروحية، من خلال التمتع بكلمة الله والأشتراك في الأسرار المقدسة.

**خامساً:** الاستفادة من الخبرات السابقة، كونها تعطي ثقة لأنها تمثل شكوكًا قد تجاوزها الإنسان وصارت له داعم للإيمان.

**سادساً:** معرفة الطبيعة البشرية المحدودة، والتأكد من عدم امتلاك التأكيد المطلق، ما لم يعلن الله ذاته،

فسوف تظل هناك أسرار لا يمكن فهمها في الزمن الحاضر بسبب محدودية العقل.<sup>71</sup>

مبادئ إرشادية للمدافع، لمشاركة الآخرين الإيمان:

**أولاً:** على المدافع أن لا يتكل على ذكائه الخاص وبراعته الشخصية، بل على عمل النعمة، حتى لو استخدم المدافع أكثر الحجج المنطقية، فهو يجب أن يترك نفسه لكي يصبح أداة في يد الله، فيعمل في قلوب البشر، فلا يمكن لأي شخص أن يتغير إلا بعمل الروح القدس. فقط على المدافع ان يُبذر بذرة، والروح القدس

70 . جريج، 45-46.

71 . باسيلوس، الحقيقة في زمن ينكر الحقيقة، 147-149.

هو من يمنح النمو، يقول معلمنا القديس بولس الرسول: "لَيْسَ الْعَارِسُ شَيْئاً وَلَا السَّاقِي بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي" (1كو 3:7). وبهذا يصبح عمل المدافع هو أن يُزيل المعوقات ويفتح الأبواب لنور الحقيقة. فما يؤثر في غير المؤمن، ليس عمل الدفاعيات في حد ذاته، بل قوة الروح القدس العامل مع كل من يبحث عن الحق بإخلاص. إن عمل الدفاعيات يعتمد بشكل أساسي على نعمة الله القادرة أن تشفي وتدير، فالمدافع دوره فقط أن يأتي بالبشر إلى النقطة التي يتولى فيها الله زمام الأمور. فالمدافع يشير إلى مصدر الشفاء ولكن الله هو من يشفي. يعلن المدافع عن المخلص واهب الحياة، ولكن الله هو من يخلص.<sup>72</sup>

**ثانياً:** على المدافع أن يدرك أن لا أحد يستطيع أن يشارك رسالة هو شخصياً لا يؤمن بها، ولذلك فعلي المدافع أن يتأسس ويتأصل إيمانياً، وذلك لكي يشارك هذا الإيمان مع الغير بفاعلية، وبالتالي عليه أن يتزود بمعرفة سليمة عن العقائد الأساسية للإيمان، مثل حقيقة وجود الله، أصالة وحي الكتب المقدسة، حقيقة تجسد وصلب وقيامه رب المجد، السماء والجحيم، تفرد المسيحية عن سائر المعتقدات.

**ثالثاً:** حتى يتسنى للمدافع مشاركة بشاره الإنجيل السارة، ينبغي أولاً أن يتعرف على ما يؤمن به الآخر، وهذا لن يتحقق دون إنصات حقيقي، يقول الحكيم في سفر الأمثال: "مَنْ يُجِيبُ عَنْ أَمْرٍ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَهُ فَلَهُ حَمَاقَةٌ وَعَارٌ" (ام 13:18). فالبشر يستجيبون للحوار مع من يُنصت إليهم، ولذلك على المدافع أن يشرح للآخر برهان إيمانه، ولا مانع من طرح أسئلة توضيحية، ثم الإنصات بأهتمام لإجابات الآخر. فمن يهتم بأفكار الآخر، سوف يبادله الآخر ذات الأهتمام حين يشاركه الإيمان. ومن خلال الأسئلة وإجابتها، سوف يكتشف المدافع العائق الحقيقي لقبول الإيمان، هل هو عقائدي أم عاطفي أم إرادي أم مزيج بين الكل؟ كذلك من خلال الأسئلة، سوف يتعرف المدافع على النقاط تتداخل فيها وجهة نظر الآخر مع المسيحية، مما يشكل أرضية مشتركة لحوار مثمر.<sup>73</sup>

72 . باسيلوس، 133.

73 . باسيلوس، 134-135.

## التعامل مع أسئلة المُشككين:

على المدافع أن يُرحب بالأسئلة، لأنه تمثل مداخل للإيمان، فالسؤال يشير إلى أن صاحبه مهتم وراغب في الاستماع. فالسؤال يُعد فرصة ذهبية لمشاركة الإيمان، يجب على المدافع أن يستغلها. كما أنه فرصة لإزالة الغموض الذي قد يكتنف بعض ألغاز الحياة، وبالتالي فالأسئلة فرصة لشرح الرؤية المسيحية تجاه حقائق الحياة، وإزالة سوء الفهم وإظهار مصداقية الإيمان وجاذبيته والحديث عن تأثيره على الحياة. وعليه يجب الترحيب بالأسئلة وتشكيل إجابات جيدة قادرة على إشباع نفوس سائلها.

**هناك عدة أمور يجب على المدافع أخذها في الاعتبار عند التعامل مع الأسئلة:**

**أولاً:** يذكرنا القديس بولس أن نسعى "كسُفراءَ عَنِ المسيح، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ المسيح: تَصَالَحُوا مَعَ الله" (2كو 5:20)، وعليه فلا بد أن يُجسد المدافع فهمه لرسالة الإنجيل في إجابته على الأسئلة، فيتم تقديم إجابات مهذبة تراعي مشاعر الآخرين وتساعدهم، بحيث تكون مغلفة بالمحبة فتظهر رقة قلب الله، وليس الغرور البشري الذي يستعلي على طالبي المعرفة.

**ثانياً:** يجب على المدافع أن يحاول اكتشاف الغرض المخفي من وراء السؤال، فسؤال مثل: "كيف يسمح إله صالح بالمعاناة في العالم؟"، البعض قد ينظر إليه بأعتباره مشكلة فكرية بحتة تبحث عن إجابات فلسفية شافية، لكن حقيقة الأمر تختلف تمامًا عن ذلك. لأن السؤال يخفي خلفه ألم نفسي عميق، وعليه فهو يحتاج لتعاطف وفهم وليس لمحاضرة فلسفية أو فكرية. وبالتالي قد يكون من المفيد أن يطلب المدافع من السائل أن يوضح سر اهتمامه بهذا السؤال.

**ثالثاً:** يجب على المدافع أن لا يسقط في إغراء مجموعة من الإجابات لعدد من الأسئلة، وترديدها بشكل آلي لمن يسأل عن الإيمان، لأن هذا الأسلوب سوف ينتهي بالمدافع ليصبح مثل ماكينة مبرمجة تفرز إجابات نمطية، قد لا تلام السائل. وعليه يجب على المدافع أن يُصغي جيدًا للسؤال المطروح، وما خلفه من مشاعر، لكي يطور بعمل الروح القدس إجابات جديدة قادرة أن تمنح سائله معنى شافيًا.

**رابعًا:** على المدافع أن يسعى دائمًا للتعلم من الآخرين الذين قد صاغوا فن الدفاعيات، سواء الأباء المدافعين أو المدافعين المعاصرين، وذلك لأن أقصر الطرق لتكوين ردودًا على الشكوك والأعتراضات التي تُثار ضد الإيمان، هو التلمذة. البعض يطلق على الدفاعيات "فن الدفاعيات"، وذلك بسبب ضرورة قيام المدافع بتطوير عمله، وذلك لبناء أفاقاً أعمق للتواصل مع الآخرين، بشكل يناسب مع كل إنسان على حدة. وبهذا الشكل يصل المدافع بفنه، إلى أبعداً لا يصل لها علم الدفاعيات المجرّد.<sup>74</sup>

### نصائح عملية لخدمة المتشككين:

- (1) ليست كل الأسئلة تحتاج أو تستحق الرد، فأحياناً يكون الصمت اللبق أو عدم الإجابة هما أفضل الحلول، وذلك لبعض الاسئلة التي قد تسبب الإجابة الإحراج للسائل بسبب تفاهتها أو عدم معقوليتها.
- (2) افترض أن المتسائل ربما يعاني من صراع روحي حقيقي، ويحتاج فقط إلى أذن مصغية وإلى شخص يأخذه بجدية وليس في حاجة إلى الدخول إلى حرب عقول.
- (3) استخدم مبدأ الثلاثة (C): أكد confirm: أستمع جيداً لما يقوله المتشكك، وذلك للتأكد من فهم أسئلته بشكل واضح وصحيح، وبالتالي معرفة طبيعة أعتراضاته ومصدرها، وإن أمكن تخمين السبب الحقيقي لأزمته. وضح clarify: عن طريق طرح أسئلة، لمعرفة الأسباب والدعائم لأسئلة المتشكك، هدف الأسئلة: مد جسور الحوار وليس تقديم استجابات. تواصل connect: عن طريق محاولة بناء علاقة مع المتشكك، فهو إنساناً وليس مشروعاً.
- (4) افترض أن المتسائل بدأ يرى شيئاً من الحق وأبدأ في بناء إجابتك عليه.
- (5) تجنب تحديد إجابتك أكثر من اللازم، لأن التحديدات الكثيرة يُمكن أن تربك السائل، وبما تجعله يعتقد عكس ما تقول، لأنه قد يعتقد أنك تكرر كثيراً لتمرر أمراً ليس حقيقياً.

(6) تذكر أن معظم الناس يريدون إجابات قصيرة، حتى لو سألوا أسئلة لا يُمكن إجابتها في أقل من 500 صفحة، وهذا يعني أنه ينبغي تقديم إجابات فعالة.

(7) لا تعمل على تحدي التعميمات المطاطة، مهما كانت سخيفة، لأن الكثيرين يلجأون إليها، يكفي الإشارة إلى المغالطة بشكل رقيق.

(8) تكلم بشكل شخصي كلما استطعت، فشارك بخبراتك ومشاعرك، ولا مانع من الاعتراف بالصعوبات والتجارب التي مرت عليك من قبل وتم اجتيازها بفعل الإيمان.

(9) لا بد من الإشارة إلى تعاليم الكتاب المقدس والكنيسة، كلما سنحت الفرصة.

(10) صل من أجل الشخص الذي يطلب مساعدتك.<sup>75</sup>

### الدوافع التي تقود إلى الإيمان:

يمكن تقسيم الدوافع التي من شأنها أن تساعد المدافع في عمله، بحيث تقود المتشكك إلى الإيمان، إلى قسمين:

**أولاً، عوامل خارجية:** وتشمل الظواهر والأرقام والحقائق التي تُشير إلى ضرورة وجود خالق ومصمم للكون والحياة، وهو ما سيتم دراستها لاحقاً ويصلح كمدخل وبرهان للدفاع عن وجود الله بشكل موضوعي وعملي.

### ثانياً، عوامل داخلية تتمثل في تلبية الاحتياجات الإنسانية، وتشمل:

(أ) الإحتياج العقلي والذهني، وهو الذي يسعى إلى إدراك أصل الموجودات، وإلى معرفة القدرة والحكمة الكلية التي تقف خلفها.

(ب) الإحتياج السلوكي، فتوازن السلوك البشري وتوافقه في الحياة، ينبع من وجود عقيدة يؤمن بها الإنسان، وينفعل بها ويُعبر عنها بالسلوك.

75 . أليكس ماكفريلاند، عشرة أنواع للإلحاد، ترجمة القس جورج عزت (القاهرة: دار الثقافة، 2014)، 56-58.

(ج) إحتياج أخلاقي، نتيجة لوجود معيار داخلي في الإنسان، يرشده إلى التمييز بين الخير والشر، بحيث يجعله يميل إلى الخير والصلاح، ويؤكد له ضرورة وجود مصدر كمال مطلق خارجه.

(د) إحتياج نفسي، فالإنسان يبحث دائماً عن وسيلة أمان تحميه، فنجده يضع الخطط العقلية والتصميمات الذهنية لكي تحميه من المخاطر، غير أن جميعها غير كافي لكي يشعره بالأمان.

(ز) الإحتياج الباطني، الذي يجعله يعلو على ذاته، لكي يهيب بقوة أخرى، لكي يسد ما في عالمه التجريبي من نقص وثغرات.

(و) الإحتياج إلى المطلق، فقد أدرك الإنسان حقيقة أنه لا يوجد حكماً نهائياً في كل مباحث الحياة، فكل الآراء والنظريات البشرية غير ثابتة ومتغيرة، وبالتالي لا بد من وجود مطلق ثابت يحوي كل شيء ويعلو فوقه.

(ي) إحتياج ذاتي، نابع من إدراك الإنسان بأن حريته محدودة، وبالتالي لا بد أن تكون مُنحت له من إرادة عليا، وبالتالي آمن بوجود هذه الإرادة العليا.<sup>76</sup> تلك الإحتياجات وإن كانت متابينة من شخص لآخر، إلا أن في مجملها ما يُشير إلى ضرورة وجود خالق.

أن تلك الدوافع أو المداخل، هامة جداً للعمل الدفاعي، وهي تختلف تبعاً لأهميتها من شخص لآخر، وعلى المدافع أن يستشعر المدخل الأكثر فعالية بالنسبة لمن يحاوره، لكي يحقق هدفه الأساسي، بأن يقوده إلى الإيمان.

الوقاية من تأثير الشكوك والأفكار الإلحادية:

هناك عدة خطوات هامة لوقاية الشباب، بأعتبارهم أكثر الفئات عرضة للشكوك، وهي:

أولاً، دراسة الأسباب الحقيقية المؤدية إلى الإلحاد من قبل متخصصين، والعمل على مواجهة هذه

الأسباب مواجهة جادة بشكل علمي مدروس وبخطط عملية.

**ثانياً:** التركيز على تعليم الشباب والنشء مبدأ تهديف الحياة، بحيث يكون لكل إنسان هدف يعيش من أجله، ويسعى لتحقيقه، فلا يصير تائهاً في بحر الحياة، تلاطمه أمواج الشك، بل يصير صاحب رسالة سامية، تستحق الحياة من أجلها.

**ثالثاً:** تأصيل الإيمان، من خلال شرح أساسيات الإيمان بلغة وطريقة تناسب كل سن وكل مرحلة، سواء بمواد مكتوبة أو مسموعة أو مرئية، أو حتى من خلال تطبيقات إلكترونية.

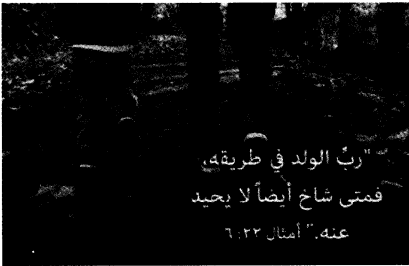
**رابعاً:** التأصيل الروحي، من خلال تدريب النشء على الممارسات الروحية المشبعة للروح، وذلك لمساعدة العقل على مواجهة الأفكار التشكيكية، فيكون البناء مؤسس على الضخر.

**خامساً:** التأصيل الكنسي، من خلال ربط الشباب بالكنيسة، فيشعروا بالقيمة والانتماء، ويكونون

كالشجرة المغروسة على مجاري المياه.

**سادساً:** التأصيل الأسري، من خلال تعظيم قيمة

الأسرة مجتمعياً وكنسياً، والحرص على تدعيم القيم والروابط الأسرية.



**سابعاً:** التأصيل الثقافي، من خلال تثقيف الشباب بأنواع من العلوم والثقافات القادرة على بناء

شخصيتهم، بحيث يصير الشباب واعياً وقادراً على النقد والأفراز لأي أفكار غريبة، كذلك التمييز بين الجيد والسيء.

**ثامناً:** تمكين الشباب وفسح المجال لهم، والاستماع إلى أفكارهم والإجابة على تساؤلاتهم بمزيد من

الأهتمام، وذلك ليتم تعظيم دورهم في المجتمع.

## قضية وجود الله والبراهين الدالة

ما أهمية أن يكون الله موجوداً؟

إن قضية وجود الله ليست مجرد فكرة، تُضاف إلى قائمة أفكار أعتدناها وأفناها، بل هي قضية تمثل

الجوهر الذي يقوم عليه معنى الحياة.

العديد من الفلاسفة أمثال جان بول سارتر Jean paul sartre، وألبير كامو Albert camus، قدموا حججهم على أن الله غير موجود، ومن ثم فالحياة عبثية بناء على ذلك. إن تحليلهم للوجود الإنساني في غياب الله، يرينا النتائج المرعبة التي يؤدي إليها الإلحاد. فمن يدرس أعمالهم يدرك النتائج الصعبة التي ترتب على إبعاد الله من الصورة.

وبناء عليه، فإن السؤال حول وجود الله، يُعد هو السؤال الأهم الذي يجب أن يشغل بال كل إنسان. إن عدم وجود الله بأعتبره خالق الكون، وكلي القدرة، وكلي الصلاح الذي يمنح البشر الحياة الأبدية، يجعل الحياة عبثية: أي لا يوجد معنى نهائي لها أو قيمة أو غرض، فما قيمة حياة الإنسان ولماذا يحيا؟

المعنى مرتبط بالأهمية، أي ما يجعل أي شيء مهماً. والقيمة مرتبطة بالخير والشر، بما هو صحيح وما هو خاطئ. أما الغرض، فهو الهدف والسبب وراء وجود شيء ما. إذا كان الله غير موجود، فالنتيجة الحتمية هي أن حياتنا بلا معنى أو قيمة أو غرض، بغض النظر عن توهمنا بحقيقة هذه الأمور وتمسكنا بيها. إذا كان الله غير موجود، فقد حُكم على الإنسان والكون بالفناء، وبالتالي فحياة الإنسان ليست سوى ومضة من نور في سواد لا نهائي، يظهر قليلاً ثم يخبو للأبد. يقول بول تيليك Paul Tillich : "رغم أنني أعلم أنني موجود وحي، فأنا أعلم أيضاً أنني سأتوقف يوماً ما عن الوجود وسيتبعني الموت. مجرد التفكير في هذا هو باعث على الحيرة ومصدر للتهديد".

إذا كان الموت يُغيب المرء عن الوجود، فما المعنى النهائي الذي تكتسبه حياته؟ إن حياة الإنسان قد تكون مهمة ضمن علاقتها بأحداث معينة، ولكن ما الدلالة النهائية لأي من تلك الأحداث، مهما علت قيمتها،

فقيمتها جميعا سوف تتلاشى في غياب القيمة النهائية. إذا كانت الحياة تنتهي عند القبر، فلا فرق إذا أن يحيا الإنسان مثل سنالين أو مثل الأم تريزا. يقول ثيودر دوستوفسكي: "إذا لم يكن هناك خلود، فكل الأشياء مسموح بها، ولا سبب يجعل الإنسان يتمسك بإنسانيته". إذا كان الله غير موجود، فهذا يعنى عدم توافر معيار موضوعي، نميز به ما بين الصواب والخطأ، وبالتالي تصبح القيم الأخلاقية مجرد تعبير عن الذوق الشخصي.

في عالم يغيب الله عنه، من يملك الحق في أن يقرر أن القيم التي يتبناها شخص ما صحيحة، والتي يتبناها آخر خاطئة. في غياب المرجعية الأخلاقية، كل الأفعال تتساوي.

إذا كان الموت ينتظرنا، فما الغرض النهائي للحياة؟ إن غياب الله، يؤدي إلى حياة لا يحركها أي قصد أو علة. فكل شيء بما في ذلك البشر أنفسهم، نتاج عشوائي من منتجات الصدفة.

في المقابل، فإن المسيحية والكتاب المقدس، يعلننا بكل وضوح حقيقة وجود الله، وأن الحياة لا تنتهي عند القبر، فالمسيحية تستند على وجود شرطين يضمنان للحياة معناها وقيمتها والغرض منها، وهما وجود الله والخلود. من خلال هذا الإطار، يمكن أن يعيش الإنسان سعيدًا ومتسقًا مع ما يؤمن به في الوقت نفسه.<sup>77</sup>

### براهين وجود الله

يقول المفكر الشهير باسكال: "إن جميع ما في الكون يشهد لوجود الله، ويدل على عظمته وقدرته، ونحن لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله في الخليقة لكي نتعرف على وجوده ونذكر عظمته. إن النظام والقانون والإبداع الذي نلمسه في الكون يدل على الله الخالق القدير".<sup>78</sup>

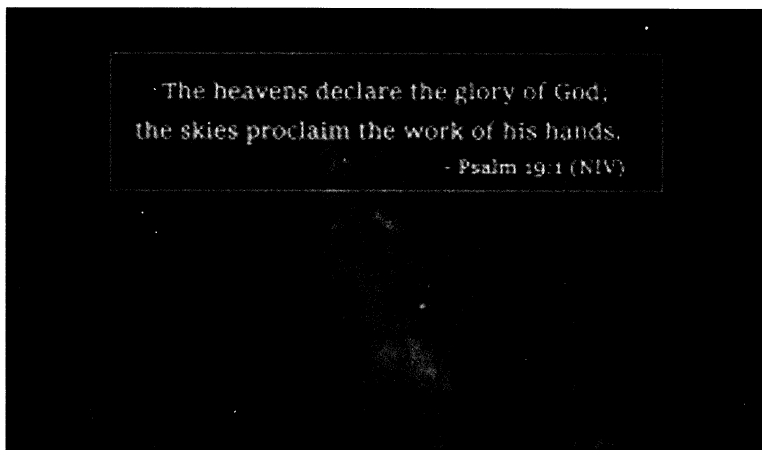
العقل لا يستطيع أن يتعرف على الله في طبيعته وجوهه، لأنه كيف يعي المحدود غير المحدود؟، وبالتالي فإن كل ما يملكه العقل في قضية وجود الله، هو الإستدلال العقلي، حيث تشهد الموجودات والخلائق

77 . كريج، مستعدون للمجابهة، 39-45.

78 . القس بيشوى حلمي، وجود الله حقيقة أم خرافة؟، 188.

على عظمة و قدرة الله، تلك هي الآثار التي تركتها أيادي الله في الخليقة: "السَّمَاوَاتُ تُخَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْقَلْبُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (مز 19: 1). يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "ربما تصمت السماوات، ولكن التطلع إليها يصدر صوتًا أعلى من صوت البوق، يتقفنا لا بسماع الإذن، وإنما باستخدام العين، فإن الأخيرة تقدم معلومات أكثر تأكيدًا و دقة من الأولى".<sup>79</sup>

وهو ما أكده القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية حين قال على لسان الوحي الإلهي: "لأنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ المنظورة تُرى مُنذُ خَلْقِ العالمِ مُدْرَكَةً بِالمُصنُوعَاتِ، قُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَالأهْوَتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِأَلْ عُدْرٍ" (روا: 20)، وبالتالي فإن البراهين والحجج على وجود الله عديدة، ويُمكن التعرف على تلك البراهين، وصياغتها لتشكّل حجج تشهد لوجود الله.



79 . القمص تادرس يعقوب ملطي ، تفسير سفر المزامير الإصحاح التاسع عشر (الإسكندرية: كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بأسبورتنج، 1990) 263.

## علم اللاهوت النظري

### علم اللاهوت النظرى:

هو العلم الذى يبحث في أمور الله، سواء تلك المعلنة في الطبيعة (الإعلان العام)، أو تلك المعلنة في الإعلان الخاص. وهو يتناول تلك الحقائق ويثبتها دون ان يستند في ذلك على الكتاب المقدس، ولكنه يعتمد في بحثه عن الحقائق الإيمان على البراهين العقلية المنطقية التى تخاطب العقل الإنسانى، هذا العقل الذى ضعفت فيه الحاسة الروحية، وأصبح يحتاج إلى براهين عقلية منظورة تثبت وجود الله وتبرهن عن سائر الحقائق الإيمانية المتعلقة بهذا الوجود الأزلي الذاتي.

وبالتالى فإن علم اللاهوت النظري ينفرد عن سائر العلوم، حيث أنه يسعى لمعرفة غير المحدود (الله)، وبالطبع في هذا استحالة طبيعية، لأنه لا يمكن للمحدود أن يعي الغير محدود، فالإنسان يعرف عن الله قدر ما يستطيع عقله أن يدرك، وهذا لا يمكن أن يقارن بما الله عليه في الحقيقة. أن طبيعة الله غير المادية، تُحتم على الإنسان أن يستخدم الاستدلال المنطقي ليصل إلى حقيقة وجود الله، فالله ليس مادة يمكن تحليلها في أنبوبة إختبار في المعمل، وليس طاقة يمكن دراستها بأي آلية، وبالتالي فإن وجود الله يمكن فقط أن يُستدل عليه من خلال الآثار التى تبرهن على هذا الوجود.<sup>80</sup>

لا يُمكن لأي شخص أن يُثبت وجود الله بالمعنى العقلاني المادي للكلمة، لأنه بهذا يفترض أن الله له قياسات يُمكن قياسها، وبذلك كما لو كان يُثبت أن "الكل أكبر من الجزء"، في المقابل يُمكن أن ينتبه إلى الدلائل التي تُشير إلى وجود الله وما لها من قوة تراكمية. فدليل واحد بمفرده لا يُمكن أن يقدم رأياً قاطعاً، إلا أن مجموعة من الدلائل المترابطة يُمكنها أن تكشف عن الحقيقة. فكل دليل يبني على الدلائل الأخرى ويعطيها قوة جمعية تفوق أهميتها الفردية، وهو ما يُعرف "بكفاية الأدلة". ومن خلال تلك البراهين، يُمكننا أن نجزم

80 . الراهب بنيامين المحرقى ، دراسات في علم اللاهوت النظرى (أسيوط: الكلية الإكليريكية بدير المحرق العامر ، 2009)، 5.

بكل صدق أن الإيمان بالله أمرًا منطقيًا بشكل يسترعى الانتباه، وهو ما يعطي لما نراه في العالم وما نميزه في التاريخ وما نختبره في حياتنا، معنى أعمق من ذلك الذي تعطيه البدائل الأخرى.<sup>81</sup>

### دلالت وجود الله من خلال فلسفة توما الأكويني:

أهتم توما الأكويني<sup>82</sup> بقضية وجود الله، فقد اعتبرها أهم القضايا لأن الله هو مبدأ الأشياء جميعها، بالإضافة إلى كونه غايتها. أشار توما الأكويني إلى أنه يمكن البرهنة على وجود الله من خلال الاستدلال على آثاره، أي من خلال الموجودات الطبيعية. قدم الأكويني خمس أدلة تبرهن على وجود الله، وجميعها يبدأ من المحسوس أي من الموجودات الطبيعية، حتى نصل إلى الله (العلة الأولى)، وقد تناولها في كتابه "الخلاصة

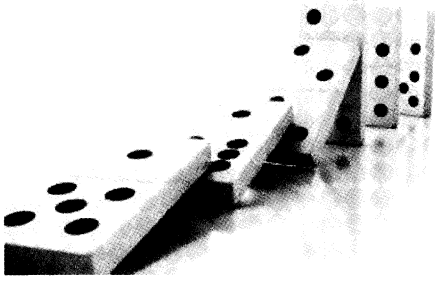


اللاهوتية" الذي وجهه إلى المبتدئين، فجاء سهلًا وواضحًا لأنه اعتمد على الإقناع العقلي المنطقي، كما تناول الأدلة أيضًا في كتابه الآخر "الخلاصة ضد الأمم"، والذي وجهه إلى مراسلي رهبنته في الأندلس والمغرب، فجاءت الخلاصة مفصلة ودقيقة ومشملة على آيات من الكتاب المقدس تدعم آراءه. أغلب الأدلة التي ساقها الأكويني، لها أصول عند أرسطو.<sup>83</sup>

81 . ماجراث، 95.

82 . توما الأكويني (1225-1274م) هو واحد من أعظم فلاسفة ولاهوتي العصور الوسطى في الكنيسة الكاثوليكية. وقد كان راهبًا دومينيكانيًا بإيطاليا. جمع بين الفلسفة (خاصة فلسفة أرسطو) واللاهوت المسيحي. ومن أشهر أعماله "الخلاصة اللاهوتية Summa Theologiae"، قدم براهين عقلية عن وجود الله (الطرق الخمس). وترك أثرًا عظيمًا في الفكر الغربي، ويعتبره الفاتيكان "دكتور الكنيسة" وأحد أعمدتها التعليمية.

83 . ميلاد ذكي غالي، الله في فلسفة القديس توما الأكويني (الإسكندرية: مركز الدلتا للطباعة بسبورتنج، 1996)،



### البرهان الأول: يقوم على فكرة الحركة، فلكل

متحرك مُحرك، غير أن التحريك لا يستمر إلى ما لا نهاية، وإنما يقف عند مُحرك أول يُحرك ولا يتحرك، فيقول: "نحن نشاهد في الكون حركة، وكل حركة هي انتقال من حالة القوة إلى حالة الفعل، والشيء لا يكون من ناحية واحدة وفي زمان

واحد ومكان واحد بالقوة والفعل معًا. ولذلك لكي يحدث تغيير، لا بد أن يأتي شيئًا حاصلًا على قوة الحركة، فينقل الشيء غير الحاصل على قوة إلى حالة الحركة. فالنار على سبيل المثال، تملك صورة الإحراق، وتطبع هذه الصورة على الخشب حين تحرقه، وبالتالي فإن كل حركة أو تغيير يتتبعه ضرورة وجود علة محرّكة هي الأصل في التغيير، ولذلك فكل مُحرك يلزمه وجود مُحرك"<sup>84</sup> ما قصده توما الأكويني أن النار تُحرق ولا تحترق، كذلك المياه تسبب البلل ولا تبتل، فكلاهما يُشير لمسبب أول يؤثر ولا يتأثر.

هذا الدليل يعتمد على قضيتين أساسيتين: الأولى وهي أن كل متحرك هو متحرك بشيء آخر، والثانية وهي أنه لا يمكن المضي في سلسلة المحركات والمتحركات إلى ما لا نهاية بل يجب الوقوف عند مُحرك أول يُحرك ولا يتحرك (يملك القوة ويمنح الفعل للأشياء مثل العربة الأولى للقطار).

### البرهان الثاني: يقول الأكويني أنه في عالم الأشياء المحسوسة، لا يمكن أن يكون الشيء الذي يخرج

إلى الوجود هو علة فاعلة لنفسه، لأن هذا يلزم أن يكون وجود الشيء سابقًا على نفسه، وهذا مُحال، وبالتالي يجب أن تصل سلسلة العلال الفاعلية إلى علة أولي يكون هو سبب الوجود. (أي أن الشيء لا يُمكن أن يُسبب نفسه، لأنه لا بد أن يكتسب الوجود أولاً لكي يتمكن من الفعل).

### البرهان الثالث: فهو برهان من حيث الممكن والواجب، إذ يشير الأكويني إلى أنه في الطبيعة، كل

الموجودات وجودها ممكن وليس ضروري، فيمكن عدم وجودها، وذلك لأنها تتكون وتتغير وتفسد وتموت.

فهي يمكن أن تكون أو لا تكون، وبالتالي فإن الممكنات ليست موجودة بصفة دائمة، وليس من طبيعتها الذاتية الوجود.

وبناء عليه، كان هناك وقت لا شيء فيه موجود، لكن هذا يتتبع ضرورة عدم وجود شيء لأن ما يوجد لا بد أن يوجد من شيء موجود. وبما أن الأشياء موجودة، فهذا يؤكد ضرورة وجود شيء ليس ممكن الوجود، بل واجب الوجود، بمعنى أن يكون الوجود من طبيعته وليس من آخر، وهو علة كل الممكنات، وهو الله.

**البرهان الرابع:** من جهة تفاوت الموجودات ومراتبها في الكمال، يقول الأكويني أن من بين الموجودات، هناك من هو أكثر كمالاً أو أقل، وهذا يستدعي وجود حد أقصى يتم القياس وفقاً له. هذا الحد الأقصى يتطلب وجوداً أقصى، أي أنه يتمتع بالوجود التام وبالحد الأقصى للصفات يتم القياس عليه. وهذا الشيء هو علة كل الموجودات وهو غاية الوجود، وهو علة كمال الأشياء وهو ما نسميه الله.

**البرهان الخامس:** من جهة النظام الذي يسود العالم. لقد رأى الأكويني أن كل نظام يقتضي وجود علة عاقلة منظمة، لأن كل نظام يقتضي حكماً (قواعد تحكمه)، والحكم إنما يصدر عن الحاكم. ونحن نجد أن الكون كله منظم لا في جزئياته فقط بل ككل، كما إن كل الأشياء تتجه نحو غاية واحدة. ومن هذين الإتجاهين، ينشأ النظام العام للوجود، ولكن كل نظام يقتضي وجود مُنظماً أحدثه، إذ لا يمكن أن يتصادف وأن تترتب الأشياء على هذا النحو الدقيق الذي نجده في الكون بالصدفة أو عشوائياً، بل لابد من وجود علة منظمة، وكل علة منظمة تقتضي وجود عقلاً، وذلك لأن النظام يجب أن يقوم على العقل. وبالتالي لابد من الأقرار بوجود علة عاقلة منظمة للكون هي الأصل في هذا النظام وهي الضمان الثابت لاستمراره.<sup>85</sup>

## الحُجَّة الكونية: بداية نهاية الإلحاد

أن البحث في أصل الكون يقودنا إلى حُجَّة كونية تؤيد حقيقة وجود الله: وهي الحُجَّة الكونية **cosmological argument**، تلك الحُجَّة التي بدأت كبرهان فلسفي، ولكن العلم الحديث قد أضاف لها من الأدلة العلمية، ما يرفعها إلى مصاف الحقائق العلمية التي تخضع للفحص العلمي. كلمة "كوني cosmological" مشتقة من الكلمة اليونانية "Κόσμος- cosmos" التي تعني "العالم أو الكون". الحُجَّة الكونية: هي الحُجَّة المبنية على نشأة الكون.

تنص الحُجَّة الكونية على فرضيتين:

(1) كل ما له بداية له مسبب.

(2) الكون له بداية.

(3) إذاً النتيجة المنطقية: الكون له مُسبب.

لكي تكون الحُجَّة صحيحة، لا بد أن تكون أولاً: مقبولة منطقياً، وثانياً: أن تكون فرضياتها صحيحة.

بالنسبة لقوام الحُجَّة فهي مقبولة منطقياً، ولكن ماذا عن فرضياتها؟ دعنا نكتشف:

**الفرضية الأولى:** " كل ما له بداية له مُسبب"، تتأكد من خلال قانون السببية "law of causality"

الذي ينص على أنه: "لا تأثير بغير مؤثر، ولا تغيير بدون مُحدث، لا حركة بدون مُحرك"، إن قانون السببية

مغروس داخل النفس البشرية، حتى إن الطفل ما بين الثالثة والخامسة يدركه تمام الإدراك، وبالتالي لا أحد

يستطيع أن يثبت خطأ قانون السببية، لأن بدونه تنعدم جميع الأشياء. فقانون السببية يمثل المبدأ الأساسي

للعلم، فيقول فرانسيس بيكون Francis Bacon: "إن المعرفة الحقيقية هي المعرفة بالمسببات"، أي أن

العلم الحقيقي هو العلم الذي يبحث عن المسببات. إن الملاحظة العلمية تؤكد أن الأشياء لا تحدث بدون مُسبب.

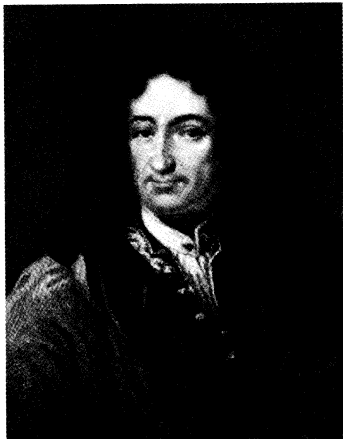
إن إنكار قانون السببية يعنى إنكار العقلانية، لأن عملية التفكير العقلاني نفسها تتطلب من أن نجمع معًا المسببات لكي نصل إلى نتائج.<sup>86</sup>

أشار الفيلسوف الألماني ليبنتز (G.W.Leibniz 1646-1716م)

إلى نوعان من الموجودات:

**أولاً: موجودات كائنة بالضرورة، وذلك لأن طبيعتها تفرض**

وجودها، وهي لا يُمكن أن تكون إلا موجودة ويستحيل عدم وجودها، فالوجود صفة ذاتية فيها، وبالتالي فهي ليست بحاجة لعلّة تسبب وجودها لأن تفسير وجودها كامن في طبيعتها ولا يُوجد ما يقع خارجها يُمكن أن يفسرها، فهي واجبة الوجود.



**ثانياً: موجودات وجودها مشروط بعلّة خارجية سببها، أي أن وجودها يعتمد على آخر قد سبب**

وجودها، وهي لا تُوجد بالضرورة، بل هي كائنة لأن آخر أخرجها إلى حيز الوجود، فهي ليست ضرورية الوجود بحسب طبيعتها، وكان يُمكن أن لا تُوجد، وكان هناك وقت كانت فيه غير موجودة. تنطبق تلك الشروط على الكون المادي بعناصره الأربعة، المكان والزمان والمادة والطاقة. وبالتالي فإن كل الموجودات المادية المعروفة لنا تنتمي لهذا النوع الموجودات، بما فيها البشر والكواكب والأجرام السماوية، فجميعها موجودات مُنحت الوجود، فالوجود ليس صفة ذاتية فيهم، بدليل أن أي منهم يضمحل ويتغير أو يموت، ولا يستطيع أن يحافظ على وجوده. وهذا يعنى أن في الأصل كان في حاجة إلى آخر أي علة خارجية تمنحه الوجود. ولهذا فإن كل الموجودات المادية وفقاً لهذا التصنيف تحتاج إلى مُسبب.<sup>87</sup>

86 . جابسلر، وتورك، لا أملك الإيمان الكافي، 85-87.

87 . كريج، مستعدون للمجابة، 70-71.

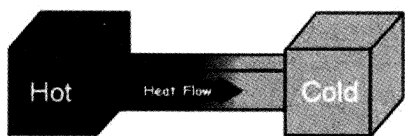
حتى زمن أينشتاين، كان الملحدون يعتقدون أن الكون أزلي، ومن ثم لا يحتاج إلى مسبب، غير أن الاكتشافات الحديثة أثبتت بما لا يقبل الشك أن للكون بداية بالفعل.

**الفرضية الثانية:** قد تأكدت بفضل عدد من الإكتشافات التي بدأت باكتشاف تمدد الكون عن طريق الراهب جورج لوميتر، والفلكي أدوين هابل 1913 م والذي تأكدت مشاهداته بعد أكثر من عشر سنوات، كما تأكدت عن طريق:

**القانون الثاني الديناميكا الحرارية (S) second law of thermodynamics**، وهو العلم الذي يدرس المادة و الطاقة، والذي يؤكد أن الكون يفقد الطاقة القابلة للإستخدام، وبما إن الكون (باعتباره نظامًا مغلقًا) يملك مقدارًا محددًا من الطاقة (القانون الأول للديناميكا الحرارية)، فإنه لا يمكن أن يكون الكون أزليًا وإلا كان قد فقد كل طاقته ولكن بما إنه مازال يعمل، فهذا يعنى أنه لا بد أنه قد بدأ في وقت محدد في الماضي المحدود. فالكون يشبه كشاف مضاء طوال الليل، فإذا جاء الصباح سيكون الضوء خافتًا، لأن البطاريات سوف تكون استهلكت معظم طاقاتها، وهكذا الكون لا يمكن

### Second law of Thermodynamics

أن يكون أزليًا، وإلا كانت كل طاقته نفذت.<sup>88</sup>



مزيد من الشرح: إن الطاقة الموجودة في الكون سوف تنتشر بالتساوي في أرجاء الكون كله، كما ينتشر غاز بالتساوي داخل زجاجة. عندما يصل الكون إلى هذه المرحلة

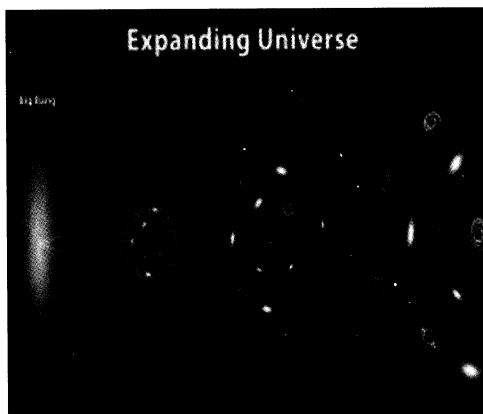
من الإتزان (وهو ما ينص عليه القانون الثاني للديناميكا الحرارية: "العمليات التي تتم داخل نظام مغلق تميل للإتزان")، سوف تتعدم أي إمكانية لحدوث تغيير لأن درجة الحرارة والضغط سوف تتساويان في كل أرجاء الكون، يطلق العلماء على هذه المرحلة "الموت الحراري heat death" للكون. إذا كانت هذه الحالة حتمية للكون بعد مرور مدة من الزمن، فلماذا لم يصل إليها الكون الآن إذا كان الكون أزليًا؟ إن افتراض أن الكون

88 . جايسلر وتورك، لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد ، 87-95.

موجودًا منذ الأزل، كان لابد أن يجعله هذا يصل إلى هذه الحالة من التوازن بين الحرارة والضغط التي تؤدي إلى الموت الحراري، ولكن هذا لم يحدث، والكون لم يصل إلى هذه الحالة بعد، والطاقة ما زالت متاحة للاستخدام، مما يعني أنه لا يمكن أن يكون أزليًا، بل لابد أن تكون له بداية محددة في الزمن.<sup>89</sup>

**تمدد الكون (U) Universe expansion:** في عام 1929م، توصل عالم الفلك الأمريكي أدوين

هابل Edwin Hubble إلى اكتشاف مذهل، يشير بقوة إلى بداية الكون. لقد لاحظ أن الضوء الآتي من المجرات البعيدة بدأ أكثر حمرة مما يتوقع، وهذا ينتج من تمدد الموجات الضوئية نتيجة لابتعاد المجرات والنجوم عنا. وبناء عليه تأكد من أن المجرات تسبح في الفضاء بعيدًا عنا، أو بشكل أدق يعني أن الفضاء



نفسه يتمدد. وهو الأمر الذي يشبه بالونًا عليه مجموعة من الأزرار المُلصقة به، وعندما يتم نفخ البالون، فإن الأزرار تتباعد لأن حجم البالون ذاته يتزايد بالتدرج. إن تتبع عملية تمدد الكون المستمرة، ولكن بالعكس، أي بالرجوع بالزمن إلى الوراء، يصل بنا إلى نقطة محددة بدأ منها الزمان والمكان. في عام 1965م، استطاع ثلاثة من كبار

العلماء، وهم: أرفيند بورد Arvind Borde، وآلان غوث Alann Guth، والكسندر فلينكن Alexander Velenken، أن يثبتوا أن أي كون ظل يتمدد عبر تاريخه، لا يمكن أن يكون لا متناهيًا، بل يجب أن يكون له بداية محددة للزمن والمكان. يقول فلينكن: "ما دمنا أمام هذا الدليل، فلا يستطيع علماء الكون أن يخفوا رؤسهم

وراء احتمالية وجود كون أزلي. لا مهرب لهؤلاء العلماء من مواجهة هذه المشكلة، وهي بداية الكون".<sup>90</sup>

89 . كريج، 86-95.

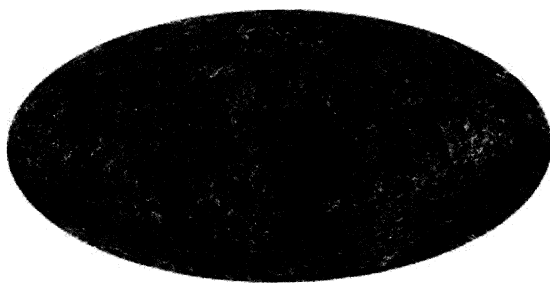
90 . كريج، 92-98.

الأمر يشبه مشاهدة فيديو لتاريخ الكون ولكن بالعكس. إن تمدد الفضاء ذاته بما فيه من مجرات ونجوم وكواكب، يشير إلى نقطة البداية، كما أن يؤكد أن قبل بداية الكون لم يكن هناك فضاء، لأن الفضاء ذاته هو ما يتمدد. وهذا يعني أن الكون لم ينبثق من مادة موجودة، لأن قبل بداية الكون لم يكن هناك مادة. بل في الحقيقة، من الناحية الزمنية لم يكن هناك "قبل"، فالزمان والمكان والمادة أتوا للوجود مع بداية الكون.<sup>91</sup>

افترض جورج لوميتر أن بداية الكون قد تكون نتيجة لانفجار كوني عظيم، أطلق عليه لاحقاً "الإنفجار الكبير Big Bang".

تنص نظرية الانفجار العظيم: "على أنه منذ حوالي 13.7 مليار سنة، حدث إنفجار كوني عظيم في منفردة singularity متناهية الصغر، وهي نقطة ذات كثافة وحرارة لا نهائيتين. وفجأة بدء توسع هائل، مما أدى إلى تضخم الكون إلى الخارج بسرعة هائلة. استمر الانفجار لفترة زمنية قصيرة جداً، وبعدها بدأ طوفان من المادة والاشعاع في التكون، وهو ما نتج عنه الجسيمات والذرات والنجوم والمجرات.<sup>92</sup>

أعتقد علماء الكون أن الانفجار الكبير إذا كان قد حدث، فلا بد ان يكون له آثار باقية. وهو ما اكتشفه



كل من أرنو بنزياس Arno Penzas وروبرت ويلسون Robert Wilson، حين لاحظا وجود أشعة كهرومغناطيسية تملأ الكون كله بنفس الشدة والتوزيع، وبدرجة حرارة ضعيفة تبلغ 2.725

كلفن، ولا يُمكن تمييز مصدر معين أو ملموس لها. ربط العلماء بين هذا الاشعاع والإنفجار العظيم، وأطلق عليه اسم "اشعاع الخلفية الكونية (cosmic background radiation)"، وقد اعتبره العلماء بقايا

91 . جايسلر وتورك، 91.

92. Elizabeth Howel, "what is the big bang theory?", space.com: updated July 2023, date of caption: April 2024, <https://www.space.com/25126-big-bang-theory.html>

الإنفجار العظيم، لأنه فعليًا عبارة عن ضوء وحرارة نتجت عن الانفجار، غير أن الضوء لم يعد منظورًا لأن طوله الموجي تمدد بفعل التمدد الكوني، حتى وصل إلى أطوال موجية أقصر من الموجات الصادرة من فرن الميكروويف.<sup>93</sup>

دليل آخر على الانفجار الكبير، هو الصور التي أرسلها قمر ناسا الفضائي COBE، والتي أظهرت حركات موجية دائرية صغيرة موجودة في الإشعاع الخلفي. إن تلك الحركات تُبين أن انفجار الكون وتمده، قد ضُبطا بدقة تتيح إنتاج المادة بكمية كافية لتجمعهما معًا بما يسمح تكوين المجرات، وبكيفية لا تجعل الكون لا ينهار على نفسه، ولو حدث تغيير طفيف بأي شكل من الأشكال، لما تكون شيء مما تكون. إن الحركات الموجية الدائرية والتي أُطلق عليها اسم "بذور المجرة العظيمة (G) Great Galaxy Seeds"، في منتهي الدقة (تصل دقتها إلى جزء من مائة ألف)، حتى أنه يُطلق عليها "بصمات الخالق". يقول "جورج سموت George Smoot" قائد مشروع "كوب COBE" عن نتائج المشروع: "إن كنت متدينًا، فالأمر يشبه النظر إلى الله"، وبنفس الكيفية يقول "مايكل ترنر Michael Turner" عالم الفيزياء الفلكية بجامعة شيكاغو: "إن

قيمة هذا الاكتشاف أعظم من أن تُوصف. لقد وجدوا قدس أقداس الكونيات".<sup>94</sup>

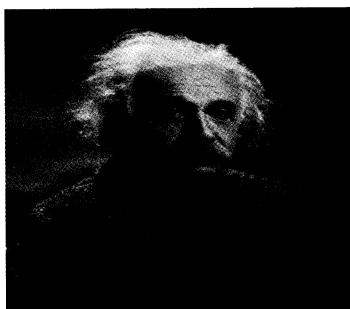
كذلك نظرية "النسبية لأينشتاين Einestien Relativity

(E) theory"، والتي تم التأكد من صحتها للرقم العشري الخامس، والتي تستلزم بداية محددة للزمن والمكان والمادة. وهي تبين أن الزمان

والمكان والمادة في علاقة تكافلية أي أن كل عنصر لا يوجد دون العنصرين الآخرين. فإذا كانت المادة والمكان قد أتيا للوجود من العدم، فهذا يعني بداية الزمن أي أنه يوجد بداية للكون.<sup>95</sup>

93 . جايسلر وتورك، 92.

94 . نورمان جايسلر 93.



هناك من يطرح سؤال: "هل الانفجار الكبير يُشير إلى الله؟":

يقول روبرت جاسترو مدير مرصد ماونت ويلسون السابق، ومدير معهد جودارد لدراسات الفضاء التابع لوكالة ناسا (وهو لا أدري من جهة الأمور الدينية كم يصف نفسه): "يمكننا الآن أن نرى أن الأدلة الفلكية تؤدي بنا إلى رؤية تتفق مع المنظور الكتابي لأصل العالم. فقد أثبت علماء الخلق بطرقهم العلمية أن العالم قد بدأ فجأة بفعل خلق، يُمكن أن يُرجع له وجود كل نجم، وكل كوكب، وكل كائن حي في هذا الكون". ثم يضيف قائلاً: "إنني أعتقد أن وجود ما أطلق عليه، أنا أو غيري، قوة فوق طبيعية عاملة، أصبح الآن حقيقة ثابتة علمياً".<sup>96</sup>

ما قصده روبرت جاسترو أن الكون لا يُمكن أن يكون نتاج لقوة طبيعية، وذلك لأن القوى الطبيعية، بل الطبيعة ذاتها، قد خُلقت في الانفجار الكبير. فالانفجار الكبير كان نقطة البداية للكون المادي كله. والزمان والمكان والمادة قد أتوا للوجود عند تلك النقطة، وقبلها لم يكن هناك عالم طبيعي ولا قانون يحكمه. وبما أن المسبب لا يمكن أن يعقب الأثر، بالتالي لا يمكن أن لقوى الطبيعة أن تُسبب الانفجار الكبير، ومن ثم لا بد من وجود قوى خارج الطبيعة، تعلق عليها لتقوم بهذه المهمة. يقول روبرت ويلسون: "لاشك أن هناك تشابهاً بين الانفجار الكبير بصفته حدثاً والفكرة المسيحية المختصة بالخلق من عدم".<sup>97</sup> وبناء عليه فإن الانفجار الكبير لا يُمكن أن يحل محل الله، لأنه حدث وليس فاعل.

95 . جايسلر وتورك، 95.

96 . جايسلر وتورك، 96.

97 . جايسلر وتورك، 98.

إن الخلاصة العلمية للأدلة السابقة تؤكد أن الكون قد سُبب بفعل شيء خارج الزمان والمكان والمادة

(أي مُسبب أزلي). وفي ضوء الأدلة، يُمكن استنتاج بعض سمات المسبب الأولي:

### صفات المسبب الأولي (العلة الخارجية):

(أ) المسبب الأولي يجب أن يكون متسامي أو متعالى على الكون، فهو لا يُمكن أن ينتمي إلى

الكون المادي بعناصره الأربعة المكان والزمان والمادة والطاقة، وإلا لكان خضع لما

يخضع له الكون. هذا يعني أن المسبب الأول ليس طاقة وغير مادي وغير محدود ولا زمني

(سرمدى)، فهو بلا كيان فيزيائي أو مادي.

(ب) كما يجب أن يكون واجب أو ضروري الوجود بحيث أن وجوده لا يفسره علة أخرى (ذاتي

الوجود)، أي أن سلسلة المسببات تقف عنده.

(ت) قوياً بشكل يفوق الخيال، ما دام قادراً على خلق الكون من عدم.

(ث) ذكياً ذكاءً فائقاً، ما دام قادراً على تصميم الكون بهذه الدقة الذهبية. ويمكن ملاحظة ذلك من

دقة القوانين التي تحكم الكون وفقاً لنظام دقيق ومتسق ويحقق غاية يُمكن رصدها، وبما إن

الغاية تستدعي وجود تصميم، والتصميم يحتاج إلى مصمم عاقل وذكي، مما يُشير إلى طبيعة

المسبب الأول

(ج) يملك إرادة حرة بما أنه أختار أن يخلق الكون من عدم، وذلك لأنه بخلق الكون، إنما كان

يُمارس فعلاً حرّاً ومستقلاً، وكان في إمكانه أن لا يخلق.

(ح) كما إن هذا الكيان لا بد أن يكون حياً أي يمتلك شكلاً من أشكال الحياة، وذلك ليستطيع أولاً أن

يُمارس قراراته بذكاء وحرية، وثانياً لكي ينعم بالوجود والحياة على كائنات أخرى.

وهذا ما يشير إلى الله، باعتباره أنسب كيان من قائمة الكيانات التي نُدرِكها، والتي يُمكن أن تكون مسُبب لهذا الكون، وذلك بحسب الرؤية المسيحية التي تضيف لصفات الله، صفات أخرى مثل الصلاح والخيرية النابع من خلق الكون.<sup>98</sup>

إن تلك السمات لا تستند على خبرة ذاتية أو ديانة محددة، ولكنها مأخوذة من الأدلة العلمية، مما يعزز من مصداقيتها.

يُوجد شكل آخر للحُجة الكونية، يطلق عليه البعض حُجة الضرورة **Argument of Contingency**، يرتبط بطبيعة الأشياء من حيث موجودات ضرورية الوجود أو ممكنة الوجود (كما سبق الإشارة إليها). ترتبط تلك الحُجة بالتصريح العميق الذي طرحه غوتفريد لايبنتز حين قال: "لماذا يوجد شيء عوضاً عن لا شيء؟" **why is there something rather than nothing?**. تنص الحُجة على التالي:

- 1) ينبغي لكل شيء مادي موجود أن يكون له تفسيراً يعلل وجوده ويبرره.
  - 2) الكون كيان مادي طارئ الوجود (ممكن الوجود بحسب طبيعته وليس ضروري)
  - 3) وبالتالي لا بد من وجود كيان واجب الوجود لكي يسبب هذا الكون.
- يتميز هذا الطرح من الحُجة بالإجابة على سؤال "كيف نفسر وجود الله؟"، أو حين يسأل بعض الأطفال السؤال الأشهر "من خلق الله؟"، إن خلق الله يفترض ضمناً أنه كان هناك زمن لم يكن الله موجوداً فيه، ولكن ما أكد عليه ليبنتز هو ضرورة وجود كائن واجب الوجود بحيث يكون الوجود صفة ذاتية له لا يكتسبها من آخر، "فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: "أَهْيِهِ الَّذِي أَهْيَهُ"(خر3: 14).، وهذا الكائن من صفاته أن دائم الوجود، ويمنح الوجود كعطية لباقي الموجودات والمخلوقات.<sup>99</sup>

98 . سمارنة، 200.

99 . سمارنة، 192-198.

## ماذا لو كانت نظرية الانفجار خاطئة؟

ماذا يحدث إذا استيقظ العلماء ذات صباح، واكتشفوا إن كل حساباتهم خاطئة، وإنه لم يكن هناك

انفجار كبير، فهل هذا يعني أن الكون أزلي؟ الأجابة لا لعدة أسباب:

**أولاً:** القانون الثاني للديناميكا الحرارية، هو يحتل المكانة العليا من قوانين الطبيعة، وهو مثبت

وصحيح حتى لو لم يكن الانفجار الكبير صحيحًا.

**ثانيًا:** نظرية النسبية التي تستلزم وجود بداية للمكان والمادة والزمان، سواء كان هناك انفجار أو لا.

**ثالثًا:** هناك أدلة جيولوجية تؤكد أن للكون بداية، فالعناصر المشعة على سبيل المثال، تؤكد أن الكون

لا يُمكن أن يكون أزليًا، وذلك لأنها بمرور الوقت تضمحل متحولة لعناصر أخرى، فاليورانيوم المشع يتحول

في النهاية إلى رصاص، ولو كان الكون أزليًا لتحول كل اليورانيوم إلى رصاص، ولكن هذا لم يحدث بعد، فما

زال هناك يورانيوم، مما يؤكد وجود بداية للكون (بالإضافة إلى العديد من الأدلة الأخرى).

إن نظرية "الانفجار العظيم" رواية تفسر كيفية دخول الكون حيز الوجود. وهي تفترض أن الكون قد

بدأ قبل مليارات السنين، في شكل جزء صغير شديد الحرارة والكثافة يُسمى "التفرد". كما تفترض أن هذا

التفرد "تضخم" وتمدد بسرعة شديدة، ناشراً الطاقة والكون. كذلك تفترض أنها على مدى فترات طويلة من

الزمن، بردت طاقة الانفجار العظيم، وتحول بعضها إلى مادة (غاز الهيدروجين وغاز الهيليوم) شكلت النجوم

المجرات، ثم تشكلت عناصر أثقل في نواتها عن طريق انفجار نووي، وهذا العناصر الثقيلة بدأت تلتصق معاً

وشكلت الأرض وسائر الكواكب.<sup>100</sup> وكل هذه الأمور تنبؤات وافتراضات لم يتأكد من صحتها بشكل كامل.

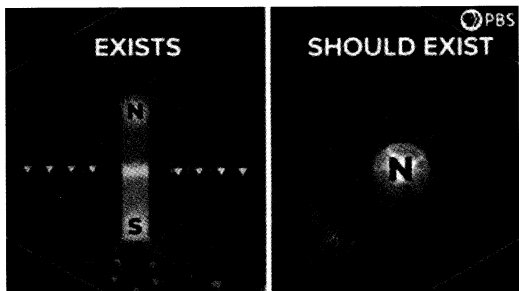
100 . جيسون ليزل، حقائق تحت المجهر – خلق أم تطور، تقديم سامي مورغان (لبنان: مركز مورغان للنشر والإعلام، 2018)، 191.

في المقابل تعاني نظرية الانفجار العظيم من عدد من المشاكل العلمية، التي تؤثر بشكل قوي على

مدى مصداقيتها، ومن هذه المشاكل: 101

الأحادية القطبية المفقودة. "الأحادية القطبية"

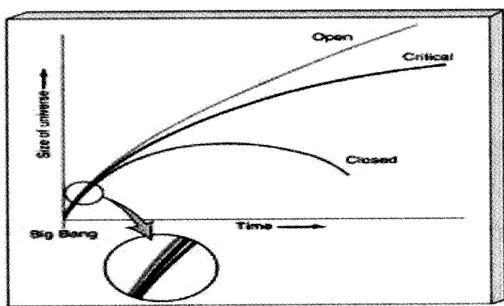
هي جسيم افتراضي ضخم كالمغناطيس، ولكن لديه قطب واحد فقط، وعلى هذا القطب أن يكون إما شماليًا أو جنوبيًا، وليس الأثنين معًا. وفقًا لإدعاء الفيزيائيين، فإن هذه الأجسام تتكون بكثافة نتيجة لحرارة الانفجار



العظيم، وبما أنها أجسام مستقرة، فهي يُفترض أن تستمر لفترات زمنية طويلة جدًا، غير أنه رغم جهود البحث الكبيرة، لم يتم العثور على مناطق أحادية قطبية.

مشكلة التسطح. لكي يتكون الكون كما نراه اليوم، يجب أن يكون معدل التمدد في الكون متوازن جدًا

مع قوة الجاذبية، وهو ما يُعرف "بالتسطح". فإذا كان الكون تكون بالصدفة نتيجة للانفجار العظيم، فإنه من الصعب أن نتصور أن هذه الصدفة قادرة على حفظ هذا التوازن. وذلك لأنه إذا زاد معدل التمدد، فإن هذا سوف يجعل الكون يطير بعيدًا بسرعة كبيرة (الكون



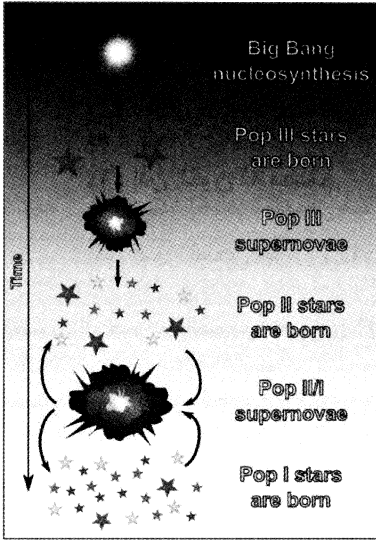
المفتوح)، وإذا زادت الجاذبية، فهذا سوف يدفع الكون للانغلاق على نفسه (كون مغلق)، وفي كلا الحالتين لن يتكون الكون كما نعرفه الآن.

المادة المضادة. تفترض نظرية الانفجار العظيم أن المادة (الهيدروجين والهيليوم) قد وُجدت من

خلال الطاقة. تخبرنا الفيزياء التجريبية أنه كلما تشكلت مادة عن طريق الطاقة، فإنه ينتج عن مثل هذا التفاعل

كمية متساوية من المادة المضادة (مادة لها خصائص للمادة، باستثناء أن شحنة الذرات تكون معاكسة). وبناء عليه فإن الانفجار العظيم (الذي أنطلق من طاقة وليس مادة) لابد أن ينتج خلفه كمية متساوية من المادة والمادة المضادة، ولكن هذا الأمر لا نراه، فالكون المرئي يتكون تقريباً من المادة مع كميات قليلة جداً من المادة المضادة. جدير بالذكر أنه عندما تجتمع المادة مع المادة المضادة، فأنهما يُدمران بعضهما البعض، مما يجعل الحياة مستحيلة، وهو ما يُثير الشكوك تجاه الفرضية.

**نجوم التصنيف الثالث.** وفقاً لنظرية الانفجار العظيم فإن النجوم تبدأ بثلاثة عناصر أساسية وهي



الهيدروجين والهيليوم والليثيوم، ثم عن طريق الإنصهار النووي داخل النواة، تبدأ العناصر الأثقل في التكون. إن تلك النجوم الأولى يُطلق عليها نجوم "التصنيف الثالث "Population III"، وهي نجوم لا تستهلك وقودها بسرعة، وبالتالي يُفترض أن يكون عمرها مليارات السنين (أطول بكثير من العمر المُقدر للانفجار العظيم)، وعلى الرغم من ذلك لم يتم العثور على أي نجوم من التصنيف الثالث في أي مكان. فكل النجوم الموجودة من التصنيف الثاني (تحتوي كمية صغيرة من العناصر الثقيلة) أو من التصنيف الأول (تحتوي كميات كبيرة نسبياً من العناصر الثقيلة كالشمس).

مع كل المشاكل السابقة، وغيرها، فإنه من غير المستغرب أن عدداً لا بأس به من علماء الفلك

العلمانيين قد بدأوا بالتخلي عن نظرية الانفجار العظيم.

## الحُجَّةُ الغائِيَّةُ: حُجَّةُ التَّصْمِيمِ

"لأنَّ مُنْذُ خَلْقِ العَالِمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرَ المَنْظُورَةِ وَفُذِرَتْهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلَا هُوَتْهُ مُدْرَكَةٌ بِالمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلا عُدْرٍ." (روا: 20)

"الجاهل الذي يعرف شيئاً عن العلم، هو من يقول أن العلم يُقلل من الإيمان، لأنك إذا درست العلم بحق، سوف تجد أنه يُقربك من الله" (James Tour)

الحُجَّةُ الغائِيَّةُ **Teleological Argument**: مُشتَقَّةُ من الكَلِمَةِ اليُونَانِيَّةِ "τελος"، والتي تعني

تصميم. تنص الحُجَّةُ الغائِيَّةُ علي التالي:

(1) لكل تصميم مصمم.

(2) الكون له تصميم شديد التعقيد.

(3) إذن الكون له مصمم.

أكد السير إسحق نيوتن (1642-1727م)، ضمناً صحة الحُجَّةِ الغائِيَّةِ، عندما عبر عن إندهاشه من

تصميم المجموعة الشمسية، فيقول: "إن هذا النظام الآخاذ الذي يحكم الشمس والكواكب والنيازك لا يمكن أن

ينبتق إلا من مشورة وسيادة كائن ذي ذكاء وقوة".<sup>102</sup>

أكتسبت الحُجَّةُ الغائِيَّةُ شهرتها بسبب وليم بيلي\_William Baley (1743-1805م)، وذلك عندما

صرح تصريحاً بديهياً قائلًا: "إن كل ساعة تتطلب صانعًا. تخيل أنك تسير في الغابة، ووجدت ساعة ماركة

"رولكس" فأنتك لن تفترض أن عوامل التعرية أو قوى الطبيعة، قد أوجدت الساعة بالصدفة. أنت لن تشك

للحظة أن كائنًا ذكيًا قد صنع تلك الساعة".<sup>103</sup>

ماذا عن الفرضية الأولى؟ "لكل تصميم مُصمم":

هناك نوعان من المسببات: "مُسببات ذكية" و"مُسببات غير ذكية (طبيعية)":

102 . جايسلر وتورك، 108.

103 . جايسلر وتورك، 108.

لسنا نعرف قوانين طبيعة تخلق تعقيدًا محددًا (معلومات)، فالتصميم يتطلب رؤية مستقبلية وتخطيط لتحقيق غاية محددة. ولذلك فقط الذكاء قادر أن يخلق تعقيدًا محددًا. فلكل تصميم رسالة أو هدف، وعلى قدر تعقيد التصميم، يكون ذكاء المصمم. كما أن نجاح التصميم يرتبط بتحقيقه للغرض أو الغاية التي قد وضع لها ولذلك تُسمى الحُجة بالغانية. وعلى نفس القياس حين تحتوي الرسالة على معلومات وتعقيدًا محددًا، فإنها تتطلب ذكاء مُصمم مبدع. وبالتالي نتأكد من الفرضية الأولى: " لكل تصميم مُصمم". مما يعني أن لا يُمكن لأي مسبب طبيعي غير ذكي ( قوى الطبيعة) أن يُنتج تعقيد أو يكتب رسالة محددة أو يضع تصميم.

ماذا عن الفرضية الثانية؟ "الكون له تصميم شديد التعقيد":

الكون مُصمم بدقة تتجاوز دقة تصميم الساعة، كما أنه مُصمم بدقة تسمح بوجود الحياة على الأرض، فالأرض كوكب يحوى مئات من الظروف التكافلية (بعضها يؤثر في الأخر ويعتمد عليه) التي يعتبر وجودها أمر غير محتمل بالصدفة. وهي ظروف تدعم الحياة، وتجعل الأرض بمثابة واحة شديدة الصغر ضمن كون شاسع، وأي تغيير طفيف في أحدهم يمكن أن يحدث تغييرًا قاتلاً في الظروف البيئية المحسوبة حسابًا دقيقًا لبقاء الكائنات الحية على قيد الحياة، يُطلق على هذه الثوابت " الثوابت الإنسانية Anthropic constants"، و عددها 122 ثابت.<sup>104</sup>

أمثلة الثوابت الإنسانية:

(1) شفافية الغلاف الجوي: إن درجة شفافية الغلاف الجوي تُعد أحد الثوابت الإنسانية، فلو كانت أقل

شفافية، لما وصل إلينا قدر كافي من الإشعاع الشمسي. ولو كانت أكثر شفافية، لهبط علينا قدر هائل من

104 . كلمة "Anthropic" مشتقة من الكلمة اليونانية "άνθρωπος" والتي تعني إنساني. والثوابت الإنسانية تشير إلى مجموعة من الظروف التي تدعم الحياة على الأرض بشكل يعكس التصميم الغائي.

أنظر: Hugh Ross, *why the Univers is the way it is?* Grand rapids, MI: Baker Books, 2008,

138-141.

مزيد من الثوابت يتم اكتشافه حديثًا، فيتم تحديث القائمة كل ثلاثة أشهر. تفحص موقع [www.reasons.org](http://www.reasons.org)

الإشعاع الشمسي الذي له مضاره. بالإضافة إلى المستويات الدقيقة للعناصر المكونة للغلاف الجوي من هيدروجين وأكسجين وثاني أكسيد الكربون، وجميعها تُعد في ذاتها ثوابت إنسانية.

(2) مستوى الأكسجين في الجو 21%: لو وصلت النسبة إلى 15%، لأختنقت كل الكائنات الحية والبشر، وإذا أرتفعت إلى 25% لأندلعت الحرائق تلقائيًا.

(3) مستوى ثاني أكسيد الكربون: لو كان أقل من مستواه الحالي لما تمكنت النباتات من الاستمرار في عملية البناء الضوئي الضرورية لعملية صنع الغذاء لكل الكائنات الحية. ولو كانت النسبة أكبر، لحدث احتباس حراري شديد يؤدي إلى تغيرات مناخية.

(4) الجاذبية بين القمر والأرض: فلو كان التفاعل أقل لحدث تغير في المدارات الفلكية مما يؤدي إلى اضطرابات مناخية. وإذا كان التفاعل أكبر، لكان تأثير المد على المحيطات حادًا جدًا.

(5) دوران الأرض حول محورها كل 24 ساعة: لو كان أقل، لازدادت سرعة الرياح في الغلاف الجوي. لو كان أكثر، لاتسعت الفروق بين درجتى حرارة الليل والنهار.

(6) كوكب المشترى في موقعه، هو بمثابة مكنسة كهربائية تجذب الكويكبات والنيازك فلا تضرب

الأرض.<sup>105</sup>

(7) الثابت الكوني: لو كان كبيرًا وأيجابيًا، فهو سيعمل كقوة طاردة تزداد مع المسافة وبالتالي تمنع المادة من أن تتجمع في الكون المبكر لتكوين مجرات ونجوم. ولو كان الثابت الكوني كبيرًا وسلبيًا، فهو سيعمل كقوة جاذبة تزداد مع المسافة، وبالتالي سوف يمنع تمدد الكون، ويسبب في إعادة إنهاره. إن الملاحظات الفلكية تؤكد أن الثابت الكوني صغير للغاية ومضبوط ضبطًا دقيقًا.<sup>106</sup>

105 . جايسلر وتورك، 108-109.

106 . لي ستروبل، القضية الخالق، ترجمة حنا يوسف وسليم اسكندر (القاهرة: مكتبة دار الكلمة، 2006)، 179.

8) قوة الطرد المركزية في حركة الكواكب متوازنة بدقة مع قوى الجذب، مما يؤدي إلى بقاء كل

شيء في مداره الفلكي.

9) سرعة تمدد الكون، لو قلت بمقدار واحد على مليون من السرعة التي يتمدد بها، لتوقف التمدد

وإنهار الكون على نفسه قبل تكون أي نجم.

10) سمك القشرة الأرضية: لو كانت أقل سمكًا لزداد النشاط البركاني والحركات التكتونية مهددًا

الحياة على الأرض. ولو كانت أزيد لانتقلت كمية كبيرة من الأكسجين إلى القشرة.

اكتشف العلماء أن الكون، مثل مركبة فضاء (من جهة أن الظروف بداخلها تسمح بحياة الرواد بها،

عكس ما يُحيط المركبة من فضاء)، فهو مصمم بدقة كبيرة جدًا بسبب تلك الثوابت. إن مدى الضبط الدقيق

للكون هو أمر فائق الدقة، حتى أن عالم الفيزياء الفلكية هيو روس Hugh Ross، قد حسب احتمال وجود

هذه الثوابت بالصدفة دون تصميم، فوجد أنه احتمال

واحد من 10 أس 138، وهو احتمال أقرب إلى الصفر،

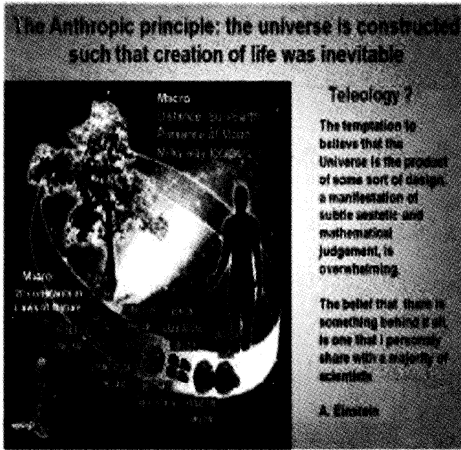
مما يؤكد استحالة وجود تلك الثوابت معًا إلا في وجود

مُصمم ذكي.<sup>107</sup>

يقول أرنو بنزياس: " إن علم الفلك يقودنا إلى

حدث فريد، ألا وهو كون قد خُلِق من عدم، وقد وضع في

حالة من التوازن الدقيق، ليوفر الظروف اللازمة بالضبط



لدعم الحياة". وفي غياب فكرة الصدفة الساذجة، يبدو أن ملاحظات العلم الحديث، تُرجح وجود خطة فوق طبيعية، تكمن وراء كل شيء. يقول عالم الفلك أد هاريسون Ed Harrison: "إن الضبط الدقيق للكون

يزودنا بأدلة صريحة على التصميم الإلهي".<sup>108</sup>

**الضبط الدقيق.** هو تعبير يشير إلى وجود ثوابت وكميات يجب أن تتوزع ضمن مدى محدود جداً من القيم الرياضية، حتى تسمح بوجود حياة في الكون. هناك نوعان من الضبط الدقيق: الأول يشمل ثوابت الطبيعة (تشمل قوة الجاذبية، والقوة الكهرومغناطيسية، والقوة دون الذرية الضعيفة)، والثاني نعرفه من الحسابات الكمية الفيزيائية (مثل الثابت الكوني cosmological constant، الذي يعمل على تسريع تمدد

الكون، أي تغيير بسيط فيه حتى لو بنسبة واحد من 10

أس 12، سيؤدي إلى عدم وجود الحياة على الكون).

وبناء عليه، يجب أن تكون الثوابت والكميات

الموجودة في الكون مضبوطة ضبطاً دقيقاً على نحو

مذهل. وفي غياب الضبط الدقيق ستختفي المادة، كما

تتلاشى الكيمياء الموجودة في الكون، وتضمحل

الكواكب.<sup>109</sup>

**يوجد ثلاث احتمالات للضبط الدقيق.** الأول: أن يكون كل ما حولنا ناتجاً عن صدفة عشوائية بلا غاية

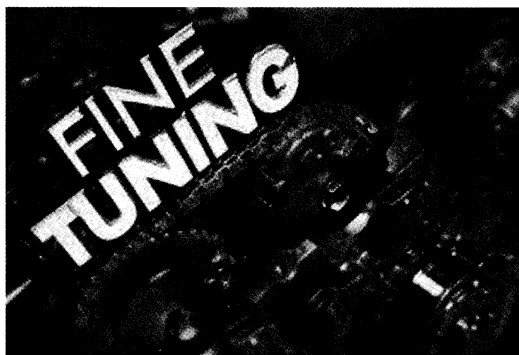
أو هدف. الثاني: أن يكون هذا الكون موجوداً بطريقة ما وهذا كل شيء دون الحاجة للبحث عن كيفية وجوده

just happened (وهو احتمال غير مقبول عقلياً). الثالث: أن يكون ما نراه من تصميم ناتجاً عن ذكاء نسقه

وأوجده.

108 . كريج، 120.

109 . كريج، 131-132.



إن الكون يمتلئ بكل أشكال الانتظام والنظام التي سبق الإشارة إليها، وبالتالي لا يُمكن أن يكون نتاج للصدفة العشوائية، وذلك لأن الصدفة هي وصف لحدث يتحرك على نحو مفاجئ دون ترتيب مسبق أو تخطيط وبالتالي فإن الاحتمال الأقوى هو أن الانتظام والنظام ناتجاً عن تصميم ذكي يمتلك غاية موجهة.

ليس فقط الكون وما به من ضبط دقيق، هو ما يُشير إلى وجود مُصمم، ولكن أيضاً الحياة تشير

بشكل قوى إلى ضرورة وجود مُصمم.

إن المشكلة الكبرى التي تواجه الداروينيين (التطوريين)، هي تفسير أصل أول حياة. فلكي يكون التطور صحيحاً، لا بد أن تكون الحياة الأولى قد تولدت تلقائياً من مواد كيميائية غير حية وغير عضوية.

هناك العديد من الأسباب التي تؤكد استحالة ظهور الحياة تلقائياً من مواد غير عضوية، أهمها:

أولاً: الحياة ليست مجرد مواد ، فيمكننا أن نأخذ كل مواد الحياة، ونحاول أن نصنع كائناً حياً،

ولكننا لا نستطيع لأن هناك شيئاً أبعد من المواد.

ثانياً: الحياة لا تنشأ إلا من حياة موجودة تشبهها، لم يلاحظ أنها نشأت تلقائياً "قانون التوالد الحيوي

"Law of biogenesis، وهذا ما أكد عليه لويس باستير من خلال عملية التعقيم Pasteurization.

وهذا يطرح سؤالاً بديهي، " كيف تكون أول كائن حي؟".

ثالثاً: التعقيد المحدد Specified complexity : في عام 1953م اكتشف جيمس واطسون

James Watson، وفرانيس كريك Francis Crick،

الحمض النووي DNA، وهو المادة الكيميائية التي تُشفّر

تعليمات بناء وتكاثر الكائنات الحية. تلك المعلومات أو الرسالة

تُعرف باسم التعقيد المحدد. الحياة تتكون من الآلاف بل ملايين

الموسوعات من التعقيد المحدد، فالحياة أعظم من المواد الغير

الحية التي تحتويها.



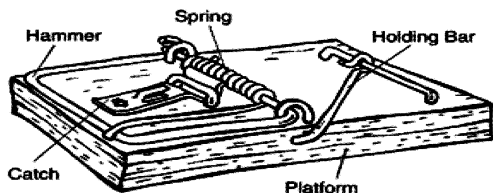
يتضح هذا التعقيد المذهل للحياة في رسالة الـ DNA الخاصة بالأميبا، وهي كائن أحادي الخلية. يعترف أستاذ علم الأحياء الدارويني ريتشارد داوكينز Richard Dawkins أن: "الرسالة الموجودة فقط

في نواة الاميبا المتناهية الصغر أكبر من الموسوعة البريطانية Encyclopedia Britannica بأجزائها الثلاثين". كذلك العقل البشري يحتوي على 20 مليون مجلد من المعلومات، ولا يمكن أن يكون هذا نتاج تطور مواد كيميائية (المواد تتفاعل ولا تفكر أو تختار).<sup>110</sup>



إن خلق الحياة يتطلب الكثير من الذكاء والتصميم، يعترف ريتشارد داوكينز في كتابه "صانع الساعات الأعمى The Blind Watch maker" أن: علم الأحياء يختص بدراسة أمور معقدة، تبدو ظاهريًا مُصممة لغرض،" كما أنه يعترف بوجود "بنية وتصميم هندسي في منتهي الدقة في الحياة البشرية وأي حياة أخرى".

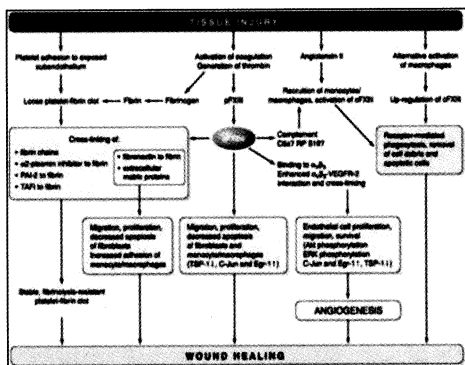
فليست طبيعة الـ DNA وأحتوائه على معلومات ومعرفة مصدرها، هو المشكلة الوحيدة التي تواجه الدروانيين، ولكن هناك مشكلة أخرى، وهي أن انتاج الحمض النووي يعتمد في أساسه على إنتاج البروتينات، وهي بدورها لا يُمكن انتاجها دون وجود حمض نووي. فأيهما جاء أولاً؟، لا بد أن يُوجد أحدهما لكي يُصنع الآخر. بالإضافة إلى أهمية



وجود mRNA لاكتمال عملية الترجمة وضرورة تزامن كل العناصر السابقة وغيرها معًا. رابعًا: التعقيد الغير قابل للاختزال

**Irreducible complexity:** إن هذا المصطلح يُشير إلى "جهاز يتركب من عدة أجزاء متفاعلة

ومتناسقة تساهم في الوظيفة الأساسية ، بحيث نزع أي من الأجزاء يوقف عمل الجهاز فعليًا، وبالتالي لا يمكن بناءه أو تعديله تدريجيًا، وفقًا للرؤية الدروانية التي تعتمد على الصدفة. (أقرب مثال توضيحي هو: مصيدة الفئران، يجب أن تكون كل قطعة في مكانها الصحيح وفي حجمها وتوقيتها لكي يعمل الجهاز).



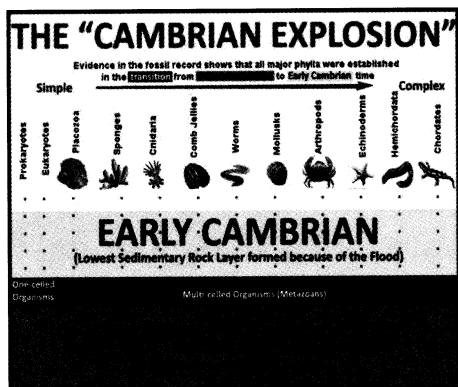
فعلى سبيل المثال، عملية تجلط الدم التي تحدث لوقف نزيف، تتكون من أحد عشر مركبًا يتفاعلون معًا بشكل مُعقد وكل منهم يؤثر في الآخر، بحيث أن عدم وجود أي عنصر يؤدي إلى فشل العملية، وهو ما يؤكد استحالة تكوينها تدريجيًا وفقًا للفكر الدرواني. يقول

تسالز داروين في كتابه "أصل الأنواع Origin of

Species": "إذا كان من الممكن إثبات وجود أي عضو مُعقد لا يُرَجَّح أن يكون قد تَكُون عن طريق

تحولات عديدة ومتوالية وطفيفة، فسوف تنهار نظريتي انهيًا كاملًا".<sup>111</sup>

**خامسًا:** سجل الحفريات، يشير الانفجار



الكامبري Cambrian explosion، إلى وجود طبقة رسوبية تحتوي كائنات مكتملة التكوين تظهر فجأة، ولا تتغير، ثم تختفي فجأة، وهو الأمر الذي لا يُدعم الفكر الدرواني المتدرج في التعقيد، يضاف إلى ذلك عدم وجود الآف بل ملايين من الحفريات الإنتقالية.<sup>112</sup>

111 . جايسلر وتورك، 148.

112 . جايسلر وتورك، 140.

### مما سبق يُمكن تطبيق الحُجّة الغائية على الحياة.

(1) لكل تصميم ذكي مصمم أذكي.

(2) الحياة لها تصميم ذكي.

(3) الحياة لها مصمم.

أمنح الوقت زمنًا أطول. يدعي الدارونيون أن قوانين الطبيعة قادرة على خلق حياة إذا توافرت لها ملايين السنين، هل هذا مقبول؟ في الحقيقة إن هذا سوف يؤدي إلى مزيد من الصعوبة، لأن الطبيعة لا تنظم الأشياء بل تُحدث فيها حالة من الفوضى، وعليه فإن طول الوقت لا يُحسن موقف الدارونيين بل يزيده سوءًا. تخيل أنك تنثر قصاصات من الورق الأحمر والأبيض والأزرق من طائرة على إرتفاع 300م فوق الأرض، هل تلك القصاصات عندما تصل إلى الأرض سوف ترسم علم أمريكا؟ وماذا لو أرتفعت الطائرة 3000م (مُنحت مزيد من الوقت)، هل الفرصة سوف تصبح أفضل؟<sup>113</sup>

يُوجد حُجّة أخرى ترتبط بالحُجّة الغائية، ويُطلق عليها حُجّة النظام الموحد **Argument**

**"from the world as an interacting whole"**، تعتمد الحُجّة على النظام الذي يحكم الكون بعناصره الأربعة المكان والزمان والمادة والطاقة. فالكون في حالة انتظام مُحكم وهذا النظام الديناميكي يُشير إلى غاية محددة (حُجّة غائية) ويتضمن تصميمًا كما سبق الإشارة، فالكون ليس وحدة واحدة، بل نجده يتضمن أجزاء متنوعة لا تعمل بمفردها، فهي غير مُكتفية بذاتها ولا تتحرك دون غيرها، كما أنها تعمل معًا في تناغم، فنحن لا نفهم الأشياء إلا بواسطة علاقتها بالأشياء الأخرى داخل النظام الواحد والتي يُمكن التعبير عنه رياضياً، هذا التناغم والعمل الذي لا يتضمن صراع أو تنازع، يُشير إلى وجود مصمم.

لقد أثبت العلم الحديث أن العالم ليس مجرد نظام يحتوي على قوانين مستقلة ومنفصلة بعضها عن بعض، بل هو عالم متشابك من العناصر والأجزاء، ومتداخل من العلاقات التي تؤلف الكل ومكونة وحدة واحدة يُمكن إدراكها، وهو ما يجعل الكون يعمل بنظام وبشكل ديناميكي مُحكم.

هذا النظام لا ينبع من ذاته أي أنه ليس ذاتي الوجود أو موجود بالضرورة، وذلك لأن وجوده هو مُحصلة وجود مجموعة كبيرة من الأجزاء أو العناصر التي تؤلف معًا هذا النظام بتفاصيله، فهو ليس كيانًا مستقلًا عن أجزائه. وعليه فلا بد من وجود مُسبب لهذا النظام، يجمع الأشياء والعناصر معًا في وحدة واحدة متناسقة، فالأشياء لا يُمكن أن تتوافق بشكل تلقائي عشوائي عبثي من ذاتها. هذا المسبب يتصف بالذكاء والوعي والإدراك لكي يُوجد تلك الأجزاء معًا في نظام كامل واحد، كما أنه يجب أن يكون متساميًا عنه ومستقلًا، فالمهندس وجوده مستقل ومتسامي عن المنزل الذي يقوم ببنائه أي أن كانت عناصره. إن تلك الحجة تشير إلى المسبب الأول الذي أوجد النظام بين العناصر من الأساس، كما توضح قدرته على الحفاظ على هذا النظام الذي لا يُمكن أن يستمر وحده دون حافظ خارجي.<sup>114</sup>

إن الكون بمحاوره الأربعة الزمان والمكان والمادة والطاقة، يعطي قدرًا كبيرًا من الذكاء الصريح والعميق والأصيل لا يُمكن إنكاره. ويظهر هذا الذكاء على مستويين متوازيين ، الأول في بنية الأشياء الداخلية، والثاني في علاقة تلك الأشياء بأشياء أخرى تقع خارجها. بمعنى أن هذا الذكاء تقوم عليه الحجة موجود في بنية الأشياء وتركيبها، وفي علاقتها بالأشياء الأخرى أفقيًا وعموديًا.<sup>115</sup>

114 . سمارنة، 207-210.

115 . سمارنة، 165.

## الحُجَّةُ الأخلاقية

"لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ" (مر 10: 18)

"الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعاً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَالِحاً لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ." (رو 3: 12)

### مقدمة:

البعض يتساءل، لماذا يُوجد إحساس عميق داخل أغلب البشر: بأنه يجب عليهم "مساعدة الآخرين"؟، من أين أتت هذه الفكرة؟ ولماذا يتفق عليها الجميع؟ ولماذا يبدو أن معظم البشر لديهم الحس بأنه ينبغي أن يفعلوا الخير وينبذوا الشر؟ يبدو أنه هناك "تشريعاً ما"، قد أُعطي للبشرية جمعاء لفعل الخير وللبعد عن الشر. البعض يُسمون هذا التشريع الأخلاقي "الضمير"، والبعض يسمونه "القانون الطبيعي أو القانون الاخلاقي".

إن وجود مقياس أخلاقي منقوش في عقول البشر أجمعين، يُشير إلى ضرورة وجود مُشرع لهذا القانون، باعتبار أن لكل قانون مُشرع. وهذا يقودنا إلى حُجَّة أخلاقية تُبرهن عن وجود الله.

### الحُجَّةُ الأخلاقية:

(1) لكل قانون مُشرع

(2) هناك قانون أخلاقي

(3) إذا هناك مُشرع للقانون الاخلاقي

ماذا عن الفرضية الأولى: هل لكل قانون مُشرع؟

الفرضية بالطبع صحيحة، لأنه لا يُمكن أن يُوجد قانون أخلاقي إلا إذا وُجدت سلطة تشريعية، فقط

العقل قادر أن يضع حدود محددة لممارسة سلوك ما. فالقانون هو أداة تفصل بين ما هو مقبول وما هو غير

مقبول.

ماذا عن الفرضية الثانية: هل هناك قانون أخلاقي مُستقر داخل كل البشر؟

لزم من طويل كان هذا ما يعتقد جميع البشر دون أي تشكك، يقول توماس جيفرسون Thomas Jefferson، أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة في إعلان الاستقلال عن القانون الطبيعي: "أنه واضح في ذاته، فأنت لا تستخدم العقل حتى تكتشفه، ولكنك فقط تعرفه". فالجميع يعرف أن الحب أسمى من الكره، وأن الشجاعة أفضل من الجبن. يقول ج. بودجيسفكسي الأستاذ بجامعة تكساس: "الجميع يعرفون مبادئ معينة، فما من بلد يعتبر أن القتل فضيلة والعرفان رذيلة". يُضيف سي. أس. لويس: "تخيل بلد حيث يحظى فيه الناس بالأعجاب حين يفرون من المعركة، أو حيث يشعر الرجل بالفخر عندما يخون كل من أحسن إليه. إن استطعت أن تتخيل ذلك، يُمكنك أن تتخيل أن اثنين زائد اثنين تساوي خمسة". إن ما قصده لويس أن القانون الأخلاقي يُعد حقيقة موضوعية، مثله مثل حقائق الرياضيات، وليس مجرد رأي أو تفضيل لشخص ما. 116

هذا يعني أن الجميع يعرفون بوجود واجبات أخلاقية مُطلقة. فالواجب الأخلاقي وفقاً لهذا المعنى، هو شيء مُلزم للجميع، في كل زمان وفي كل مكان. ولكن القضية الأهم هي: أن هذا القانون الأخلاقي المطلق، يُشير إلى ضرورة وجود مُشرع له، وهذا نتيجة طبيعية للفرضيتان الأولى والثانية.

بالطبع هذا لا يعني أن كل قضية أخلاقية على حدة لها إجابات يسهل الإجابة عليها، ولكن وجود على الأقل واجب أخلاقي واحد لا يُمكن الشك فيه من شأنه أن يؤكد ضرورة وجود مصدر أخلاقي له.

### هناك 3 قوانين تحكم الانسان :

- 1- القوانين المادية: التي تحكم كل الاجسام.
- 2- القوانين البيولوجية: التي تحكم الكائنات الحية.
- 3- قانون الطبيعة الانسانية: يحكم السلوك الانساني.

القانون الأول والثانى: الانسان لا يستطيع أن يخالفه بل هو خاضع له .

أما القانون الثالث الذى يرتبط بالإنسان وحده، ولا يتشارك فيه مع الحيوان أو النبات أو الجماد، هو القانون الوحيد الذى يستطيع الإنسان بحريته أن يختار عدم الخضوع له. وقد دُعي "بقانون الطبيعة" لأن الناس أعتقدوا أن كل إنسان يعرفه بالطبيعة ولا داعى لتعليمه إياه ، حتى لو كان هناك قلة غير قادرين على التمييز بين الصواب والخطأ.<sup>117</sup>

البشر قد ينكرون أحياناً وجود قانون أخلاقي، وذلك في الأغلب بسبب عدم رغبتهم في الخضوع له، ولكن هذا لا يعني عدم وجوده، فهم في أعماق أنفسهم يُدركون تمامًا وجوده، غير أن رغباتهم وشهواتهم تتحكم فيهم. فالجميع يُدركون أن قتل الأبرياء بلا سبب خطأ في كل زمان ومكان، ومع ذلك هناك من يرتكبون جرائم القتل، قد لا يشعرون بالندم ولكن في داخلهم يعرفون أنه خطأ "الجميع زاغوا وفسدوا". الجميع يعرف ان السرقة خطأ، ولكن ما زال هناك سارقون.

هناك ثمانية أسباب يُمكن من خلالها التأكد من وجود قانون أخلاقي، يُمكن تقديمها لمن يتشكك في

#### حقيقة وجوده. 118

**أولاً:** منطقيًا لا يُمكن إنكار القانون الأخلاقي، وحتى إن ادعى أحد النسبيين بأنه ليس هناك حق مُطلق أو قيم أخلاقية مُطلقة، فإن إدعاءهم يتعارض ذاتيًا، لأنه يُعد في ذاته زعمًا مطلقًا. كما أن إدعاء عدم وجود قيم أخلاقية مُلزِمة، يتضمن أنه لا أحد يمتلك حقوق مُلزِمة للآخرين، وبهذا فإن كل شيء يتحول إلى مجرد رأي. وحين يدعي أحدهم بشكل مطلق عدم وجود حق مطلق أو قيم أخلاقية مُطلقة، فهو بذلك يعطى لرايه أفضلية فوق الآراء الأخرى، ويجعل منه حقًا ملزمًا في ذاته، وفي هذا تناقض واضح.

117 . كريفت، نقد النسبية الأخلاقية: حوارات مع مؤيد للأخلاق المطلقة، 35.

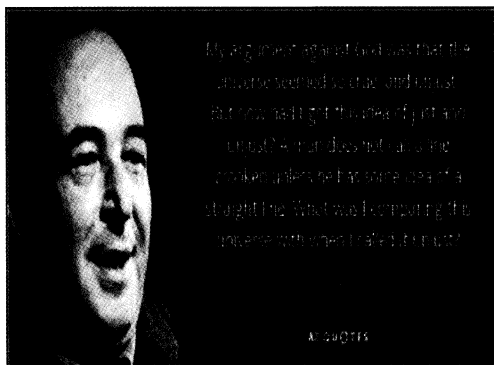
118 . جايسلر وتورك، 190-198.

**ثانياً:** ردود أفعالنا تؤكد وجود قانون أخلاقي. البعض قد ينكر وجوده، ولكن إن أردت أن تتأكد من عكس ذلك، كل ما عليك هو أن تُعامل أحدهم بطريقة ظالمة، وقتها رد فعله سوف يكشف القانون الأخلاقي المكتوب في قلبه وعقله. قد لا يظن أحدهم ان السرقة خطأ لأي سبب، ولكن لاحظ الغضب الذي يشتعل بداخله عندما يقوم أحدهم بسرقتهم. كذلك قد يتخذ أحد البشر النسبية مبدأ للحياة، ولكنه هل يستطيع هذا الشخص التعايش مع فكرة أن زوجته قد تُخلص له نسبيًا ؟ وماذا سيكون رد فعله إذا مارست النسبية عمليًا بارتكاب الزنا؟

قد يرتكب البشر الكثير من الفظائع تجاه بعضهم البعض، وهذا يعنى أن القانون الأخلاقي قد لا يظهر واضحًا في أفعالهم، ولكن في المقابل فإنه يظهر بوضوح في ردود أفعالهم، فالقانون الاخلاقي قد لا يكون المقياس الدائم الذي يتعامل به البشر بسبب بعض الميول والرغبات، ولكنه دائمًا وأبدًا هو المقياس الذي ينتظره الجميع في تعاملاتهم. أى أن القانون الأخلاقي قد لا يصف سلوكنا الفعلي، ولكنه في المقابل يؤكد بوضوح السلوك الواجب فعله.

**ثالثاً:** بدون قانون أخلاقي، لا وجود لحقوق الإنسان. فما ينطبق على الفرد، ينطبق على الحكومات والمجتمعات. وهذا يعنى أنه بدون وجود حق مُطلق، لا يمكن المطالبة بحقوق عامة تشمل كل البشر، وبالتالي لا يُمكن محاكمة من ينتهكها بشكل عام. إن القانون الأخلاقي يتضمن حقوق عامة مُطلقة يُفترض أن يخضع لها الجميع، وهي تُمثل الأساس لحقوق الإنسان.

**رابعاً:** بدون قانون أخلاقي لا يُمكن التمييز بين العدل والظلم، الخير والشر. ربما تُعد أشهر حُجة ضد الإيمان بوجود الله، هي: وجود الشر واستمراره في العالم، فالملحدون يعتقدون أن فكرة وجود إله صالح تتعارض مع وجود الشر والظلم في العالم. كان سي. أس. لويس أحد هؤلاء الملحدين، فقد أعتقد أن كل ما في العالم من ظلم يؤكد عدم وجود إله، ولكنه بدأ يُفكر في الوسيلة التي بواسطته تعرف على الظلم أصلاً، فيقول: "بصفتي ملحدًا، كان حُجتي ضد الله هي أن الكون يبدو في مُنتهى القسوة والظلم، ولكن من أين أتيت بفكرة



العدل والظلم؟ فالمرء لا يُمكن أن يسمي الخط معوجًا إلا إذا كان يعرف الخط المستقيم، فيماذا كنت أقارن العالم حين وصفته ظالمًا". هذا الإدراك أخرج لويس من الإلحاد وأتى به إلى المسيحية. وبالتالي لا يُمكن تحديد الظلم، إلا عن طريق مقياس ثابت للعدل مكتوب على

قلوب البشر، فعلى أي أساس يُمكن وصف الهولوكوست (المحرقة التي قام بها هتلر ضد اليهود) بأنها خطأ.

**خامسًا:** بدون القانون الأخلاقي، لما كان هناك طريقة لقياس الاختلافات الأخلاقية. عندما نُقيم سلوك

الأم تريزا مقابل سلوك هتلر، فإننا بذلك نحتكم إلى مقياس ثابت مُطلق أعلى من كلاهما، وإلا لأمكن المساواة بينهما. يقول سي. أس. لويس: "في اللحظة التي نقول فيها أن مجموعة من الأفكار الأخلاقية أفضل من غيرها، فإننا في الواقع نرتكز على مقياس خارجي، يجعل أحدهما أقرب للمقياس أكثر من الثاني. لو لم يكن هناك قانون أخلاقي، لأصبحت الاختلافات الأخلاقية مجرد رأي شخصي، ولأصبحت كلمات مثل "لا للعنصرية" أو "لا لقتل الأطفال الأبرياء" مجرد آراء شخصية بلا إلزام موضوعي، ولأصبح لا فرق بين الحرية والعبودية، الحب والكراهية، العناية والإساءة".<sup>119</sup>

**سادسًا:** بدون القانون الأخلاقي لا يُمكن معرفة الصواب من الخطأ. يدعي كثير من الملحدين أنهم

يعرفون الشر فقط وذلك بسبب اختبارتهم الشخصية، ولكن الصواب والحق لا يُمكن الوصول إليهما. يقول آلن درشويتس Alan Dershowitz الملحد الشهير: "لا أعرف ما هو الصواب، ولكني أعرف ما هو الخطأ". غير أن المنطق يشير إلى سؤال هام: "كيف يُمكن لأحد أن يعرف الخطأ إلا إذا عرف الصواب؟"، فلا يُمكن تحديد أن خمسة هي الإجابة الخاطئة لمسألة 2+2، إلا إذا كنت تعرف الإجابة الصحيحة.

**سابعاً:** بدون القانون الأخلاقي تختفي الأسس الأخلاقية لأي توجه سياسي أو اجتماعي. فبدون

القانون الأخلاقي، لا يجد أي شخص أساساً موضوعياً لتأييد قرار ما أو لرفض آخر. غير أننا نُدرك تمامًا أن القضايا التي تتضمن الحياة والحرية ليست مجرد استحسنات، بل تتضمن حقوقاً فعلية، مما يُشير إلى وجود قانون أخلاقي.

**ثامناً:** لو لم يكن هناك قانون أخلاقي، لما احتاج أحد لتقديم أَعذارٍ لخرقه. فلا أحد يُقدم أَعذارًا عندما

يتصرف مثل الأم تريزا، في المقابل فإن من يتصرف بشكل مغاير، فإنه يقدم أَعذارًا لهذا السلوك. إن تقديم أي أَعذار عن السلوك غير الأخلاقي، هو اعتراف ضمني غير مُباشر بوجود القانون الأخلاقي، وإلا لما كان هناك داعي لتقديم مثل هذه الأَعذار.<sup>120</sup>

إذا كان هناك قانون أخلاقي مُطلق فعلاً، كما سبق التأكيد، فلماذا يعتقد بعض الناس بنسبية الأخلاق،

يرجع هذا لعدة أسباب:

(1) أحياناً يتم الخلط بين السلوك والقيمة، فالبعض قد يخطئ بين ما هو كائن وما يجب أن يكون. فما يفعله الناس هو أمرٌ متغيّر، ولكن ما يجب أن يفعله فهو أمرٌ ثابت لا يتغير. وهذا هو الفرق بين علم الاجتماع الوصفي (يصف الواقع) وبين علم الأخلاق التوجيهي (يصف الأخلاق كما يجب أن تكون).

(2) يدعي البشر عدم وجود قانون أخلاقي بسبب رغبتهم في عدم طاعته، ولكن هذا لا ينفي وجوده.

فالجميع يرتكبون أخطاء في الرياضيات، ولكن هذا لا ينفي وجود قواعد رياضية.

(3) أحياناً قد تتنوع الحقائق المستخدمة لفهم القيم الأخلاقية، فطريقة إدراك الموقف الأخلاقي قد

تختلف من شخص لآخر، ولكن تظل القيمة الأخلاقية ثابتة. فالهندوس يُعبرون عن تقديرهم لأجدادهم عن طريق رفضهم لأكل الأبقار وذلك لأعتقادهم في تناسخ الأرواح. فتقدير الأجداد واحد بين الجميع، ولكن الاختلاف في طريقة التعبير عن هذا التقدير.

4) أهتزاز البعض في المواقف الصعبة أو المعقدة التي قد يفترضها الملحدون، فهم بارعون في صنع معضلة أخلاقية لإرباك المؤمنين. غير أن هذه المواقف لا تنفي وجود أخرى واضحة لا تقبل الشك أو الأهتزاز، وهي وحدها كافية للتأكيد على وجود القانون الاخلاقي.

5) البعض قد يُنكر القانون الأخلاقي، لكي يُبرر لنفسه ما يريد أن يفعله. يقول سي أس لويس: "البشر في جميع أنحاء العالم يعرفون الفكرة الغربية التي تُقر بأنه يجب عليهم أن يسلكوا بطريقة معينة، ولا يُمكنهم التخلص منها فعليًا، غير أنهم يعرفون أيضًا أنهم لا يسلكون وفقًا لها بل وينكرونها".<sup>121</sup>

6) أحيانًا قد تختلف الوسائل لتحقيق غاية مُطلقة، ولكن هذا لا يتعارض مع وجود قيمة نهائية مُطلقة، فالبعض قد يعتقد أن المساعدات المالية هي أفضل وسيلة لمساعدة الفقراء، ولكن آخرون قد يروا أن هذا قد يخلق نوعًا من الاعتمادية، وأنه من الأفضل خلق فرص اقتصادية حتى يساعد الفقراء أنفسهم، من الواضح أن الغاية واحد وهي مساعدة الفقراء، وإن اختلفت الوسيلة.<sup>122</sup>

### الأفكار لها عواقب:

إذا لم يكن هناك إله أو مُشرع للقانون الأخلاقي، وإن كان البشر قد تطورا من مادة لزجة كما يعتقد الملحدون، فإن هذا يعنى بكل وضوح أن وضعنا الأخلاقي لا يرتقي فوق المادة اللزجة التي تطورنا منها، فليس هناك شيء أبعد أو أسمى منا، يُمكن أن يغرس فينا أخلاقًا موضوعية مُطلقة. هذا يعنى أن أي مُلحد ينكر وجود الله، ويتسق مع مبادئه، فعليه أن يؤمن بأنه لا يوجد خطأ حقيقي في القتل أو الكذب أو الاغتصاب أو الإبادة الجماعية وغيرها من التصرفات الوحشية، ولكن هذا غير حقيقي.

إن الحُجة الأخلاقية تشير بقوة إلى ضرورة وجود مقياس أعلى من البشر، يتم من خلاله قياس كل أفعالهم. قد تكون الحُجة الاخلاقية صعبة الإدراك للبعض، وذلك بسبب تشوه الطبيعة البشرية نتيجة للخطية

121 . لويس، المسيحية المجردة، 28.

122 . جايسلر وتورك، 199-206.

التي أفسدتها، مما أدى إلى انحراف الإرادة. غير أن الحُجة الأخلاقية هامة جدًا لأنها تعكس طبيعة الله الصالحة والخيرية والمحبة.

## براهين أخرى لحقيقة وجود الله

### حُجة الوعي الإنساني:

تنشأ فكرة هذه الحُجة من التأمل في طبيعة الوعي الإنساني، فالوعي هو قدرة يمتلكها الإنسان تجعله قادرًا على التأمل في ذاته وما يحيط به. الوعي الإنساني هو حالة من الإدراك والفهم والتفكير في كل ما يحيط الإنسان، وجميعها عمليات ذهنية معقدة تستدعي الوقوف عندها بشكل مُطول، وذلك لأن وجود الوعي في ذاته، يتطلب تفسيرًا لكيفية تكونه. تكمن المشكلة في أنه وفقًا للملحدين، فإن الكون ماديًا تمامًا بكل ما فيه. غير أن المادة لا يُمكن أن تمتلك وعيًا سواء لنفسها أو لما يُحيط بها والدليل على ذلك أن قوى الطبيعة لا تعرف بعضها البعض أو تتنازل لبعضها ووفقًا للأحداث. وهذا يستدعي بالضرورة وجود وعي مُتسام يقع خارج الكون المادي المدرك، كي يستطيع أن يمنح الإنسان الأفضلية التي تؤهله لفهم الكون والتفكير فيه.<sup>123</sup>

### حُجة الحقيقة في مفهومها الكلي:

وقد قدمها القديس أغسطينوس في كتابه "الاعترافات" الذي شارك فيه بخبراته الإنسانية الخاصة. تتلخص الحُجة في أن العقل البشري رغم كونه محدودًا وغير أبدي، فهو مع ذلك قادر على استقبال حقائق أبدية غير محدودة، وهي حقائق ذات طبيعة تخص الوجود الأبدي. وهذا يستدعي وجود عقل أبدي أكمل وأقدر لكي يستطيع أن يحتوي الحقائق الأبدية التي استطاع العقل البشري رغم محدوديته أن يستقبلها ويصيغها في مفردات لغوية تناسبه لكي يتناقلها. وهذا العقل الأبدي قادر على احتواء تلك الحقائق وليس مجرد استقبالها حال العقل البشري المحدود.<sup>124</sup>

123 . سمارنة، 211.

124 . سمارنة، 219-221.

## حُجَّة الرغبة:

تتلخص الحُجَّة في أن كل رغبة فطرية كامنة في النفس البشرية يُمكن اشباعها وتلبية احتياجاتها من الخارج بواسطة شيء يقع خارجها. فنحن لا نملك رغبات إلا وكانت قابلة للإشباع بواسطة بما هو خارج عنها. وهذه الأشياء التي تشبع رغباتنا أشياء حقيقية في وجودها وليست أوهامًا أو تهيؤات من اختراع البشر، كما إن رغباتنا تلك هي أيضًا رغبات حقيقية وليست مصنعة أو مفتعلة بل هي فطرية كامنة في النفس البشرية ولا يُمكن تجاهلها أو إنكارها، فنحن نرغب طبيعيًا في الطعام والشراب والجنس والصدقة والمعرفة وغيرها، وكلها رغبات ضرورية وفطرية ويتم تليبيتها بموجودات حقيقية.

في المقابل تُوجد بعض الرغبات الأخرى مثل رغبة الإنسان في السعادة الأبدية والفرح الحقيقي والسمو، وكلها رغبات حقيقية وفطرية كامنة في الإنسان الباطن، ولكنها لا يُمكن إشباعها بواسطة أشياء موجودة في العالم المادي. وهذا ضمنيًا يُشير إلى ضرورة وجود شيئًا خارج الزمان والمكان قادرًا على إشباع تلك الرغبات. يقول سي.أس.لويس: "إن وجدت في نفسي رغبة لا يُمكن اشباعها أو يستحيل تليبيتها ضمن أركان هذا العالم، فالتفسير الأكثر احتمالًا وتماسكًا هو إنني قد صُنعت وُجدت لعالم آخر يستطيع أن يُشبع رغباتي المختلفة". يُمكن صياغة تلك الحُجَّة كالتالي:

(1) لدى كل البشر رغبة في السمو والحياة والسعادة الأبدية والفرح الحقيقي.

(2) لا يوجد رغبة فطرية في الإنسان لا يُمكن اشباعها، وفقًا لآراء مُعظم الفلاسفة.

(3) النتيجة النهائية: لا بد من وجود كائن مُتسام، أو حيز سام يُطلق عليه الحياة الأبدية، يمتلك القدرة

على إشباع الرغبة الفطرية للإنسان الخاصة بالخلود والفرح الأبدى، بما أن العالم المادي لا يستطيع

إشباعها.<sup>125</sup>

## حُجَّة الجمال:

إن وجود الجمال هو حقيقة وجودية لا يُمكن إنكارها، كما أن البشر يمتلكون القدرة على تقديره وتقييمه وقياسه ومقارنته والتعبير عنه. والجمال يتضمن كل أنواع الموسيقى والفنون والألوان والانسجام والتوافق بين القوانين الرياضية والفيزيائية والكيميائية. غير أن الواقع الجمالي لا يُمكن تفسيره وفقاً للعشوائية والعبثية والصدفة التي تفترضها الدروانية الحديثة التي يؤمن بها الملحدون، ولا سيما أن الجمال لا يخدم وجود الإنسان ولا يُحافظ على بقاءه حياً لمدة أطول. فالتطور في أوضح صورة له هو "البقاء للأصلح"، فالحياة من منظور دارويني هي حرب انانية من أجل البقاء على قيد الحياة، وبالتالي فالرؤية الدارونية لا تستطيع أن تُقدم تفسيراً متسقاً لاحتفاظ الخليفة بكل هذا الجمال الذي لا يخدم بقاء الإنسان.

وبالتالي فإن وجود الجمال يُمثل اشكالية تحتاج إلى تفسير، وتفسيرها الوحيد هو وجود كائن مسؤول عن الجمال بكل أشكاله. وذلك لأن الجمال يحتاج إلى فاعل مباشر يُشكله ويبدعه في سياقات مختلفة ويحافظ عليه، ويُضاف إلى ذلك نقطة محورية، وهي أن يضع داخل الإنسان القدرة على تقدير الجمال وتقييمه وتذوقه. إن العالم المادي لا يستطيع أن يمنح مثل هذه القدرة، وبالتالي فإن وجود الله هو أفضل تفسير لوجود القيمة الجمالية في العالم وقدرة الإنسان على تذوقها.<sup>126</sup>

## الحُجَّة الأنطولوجية Ontological Argument:

قدم هذه الحُجَّة الراهب الفرنسي أنسلم Anselm of Canterbury في القرن الحادي عشر، وهي أحد الحجج التي أثرت بشكل واسع في آراء الكثير من الفلاسفة. يعود مُصطلح الأنطولوجيا أي "علم الوجود" إلى الأصل اليوناني الذي يتكون من كلمتين: Onto وتعني الوجود أو الكينونة، و logie وتعني علم.



بدأ أسلم حُجته بتعريف الوجود الحقيقي، ووصفه بأنه أحد الأشكال الأساسية للكمال والعظمة، وهذا يعني أن حالة الوجود الحقيقي أفضل من حالة عدم الوجود وذلك من حيث واقعيتها، وهذا طرح بديهي لا خلاف عليه. فكل موجود فعلي أفضل من أي شيء ليس له وجود، مهما بدا هذا الشيء الغير موجود عظيمًا. وعليه قدم أسلم تصريحًا عميقًا قائلًا: "إن الوجود الحقيقي هو إحدى صور الكمال، وعدم الوجود هو إحدى صور النقص، فالواقع أعظم من الخيال والوجود أفضل من العدم".

وبناء عليه فقد افترض أسلم أن الله بوصفه الإله الكامل العظيم الذي لا يمكن تصوره بالعقل، لابد أن يكون أكمل وأعظم الموجودات، بحيث لا يكون هناك من أعظم وأكمل منه. إن هذا يقتضي أن يكون وجوده وجودًا حقيقيًا في الواقع، وليس مجرد فكرة مجردة خيالية دون وجود واقعي، وذلك لأن وفقًا لتصريح أسلم، إذا كان وجود الله غير حقيقي وخياليًا، فهذا يجعل أي موجود آخر حقيقي مهما صغر شأنه، أكمل وأعظم منه، وذلك باعتبار أن الوجود أكمل من العدم. وهذا بطبيعة الحال ينفي صفتي الكمال والعظمة عن الله على الرغم من أنهما من دواعي الألوهية. وعليه لكي يكون الإله موجودًا، فلا بد أن يكون موجودًا في الذهن والواقع معًا لكي يتحقق كماله وعظمته (أي أنه لا يجب أن يكون مجرد فكرة في الذهن دون وجود حقيقي وإلا فقد صفة الألوهية).<sup>127</sup>

### حُجة التوافق المشترك:

تنص هذه الحُجة على إنه إذا كان معظم البشر عبر التاريخ وباختلاف الثقافات والحضارات، يعتقدون بوجود إله ما في أذهانهم، فهذا يجعل أمر وجوده أمرًا جدّيًا ويستحق البحث. فلا يوجد حيز تاريخي ومكاني وزماني، مهما تخلف أو تقدم دون وجود إله، وهذا الاعتقاد الشامل يقود إلى طريقة تفكير جادة في

مضمونها وتستحق البحث والتدقيق، لأنه من المستبعد وجود تلك الفكرة عبر الأجيال دون وجود باحث حقيقي

لها.<sup>128</sup>

### حُجَّة الخبرة الروحية:

هناك خبرة روحية واعية في الإنسان الباطن، مُشتركة ما بين البشر في محطة من حياتهم، تلك الخبرات لا يُمكن أن تكون وهمًا أو عبثًا أو حتى نتاج للصدفة. إن تلك الخبرات لا بد أن تمتلك حد أدنى من الحقيقة نظرًا لتنوعها وتراكمها وتكرارها، فمعظم البشر على اختلاف ثقافتهم وأعمارهم اختبروا بطريقة ما وبصورة تلقائية خبرة روحية عميقة، مما يدل على ضرورة وجود كيان روحي تقوم عليه تلك الخبرات.<sup>129</sup>

### حُجَّة المعجزات:

المعجزة هي واقعة استثنائية غير اعتيادية حدثت في مكان وزمان ما لأشخاص محددين، ويُمكن التحقق من هويتهم ومن تجربتهم، وكانت المعجزة لتحقيق غاية ما يُمكن رصدها وتوثيقها دون القدرة على تفسيرها إلا على أساس أنها تدخل فائق للطبيعة، فهي بمثابة شهادة شهود عيان قد اختبروا حدثًا محددًا. ومادامت شهادة من عاينوا الواقعة أمرًا لا يُمكن تجاوزه، فهذا يقودنا إلى ضرورة وجود كيان قادر خلف تلك الأحداث. قد تكون الحُجَّة المبنية على المعجزة غير مقبولة في الكثير من الأوساط المادية، غير أن وجود الله باعتباراه كائن كلي القدرة لا يُمكن أن يستبعد المعجزة، فالحُجَّة قد لا تُستخدم للبرهنة على وجود الله، ولكنها دليل يُشير إلى وجوده. يقول القديس بطرس في عظته يوم الخمسين: "يَسُوغُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهْنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبٍ وَأَيَّاتٍ صَنَعَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ." (أع2: 22).<sup>130</sup>

128 . سمارنة، 244.

129 . سمارنة، 310.

130 . سمارنة، 314-320.

## PASCAL'S WAGER

	THERE IS A GOD	NO GOD
BELIEVE IN GOD	HEAVEN	HELL
ATHEISM	ETERNAL SUFFERING	NOTHING

## رهان باسكال Pascal's wagner

رهان باسكال هو حجة فلسفية وضعها الفيلسوف والرياضي الفرنسي بليز باسكال (1623-1662م) في كتابه "التأملات أو الأفكار" المنشور سنة 1669م. .  
الحجة ليست برهانًا تقليديًا أو حجة بالمعنى المفهوم عن

وجود الله، ولكنها برهان عقلي-عملي. يتضمن الرهان خيارين أساسيين: أولاً: الله موجود أو غير موجود. ثانياً: إما الإنسان يؤمن به أو لا.<sup>131</sup>

صيغة الرهان: هناك أربعة احتمالات تتضمن الخيارين السابقين.

الاحتمال الأول: إذا آمن الإنسان بوجود الله وبالفعل كان الله موجود، النتيجة هي التمتع بالحياة الأبدية (بالتالي ربح لا نهائي).

الاحتمال الثاني: إذا آمن الإنسان بوجود الله، واكتشف أنه غير موجود، النتيجة أنه سيخسر قليلاً بسبب التزامه ببعض الوصايا في فترة حياته (خسارة محدودة إذا تم احتسابها خسارة).

الاحتمال الثالث: إذا لم يؤمن الإنسان بوجود الله، ثم اكتشف أن الله موجود، النتيجة خسارة الخلاص والحياة الأبدية والحكم بالإدانة والعذاب (خسارة غير محدودة).

الاحتمال الرابع: إذا لم يؤمن الإنسان بوجود الله، واكتشف أن الله غير موجود، النتيجة لن يكسب شيئاً كثيراً أو مهماً (ربح محدود).<sup>132</sup>

إذا من خلال حساب "الربح والخسارة"، يرى باسكال أن الخيار الأفضل العقلاني هو "الإيمان بالله"، لأنه يتضمن ربح غير محدود، ويتجنب خسارة غير محدودة في حالة وجود الله، وأيضا يتضمن

131 . سمارنة، 330-331.

132 . سمارنة، 332-333.

خسارة محدودة في حالة عدم وجوده. بالطبع الرهان ليس حجة عن وجود الله، ولكنه فقط محاولة لربط المنطق الرياضي بالقرار الإيماني. حتى لو وجد البعض أنه "رهان مصلحي"، باعتبار أن الإيمان يتطلب أكثر بكثير من معادلة احتمالات.

### إله الفجوات

يقول جان رويستون: "إن فكرة وجود الله، وقصة علاقة هذا الإله بالإنسان ما هي إلا عملية تبريرية، يُبرر بها الإنسان على رغبته في أن تكون له قيمة في الحياة، فقد ابتدع فكرة وجود الله خالق هذا الكون الشاسع بما فيه، لكي يُعطي لنفسه الأهمية بأن يجعل هذا المدعو الله يهتم به شخصيًا". البعض يرى أن الله هو البديل (سد خانة) أو الحل لكل المواقف الصعبة التي تواجه الإنسان، وتدرجيًا يملأ العلم هذه الفراغات، ليصبح وجود الله غير ضروري. أو بكلمات أخرى، يُعني العلم الحديث عن وجود الله، فالإنسان يصبح قادرًا أكثر فأكثر على أن يحدد مصيره دون الحاجة لوجود إله، بعدما فهم الطبيعة من حوله.<sup>133</sup>

**إله الفجوات God of Gaps.** هو تعبير يُطلق على الحوار الفلسفي، الذي يجعل الفراغات أو النقص في المعرفة دليلاً على وجود الله (يدعي الملحدون أن فكرة وجود الله، تم اختراعها لسد فجوات المعرفة). وهو ما يعني أن دور الإله يتحدد في سد "الفجوات" في التفسيرات العلمية للطبيعة، وبناء عليه كلما تمكن العلم من إعطاء شرح أدق للعالم والطبيعة، كلما قل دور الإله. واستنادًا على هذه الرؤية، يرى البعض أن تناقص عدد المؤمنين بالأديان يرجع إلى تقلص إله الفجوات، بسبب تطور المعرفة العلمية، كما يروا أن كتاب أصل الأنواع لتشارلز داروين، كان نقطة بداية حاسمة لنهاية إله الفجوات.<sup>134</sup>

133 . الأب هنري بولاد اليسوعي، الإيمان وتحدي الإلحاد (لبنان: دار ألمشرق، 2018)، 16-17.

134 . القس إبراهيم القمص عازر، وهم الإلحاد (أسيوط: الكلية الإكليريكية بدير المحرق، بن)، 28.

## الرد على هذا الإدعاء

أولاً: تفترض هذه الحجة تضاداً وصراعاً بين العلم والإيمان، كما تفترض أن الدين كان بديلاً عن العلم في أوقات الجهل التي عجز فيها الإنسان عن تفسير كثير من الحقائق الكونية فنسبها إلى الله، ولكن عندما جاء العلم، أضاء ظلام الجهل وفسر كثير من الحقائق وأنهى دور الإيمان. ولكن الحقيقة أن هذا افتراض وهمي، مبني على فهم خاطئ لحدود العلم، ولدور الإيمان في الحياة الإنسانية. فلا يوجد تعارض بين العلم والإيمان، بل الحقيقة أن الجهل هو العدو الأول للإيمان، ولذلك يقول الكتاب المقدس: "هَلْكَ شَعْبِي مِنْ عَدَمِ المعرفة" (هو: 4: 6)، فالعلم والإيمان يتكاملان.

ثانياً: العلم حالياً يدعم الإيمان، أكثر من وقت سابق، فعندما استطاع العلم الوصول إلى تفسير للظواهر الكونية التي كانت غامضة في الماضي، تحرر الإنسان من المفهوم الأسطوري عن الكون، والذي كان يؤدي لعبادته. كما أن فهم الإنسان لحقيقة الكون ودقة قوانينه وانتظام حركته وعصمة تدبيره وتنظيمه، أكد على ضرورة وجود قوة أعظم وراء وجوده. فهذه الدقة لا يمكن أن تكون وليده الصدفة أو العشوائية، وهكذا أصبح العلم داعم لحقيقة وجود الله وليس ضدها، فالعلم أصبح يقودنا نحو الله بأقصر الطرق.<sup>135</sup>

## تراكم الأدلة

إن لكل حجة سبق عرضها، نقاط قوة لا يستهان بها، ولكن هذا لا يمنع من وجود اعتراضات ضد بعضها، يثيرها الملحدون. فليس هناك حجة كاملة شاملة يمكن حساباتها الحجة القاطعة، ولأجل هذا لا يعتمد المدافعون على حجة واحدة في نقاشهم حول قضية وجود الله، بل على تراكم الحجج وتنوعها.<sup>136</sup>

عند النظر في أي قضية مدنية من قبل قاضي في محكمة، فإن حكم القاضي برفض الإتهام يكون

لعدم كفاية الأدلة، أو بثبوت الإتهام نظراً لتراكم الأدلة وترابطها، وهو ما يُطلق الدليل التراكمي. إن قضية

135 . القس إبراهيم القمص عازر، وهم الإلحاد، 29-30.

136 . سمارنة، 339.

وجود الله تستند على العديد من البراهين القوية، وليس على دليل واحد، بل أن أغلب الأدلة تترابط وتتكامل في وحدة واحدة مؤكدة بما لا يجعل هناك مجال للشك، على حقيقة وجود الله.

يرى هيجل أن المهمة الرئيسية للمعرفة هي أن تسعى لكي تفسر العالم والوجود، بحيث يهتدي الإنسان إلى أفكار تفسر حقيقة هذا العالم. كما يرى أن هذا التفسير هو بإختصار نسبة الشيء المراد تفسيره إلى حقيقة أعم منه تشملته وتحتويه، وهلم جرا حتى نصل إلى مبدأ أولي يفسر نفسه، وتفسير كل شيء يترتب على وجوده.<sup>137</sup>

إن النظر للظواهر الطبيعية، هو الذي قاد الإنسان إلى إدراك ضرورة وجود خالق ومدبر لهذه الظواهر، "إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم، لأن منذ خلق العالم ترى أموره غير المنظورة وقدرته السرمدية ولأهوته مدركة بالمصنوعات حتى إنهم بلا عذر" (رو 1:19-20 فان دايك)، "السماوات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه." (مز 1:19). لقد لاحظ الإنسان ما في الكون من تناسق ونظام يستدعي وجود حكمة وعقل مدبر، لأنه من المحال أن يكون جمال الطبيعة وتناسق أجزائها مصادفة طارئة، ولهذا لا بد من الإقرار بوجود صانع مدبر، نظم الظواهر الطبيعية وفق عدد من القوانين الثابتة التي تحفظ استمراريتها.

يقول أفلاطون: "إن العالم آية قيمة غاية في الجمال، ولا يمكن أن يكون النظام البادي فيما بين الأشياء بالإجمال وفيما بين أجزاء كل منهما بالتفصيل، نتيجة لعل اتفاقية ولكن صنع عقل كامل توخى الخير، ورتب كل شيء عن قصد". لقد كانت قضية وجود الله واحدة من أهم القضايا التي شغلت الفلاسفة، فكانت محور لمباحثهم المختلفة. فقد حاول كثير من الفلاسفة أن يثبتوا وجود الله عن طريق المنطق العقلي، وعمد البعض منهم إلى التسليم بوجود إله لما يتتبع ذلك من نتائج، ولكن أحداً منهم لم يستطيع أن يحيط علماً بما

يكون جوهر القوة الخالقة، كما لم يتمكن أحد من تمام إدراك تلك القوة الإلهية التي تتحكم في الوجود.<sup>138</sup> فقط يُمكن الإشارة إلى حقيقة وجوده، واستنتاج صفاته، أما معرفته الحقيقية فتحتاج إلى الإعلان الإلهي، الذي اكتمل بتجسد ربنا يسوع المسيح، الذي أعلن لنا عن الأب: "لَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْإِبْنُ وَمَنْ أَرَادَ الْإِبْنَ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ" (مت 11: 27).

يقول معلمنا بولس الرسول إلى أهل كولوسي: "لِكَيْ تَتَعَزَّى قُلُوبُهُمْ مُقْتَرَنَةً فِي الْمَحَبَّةِ لِكُلِّ غَنَى يَبِينِ الْفَهْمِ، لِمَعْرِفَةِ سِرِّ اللَّهِ الْآبِ وَالْمَسِيحِ، أَمْدَحَّرَ فِيهِ جَمِيعَ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ" (كو 2: 2-3 فان دايك). إن الحكمة والمعرفة نابعة من إعلان الله عن ذاته، لأنه هو مصدر كل معرفة حقيقية، وهو ما يعلق عليه القديس أغسطينوس قائلاً: "أن الحكمة هي القدرة على تذوق الحقائق الروحية والتمتع بالحق يؤدي إلى مجد الله والتعبد له بمخافة". كما يرى القديس يوحنا ذهبي الفم: "أن الحكمة هي الإنجيل، أي التمتع بخطة الله الخلاصية المفرحة، أما العلم فهو الحيدان عن الشر وتقديم كلمة الخلاص للبشر". وبناء عليه فإن القديس بولس يصحح مفاهيم الفلاسفة الذين يظنون أنهم بجهدهم الشخصي ومن خلال قدرتهم العقلية، قادرون أن يتعرفوا على الحق ويبلغوا الخلاص، فهم يغيب عنهم أن المعرفة الكاملة تتطلب إعلان إلهي وليس مجهود بشري خالص. لقد كشف لنا العهد الجديد عن الحكمة ذاته في شخص رب المجد يسوع المسيح الذي به ولإجله كل الأشياء.<sup>139</sup>

يقول ديكارت: "إن يقين كل علم وحقيقته إنما يعتمدان على معرفتنا للإله الحق، بحيث يصح لي أن أقول إنني قبل أن أعرف الله، ما كان بوسعي أن أعرف شيئاً آخر معرفة كاملة، كما إن يقين البراهين نفسه متوقف على معرفتنا بالله". ثم يضيف قائلاً: "ليس هناك جوهر بالمعنى الحقيقي (أي قائم بذاته غير محتاج

138. زكريا إبراهيم، دراسات لاهوتية وفلسفية ( القاهرة: مطبوعات مدرسة الأحد القبطية بمصر الجديدة، 1942)،

13-12.

139. القمص تادرس يعقوب ملطي، رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي (الإسكندرية: كنيسة الشهيد مارجرس بسبورتنج، 2003)، 65-66.

إلى غيره إلا الله. أما الجواهر المتناهية، فإنها مستقلة استقلالاً وجودياً بالنسبة إلى بعضها، ولكن ليس بالنسبة إلى الوجود المطلق المتناهي".<sup>140</sup>

## إفتراضات بديلة لوجود الله

شك الملحدون في براهين وحُجج وجود الله، وبناء عليه قدموا إفتراضات بديلة للحُجج السابقة، لكي يخرجوا الله من الصورة. أغلب تلك الإفتراضات تستند على رؤى وفرضيات علمية غير مثبتة. وكنتيجة لتلك الإفتراضات، أشاع الملحدون بوجود صراع ما بين العلم والإيمان. يبقى السؤال أي نوع من العلم؟ وهل العلم الحقيقي يؤيد إدعاءات الملحدين؟

"أَحْفَظِ الْوُدَيْعَةَ، مُغْرِضاً عَنِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الدَّنِيسِ، وَمُخَالَفَاتِ الْعِلْمِ الْكَاذِبِ الْإِسْمِ، الَّذِي إِذْ تَظَاهَرَ بِهِ قَوْمٌ زَاغُوا مِنْ جِهَةِ الْإِيمَانِ" (1تي6: 20-21)

مقدمة

هل العلم يتعارض مع الإيمان؟ يفترض البعض أن هناك حرب دائرة بين العلم والإيمان، وكان العلم يتعارض مع الإيمان أو أن الاثنين طرفي نزاع قائم. ويتم تقديم العديد من المغالطات المنطقية التي تتضمن العلاقة بين العلم والإيمان، مثل:

كل العلماء ملحدين: كلمة "كل" ليست دقيقة فهي تشمل مغالطة التعميم، كذلك اعتقاد العلماء الديني لا يؤثر على الإنسان بل علمهم. يُضاف على ذلك أن الكثير من العلماء لهم أفكار خاصة عن الله ولكنهم لا ينكروا وجوده.

أمثلة من العلماء الرواد والأكثر شهرة وقد كانوا مؤمنين بوجود الله، بل أن إيمانهم كان هو الباعث للاستمرار في بحثهم العلمي، ولك لتقنتهم في وجود خالق قد وضع نظاماً ما يُمكن اكتشافه.

- نيكولاس كوبرنيكوس Nicolaus Copernicus (1473-1543م) ... الفلكي الشهير، وصاحب نظرية مركزية الشمس في الفلك "Heliocentric Cosmology".
  - جاليليو جاليلي Galileo Glilei (1546-1642م) ... مؤسس الفيزياء التجريبية "Experimental Physics" وعالم الرياضيات الشهير.
  - اسحق نيوتن Issac Newton (1643-1727م) ... ابو الفيزياء التقليدية "Classical Physics".
  - فرنسيس بيكون Francis Bacon (1561-1626م) ... ابو العلم الحديث ومؤسس الطريقة الاستقرائية للبحث العلمي "Scientific Inductive Method".
  - مايكل فارادى Michael Faraday (1623-1662م) ... واضع أسس الكهرومغناطيسية "Electomagentics".
  - توماس اديسون Thomas Edison (1847-1931م) ... مخترع المصباح الكهربائي.
  - ماكس بلانك Max Planck (1858-1947م) ... صاحب نظرية الكم "Quantum Theory".
  - البرت أينشتاين Alebert Einstein (1879-1955م) ... صاحب نظرية النسبية "Relativity Theory".
  - لويس باستير Louis Pasteur (1822-1895)....مؤسس علم الأحياء الدقيقة Microbiology، وعلم المناعة Immunology.
  - جريجور مندل Gregor Mendel (1882-1884م) ... ابو علم الوراثة.
- يعترف لورين إيسلي Loren Eisley، أحد علماء التطور بأن: "تطور العلوم الحديثة يعود الى المساهمة الفريدة للايمان المسيحي في تشكيل الثقافة الغربية وهو المسئول عن إنشاء المنهج التجريبي للعلوم نفسها"<sup>141</sup>.

مما سبق، يتضح أن لا يوجد علاقة بين العلم واعتقاد العلماء، ولمزيد من توضيح الصورة، وللتأكيد على أن العلم لا يتعارض مع الإيمان، يجب تناول الموضوع من عدة نقاط:

### أولاً: ما هو العلم؟

العلم هو المعرفة التي تتعامل مع الأشياء الطبيعية (تلك التي تُدرك بواسطة الأعضاء الحسية)، فهو يقوم بفحصها لاستكشاف خصائصها وطبيعتها، ومن ثَمَّ محاولة التحكم فيها. فالبحث العلمي يعتمد على المراقبة المنتظمة والقياس، والتجربة والإختبار، وتعديل النظريات للوصول إلى قانون علمي، وبالتالي فإن الأسلوب العلمي يقتصر على ما يمكن فحصه بالحواس الخمسة فقط، ولذلك فهو لا يستطيع ان يقيس كل شيء، فهناك أشياء لا يمكن قياسها رغم واقعية وجودها مثل الجمال و المحبة، كذلك العلم لا يستطيع أن يعطينا المعرفة السببية، فحدود الأسلوب العلمي هي شرح "كيف" تتم عملية ما، وليس "لماذا" تتم . يقول جيمس د. بال "يعجز الأسلوب العلمي عن التعامل مع الغرض، فهو فقط يستطيع التعامل مع الأسباب والنتائج، ولكنه لا يستطيع التعامل مع "لماذا" التي عن السبب".<sup>142</sup>

### ثانياً: سمات الدليل العلمي الذي يُمكن الوثوق به

- أن يكون مُلاحظ Observable.
- أن يكون مُختبر Testable.
- أن يكون مُتكرر Repeatable.
- أن يكون مَحسوب (يُمكن التوقع بنتائجه) Predictable.

إن تحقيق تلك الشروط، هو ما يُصنف نتائج البحث العلمي إلى دلائل علمية، أما غير ذلك فله

أسماء أخرى، فهناك:

## نظرية... إذا وُجد لها تطبيقات

فرضية... إذا كان الأمر مجرد وجهة نظر قد لا يكون له تطبيقات واضحة.

وبالتالي عند تصنيف أي أمر باعتباره دليل علمي، لا بد من التأكد من خضوعه لشروط الدليل العلمي، لأنه قد يُصنف نظرية تحت الفحص، أو مجرد فرضية أي وجهة نظر، فكثيرًا ما يتم خداع البعض بالأخبار أو الأبحاث التي قد يُظن أنها نتائج وأدلة علمية مُسلم بها، وهذا ما يُطلق عليه العلم الكاذب "pseudo-science"، الذي قد يروج له البعض لمصالح شخصية.<sup>143</sup>

## هل العلم الحقيقي يقف إلى جانب الإلحاد ويدعمه؟

### أولاً: التشكيك في الحجة الكونية.

تنص الحُجة الكونية على فرضيتين:

(1) كل ما له بداية له مسبب.

(2) الكون له بداية.

(3) النتيجة المنطقية: الكون له مُسبب.

شكك الملحدون أولاً في الفرضية الأولى للحُجة الكونية، ألا وهي قانون السببية. إن هذا التشكيك يمثل خطورة كبيرة، وذلك لأن قانون السببية كما سبق الإشارة، هو أساس العلم والبحث العلمي، فالعلم هو البحث عن المسببات. فإن دمرت قانون السببية، تكون هدمت الأساس الذي يرتكز عليه البحث العلمي.

### نظرية انعدام اليقين Uncertainty:

يلجأ الملحدون إلى الفيزياء الكيمية Quantum Physics لمحاولة التشكيك في قانون السببية، وتحديدًا لمبدأ اليقين عند هايزنبرج Heisenberg's Uncertainty Principle، ويصف هذا المبدأ عجزنا عن التنبؤ في آن واحد بموقع وسرعة الجسيمات الموجودة في الذرة particles Subatomic

(الإلكترونات)، ونتيجة لذلك يدعي الملحدون أنه إذا كانت السببية غير فعالة في عالم الذرة الداخلي، فربما تكون غير صحيحة عند تناول نشأة الكون. يُمكن الرد على هذا الإدعاء من خلال أمرين:

(1) تلك المحاولة الإلحادية تبو بالفشل، لأنها تخلط بين السببية وامكانية التنبؤ. فمبدأ عدم اليقين لا يثبت أن حركة الإلكترونات بلا مُسبب، بل فقط يصف عجزنا عن التنبؤ بموقعها وسرعتها في آن واحد. فعدم مقدرتنا على التنبؤ بشيء، لا يعني أن هذا الشيء بلا مُسبب.

(2) إن عدم القدرة على التنبؤ ناتج أن إثارة الإلكترونات، فالإلكترونات يجب إثارتها حتى يُمكن ملاحظة حركتها، وبالتالي فإن هذه الإثارة هي سبب عدم قدرتنا على التنبؤ.<sup>144</sup>

بالنسبة للفرضية الثانية، الكون له بداية، فقد حاول الملحدون تقديم نماذج بديلة لمفهوم الخلق الفوق طبيعي.

### أولاً: الاحتمالات المتعددة للنشأة

#### يوجد ثلاث احتمالات لنشأة الكون والمادة:

(1) Ex-Materia، وهي تفترض وجود مادة أولية أزلية، منها يتم صنع الكون عن طريق صانع ما، وهي لا تعنى الخلق بالمعنى الحرفي، هذه الرؤية تتفق مع فكرة أفلاطون عن الخلق، والذي كان يعتقد في أزلية المادة، وهو ما أشار إليه معلمنا بولس في رسالته إلى العبرانيين: "بِالْإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ" (عب 11: 3 فان دايك).

(2) Ex-Deo، وهي تعنى مجازًا الخلق الذاتي، أي أن الخالق أو الصانع يخلق شيئًا يحمل نفس طبيعته، وهذه الرؤية تماثل "الولادة" أكثر من الخلق، فالابن يحمل نفس طبيعة الأب الذي ولده.

(3) Ex-Nihilo، وهي تعنى إيجاد شيء من العدم، والعدم هنا يعنى اللا وجود التام، وبالتالي

فإن إيجاد شيئاً من اللاشيء هو بمثابة خلق حقيقي، حيث يتم تحويل القدرة والقوة إلى فعل حقيقي.<sup>145</sup>

الرؤية الأولى، يمكن تنفيذها، حيث إنها تفترض وجود جوهرين أزليين: جوهر الخالق الأزلي، وجوهر المادة الأزلي، وبما إن الجوهر الأزلي هو جوهر بلا بداية و بلا نهاية، إذا فهو ذو طبيعة مطلقة خارج الزمن ووجوده غير مُسبب، أي أن الجوهر الأزلي هو المطلق، ولكن المطلق يشترط ان يكون وحيداً وإلا أصبح نسبي، ولذلك فإنه من المستحيل وجود جوهرين مطلقين معاً.<sup>146</sup>

أما الرؤية الثانية، فيمكن تنفيذها أيضاً، وذلك بعد التأكيد على عدم أزلية الكون كما سبق الإشارة في الحُجة الكونية، وأنه لم يكن له وجود، ثم أتى للوجود في الزمن، لأن هذا يجعله نسبي وليس مطلقاً، لأن وجوده ليس دائماً، وبالتالي فهو سيصل لنقطة نهاية أجلاً أو عاجلاً، وبالتالي فوفقاً لهذه الرؤية فإن الإله الذي هو من نفس طبيعة مولوده يصبح نسبي أيضاً ووجوده محدد بزمن، مما يسقط عنه صفة الألوهية.<sup>147</sup>

وبالتالي، فإن المنطق والدلائل العلمية تُشير إلى صحة الرؤية الثالثة، التي تؤكد على ضرورة وجود علة أولى للوجود، تلك العلة مُطلقة وذاتية ودائمة الوجود، وهو الأمر الذي يتفق مع الحق الكتابي، الذي يعلن أن الله هو الخالق الأزلي، وهو الاصل، وهو الوجود الحقيقي الذي أوجد من العدم كياناً مادياً هو الكون. هذا الخالق استطاع بقدرته المطلقة وإراداته التامة إيجاد الكون من اللاشيء وإعطاءه نعمة الوجود من العدم: "في البدء خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" (تك:1: 1 فان دايك)، بالطبع هذه الرؤية لا تستهوي الكثير من الملحدين، الذين حاولوا الهروب من ورطة أن الكون له بداية، وبالطبع تلك البداية تستلزم وجود مُسبب أول.

145 . القس متى بديع، قضية الخلق: سلسلة قضايا دفاعية (القاهرة: بطريركية الأقباط الأرثوذكس أسقفية الشباب، (2019)، 17-19.

146. القس متى بديع، قضية الخلق سلسلة قضايا دفاعية، 20-21.

147. القس متى بديع، 31.

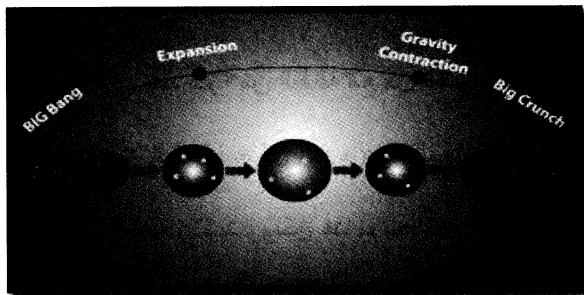
للهرب من ورطة بداية الكون وضرورة وجود مُسبب، حاول الكثير من العلماء الملحدون الخروج بالعديد من النظريات أو الفرضيات، التي تقدم تفسيرات إلهادية لنشأة الكون بعيدًا عن وجود خالق، غير أن هذه النظريات جميعًا يشوبها العديد من الأخطاء الفادحة، كما أنها لا تُطبق الشروط اللازمة للدلائل العلمية، وبالتالي فهي لا تمثل إلا مجموعة من وجهات النظر ليس أكثر، وبذلك فهي لا تتماشى مع أسس البحث العلمي، مؤكدة أن الإلحاد لا يتسند على علم حقيقي في ما يخص نشأة الكون، فالدلائل العلمية التي تُشير إلى ضرورة وجود خالق ومُسبب للكون أكثر اتساقًا مع قواعد العلم.

**ثانيًا، نماذج بديلة للخلق الفوق طبيعي والرد عليها:**

(أ) نظرية الارتداد الكوني The Cosmic Rebound (أحيانًا يُطلق عليها نظرية الكون المتذبذب

**:(Oscillating Universe)**

تُرجح هذه النظرية أن الكون في حالة دائمة من التمدد والانكماش، فهو قد بدأ بانفجار عظيم، ثم بدأ



في التمدد ثم سينكمش مرة أخرى، وبعدها يحدث إنفجارًا جديدًا، ليبدأ كونًا جديدًا، وهو سوف يبدأ بدوره في التمدد ثم الإنكماش إلى ما لا نهاية. هذه النظرية تفترض أن الكون يمر بدورات متتالية من الانفجار ثم

الإنكماش، وبالتالي فإن ما يفسره البعض على أنه بداية للكون، ليس إلا جزء من ما يمر به الكون من تلك الدورات، وبالتالي فالكون أبدي أزلي، وليس له بداية، كما لا يحتاج إلى خالق.<sup>148</sup> ما تحاول الفرضية افتراضه، هو أن عملية تمدد الكون جزءًا من دورة طبيعة ضمن دورات عديدة، ومن ثم فلا داعي لافتراض وجود بداية للكون.

للرد على هذه الفرضية، يوجد العديد من النقاط:

(1) وفقاً لهذه النظرية، فإن أي كون يكون استمراره أطول مما سبقه، وبالتالي فإنه بالعودة للوراء، يكون الكون السابق له أقصر، والذي قبله أقصر وأقصر، وهذا يجعلنا نصل إلى نقطة بداية محددة من العدم، وبالتالي فالكون ليس آزالياً.<sup>149</sup>

(2) عدم توافر دليل على وجود عدد لا نهائي من الانفجارات، بل الدلائل إن وجدت تُشير إلى أن الكون انفجر مرة واحدة من العدم، وليس مراراً من مادة موجودة.

(3) يؤكد الكثير من العلماء ومنهم تشالز بينت Charles Bennet أحد علماء "مركز جودارد لرحلات الفضاء التابع لوكالة ناسا"، أن "الكون سيستمر في التمدد إلى الأبد، فهو لن يرتد على نفسه، بل سينهار محدثاً دوياً عظيماً". فعلماء الفلك يؤكدون أن سرعة تمدد الكون تتزايد بالفعل، مما يستبعد احتمالية الإنكماش والعودة للوراء مرة أخرى لنقطة البداية.

(4) نظرية الارتداد الكوني تتعارض مع القانون الثاني للديناميكا الحرارية، وذلك لأنها تفترض خطأً، أن الكون لن يفقد قدرًا من الطاقة مع كل إنكماش وإنفجار، فلو كان الكون ينفجر وينكمش مرارًا منذ الأزل، لفقد قدرًا من الطاقة مع كل دورة هو ما يُطلق عليه "القصور الحراري"، ومع مرور الوقت نتيجة للأزل كانت كل الطاقة تلاشت، ولكن هذا لم يحدث.

(5) النظرية في ذاتها لم تشرح سبب أول إنفجار من العدم، كما لم توضح مُسببه.<sup>150</sup>

149 . هاني ماهر، 35.

150 . جايسلر وتورك، 97.

## ب) نظرية الأكوان أو العوالم المتعددة Multiverse



### :Theory

حيث يرى بعض المتخصصين في علم الكون أن الكون المنظور كما نعرفه هو مجرد فقاعة تتمدد داخل بحر هائل من الطاقة، وأن هذا الكيان الضخم يضم داخله العديد من الفقاعات،

وهو ما يُعرف "بالأكوان المتعددة". نشأت نظرية الأكوان المتعددة كجزء من تفسير إيفرت لميكانيكا الكم.<sup>151</sup>

وفقًا لهذه الفرضية فإن الكون الذي نعيش فيه ليس سوى عضو داخل كون متعدد أو داخل مجموعة من الأكوان المرتبة عشوائيًا، تلك الأكوان تتباين في ما بينها بصورة عشوائية وتتنوع في ثوابتها وكمياتها الجوهرية.

تمثل نظرية الأكوان المتعددة أهمية كبرى للملحدين، وذلك لأنها من وجهة نظرهم تُقدم تفسير لظاهرة الضبط الدقيق التي يتمتع بها الكون، وذلك لأن العدد الضخم من هذه الاكوان يُعزز احتمالية أن يكون كوننا القابل للحياة وليد الصدفة نظرًا للعدد الهائل لتلك الأكوان، وبالتالي لا حاجة إلى نظرية التصميم الذكي لتفسير الكون.

### الردود على فرضية العوالم المتعددة:

(1) لكي تتحقق المصادقية العلمية لتلك الفرضية فلا بد من وجود آلية مقبولة منطقيًا وعلميًّا، يُمكن من خلالها تكوين تلك العوالم.

(2) أيضًا يجب أن تلك الآلية ذاتها التي تكون العوالم المتعددة، أن تتسم بالضبط الدقيق، وهو ما لا يُمكن تفسيره.

151 . ستيفن ماير، العلم ودليل التصميم في الكون، ترجمة رضا زيدان (المملكة العربية السعودية- الخبر: مكتبة مؤمن قريش، 2016)، 71.

(3) الفرضية تستند على مبالغة لا تعتمد على أي حقائق ثابتة يُمكن ملاحظتها أو اختبارها، ولا يوجد

أي دليل مادي واحد عليها.

(4) إن كان عالمنا مجرد عضو داخل مجموعة من العوالم الموزعة عشوائيًا، فهذا يؤدي إلى

احتمالات كبيرة لأن يفقد الفضاء الكوني حولنا النظام، وهذا غير حادث.<sup>152</sup>

(5) عدم مقدرتنا على ملاحظة هذه الأكوان، وهو ما قد أترف به ستيفن هوكينج، حين أقر باستحالة

إثبات وجود هذه الأكوان مهما تقدمنا في التكنولوجيا، وذلك وفقًا لنظرية "أفق الجسيم"، والتي تُحدد أن أي

شيء أو جهاز أو حتى ضوء سوف نرسله لهذه الأكوان، فزمن وصوله ثم رجوعه من هذه الاكوان حتى

نتمكن من رؤيته، سيكون حتمًا بعد اختفاء كوننا الحالي لأنه سوف يستغرق مليارات السنين الضوئية.<sup>153</sup>

يقول وليم لين كريج: "العوالم المتعددة فكرة بحتة بلا برهان علمي، فهي ميتافيزيقا (مفهوم يقع

خارج إطار الملاحظة العلمية) بحتة. ولا يوجد سبب حقيقي لتصديق وجود مثل هذه العوالم المتوازية. إن

المتشككين سيفترضوا أي شيء لتجنب الوصول إلى ضرورة وجود مُسبب ذكي، حتى لو كان هذا من خلال

نظرية غريبة كهذه". وفي نفس السياق يقول كليفورد لونجلي: "إن منظر الملحدّين العلميين وهم يتعلقون بمثل

هذه القشة، قد وضع قفزة جديدة في طريق المؤمنين".<sup>154</sup>

### ج) الزمن التخيلي Imaginary Time:

طرح ستيفن هوكينج Stephen Hawking، نظرية تستخدم الزمن التخيلي لمحاولة تفسير بداية

الكون، غير أنه هو ذاته أقر أن نظريته هي مجرد مقترح "ميتافيزيقي" لا يستطيع أن يُفسر ما حدث في

152 . كريج، 142-145.

153 . ماهر، 36.

154 . ستروبل، القضية الخالق، 180.

الزمن الحقيقي، وذلك لأن "في الزمن الحقيقي الكون له بداية". باعتراف هوكينج نفسه، فإن نظريته التخيلية تتلاشى عندما تُطبق على العالم الحقيقي.<sup>155</sup>

#### (د) القوانين الفيزيائية هي التي أوجدت الكون

بالطبع هذا غير مقبول، لأن القوانين الفيزيائية ليست قوة فاعلة، فهي لا تسبب حدوث شيئاً، ولكنها فقط تصف الكيفية التي تقوم عليها الأشياء، فقوانين الفيزياء تصف دوران الأرض وجاذبيتها، ولكنها لا تخلقها من عدم. ولهذا يتسأل الملحد الشهير أنتوني فلوي Antony Flu، في كتابه "There is God" بعد أن أعلن إيمانه: "من أوجد هذه القوانين الدقيقة التي للطبيعة؟... لا بد من وجود الله".<sup>156</sup>

يُمكن النظر إلى تاريخ علم الكون "الكوزمولوجيا" في القرن العشرين، بوصفه سلسلة من المحاولات النظرية الفاشلة التي تسعى إلى تجاهل فكرة بداية الكون، ومن ثَمَّ ضرورة وجود مُسبب له. والشيء الثابت الأكيد، أنه بعد أكثر من ثمانين عاماً على بداية البحث في نشأة الكون، يظل الاعتقاد الأساسي أن الكون له بداية محددة في الزمن، وبالتالي لا بد أن يكون له مُسبب. إن هذا التأكيد يؤكد على أن العلم يقف في صف الإيمان، وأن الإلحاد يقف وحيداً دون داعٍ في قضية نشأة الكون.

#### ثانياً: التشكيك في الحجة الغائية.

تنص الحجة الغائية علي التالي:

- (1) لكل تصميم مصمم.
- (2) الكون له تصميم شديد التعقيد.
- (3) إذن الكون له مصمم.

155 . جايسلر وتورك، 98-99.

156 . ماهر، 38-39.

هناك من يرفض مضمون التصميم، وذلك لأن وجود التصميم يتضمن وجود الغاية، ووجود الغاية يستدعي بالضرورة أن يكون هناك إرادة عاقلة، وخلف الإرادة تقع ذات واعية، وهنا يكمن الإشكال. فالتصميم يعني الغاية، والغاية تقود إلى ضرورة وجود مُصمم ذكي يوجه كل ما في الكون. إن من يرفض التصميم ويرجعه للصدفة يقع عليه عبء الأثبات، أي عليه أن يقدم فرضيات أو نظريات تفسر كيف يُمكن للصدفة أن تخلق مثل هذا الانتظام والنظام، فاحتمال أن تكون الصدفة هي التي أنتجت كونًا منتظمًا هو ما يحتاج إلى تبرير، وليس أن الكون الذي يمتلك تصميمًا ويشير إلى ضرورة وجود مصمم ذكي هو ما يحتاج إلى تفسير.

التصميم داخل الكون يشمل ثلاث أمور هامة، أولاً الضبط الدقيق الذي يتسم به الكون، ثانيًا تصميم الحياة وأصل الكائنات الحية، ثالثًا تصميم الإنسان باعتباره أكثر الأنظمة البيولوجية تعقيدًا. وقد قام الملحدون بالتشكيك في الأمور الثلاثة من خلال وضع إفتراضات ونظريات تحاول أن تخرج الله من الصورة.

(أ) **الضبط الدقيق**، حاول الملحدون تجاهل مبدأ الضبط الدقيق الذي للكون ومن ثم استبعاد الله من

الصورة، وذلك عبر تخيل فرضية الأكوان المتعددة التي سبق الإشارة إليها.

فالعديد من الملحدين يعترفون بالتصميم، ولكنهم ينكرون وجود مُصمم، ويرجعون كل هذا للصدفة. ولكن مع كثرة الثوابت، والإحتمالية التي تصل إلى صفر تقريبًا، ما لم يكن هناك ذكاء، أضطر الملحدون إلى اقتراح فكرة جديدة وهو نظرية الأكوان المتعددة.

**نظرية الأكوان المتعددة**. تفترض وجود عدد لا نهائي من الأكوان ولكل منها ظروف وأوضاع رقمية مختلفة من النسب والثوابت الأساسية، وأنه فقط الحظ هو ما وضعنا في كون يحوي الظروف المناسبة للحياة، فنحن من ربنا اليانصيب الكوني. إن الغرض الأساسي من الفرضية هو جعل الإحتمالية الخاصة بالصدفة أقرب للحدوث من خلال وجود عدد لا نهائي من المحاولات.

في المقابل فإنه حتى لو وُجدت مثل تلك الأكوان، فهي ستتطلب ضبطاً دقيقاً لكي تبدأ مثلما بدأ كوننا، وبالتالي فافتراض وجود أكوان متعددة لا يلغي ضرورة وجود مُصمم، بل يزيد من تلك الضرورة. فكل النماذج الكونية بما فيها تلك الأكوان، تتطلب آلية لتوليدها، كما إن المولد للكون ذاته سيحتاج إلى إعداد أوضاع فيزيائية دقيقة، وهي بدورها تحتاج لمصمم ذكي. فنحن نعرف بخبرتنا أنه هناك مصانع (آلات) يمكنها إنتاج آلات، ولكن تلك الآلات ذاتها تحتاج إلى مصمم ذكي.<sup>157</sup>

إن نظرية الأكوان المتعددة مجرد محاولة يائسة لتجنب تداعيات التصميم، ولكن اللافت للنظر هو سؤال: لماذا يلجأ الملحدون لمثل هذه الفرضية التي بلا أي دليل؟ قطعاً سوف تكون الإجابة بسبب النتائج العظيمة المترتبة على حُجة التصميم، مما يزيد من قيمتها بالطبع.<sup>158</sup>

كما إن فرضية المصمم الإله أبسط وأشمل من فرضية الأكوان المتعددة، ففرضية الإله مدعومة بالعديد من الأدلة، كما أنها تفسر الكثير من الخصائص المستقلة والمنفردة للكون، بينما فرضية الأكوان المتعددة لا تستطيع ذلك، لأنها وضعت لغرض واحد وهو محاولة تفسير الضبط الدقيق. وبالتالي يقول الفيزيائي جون بولكينغورن: "إننا نعيش في عصر يحدث فيه نهضة عظيمة للاهوت الطبيعي، وهذه النهضة تحدث بين العلماء".<sup>159</sup>

### (ب) تصميم الحياة، وأصل الكائنات الحية

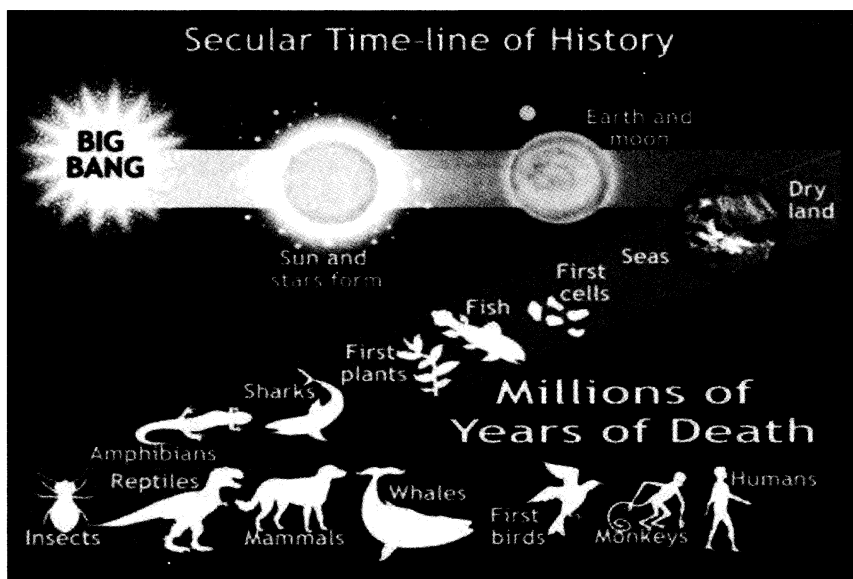
يؤمن الملحدون بأن الأرض أصبحت مهيأة للحياة منذ 4.6 مليار سنة. حيث تكونت المياه عليها، ثم تحولت بجانبها بعض المواد غير العضوية إلى أخرى عضوية، وكونت ما يعرف "بالشوربة العضوية Organic soup"، ومنها تكونت أول خلية حياة وهو ما يعرف باسم "التطور الكيميائي"، ثم أول كائن

157 . ماير، العلم ودليل التصميم في الكون، 72-73.

158 . جايسلر ونورك، 118-120.

159 . ماير، 74-75..

أحادى الخلية (أميبيا)، ثم كائنات مائية وهكذا بدأت سلسلة التطور التى إستغرقت ملايين السنين وإنتهت بالإنسان الحالي أخيراً، وهو ما يُعرف باسم "التطور البيولوجي".<sup>160</sup>



ارتبط الإلحاد كعقيدة بفرضية التطور كعلم، حيث أن فرضية التطور هي من يمنح الإلحاد فرصة الوجود، حيث إنها توفر تفسيراً لمُسبب وجود الحياة، لأنه بدون وجود خالق مُسبب نعجز عن تفسير علة وجود الكائنات الحية. ومن الجهة الأخرى، فإن التطور يحتاج إلى دفاع الملحدِين المُستمتتِ عنه، لأنه فرضية غير علمية بالمعنى التقليدي كما سنرى.

من المتعارف عليه في علم الأحياء، أن الحياة لا تنشأ إلا من حياة، وهو ما يعرف باسم قانون "التوالد الحيوى law of biogenesis"، وهو ما سبق الإشارة إليه. يعد هذا القانون حديثاً على المجتمع العلمي، حيث كان السائد حتى نهاية القرن التاسع عشر أن الحياة يمكن أن تنشأ من مادة غير حية من خلال عملية تسمى "التوالد التلقائي". فقد اعتقد قدماء المصريين أن الفئران تنشأ من طين النيل، ولكن في عام

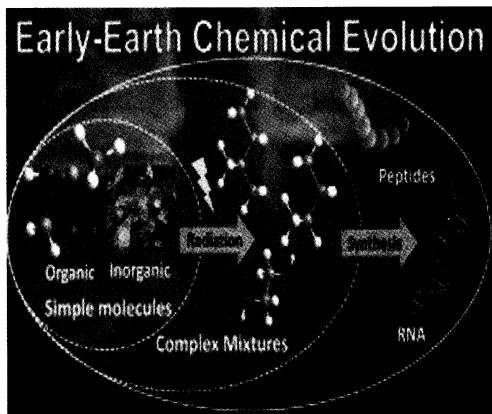
1650م أثبت العالم الإيطالي فرانشيسكو ريدي أن الديدان تأتي من ذباب حي وليس من قطعة لحم بلا حياة، وكان هذا ضربة موجعة لمعتقدي التلقائي، ولكن عندما تم إكتشاف البكتريا والكاننات الدقيقة، تجدد الإعتقاد ولكن على مستوى الكائنات الدقيقة، إلا أنه تم القضاء على الفكرة تمامًا من قبل العالم لويس باستير الذي أكد أن البكتريا لا تأتي إلا من بكتريا حية. كان هذا الإكتشاف صدمة لمعتقدي الأفكار التطورية حيث أنهى على عقيدة "التوالد الذاتي"، ولكن الغريب أن تلك الأفكار يُعاد إحياءها على نطاق واسع من قبل المجتمع العلمي، و لكن باسم جديد يُدعى "التطور الكيميائي". يقول مؤيد التطور سيريل بونامبيروما: "من المفارقات أن نخبر الطلاب المبتدئين في علم الأحياء عن تجارب باستير باعتبارها إنتصار للعقل على التصوف، ومع ذلك فأنا نعود إلى التوالد التلقائي، وإن كان بمعنى أكثر دقة وعلميًا، إلا وهو "التطور الكيميائي"<sup>161</sup>.

**التطور الكيميائي chemical evolution:** هو افتراض أنه على الأرض البدائية، تم تجميع مزيج من المواد الكيميائية البسيطة التي نتجت من الانفجار العظيم في أنظمة جزيئية أكثر تعقيدًا، والتي جاءت منها في النهاية أول خلية حية عاملة.<sup>162</sup> وهو أحيانًا يعرف بأسم "law of abiogenesis"، حيث يُعتقد أن الحياة نشأت وتطورت بالصدفة منذ ملايين السنين دون تدخل آلهي.

161. ديفيد منتون، أصل الحياة، موقع answersingenesi، تاريخ الاقتباس: مايو 2024.

<https://answersingenesi.org/origin-of-life/origin-of-life-chance-events>

162. ميلاني بينغتون، التطور الكيميائي نظرة عامة، موقع science direct، تاريخ الاقتباس: مايو 2024.  
[https://www.sciencedirect.com/topics/earth-and-planetary-sciences/chemical-evolution#:~:text=The%20modern%20theory%20of%20chemical,first%20functioning%20cell\(s](https://www.sciencedirect.com/topics/earth-and-planetary-sciences/chemical-evolution#:~:text=The%20modern%20theory%20of%20chemical,first%20functioning%20cell(s)



يعتقد أنصار التطور أن الحياة تطورت تدريجيًا

في سلسلة طويلة من المراحل. بدأت المرحلة الأولى بالانفجار العظيم الذي أنتج سحابة واسعة من غاز الهيدروجين، ومع الوقت تحول الهيدروجين إلى جميع العناصر الكيميائية الأخرى، والتي أنتجت لاحقًا غاز الأمونيا وغاز الميثان وبخار الماء في الغلاف الجوي

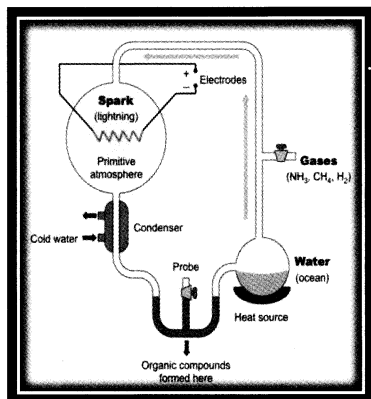
البداية للأرض. وعن طريق هذه الغازات بدأت الحياة، حيث تحولت تلك المواد في المرحلة الثانية إلى جزيئات عضوية بسيطة مثل الأحماض الأمينية والنيكلوتيدات. وفي المرحلة الثالثة كما يعتقد التطورين، تجمعت تلك الجزيئات البسيطة في سلاسل تسمى: "البوليمرات" (وأهمهم البروتينات وهي بوليمرات الأحماض الأمينية، والأحماض النووية وهي بوليمرات النيكلوتيدات). وفي المرحلة الأخيرة تحولت البوليمرات إلى شكل من أشكال الحياة المعقدة منتجة الخلية الأولى.<sup>163</sup>

قام العلماء بعدة محاولات لإثبات إمكانية حدوث التطور الكيميائي حتى يكون لفرضيتهم تطبيق يُمكن قبوله، مثل تجربة ستانلي ميلر عام 1953م، وجميعهما لم يُثمر عن النتائج المنتظرة، ولذلك فقد أجمع العلماء على استحالة تكوين خلية حية من مواد غير عضوية، وإستحالة تكوين مواد عضوية من أخرى غير عضوية دون ظروف إضافية.<sup>164</sup> يقول د. ديفيد جرين في كتابه "رؤى جزيئية في العملية الحية": "يعتبر الانتقال من جزئي إلى خلية، قفزة ذات أبعاد رائعة، ولكنها تقع خارج نطاق الفرضيات القابلة للاختبار. ولذلك فكل شيء في هذا المجال قابل للتخمين".<sup>165</sup>

163. د. ديفيد منتون، "أصل الحياة"، موقع answersingenesis، تاريخ الاقتباس: مايو 2024.

164. ماهر، العلم و حقيقة وجود الله، 53.

165. منتون، "أصل الحياة"، موقع answersingenesis، تاريخ الاقتباس: مايو 2024.



## الصدفة المعروفة بتجربة ميلر سنة 1953م

قام العالم ستانلي ميلر Stanley Miller (1930-2007م)

بتجربة افترض فيها أن مكونات الغلاف الجوي للأرض البدائية هي:

غاز الامونيا + غاز الهيدروجين + غاز الميثان + بخار الماء) ثم قام

بتمرير تيار كهربائي عليهم في أنابيب المعمل كتمثيل للصاعقة.

فتحولت هذه المواد الغير عضوية بعد أيام إلى مواد

عضوية "أحماض أمينية"،<sup>166</sup>

رغم عظمة هذه التجربة إلا أنها لا تفسر الحياة كما إنها بها بعض المغالطات:

فيوجد مشاكل عديدة تمنع تكوين مواد عضوية من أخرى غير عضوية، وكلها تجعل عملية التطور

الكيميائي عملية مستحيلة فمثلاً:

(1) يجب تواجد غاز الامونيا والميثان بتركيز عالي جداً في الغلاف الجوي، هذا مخالف للطبيعة.

(2) يجب أن يكون الضغط الجوي منخفض جداً، وهذا أيضاً منافي للحقيقة.

(3) يجب أن يكون هناك مصادر للتسخين الشديد حتى الغليان ثم التبريد السريع، وهذا لا يمكن حدوثه

خارج المعمل.

(4) يجب أن يتوفر مصدر طاقة دائم (صاعقة تحدث بطريقة مستمرة)، وأن يكون في طريقها غازات

باستمرار، وهذا أمر لا يخضع للصدفة، كما أنه ما من سبيل لاستخراج هذه الطاقة الخام من الطبيعة، سواء

من البرق أو الشمس، لجعلها تدفع عملية التطور الكيميائي قدماً.

(5) يجب أن تظل المواد التي تكونت بالصدفة باردة محمية من أي حرارة، ويجب أن تُعزل سريعاً حتى لا تتكسر أو تتلف بفعل مركبات مثل هيدروكسيد الصوديوم.

(6) يجب أن تتم عملية فرز للأحماض الامينية، بحيث تعزل اليسارية عن اليمينية، لأن اليسارية فقط تدخل في تكوين الكائنات الحية، وبالتالي يجب عزلها وجعلها تترابط بطريقة تخالف الطبيعة وخاصة في وجود المياه التي تجعلها تتناثر.

كل تلك الخطوات يجب أن تحدث وتكرر بشكل منظم وفي أماكن قريبة من بعضها حتى يحدث تفاعل، وهو أمر مستحيل حدوثه طبيعياً، كما يجب تفادي المشاكل التي تعوق العملية بشكل منظم. ولكن الأمر الأكثر إدهاشاً، أنه حتى لو تجمعت كل المكونات المطلوبة بكميتها وفي مكانها المناسب، هذا لا ينتج خلية حية، فلو تم عزل مكونات خلية في أنبوب معمل، هل هذا يمكن أن ينتج حياة؟، بالطبع لا. بالإضافة إلى أن ميلر لم يضع في تجربته الأكسجين رغم ضرورته الحياة لأنه كان يعلم أنه لو وجد الأكسجين لانفجرت التجربة بالكامل.<sup>167</sup>

يقول فريمان دايسون، الفيزيائي النظري وعضو الأكاديمية الأميركية للعلوم: "ما من دليل مباشر على أصل الحياة نفسها، ولا على الخط الفاصل بين الكيمياء وعلم الأحياء، والانتقال من النشاط الكيميائي الذي بلا حياة، إلى الأيض البيولوجي المنظم. إن الانتقال الحاسم من الفوضى إلى النظام لم يخلف وراءه أية آثار يمكن ملاحظتها". أن فحص أصل الحياة يتم من خلال فحص مجالين: (1) نجاح العلماء في خلق الحياة ومكونات الخلية الحية، (2) احتمال حدوث هذا بالصدفة في الطبيعة!<sup>168</sup>

167. ماجد غالي، "التطور العضوي واحتمالية تكوين بروتين بسيط"، موقع هول بايبل، تاريخ الاقتباس: مايو 2024.

<https://www.drghaly.com/articles/display/12400>

168. مايك ريدل، إجابات جديدة<sup>3</sup>، هل لنظرية التطور فرصة؟ (لبنان: مركز مورغان للنشر و الإعلام، 2021)،

في منتصف القرن العشرين، قام العديد من العلماء المتخصصين في عدة مجالات بتوحيد وجهات نظرهم في نظرية التطور، وأطلقوا على رؤيتهم مُسمى "الدروانية الحديثة"، فرع واحد من العلوم لم يُدع إلى

هذا اللقاء وهو فرع "الكيمياء الحيوية". وذلك لأن الخلايا

الحية محطات هائلة التعقيد من أنظمة غير قابلة للإختزال.

وبالتالي فإن الإدراك الناشئ بأن الحياة مصممة بواسطة ذكاء قد

حقق صدمة في القرن العشرين. فالوسط العلمي يصاب بالشلل

التام تماما عند مواجهة التعقيد المذهل الذى كشفت عنه الكيمياء

الحيوية الحديثة في الخلية، لأن جوهر الحياة الخلوية هو

التصميم، إذ تتحكم الخلية بكمية ونوعية الكيماويات التى

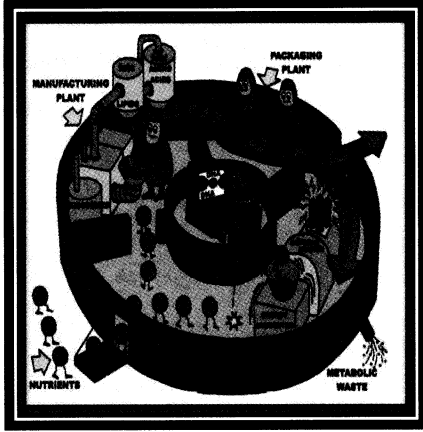
تصنعها وتموت عند فقد هذا التحكم كما أنها لا تسمح بالتفاعلات العفوية. ولذلك فالحياة تعتمد على آلات

مصنوعة من جزيئات، تلك الجزيئات عالية التعقيد وتتحكم بكل عملية حيوية. وبالتالي فإن تفاصيل الحياة

معايرة بدقة وآلة الحياة بالغة التعقيد. وأذا بحثنا في كيفية تطور تلك الآلات الجزيئية، والتى هى أصل الحياة،

سنجد صمماً مطبقاً، فلا يوجد منشور يصف التطور الجزيئى لأي نظام بيو كيميائى حقيقى معقد سواء حول

وجوده أو حتى كيف نظن انه وجد سابقاً.<sup>169</sup>



169 . مايكل بيهي، صندوق داروين الأسود تحدى الكيمياء الحيوية لنظرية التطور، ترجمة د. مؤمن الحسن ود. أسامة إبراهيم وآخرون (الاسماعيلية: مراكز براهين للأبحاث و الدراسات، 2018)، 19-20.

## التطور الجزيئي (الكيميائي) تصميم أم صدفة عشوائية

البعض يدعى امكانية حدوث هذا التحول الحيوي عن طريق الصدفة على مر السنين، ولكن يقول

ألكسندر كيرنز سميث أحد الكيميائيين البارزين: "الصدفة العمياء محدودة جدًا. إنها قادرة على إعطاء نتائج

من تسلسلات صغيرة ولكنها تظل عاجزة كلما زادت كميات البيانات المنظمة (المعلومات) المطلوبة".<sup>170</sup>

عندما يقول العلماء بان شيئاً ما قد حدث بالصدفة، فأنهم لا يقصدون وجود كينونة تُدعى "الصدفة"

تسببت في حدوث شئ ما، وإنما يقصدون وجود عملية تنتج عدد من النتائج، لكل منها فرصة أو احتمالية

حدوث. وهذا أمر هام لأنه يطرح سؤال: "هل تشكل فرضية الفرصة في نشوء الحياة فرضية مُعتبرة؟، أم

أنها غطاء فارغ يخفي تحته الجهل؟. فما هي احتمالية نشأة المعلومات الضرورية لإنتاج الحياة الأولى؟.

لقد سلمت معظم فرضيات الصدفة بعدم إمكانية نشأة الحياة دون أن يظهر أولاً معلومات جينية، ولذلك على

العلماء أن يفسروا (1) مصدر معلومات الذى أن إيه DNA، (2) إمكانية ظهور بروتينات مباشرة دون

DNA. لقد تصور واضعوا فرضيات نشأة الحياة وجود بيئة قبل حيوية prebiotic مناسبة وغنية بأحجار

البناء العضوية، و أطلق عليها "الحساء قبل الحيوى primordial soap"، وقد تم افتراض أن هذا الحساء

يشكل مصدرًا غنيًا بالمكونات الكيميائية الضرورية لبناء البروتينات والأحماض النووية، كما إنه منح

الفرصة لتركيب أحجار البناء وإعادة ترتيبها لتشكيل جزيئات مناسبة أكبر حجمًا، وشبه البعض تلك العملية

ب"اليانصيب الكوني".<sup>171</sup>

170. ستيفن ماير، توقيع في الخلية الدنيا وآلة التصميم الذكى، ترجمة د.ألاء الحسكى ومهند التومى وأخرون (الاسماعيلية: مركز براهين للأبحاث والدراسات، 2017)، 237-264.

171. ماير، توقيع في الخلية الدنيا وآلة التصميم الذكى، 237-264.

أن الوحدة الهيكلية للكائنات الحية هي الخلية، والخلية تتكون من آلاف المكونات، أحدهما البروتين. فالبروتينات هي عبارة عن جزيئات كبيرة تتكون من سلسلة من الأحماض الأمينية. وللحصول على بروتين مفيد للحياة، لا بد من ربط الأحماض الأمينية الصحيحة معًا بالترتيب الصحيح.

ما مدى سهولة حدوث هذا بالصدفة في الطبيعة؟، هناك سبع معايير من شأنها أن تؤثر في تشكيل

### البروتين الواحد:

(1) هناك أكثر من 3000 نوع من الأحماض الأمينية، ومع ذلك يُستخدم فقط 20 حمضًا أمينيًا في الحياة، وبالتالي فإن عملية الاختيار يجب أن تكون شديدة التمييز.

(2) يأتي كل نوع من جزيئات الحمض الأميني في شكلين، يشار إليهما عادةً بالشكل الأيسر والأيمن، وحدها الأحماض الأمينية اليسرى تُستخدم في البروتينات البيولوجية، مع العلم بأن الأحماض الأمينية اليسرى واليمنى تميل طبيعيًا إلى الترابط دون تمييز.

(3) يجب أن تترابط الأحماض الأمينية المختلفة ضمن الترتيب الصحيح وإلا فإن البروتين لن يعمل بالشكل الصحيح.

(4) لو وُجدت ما يعرف "بالشورية العضوية" التي يفترضها أنصار التطور الكيميائي، فأنها ستكون قد خففت بالعديد من الأنواع الخاطئة من الأحماض الأمينية والمواد الكيميائية الأخرى المتاحة للترابط، مما يجعل فرصة استخلاص الأحماض الأمينية الخاصة أمر غير قابل للحدوث.

(5) الأحماض الأمينية تتطلب مصدرًا للطاقة من أجل الترابط، وبالتالي يجب التقاط الطاقة الخام من الشمس وتحويلها إلى طاقة قابلة للاستخدام، وهذا يحتاج إلى محول بيولوجي للطاقة، هو نفسه يحتاج طاقة لبنائه!!!

(6) البروتينات التي بدون حماية غشاء الخلية من شأنها أن تتفكك في الماء (التحلل المائي)، وتتحلل بسبب الأشعة البنفسجية للشمس، و تتفكك في الغلاف الجوي بالأكسجين.

(7) لا يمكن التذرع بالأصطفاء الطبيعي في المستوى قبل الأحيائي، يجب أن تكون الخلية الأولى

جاهزة قبل أن يعمل الأصطفاء الطبيعي.<sup>172</sup>

علم الاحتمالات يستبعد صدفة التطور الكيميائي

يتم قياس نتائج الاحتمالات بقيمة تتراوح من صفر إلى واحد. كلما قلت احتمالية وقوع حدث، كلما

اقتربت قيمة الاحتمال من الصفر، وكلما زادت احتمالية الحدث، كلما أقتربت القيمة إلى واحد صحيح.

يتراوح حجم البروتينات من 50 إلى أكثر من 30000 حمض أميني. وللحصول على بروتين صغير

مكون من 100 حمض أميني أيسر من خليط متساوي من الأحماض الأمينية اليسرى واليمنى، بالصدفة هو

احتمال يساوي 1 من 10 أس 30 صفرًا، هذا الاحتمال فقط للحصول على أحماض أمينية كلها يسرى.

ولكن ماذا عن الترتيب الصحيح لكي يعمل البروتين؟

احتمال الحصول على كل المئة حمض أميني في الموضع الصحيح هو احتمال واحد يساوي 1 من

10 أس 130 صفرًا.

لقد اقترح عالم الرياضيات إميل بوريل احتمال من 10 أس 50 صفرًا كونه احتمالاً عالمياً ملزمًا،

مما يعنى أن أي حدث يزيد عن هذا الحد سيكون غير محتمل ولا يمكن أن ينسب للصدفة. أن فرصة تكوين

بروتين واحد صغير تتعدى هذا الرقم بكثير، ولكن ماذا عن الحياة بشكل عام؟<sup>173</sup>

ويقول فريد هويل: "هناك 2000 إنزيم (بروتين) معقد مطلوب لحياة أبسط كائن حي، ولكن المشكلة

هى أنه لا يمكن تكوين أي منهم على الأرض بالصدفة من خلال عمليات الخلط العشوائية الطبيعية"، وهو

172. ريدل، إجابات جديدة<sup>3</sup>، هل لنظرية التطور فرصة؟، 181.

173. ريدل، إجابات جديدة<sup>3</sup>، هل لنظرية التطور فرصة؟، 183-184.

الأمر الذى يؤيده بول ديفس عالم أحياء الفضاء قائلاً: "لا أحد يعرف كيف خليط من كيمائيات غير حية يمكن أن ينظم نفسه ليوجد أول خلية حية".<sup>174</sup>

أن أبسط خلية حية هي المقطورة التناسلية *mycoplasma genitaliam*، وهي بكتريا متناهية الصغر، ولكنها تحتاج 482 جيناً لتنجز وظائفها الضرورية، بالإضافة إلى 562000 أساس DNA لتركيبة هذه الجينات (وهو ما يتضمن العديد من الأحماض الأمينية).

إن احتمال تكوين بروتين وظيفي واحد صغير نسبياً (150 حمض أميني) عن طريق الصدفة في الحساء قبل الحيوى، هو احتمال واحد من 10 أس 164، وهو احتمال أصغر بتريليون تريليون تريليون تريليون تريليون تريليون مرة احتمال إيجاد جسم صغير وحيد محدد من بين جميع الجسيمات الموجودة في الكون.<sup>175</sup>

البعض يفترض أن الوقت قادر أن يجعل المستحيل ممكناً "الوقت يصنع المعجزات". علماء التطور يفترضون أن عمر الكون 13.5 بليون سنة، أي ما يساوي 425736 \* 10 أس 12 ثانية، وبقسمة عدد الاحتمالات لصنع بروتين صغير مكون من 100 حمض أميني على عدد الثواني منذ بداية الكون، يكون عدد محاولات الطبيعة في الثانية الواحدة هو 10 أس 112، وهو أمر مستحيل الحدوث.<sup>176</sup>

تتكون المادة الوراثية في أي كائن حي من جينات، و الجين هو وحدة من الدى أن أيه، سواء تنظيماً أو يعبر عن صفة وراثية محددة عن طريق انتاج بروتين.

174 .غالى، التطور العضوي.

175 . ماير، توقيع فى الخلية الدنا وآلة التصميم الذكى، 271-285.

176 . غالى، التطور العضوي.

الجين يتكون من عدد من النيكلوتيدات (وحدات أصغر) تم ترتيبهم ووربطهم بشكل دقيق. أن أصغر جين يتكون من 500 قاعدة وبالتالي فإن احتمال تكوينه بالصدفة هو احتمال من  $2.6 \times 10^3$  أس 300، وهو أمر مستحيل. فالدى أن أليه هو رسالة ذكية بها محتوى معلوماتي في حروفها وكلماتها، وهي ليست نتيجة لأمر عشوائي، فالمعلومات يجب أن تكون نتاج ذكاء لأن الصدفة والعشوائية لا تستطيع أن تكتب هذه الرسالة الدقيقة. وحتى إفتراض الطفرة، ليس في صالح إنتاج جين، لأن الطفرة تؤدي إلى تدهور واتلاف الجينات وليس العكس. فاحتمال انتاج جين جديد عن طريق حدوث طفرة مفيدة هو احتمال 1 من 10 أس 1000.<sup>177</sup> لم يستطيع العلماء انتاج جين واحد بظروف مشابهه للطبيعة، فيوجد عقبات كثيرة تمنع ذلك مثل:

(1) وجود املاح الكالسيوم التي تجعل عنصر الفوسفات

الذي يدخل في تركيب أي جين يترسب.

(2) ترابط النيكلوتيدات يحتاج إلى نزع مياه، وهو عكس

إفتراض أن الجين نكون في مجتمع مائي.

(3) التفاعلات الكيميائية التي تتم في الطبيعة تميل إلى

الإنحلال و التفكك (القانون الثاني للديناميكا الحرارية)، يقول

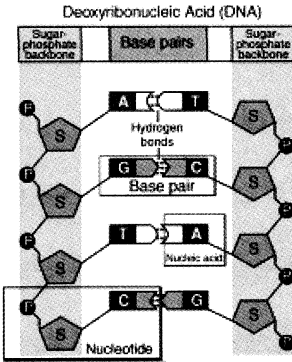
جورج والد: "إن تلقائية التحلل هو احتمالية أعلى بكثير جداً وتحدث أسرع جداً من تلقائية التركيب".

(4) يقول مايكل بتمان: "الوقت لا يساعد، فالمركبات العضوية خارج النظام الحي تتكسر بعامل

الوقت ولا تتجه إلى البناء".

(5) الجين إذا تكون بهذه الظروف الخارقة، فهو لا يزال غير حي، أي لا يستطيع أن ينقسم ذاتياً

لوحده بدون وجوده ضمن مكونات الخلية، ولا يستطيع أن ينتج بروتين واحد بدون مكونات الخلية القادرة



على قراءته وترجمته. في الخلية الحية، يتم إنشاء رموز الحمض النووي بالبروتينات والحمض النووي نفسه باستخدام البروتينات، أنها حالة تشبه دجاجة وبيضة.<sup>178</sup>

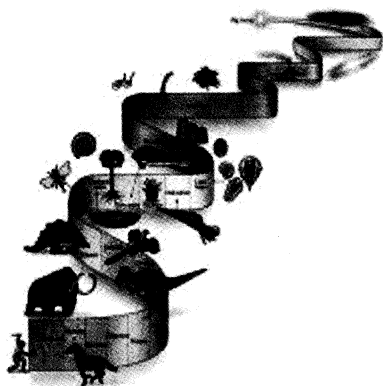
يبقى الاستنتاج المنطقي هو: أن "التطور الكيميائي" أمر غير قابل للحدوث بدون عقل منظم وتحت ظروف خاصة لا تتوفر في الطبيعة، كما أن ملايين السنين إن وجدت لا تقوم بحل أي مشكلة بل تزيد من صعوبة الأمر بسبب "قانون الفوضى law of entropy"، الذي ينص أن "الأشياء تتهاك مع الزمن ولا تنتظم"، وبالتالي فإن كل الدلائل تؤكد على استحالة تحول المواد الغير عضوية إلى عضوية في الطبيعة، كما لا يمكن أن تنشأ فيها الحياة بالصدفة، وبالتالي فإن الإلحاد لا يستند على علم حقيقي، بل يظل الأمر المدعّم بأدلة هو ضرورة وجود خالق ومسبب للحياة.

### التطور البيولوجي Biological evolution: يتم تعريف "التطور البيولوجي" على أنه: "التغيير

عبر الزمن"، فأنصار التطور يعتقدون بأن جميع أشكال الحياة تتحدّر من جد مشترك واحد أو من عدة أجداد كانوا موجودين على الأرض في وقت مبكر منذ ما يقرب من 3-4 مليارات سنة. وأن الحياة بدأت من مستنقع راكد تحولت فيه المواد الكيميائية الغير حية إلى خلية حية مع مرور الزمن ولأسباب طبيعية. وفقاً لنظرية داروين للتطور، تقوم الطبيعة بعملية تسمى "الانتخاب أو الاصطفاء الطبيعي"، وهي العملية التي يعتقدوا أنها هي القوة الدافعة وراء عملية التطور، حيث تقوم الطبيعة باصطفاء الكائنات الحية الأكثر تأقلماً مع البيئة المحيطة، وتمرر صفاتها الجينية بأعداد متزايدة إلى الأجيال القادمة، في حين الكائنات الأقل تأقلماً تميل إلى الإختفاء مع الوقت.<sup>179</sup>

178 . غالي، التطور العضوي.

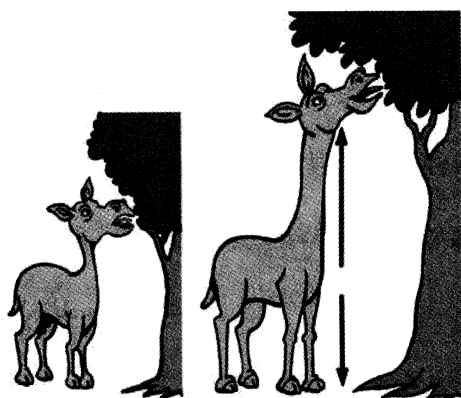
179. جورجيا بوردوم، حقائق تحت المجهر خلق أم تطور، هل نظرية التطور هي نفسها الاصطفاء الطبيعي؟ (لبنان: مركز مورغان للنشر و الأعلام، 2018)، 255.



إن التطور هو التغيير بعامل الوقت، فهو يتضمن التحول أو النشوء التدريجي من شكل بسيط إلى شكل أكثر تعقيداً، والتطور الكبير (Macro-Evolution)، يختلف عن التنوع Variation الذى يُطلق عليه البعض (Micro-Evolution)، الذى يحدث ونلاحظه ونختبره في التنوع بين الكائنات

داخل النوع الواحد، فيحاول بعض العلماء عن طريق إضافة عامل الوقت، افتراض إمكانية حدوث التطور، ولكن هذا ليس صحيح لأن التنوع لا يتم بواسطته إضافة معلومات أو إكتساب صفات جديدة مهما طال الوقت، وبالتالي فإن التنوع لا يمكن أن ينتج تطوراً بالمعنى الذى يقصدونه.<sup>180</sup>

لقد ترسخت فكرة التطور والاصطفاء الطبيعي في الأدب، ولكن تشالز داروين كان في حاجة إلى غطاء أو آلية تشرح فكرته من الناحية العلمية، فوجد ضالته في الافتراض الذى أقترحه باتيست لامارك في



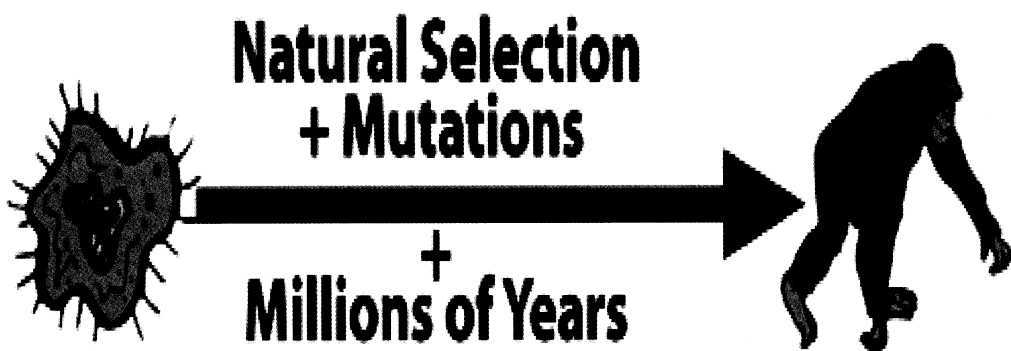
كتابه "philosophie zoologique" الذى نشر في عام 1908م. فقد افترض لامارك أن الكائنات الحية تتطور بسبب عوامل بيئية واستعمال أو إهمال الخصائص (مثل عنق الزرافة)، فقد افترض أن الصفات المكتسبة يمكن أن تورث. تأثر تشالز داروين بأفكار لامارك فقد أفترض فكرة "شمولية التخليق"، وهي آلية يتم بها تورث الصفات

المكتسبة من الوالدين للأبناء اعتماداً على استعمال الأجهزة وإهمالها على مدى عصور طويلة.<sup>181</sup>

180 . ماجد غالي، "التطور الكبير والطفرة"، موقع هولي بايبل، تاريخ الإقتباس: مايو 2024.

<https://www.drghaly.com/articles/display/12784>

لكن بعد اكتشاف الحمض النووي و معرفه دوره في التوريث، تم التأكد من خطأ داروين، ولذلك فقد كان التطوريون في حاجة إلى آلية جديدة تشرح كيفية اكتساب المعلومات الجديدة، فتم اقتراح الطفرات التي يمكن أن تصيب الحمض النووي على أنها مصدر المعلومات الجديدة. الطفرات العرضية المختارة عن طريق الاصطفاء الطبيعي، يمكن أن تحدث الاختلافات في النسل، وتقود لأنواع حياة جديدة. وبذلك تشكلت معادلة داروينية الحديثة وهي: الطفرات + الاصطفاء الطبيعي + ملايين السنين = تطور الكائنات الحية.<sup>182</sup>



### الطفرات كمحرك للتطور البيولوجي

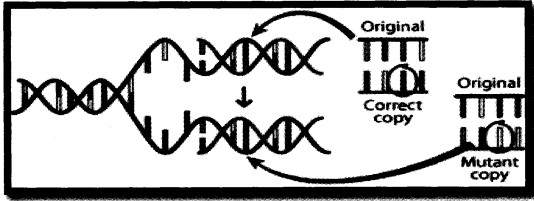
أدى فشل إدعاء توريث الصفات المكتسبة الجسمية، إلى افتراض أن الطفرة هي محرك عملية التطور، في حين أن داروين نفسه لم يكن يعرف شيئاً عن الطفرات أو المعلومات الوراثية. ومن هنا يفترض أنصار التطور أن الطفرات تتراكم حتى تصبح صفة جديدة، والصفات تتراكم مكونة جنس أو نوع جديد. فيدعون أن التطور هو نتاج الانتخاب الطبيعي الذي يعمل على الطفرات العشوائية.<sup>183</sup>

181. روجر باترسون، إجابات جديدة الجزء الثالث، أيؤمن مؤمنو نظرية التطور بأفكار داروينية من جهة التطور؟ (لبنان: مركز مورغان للنشر و الأعلام، 2021)، 323-330.

182. غالي، "التطور الكبير والطفرات"، موقع هولي بايبل، تاريخ الإقتباس: مايو 2024.

183. غالي، "التطور الكبير والطفرات".

ولكن الطفرة هي تغيير يحدث في تسلسل الحمض النووي، ويأتي نتيجة أخطاء في النسخ، أو بسبب التعرض لمواد كيميائية أو إشعاع أو بسبب عدوى. وهي بذلك تختلف عن التغييرات المفيدة التي تحدث



للكائنات عن طريق ميزات مدمجة داخل الحمض النووي، يتم تشغيلها من داخل الكائن عند اكتشاف ظروف معينة، حيث أنها استجابة مخططة ومبرمجة وليست عشوائية أو خارجية.<sup>184</sup>

تؤكد الحقائق العلمية الخاصة بالطفرة صعوبة ما يفترضه التطورين، وذلك لأن الطفرات لها عدة خصائص:

**أولاً:** هي نادرة الحدوث (وخاصة في الخلايا الجنسية التي تورث الصفات)، حيث يوجد أنظمة داخل

كل خلية تمنع حدوث الطفرات.

**ثانياً:** الطفرات تحدث بشكل عشوائي، ولكن لاكتساب صفة جديدة نحتاج إلى عدد متتالي من

الطفرات ذات الصلة مرتبة منظمة وهادفة، هو عكس الحقيقة حيث يفترض أن التغيير لا بد أن يكون مدروس ومحدد الاتجاه.

**ثالثاً:** الطفرات أغلبها ضار وغير مفيد، ويؤدي في الأغلب إلى الوفاة أو العجز (99.9% من

الطفرات ضار وقاتل).

184 . مايكل ستامب، "الطفرة والتصميم والإيمان"، معهد بحوث الخلق ICR، تاريخ الاقتباس: نوفمبر 2024.



**رابعًا:** الطفرات تعتبر تغيّر وليس إضافة، فهي غالبًا تفسد الموجود ولا تضيف، وبالتالي لا تفيد في اكتساب جينات جديدة لم يكن لها وجود سابق. لا يوجد مثال لطفرة أنتجت جين جديد أو أضافت صفة جديدة (الطفرات عملية هبوط وليست عملية تصاعدية كذلك التي يتطلبها التطور).

**خامسًا:** الوظيفة الواحدة لا يقوم بها جين واحد، وأحيانًا جينًا واحدًا يشترك في عدة وظائف. وبالتالي فإن حدوث طفرة في جين يجعل الكل يتأثر لأن التغيير سيكون ضار لوظائف أخرى، وبالتالي يكون أكثر عرضة للاستبعاد بالطبيعة.<sup>185</sup>

### مقاومة البكتريا للمضادات الحيوية دليل على التطور البيولوجي

يقدم أنصار التطور إدعاءات عديدة على حدوث التطور، أحد أشهر الأمثلة لذلك: هي مقاومة البكتريا للمضادات الحيوية، حيث يعتقدوا أنها مثال جيد لعمل الاصطفاء الطبيعي مع الطفرة بعيدًا عن يد المصمم الإلهي.

### يمكن الرد على هذا الافتراض، كالتالي:

من المعروف أن البكتريا تكتسب المقاومة من خلال طريقتين رئيسيتين:

(1) فقدان المعلومات الوراثية (الطفرة).

(2) باستخدام ميزة التصميم التي بها يتم مبادلة الحمض النووي مع بكتريا أخرى لديها مقاومة.

أن المضادات الحيوية تعمل عادة عن طريق الالتصاق ببروتين في البكتريا بشكل يعيقها عن العمل بالشكل المثالي مما يؤدي إلى قتلها، ولذلك فإن البكتريا المقاومة للمضادات الحيوية لديها طفرة في الحمض النووي الذي يصوغ رمزًا لهذا البروتين، وبالتالي لا يعود المضاد الحيوي قادرًا على الالتصاق بالبروتين

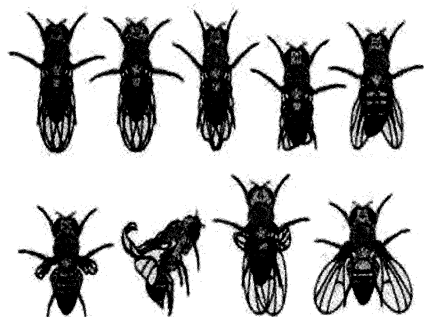
185 . غالي، "التطور الكبير والطفرات".

الناتج عن حمض نووي متحور، وكنتيجة لذلك تستمر البكتريا الطافرة في الحياة في بيئة للمضادات الحيوية. ولكن هذا لا يعني أن البكتريا تطورت، بل بالعكس هي فقدت معلومات، ولذلك فإن البكتريا الطافرة لا تستطيع أن تنافس البكتريا الغير طافرة في الظروف الطبيعية، لأن البروتين الطافر يعيق البكتريا الطافرة عن الوظائف الاعتيادية. ولذلك فاكساب المقاومة لا يعد مثال على الطفرة المفيدة، بل هو نتيجة مفيدة لطفرة في بيئة معينة. ولكن دائماً وأبداً تظل البكتريا بكتريا.<sup>186</sup>

### تأثير الطفرات على الحشرات والبكتريا

تم دراسة تأثير الطفرات على ذبابة الفاكهة، كونها تمتلك فقط 4 كروموزومات (محتوي جيني قليل)،

كما أنها قادرة على انتاج جيل جديد كل 8 أيام، وبالتالي فالسنة



الواحدة تمثل 3 مليون سنة للإنسان، هذا يجعلها مثال ممتاز

يحاكي ملايين السنين التي يفترضها أنصار التطور. وبعد أن تم

تجربة كل الظروف التي يمكن أن تحدث طفرات عليها لمدة

150 عام، كانت النتيجة مجرد عيوب خلقية تورث أو لا تورث،

ولا وجود لتغيير أو تطور. ومن نفس المنطلق تمت التجارب

على بكتريا E.Coli ، بسبب أن جيل واحد للإنسان يمثل 1226400 جيل من البكتريا، و أجريت الدراسات

على مدار 100 عام، وظلت البكتريا كما هي بكتريا، ولم يظهر نوع جديد.<sup>187</sup>

يضاف إلى ذلك أن الجينات الحيوانية والانسانية في حالة تدهور مستمر منذ بداية تكوينها وليس في

حالة تطور هو ما يعرف بإسم "التدهور الجيني Genetic Entropy"، فمرور الزمن تستجد امراضاً

وراثية، وليس صحة أوفر. كما أن الطبيعة دائماً ما تتخلص من المخالف أو المعيوب ولا تثبته.<sup>188</sup>

186 . بوردوم، حقائق تحت المجهر خلق أم تطور، 258.

187 . غالي، التطور الكبير والطفرات.

مما سبق يتضح أن فرضية الانتخاب الطبيعي باعتبارها محرك أساسي لنظرية التطور مع الطفرات، هو أمرًا لا يستند على أي أدلة أو براهين علمية تصلح كأساس للفكر الإلحادي الذي ينكر وجود خالق.

يقول فيليب جونسون في كتابه "دراوين في المحكمة Darwin on Trial": **"ما من برهان واحد**

**يقدم أي سبب مقنع للاعتقاد بأن الانتخاب الطبيعي قادر على إنتاج أنواع بيولوجية جديدة أو أعضاء جديدة**

**أو غيرها من التغييرات الكبرى أو حتى التغييرات الصغرى الدائمة".** ويتفق معه عالم الأحياء جوناثان ولز،

قائلًا: "الطفرات البيوكيميائية لا تستطيع تفسير التغييرات واسعة النطاق التي تحدث في الكائنات الحية التي

نراها في تاريخ الحياة".<sup>189</sup>

### أدلة قصور الانتخاب الطبيعي

قدم العلماء الحقيقيون عدة أدلة لكي تؤكد فشل الانتخاب الطبيعي على أداء تلك الوظيفة، مثل:

#### أولاً: الحدود الوراثية Genetic Limits:

الحدود الوراثية هي جزء أصيل في بنية الأشكال الأساسية

للحياة والتي يستحيل تجاوزها حتى لو عن طريق التوجيه الذكي،

فمثلاً نجد أن المتخصصين في تربية الكلاب، دائماً يصطدمون

بالحدود الوراثية عندما يستخدمون ذكاءهم لتخليق سلالات جديدة من

الكلاب، فالكلاب تظل دائماً كلاب، نفس الأمر ينطبق على ذبابة

الفاكهة كما تم الإشارة سابقاً. إن استخدام الذكاء لإحداث تغيير في الكائنات الحية يصطدم بالحدود الوراثية،

ولذا حتى إن كان التطور موجهًا بالذكاء أي عندما يتحكم العلماء بذكاء في الكائنات لتحقيق غاية محددة، فإن



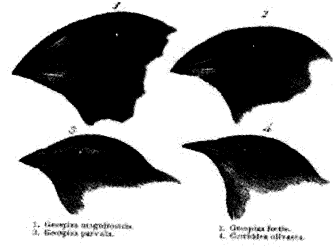
188. ماهر، العلم وحقيقة وجود الله، 52-55.

189. جايسلر وتورك، 156.

هذا لا ينجح بسبب الحدود الوراثية، وبناء عليه لا يُمكن تصور حدوثه عن طريق الانتخاب الطبيعي غير الذكي.

### ثانيًا: التغير التكراري Cyclical change:

إن التغير الحادث داخل النوع الواحد يتم في دورات متكررة ذهابًا وعودة، دون تكوين أشكال جديدة من الحياة، فعلى سبيل المثال نجد أن الظروف البيئية قد تدعم عصافير ذات مناقير كبيرة في مواسم



الجفاف كي تستطيع تكسير البذور الصلبة، في حين أن موسم الأمطار يدعم العصافير ذات المناقير الصغيرة، ولكن في كلا الموسمين تظل العصافير عسافير، فالانتخاب الطبيعي قد يتمكن من تفسير بقاء النوع، ولكنه لا يستطيع استحداث أنواع جديدة.

### ثالثًا: التعقيد الغير قابل للاختزال:

في عام 1859م كتب تشارلز داروين في كتابه "أصل الأنواع": "إن ثبت وجود أي عضو معقد لم يتكون عن طريق العديد من التغيرات الطفيفة المتوالية، فنظريتي سوف تنهار لا محالة". وحاليًا نحن نعرف أن هناك الكثير من الأعضاء والأجهزة والعمليات في الحياة تتناسب مع هذا الوصف، فبقاء الكائن الحي يرتبط بوجوده في حالة اكتمال من جهة بعض الأنظمة من لحظة وجوده في الحياة.<sup>190</sup>

يقول مايكل بيهي في كتابه "صندوق داروين الأسود": "الكائنات الحية مملوءة حرفيًا بماكينات جزئية تؤدي العديد من وظائف الحياة، وهذه الماكينات معقدة تعقيدًا لا يقبل الاختزال، وهو ما يعني أن كل الأجزاء كاملة وفي مكانها الصحيح وبالمواصفات الصحيحة وفي نظام قابل للعمل معًا وفي وقت واحد حتى تعمل الماكينة البيولوجية". الأمر يشبه مصيدة الفئران التقليدية، والتي تحتاج إلى وجود كل أجزائها في

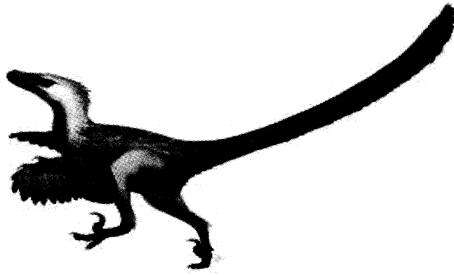
مكانها وفي وقت واحد وبنظام قادر على العمل معًا لكي تؤدي وظيفتها بكفاءة، إن عدم وجود جزء واحد أو وجوده بشكل غير مناسب يؤدي إلى فشل الجهاز بأكمله.

العلم يؤكد وجود وظائف مثل تجلط الدم وأهداب الخلايا والبصر، وكلها تشمل أجهزة معقدة غير قابلة للاختزال، ولا يُمكن تكوينها بالطريقة الدراونية التقليدية المتدرجة، وذلك لأن المراحل المتوسطة سوف تفشل في أداء الوظيفة المطلوبة، وبالتالي لن تستطيع البقاء على قيد الحياة. يقول مايكل بيهي: " فكرة التطور الجزئي الدارويني لا تقوم على العلم، فليس هناك أي منشورات في كتابات علمية، تقدم وصفًا مؤكدًا لكيفية حدوث تطور جزئي لأي جهاز بيوكيميائي حقيقي معقد أو وصفًا احتماليًا. ولكنهم دائمًا يؤكدون حدوث هذا التطور ولكن ولا واحد من تأكيداتهم مدعوم بتجارب وبالتالي فالتطور الجزئي مجرد استعراض فارغ".

### **رابعًا: عجز الأشكال الانتقالية على الحياة Nonviability of transitional forms:**

يقوم الداروينيون بافتراض أن الطيور تطورت تدريجيًا من الزواحف على مدار فترات زمنية

طويلة، وهذا يتطلب مرحلة انتقالية من الحراشف إلى الريش. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يُمكن لكانن أن يعيش بلا حراشف ولا ريش؟ فكانن بأصناف ريش لا يقدر أن يطير مما يجعله فريسة سهلة، كما أنه لن يملك المهارة اللازمة للعثور على الغذاء. وبالتالي



فإن الداروينيين يواجهون مشكلة مزدوجة في عدم وجود آلية واضحة للتحويل من الزواحف إلى الطيور، بالإضافة عدم امكانية الأشكال الانتقالية على الحياة.

### **خامسًا: الانعزال الجزئي Molecular Isolation:**

غالبًا ما يزعم الداروينيون على أن التشابه في ما بين الشفرة الوراثية بين الكائنات الحية، دليل على التطور والانحدار من سلف مُشترك. فيدعي أنصار التطور أن التشابه بين الشفرة الوراثية للقردة العليا

والإنسان تتراوح ما بين 85-95%، مما يُشير إلى السلف المشترك. ولكن هل هذا حقيقي بالضرورة؟ أم أن هذا قد يُشير إلى الخالق الواحد الذي صمم الكائنات الحية لكي تعيش داخل نفس الغلاف الحيوي ولكي تتفاعل في ما بينها داخل سلسلة الغذاء.

غير أن الدليل الأقوى على أن التشابه في الشفرة الوراثية ليس اثباتًا على الانحدار من السلف المشترك، هو الإنعزال الجزئي. فبمقارنة سلاسل البروتين بين الكائنات الحية نكتشف ان الأشكال الأساسية منعزلة جزئيًا عن بعضها البعض، مما يلغي أي صلة مشتركة. فعلى الرغم من أن كل الكائنات تشترك في شفرة وراثية واحدة بدرجات متفاوتة في التشابه، غير أن تلك الشفرات قد رتبت الأحماض الأمينية في البروتينات على نحو يجعل الأشكال الأساسية مُعزلة جزئيًا عن بعضها، فلا يوجد مراحل انتقالية على مستوى تلك الجزئيات بل يوجد فجوات جزئية متميزة.

يُضاف إلى ذلك أن سجل الحفريات لا يُدعم فكر التطور، فالجيولوجيا لا تكشف عن أي سلسلة عضوية متدرجة. يقول ستيفن جاي جولد عالم الحفريات في جامعة هارفارد: "الأشكال الأحفورية تظهر فجأة مُكتملة التكوين وتظل كما هي دون تغير إتجاهي حتى تنقرض". وبالتالي فإن سجل الحفريات أقرب بشكل مُذهل للخلق فوق الطبيعي منه للتطور. كتب جوناثان ولد: "الدليل الأحفوري قوي جدًا، والحدث مفاجئ وضخم جدًا، حتى أنه يُعرف باسم "الانفجار الكامبري"، وذلك لأن كل المجموعات الرئيسية من الحيوانات المعروفة تظهر تقريبًا في سجل الحفريات فجأة وكاملة التكوين في طبقات العصر الكامبري Cambrian period".<sup>191</sup>

مما سبق، يتضح أن التطور الكيميائي لا يستطيع أن يفسر التحول من المكونات اللا عضوية إلى أخرى عضوية، كما لا يفسر نشأة الخلية الحية الأولى. وعلى نفس القياس لا يستطيع التطور البيولوجي

تفسير أصل الكائنات الحية، وأسباب تنوعها الكبير. وبالتالي لا تنجح فرضية التطور في تفسير التصميم الخاص بالحياة والكائنات الحية، ويظل التفسير الفوق الطبيعي التفسير الأقوي.

## تصميم الإنسان

فرضيات كثيرة يتم طرحها لتفسير أصل الإنسان ولمعرفة نشأته، ومعظم تلك الفرضيات تُقدم إجابات مختلفة عن تلك التي في الكتاب المقدس. إحدى هذه الفرضيات هي نظرية التطور الطبيعي naturalistic evolution، التي تفترض إجابة عن نشأة الإنسان. فتفترض النظرية أن الإنسان وجد دون أي تدخل فوق طبيعي supernatural، من خلال تطور طبيعي، وانتقال من حالة إلى حالة، ومن نوع إلى نوع عبر حلقات بسيطة، عبر ملايين السنين.<sup>192</sup>

قام أنصار التطور بتقسيم تاريخ الإنسان التطوري إلى عدة مراحل افتراضية، وصولاً للإنسان الحديث.

المرحلة الأولى من 4 مليون سنة ويطلق عليه "أسترالوبيثيكوس Australopithecus" أي الإنسان القردى".

ثم المرحلة الثانية من 2 مليون سنة، ويطلق عليه "هومو هابيليس Homohabilis" أي الإنسان المتطور.

ثم المرحلة الثالثة من مليون سنة، ويطلق عليه "هومو إريكتس Homoerectus" أي الإنسان المنتصب.

ثم المرحلة الرابعة من 100 ألف عام، "إنسان نياندرتال Neanderthal" ويقصد به الإنسان الحجري.

192. الدكتور القس أشرف عزمي، في البدء تفسير لفوي ولاهوتي وتاريخي لسفر التكوين 1-11 (رؤية للطباعة، 2017)، 150.

وأخيرًا "هومو سابين Homosapiens" أي الإنسان الحديث من 80 ألف عام فقط.<sup>193</sup>

يُعتبر السجل الأحفوري هو انعكاس لتاريخ وجود أي كائن على الأرض، من خلال الحفريات التي يتم العثور عليها في طبقات الأرض المختلفة والتي تعكس هذا التاريخ.

ولكن يوجد عدد من الاشكاليات يخص عملية تطور الإنسان كما افترضها التطوريين من خلال السجل الاحفوري:

**أولاً:** من المفترض وجود عدد لا يحصى من الأشكال الإنتقالية في السجل الأحفوري، ولكن الحقيقة الواقعة مخالفة لذلك تمامًا، فلا وجود لحلقات وسيطة كافية في طبقات الأرض المختلفة.

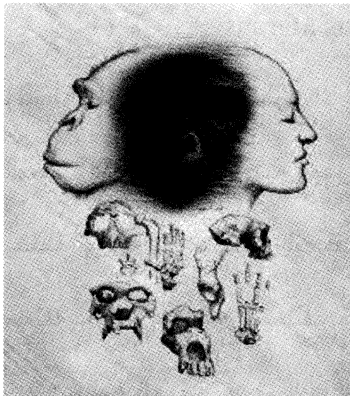
**ثانيًا:** لا يوجد أي مراحل لتطور القردة، كما لو أنهم هنا اليوم، ولكن ليس لهم ماضي.

**ثالثًا:** حفريات كثيرة هي عبارة عن جزء صغير جدًا من الهيكل العظمي (كعظمة فك أو جزء من جمجمة)، وبالتالي فهذا الأثر لا يعطي الصورة الكاملة الحقيقة لما كان عليه الكائن في الماضي، فنفس الجزء يمكن إعادة بنائه ليثبه إنسان أو قرد.<sup>194</sup>

بناء عليه يجب فهم التشريح الأساسي والاختلافات الوظيفية بين الهياكل العظمية للبشر، والهياكل العظمية للقردة، وذلك لتفادي أي محاولة للالتباس بين الأثنين. يُعد الفك والأسنان من الأجزاء التي كثيرًا ما يعثر عليها في الحفريات بسبب صلابتها. وبالتالي فإن افتراض أن سلف الإنسان هو قرد، يعتمد على التشابه بين في الأسنان والفكين لكليهما. يمتلك القرد قواطع وأنياب أكبر نسبيًا من الأضراس، وعادة تكون مينا أسنان القرد رقيقة، في حين أن مينا أسنان البشر أسمك. كذلك الجماجم، التي تعتبر أكثر الحفريات إثارة للاهتمام لأنها مركز المخ، وتتيح لنا بمساعدة فناني الخيال، النظر إلى أجدادنا المقترضين. أن قبو

193. ماجد غالي، "بعض أدلة خطأ التطور وتطور الإنسان"، موقع هولي بايبل، تاريخ الإقتباس: مايو 2024.  
<https://www.drghaly.com/articles/display/11347>

194. غالي، "بعض أدلة خطأ التطور وتطور الإنسان".



جمجمة البشر أكبر، لأن حجم المخ أكبر نسبياً مقارنة بالقروود. كما أن وجه الإنسان عمودي، في حين أن وجه القرد ينحدر إلى الامام من الجزء العلوي للوجه إلى الدقن. كما أن عظام الأنف بارزة عند الأسنان، وهو الامر الذي يمكنهم من ارتداء النظارة. أيضاً من الأدلة الأكثر رواجاً في القردة العليا الأحفورية هي عظام الساق، تلك التي قد تشير إلى أنها ثنائيات الحركة (قادرة على السير على قدمين)، وبالتالي

من أسلاف البشر.<sup>195</sup>

يُطلق على الحلقات الوسيطة لمراحل تطور الإنسان: "الإنسان- القرد ape-man"، ويوجد ثلاث

طرق لخلق أي محاولة افتراض وجوده:

- (1) الجمع بين عظام القرد والإنسان، والإعلان أن الأثنين ينتميان لكائن واحد، هو سلف الإنسان.
- (2) التأكيد على بعض السمات البشرية في بعض عظام القردة المتحجرة، وتوظيف الخيال لرفع صورة القردة إلى صورة أقرب للإنسان.
- (3) التأكيد على بعض السمات الخاصة بالقرد في عظام الإنسان المتحجرة، ومرة أخرى يتم توظيف الخيال للتقليل من شأن البشر وجعلهم أقرب للقردة.<sup>196</sup>

لجأ أنصار التطور إلى محاولات عديدة من خلال التلاعب في بعض الحفريات لإثبات صحة نظريتهم التي تحتاج بشدة إلى حلقات وسيطة تدعم الانتقال التطوري. ولكن بمساعدة العلم، ومع مرور الوقت يتضح زيف كل تلك المحاولات والأمثلة لذلك كثيرة، فعلى سبيل المثال وليس الحصر:

195. ديفيد مينتون، إجابات جديدة الجزء الثاني، أحقاً تطور البشر من مخلوقات شبيهة بالقرد؟ ( لبنان: مركز مورغان للنشر والإعلام، 2020)، 98-101.

196. مينتون، إجابات جديدة الجزء الثاني، أحقاً تطور البشر من مخلوقات شبيهة بالقرد؟، 102.



(1) "الوسي Australopithecus afarensis"، والتي يفترض أنها حلقة

وسيطه للمرحلة الأولى لتطور الإنسان "الإنسان- القرد"، تم التأكد من أن الهيكل

العظمي الذي تم العثور عليه يخص شمبانزي قصير، أما

عظمة الركبة التي نسبت إليه فقد تم العثور عليها في

منطقة بعيدة على عمق مختلف كما أنها تخص إنسان،

كذلك عظمة الحوض قد تم التلاعب بها وإعادة تشكيلها

على قالب لتشبه حوض قرد. وبالتالي تم التأكد من التزوير.



(2) أما في ما يخص مرحلة "هومو هابيلس"، فالأمثلة كثيرة لمحاولات التلاعب، حيث يتم اكتشاف

جمجمة قرد، ويتم إدعاء كبر حجم المخ، لأثبت أنها مرحلة وسيطة، ثم توضح القياسات اللاحقة كذب هذا

الإدعاء. أو بالعكس حيث يتم اكتشاف جمجمة بشر، ويتم افتراض صغر حجم المخ، وإدعاء أنها تمثل حلقة

وسيطه، على الرغم من امتلاك بعض البشر لجمامح صغيرة.

(3) أما بالنسبة لمرحلة "هومو إريكتس"،

فأشهر مثال له هو "إنسان بلتدون piltdown"،

الذي يمثل خدعة تُعرف بنفس الأسم، وتم اكتشافه عام

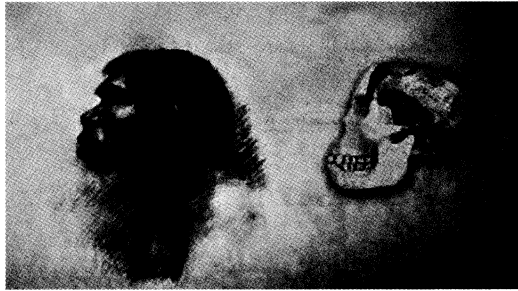
1912م عن طريق تشالز داوسن الذي اكتشف فك

يشبه القرد، وأنف وعظمة خلفية لجمجمة "occiput"

تشبه إنسان، وتم إدعاء أن الجمجمة تمثل مرحلة وسيطة، ولكن ظهرت الحقيقة بعد فترة حيث أتضح أنه تم

تركيب فك سفلي لقرد أورانجوتان على بقايا جمجمة إنسان بواسطة تشالز داوسن، الذي لم يكتفي بالتزوير بل

قام ببرد أسنان شمبانزي لتركيبها على الفك، وصبغها بكرومات البوتاسيم لتناسب الجمجمة.



(4) كذلك "إنسان نبراسكا" الذي أتضح أن الضرس الذي بُنى عليه الافتراض، يخص خنزير منقرض.

(5) وأيضًا "إنسان نياندرتال"، الذي تم التأكد من أنه إنسان طبيعي يعاني فقط من بعض الأمراض،

ولكنه كان يحيا حياة بشرية.<sup>197</sup>

يقول ديفيد روب David M.Raup ، أمين المتحف الميداني الطبيعي بشيكاغو : "نحن الآن على

مقربة من 120 عام من نظرية التطور لداروين والسجل الأحفوري كبير ومتسع، فلدينا ربع مليون نوع من

الحفريات، ولكن الموقف لم يتغير كثيرًا". وهو الأمر الذي أشارت إليه قناة ناشيونال جيوغرافيك في نوفمبر

2004: "سجل الحفريات يشبه فيلمًا سينمائيًا عن التطور، قد فقدت منه 999 صورة من أصل 1000

صورة في حجرة المونتاج"، وذلك في إشارة لفشل السجل الأحفوري في دعم فرضية التطور، وخاصة في

قضية تطور الإنسان.<sup>198</sup>

مما سبق يتضح أن تطور الإنسان هو مسلسل سينمائي لا يرتقي بأي شكل من الأشكال لأي نوع

من العلوم التجريبية التي تستند على أدلة علمية، في المقابل تظل الرؤية الكتابية أكثر واقعية ومُدعمة

بأقوي الأدلة. "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" (تك1:1)، "وَقَالَ اللَّهُ: «لِتُخْرِجِ الْأَرْضَ دَوَاتِ أَنْفُسِ

حَيَّةٍ كَجَنَسِهَا: بَهَائِمَ وَدَبَابَاتٍ وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا». وَكَانَ كَذَلِكَ" (تك1:24)، "فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ

عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرْنَا وَإِنِّي خَلَقْتُهُمْ" (تك1:27).

197 . غالي، "بعض أدلة خطأ التطور وتطور الإنسان".

198 . ماهر، العلم وحقيقتة وجود الله، 70-71.



ملايين السنين هي طوق النجاة لفرضية التطور:

يدعي علماء التطور أن التغيير الذي حدث والتطور الذي شهدته الكائنات الحية تم عبر ملايين السنين عبر تغييرات طفيفة جدًا تكاد لا تكون ملحوظة. وأن هذه الملايين هي أعطت الفرصة لآلية التطور التي تتمثل في الطفرات والانتقاء الطبيعي أن تكون عاملة ومؤثرة.

إن النظرة لقدم عمر الأرض هي نظرة حديثة، حيث كان من النادر أن نجد من يؤمنون بقدم عمر الأرض قبل القرن الثامن عشر. فالإعتراض على حداثة الأرض لم يحدث سوى مؤخرًا، بداية من أواخر القرن الثامن عشر. إن هؤلاء المقاومين للتسلسل الزمني للكتاب المقدس، أبقوا الله خارج الصورة تمامًا، بل أخذوا موقفًا عدائيًا من وجوده.



يقول تشالز لايل Charles Lyell (1797-1875م): "خطرت

لي فكرة منذ حوالي خمسة أو ستة أعوام، أنه لو أمكن إسقاط الجيولوجيا الموسوية (يقصد ما دونه موسى عن الخلق والطوفان) دون الإساءة للمؤمنين، فسوف يكون هذا إنجاز تاريخي. وعندها لن ينبغي علينا أن نتكلم كثيرًا، بل ندعهم (المؤمنين) أن يستنتجوا ذلك بأنفسهم". وفي خطاب لأحد

أصدقائه، يقول: "أنا أثق أنك ستقرأ كتاباتي والتي سحرر العلم من موسى".<sup>199</sup>

كان من المدافعين عن قدم عمر الأرض، كونت دي بوفون الذي أفترض أن عمر الأرض هو 75000 سنة، وبيار لابلاس الذي تخيل تاريخًا طويلًا جدًا، وجان لامارك الذي أفترض أيضًا وجود عصور طويلة. أما فكرة ملايين السنين التي تم افتراضها أخيرًا، فقد تم طرحها من قبل رجال مثل إبراهيم ليرنز، وجيمس هوتون، ووليام سميث، وتشالز لايل، فقد أسندت الفرضية إلى تفسيرات للجيولوجيا كمعيار ومرجعية، بدلاً من الكتاب المقدس. من هؤلاء ومن غيرهم، جاء الرأي بالأجماع أن الطبقات الجيولوجية تشكلت ببطء على امتداد فترات طويلة من الزمن وفقًا لنفس معدلات التراكم التي تُرى اليوم. قال هوتون: "يجب أن نفسر التاريخ الماضي لكوكبنا من خلال ما نراه يحدث اليوم، لا مجال للاستعانة بقوى غير طبيعية أو غريبة عن كوكبنا، أو لقول أي إجراء سوى ما نعرف مبدأه". تسمى هذه النظرة: "الوتيرة الواحدة الطبيعية"، وهي العقيدة السائدة في الجيولوجيا، والتي تستبعد أية كوارث كبرى كطوفان نوح.<sup>200</sup>

إن استبعاد حدث مثل الطوفان هو أمر خطير جدًا، وذلك لأهمية الحدث في تشكيل الرؤية الزمنية لعمر الأرض. فهناك أدلة علمية كثيرة تؤكد أن طبقات الصخور والحفريات يمكن أن تتشكل بسرعة بسبب العمليات الجيولوجية الكارثية، والتي لا نشاهدها كل يوم، وبالتالي ليس وفقًا للمعدل الذي يفترض البعض حدوثه في الماضي.



لا حاجة لمرور فترات زمنية طويلة لتتصلب الصخور، فالصخور الرسوبية تتكون عامة من رواسب (طين ورمل، أو حصى) تتحول إلى صخور. تتحجر الرواسب عندما تتعرض للضغط (لطرده المياه) وتصبح كالاسمنت، أو عندما تلتصق الرمال المترسبة معًا. إن تحجر الطبقات الرسوبية غير مرتبط بالوقت، بل بمدى تعرض الصخور للضغط،

200 . بودي هودج، إجابات جديدة الجزء الثاني، ما هو عمر الأرض؟ (بيروت: مركز مورغان للنشر والأعلام،

ويتوفر مصدر للإسمنت (هو عادة معدن، مثل الكوارتز أو الكالسيت). إذا توافرت هذه الشروط، يمكن أن تتحول الرواسب بسرعة إلى صخور. هناك أمثلة كثيرة عن التشكل السريع للصخور، فيوجد ساعة متحجرة في صخرة رسوبية، عثرت عليها دولوريس تسترمان في شاطئ ممتد من ساحل ولاية واشنطن، كذلك تم العثور على ولاعة ومفاتيح وقبعة وموبايل في صخر رسوبي متحجر. هذه الأمثلة تثبت أن الرواسب والمواد الأخرى قد تتصلب ضمن فترة زمنية قصيرة نسبياً.<sup>201</sup>

### أدلة الترسيب السريع (الطوفان)

إن الأدلة على حدوث الترسيب السريع الذي أحدثه الطوفان كثيرة جداً، الحفريات في حد ذاتها خير دليل على هذا التراكم السريع، فعملية تكوين الحفرية يجب أن تتم سريعاً، وغالباً ما يكون في أثناء حياة الكائن أو بعد فترة قصيرة جداً من موته، وإلا تعرض الكائن للفساد والتحلل، حيث يتم دفنه سريعاً بفعل الرواسب المندفعة. فوجود حفريات لكائنات رخوية، أو لكائن مثل قنديل البحر يؤكد الترسيب السريع، كذلك وجود تجمعات كبيرة لحفريات من المحار على غير العادة، يؤكد الترسيب السريع. كذلك وجود حفريات لكائنات في وضع هرب أو هلع، يؤكد أن الموت باغت تلك الكائنات بسبب كارثة كالطوفان وليس عبر الترسيب البطيء الذي يستهلك



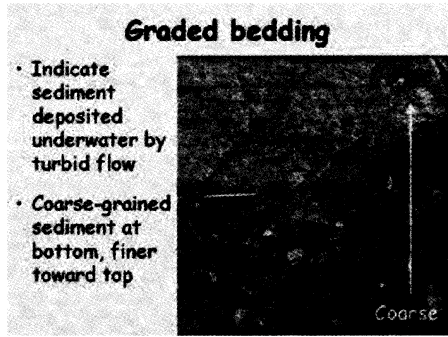
زمناً طويلاً.<sup>202</sup>

وفي المقابل، لا وجود لأدلة تشير إلى الترسيب البطيء المستمر، فيوجد ظواهر جيولوجية كثيرة تؤكد صحة الترسيب السريع للمياه المندفعة، وتراجع هذه المياه بسرعة، مثل:

201. جون وبيتمور، إجابات جديدة الجزء الثاني، هل تتطلب عمليات التطور الجيولوجي ملايين السنين؟ (بيروت: مركز مورغان للنشر والأعلام، 2020)، 258-260.

202. جون د. موريس، حقائق تحت المجهر خلق أم تطور، الحفريات وإشارات الدفن السريع (بيروت: مركز مورغان للنشر والأعلام، 2018)، 254-257.

ظاهرة الطبقات المتكررة، فمن المفترض أن الترسيب البطيء إذا كان حدث، أن يقوم بترسيب طبقة تميز كل حقبة، وذلك لاختلاف ظروف كل حقبة، وبالتالي فإن عدم وجود هذا التميز يشير إلى عدم وجود الحقب التي يفترضها الجيولوجيون أنصار الوتيرة الواحدة.



كما أن ظاهرة الطبقات المتكررة ( graded bedding )

(bedding)، لا تحدث بالترسيب البطيء وفقاً لكل المراجع، بل تحدث بكارثة مائية كالطوفان (هي ظاهرة بها الصخور الأكبر حجمًا في الأسفل، وفوقها صخور أقل حجمًا وصولاً لنهاية الطبقة)

كذلك ظاهرة أو مشكلة الطبقات المفقودة، فمن المفترض أن العمود الجيولوجي للحقب أن يتكون من حوالي مائة طبقة أرضية، بترتيب زمني معين من الأقدم إلى الأحدث، وذلك وفقاً لنظرية الحقب. ولكن الحقيقة أن 85 % من سطح الأرض لا يحتوي على ثلاث طبقات مرتبة بشكل صحيح. فيتساءل ولیم كورلس: " أين ذهبت هذه السنين، رغم أنه بوضوح لا يوجد عوامل تعرية، فهل طارت الطبقات أم السنين؟. كذلك ظاهرة أو مشكلة الطبقات المقلوّبة (over thrusts)، حيث أن الطبقات لا يتم ترتيبها وفقاً لنظرية الحقب، بل نجد حفريات كائنات في طبقة سفلى، وفي منطقة أخرى في منطقة عليا، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا من خلال طوفان، قام بدفن الكائنات في حادثة واحدة، تم فيها خلط الطبقات.<sup>203</sup>

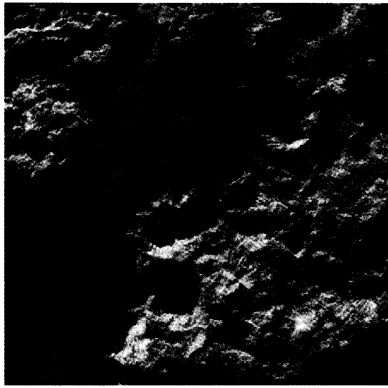
203. ماجد غالي، "أمثلة على أدلة طوفان نوح"، موقع د.غالي، هولي بايبل، تاريخ الإقتباس: مايو 2024.



بالإضافة إلى وجود حفريات لأشجار متحجرة ما بين طبقات مختلفة، وهذا أمر لا يُمكن أن يحدث بالترسيب الباطني، بل يجب أن يحدث عبر كارثة مائية تجلب كميات متعاقبة من مواد رسوبية.

### أثار مختلفة للطوفان

يقدم علم الجيولوجي أدلة لحدوث الطوفان في طبقات الأرض المختلفة، فأحداث الطوفان تركت أثار



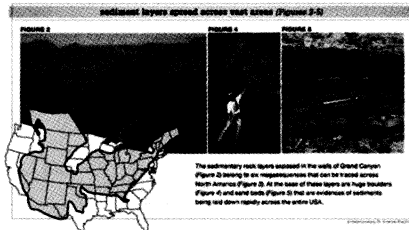
في جميع أنحاء الأرض. ومن هذه الآثار:

(1) وجود حفريات لكائنات بحرية فوق مستوى سطح البحر مثل تلك التي توجد في الطبقات الصخرية من جدران الأخدود العظيم في الولايات المتحدة، وكذلك وجود حفريات لمحار على جبال الهيمالايا، مما يؤكد أن المياه قد غمرت القارات.

(2) وجود مقابر شاسعة لحفريات محفوظة بشكل رائع، فقد تم العثور على ملايين من حفريات النوتويدات nautiloids في طبقة من الحجر الجيري في الجدار الأحمر في الأخدود العظيم، كما تشهد طبقات الحجر الطباشيري والفحم في أوروبا على الدفن الكارثي.

(3) إمتداد الطبقات المترسبة على مناطق شاسعة،

فيمكن تتبع تلك الطبقات عبر القارات، وتشير السمات الشكلية لهذه الصخور بأنها ترسبت بسرعة، فيمكن تتبع الحجر الرملي والجيري في الولايات المتحدة وحتى كندا ، كذلك عبر المحيط



الأطلسي وحتى إنجلترا و عبر أوروبا وحتى إلى الشرق الأوسط وإسترايا.

(4) إنتقال الرواسب لمسافات طويلة، فنجد أن طبقات الصخور قد حُملت بواسطة المياه المتحركة

سريعاً، مثل رمال الحجر البرتقالي التي تأكلت ونقلت من الولايات المتحدة وكندا لمسافات طويلة.

(5) حواف الصخور الحادة بين الطبقات تشير إلى ترسب طبقة تلو الأخرى، دون وجود وقت كافي

لحدوث تآكل، مثل الحجر الجيري الأحمر في الأخدود العظيم والطبقات التي تقع أسفله، والتي تؤكد أنه لا

وجود لملايين السنين التي يفترضها البعض.

(6) إنحناء الطبقات الرسوبية، والتي كان

يفترض كسرهما وذلك لصلابتها بعد أن تجف، ولكننا

نجد في أماكن كثيرة طبقات إنحننت دون أن تنكسر مما

يدل على إنها ترسبت سريعاً وطويت وهي لا تزال

لينية قبل ان تتصلب نهائياً، مثل الحجر الرملي

tapeats في الأخدود العظيم و الذي ينحني بزاوية 90 درجة.<sup>204</sup>

يقول وليم بوكلاند، مدرس الجيولوجيا في جامعة أكسفورد: "أن الحقيقة الكبرى للطوفان الذي أجتاح

العالم منذ زمن ليس بعيداً للغاية، قد دُعمت بأسس حاسمة لا تزال (خلاف) فيها، بحيث إننا لو لم نكن قد قرأنا

عن هذا الطوفان في الكتاب المقدس أو في أي مصدر آخر، فإن علم الجيولوجيا نفسه سيفترض حدوث هذه

الكارثة ليفسر ظاهرة الحدث الفيضاني".<sup>205</sup>

204. كين هام، الطوفان العالمي نظرة كتابية وعلمية للكارثة التي غيرت وجه الأرض ( خدمة ذهن جديد بالتعاون مع هيئة answers in genesis ، 2013 )، 28-31.

205. ماجد ليون لويس، الطوفان بين الكتاب المقدس والأساطير والعلم الحديث ( القاهرة : دار الثقافة، 2016 )،

## نتائج الاعتقاد بملايين السنين

تحدي كلمة الله. الكتاب المقدس واضح تمامًا في إعلانه وتعاليمه فيما يخص خلق الكون والكائنات بما في لك الفترة الزمنية التي تم فيها ذلك. ولكن الإنسان رفض هذا الإعلان الإلهي، وراح يبحث بنفسه عن رواية أخرى لأصل الكون والحياة بعيدًا عن الله.

إن القراءة الأمانة لكلمة الله تُخبرنا بكل وضوح أن خلق العالم تم في ستة أيام، وليس ستة حقب أو ملايين السنين. هكذا علم الآباء وهكذا فهمت الكنيسة قصة الخلق. ولكن ما يفعله اللاهوت الحديث، هو أن يُخضع كلمة الله للرأي البشري والاعتقاد العلمي السائد، فتم إدخال ملايين السنين بين سطور الكتاب المقدس كمحاولة لتوفيق قصة الخلق مع النظريات العلمية، فتم افتراض العديد من نظريات الخلق التي تحاول أن تتوافق مع اعتقاد ملايين السنين. إن هذه المساومة تفتح المجال لقبول أفكار عديدة، فلا نتعجب من وجود لاهوتيين يعترفون بالتطور وبعضهم يفترض أن أحداث التكوين أسطورية وليس حقيقية. إن فكر الموائمة والحلول الوسطى، له العديد من التبعيات الخطيرة.

**التشكيك في مصداقية الكتاب المقدس.** تقدم لنا الأصحاحات الأولى من سفر التكوين أحداث وقصة سقوط الإنسان، التي تُمثل الأساس الذي يقوم عليه قضية الفداء ورسالة الكتاب المقدس. إذا تم التشكيك في الأصحاحات الأولى للتكوين، فلن يكون هناك معنى للفداء، ولا يكون هناك حاجة لمسيح مُخلص ولا لزوم للنبوات والأنبياء. عندها يُصبح الصليب قصة حزينة لإله يُصلب بلا سبب. إن التمسك بالمحتوى التاريخي للكتاب المقدس بدءًا من قصة الخلق، هو الدرع الواقى الذي يحفظ كل تعليم لاهوتي وكل عقيدة إيمانية. أما التنازل والتفريط المُصاحب لإعادة تفسير قصة الخلق، فهو دون شك يؤدي إلى فقد الثقة في محتوى الكتاب المقدس.

التشكيك في حكمة الله وقدرته. إن فكرة ملايين تتعارض مع طبيعة وشخصية الله وحكمته وقدرته.

فالكتاب يعلن بوضوح أن الأشياء تخرج إلى الوجود فورًا بمجرد نطق الله للكلمة دون أن تحتاج الخليفة إلى

ملايين السنين لتظهر إلى الوجود "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ

وَبَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ جُنُودِهَا... لِأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ" (مز33:

9-6 فان دايك) "he commanded and it stood fast" NKJV.

وهذا المفهوم هو ما نرى صدهاء في العهد الجديد من خلال معجزات

رب المجد التي كانت تتم بكلمة منه، وهو ما يتضح باستخدام تعبير "ولوقت" (مر5: 29، مر10: 52).

كما أن فكرة ملايين السنين تتعارض مع حكمة الله،

وذلك لأن النظريات الحديثة تقدم خطأ زمنيًا لا يتفق مع حكمة

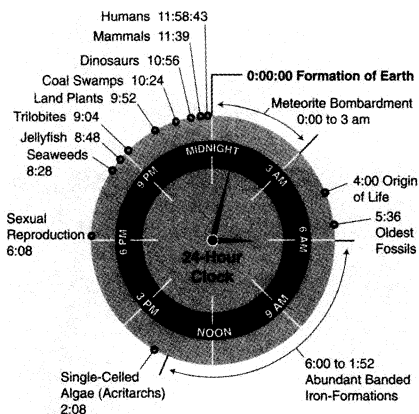
خالق مُدبِر. فهل يتفق مع حكمة الله أن يخلق الأرض من 4.5

بليون سنة، وينتظر بليون سنة ليخلق أول كائن ذو خلية واحدة

protozoan، ثم ينتظر 2.9 بليون سنة ليخلق أول كائن عديد

الخلايا metazoan، وباقي الكائنات الحية بأنواعها وأجناسها

يخلقها في آخر 625 مليون سنة فقط.



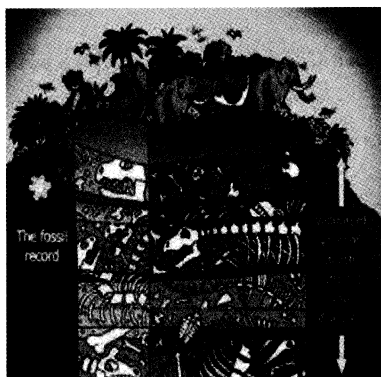
الموت قبل السقوط. إن القول بأن عمر الأرض ملايين

السنين يعني قبولًا ضمنيًا لعمر طبقات الأرض ونظرية

الأعمار الجيولوجية والحفريات. وفي هذه النظرية يوجد

البلايين من حفريات الكائنات الحية من مختلف الأجناس في

طبقات أرضية أقدم من تلك التي تحتوى حفريات الإنسان.



ووفقاً للعلماء فإن هذه الكائنات عاشت وماتت قبل ظهور الإنسان بملايين السنين. وهذه يعني أن الموت والفساد كان سائداً في العالم خلال عصور ما قبل الإنسان. إن هذا الاستنتاج هو نتيجة حتمية للإيمان بملايين السنين، وهذا يتعارض بلا شك مع الفكر الكتابي الذي يُشير إلى أن الموت دخل العالم بسبب الخطيئة والسقوط: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْما بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَارَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَحْطَأَ الْجَمِيعُ" (رو5: 12). بل أنه يجعل الموت جزءاً من الخليقة الأصلية.

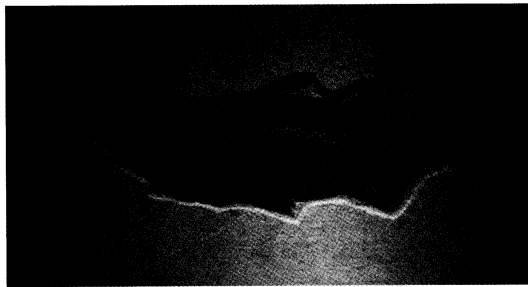
إن الموت هو أسوأ ما يواجهه العالم، ولا يُمكن تصور أن يكون جزءاً من خليفة الله الصالحة، فالكتاب المقدس خلال أسفاره المختلفة ينظر للموت على أنه شر ولعنة (تث30: 15)، هلاك (2صم22: 5)، ظلّمة (أي10: 12)، مُخيف (مز55: 4)، ولذلك فإن أي إبداع أو تعليم بأن الموت دخل إلى العالم قبل السقوط، يعني تلقائياً أن الله هو خالق الموت. وهذا تعليم خاطئ، فالله وهب الحياة، أما الموت فليس من صنعه "إذ ليس الموت من صنع الله، ولا موت الأحياء يسره" (حك 1: 13). فالموت هو نتيجة طبيعية للخروج من دائرة الحياة التي خلقها الله. بل أن الموت إذا كان من صنع الله، فلهذا من شأنه أن يهدم سر الفداء، فهل من المنطقي أن يفدي الله الإنسان من شيئاً هو سببه؟

كما أن سجل الحفريات يُخبرنا أن 90% من أنواع الكائنات الحية قد انقرضت خلال مئات الملايين من السنين، وأن أجناساً بالكامل قد أبيدت بالكامل قبل ظهور الإنسان. فكيف يُمكن أن نقبل أن الله المُحب الذي أوجد الخليقة لخدمة الإنسان، أن يسمح بفناء 90% منها قبل أن يخلق الإنسان؟ وكيف يُمكن لله أن يُنظر في نهاية اليوم السادس إلى تلك الطبقات الصخرية التي تتمثل مقابر جماعية لملايين من الكائنات ويراهنا "حسنة جداً". إن هذا لا يتفق مع الإعلان الكتابي وخاصة: "جَبَلَ الرَّبُّ الْإِلَهُ مِنْ الْأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طَيْرِ السَّمَاءِ فَأَحْضَرَهَا إِلَى أَدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ أَدَمَ ذَلِكَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهِيَ اسْمُهَا" (تك2: 19)، إن تعبير "كل" يُصبح بلا قيمة إذا كان 90% من الكائنات انقرضت قبل خلق الإنسان. وليس انقراض الكائنات وموتها هو المشكلة الوحيدة، بل الأسباب التي وراء هذا الانقراض. فبحسب الرأي العلمي، فإن

الأرض تعرضت إلى خمس موجات ضخمة من الإنقراض الجماعي للكائنات الحية، وتضمنت تلك الموجات كوارث بيئية ضخمة. وهنا يطرح سؤال هام: كيف يُمكن قبول أن هذا العالم الممتلئ بالكوارث الطبيعية أن يكون هو تصميم الله؟ أن هذه الظروف تتعارض مع الأصحاحات الأولى للتكوين التي توصف عالماً مثاليًا لم يطله القبح.

كما تُشير العديد من الحفريات إلى وجود العديد من الامراض مثل النقرس والتهاب المفاصل والسرطان في العديد من الكائنات الحية في عصور ما قبل الإنسان، وبالكبح هذا لا يتفق ما عالم ما قبل الخطية الذي قال الله عنه "حسن جدًا".

كما نقرأ في سفر التكوين "وَقَالَ اللَّهُ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْلِ يُبْزَرُ بَزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرٌ شَجَرٍ يُبْزَرُ بَزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا. وَلِكُلِّ حَيَوَانَ الْأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَابَةٍ عَلَى الْأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا». وَكَانَ كَذَلِكَ. وَرَأَى اللَّهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَأَدَّا هُوَ حَسَنٌ



جداً" (تك: 1: 29-30). يفهم من تلك الأعداد أن جميع

الكائنات الحية بدءًا من الإنسان والحيوانات كانت نباتية أي غذائها كان من الأعشاب والبقول والنباتات، فلم يكن هناك افتراس ودموية إلا مع

سقوط الإنسان ولعن الأرض، والتي عندها تغير طبع الحيوان وفقد حالته الأولى التي خلقه الله عليها، كما صارت الأرض مكانًا للقتل وسفك الدم. إن هذا الاعتقاد لا يتفق مع سجل الحفريات الذي يشمل الافتراس والعنف بين الكائنات الحية.

إن تقديم أي تعليم كتابي عن خليقة قديمة تعرضت قبل ظهور الإنسان إلى كل أشكال الشرور الطبيعية من زلازل وبراكين وفيضانات إلى جانب الأمراض والموت والفتاء، إنما يُشير بأصابع الاتهام إلى الله نفسه كونه المتسبب في كل تلك الشرور. فكيف إذا ندعي أن الله غير مُسبب للشرور؟

يُشير الكتاب المقدس إلى حدوث الطوفان الكتابي من حوالي 4500 سنة، في حين أن العلماء يُشيرون إلى أن الطبقات الصخرية قد تكونت عبر ملايين السنين. فلو كان الطوفان قد حدث بالفعل، لكانت تلك الطبقات قد دُمّرت بالكامل بفعل الطوفان والحركات الأرضية العنيفة التي صاحبته. وهذا يضع المؤمن المسيحي أمام مفترق طرق، أما أن يؤمن بالطوفان الكتابي أنه هو المسئول عن كل الطبقات الصخرية الرسوبية بما تحتويه من حفريات، وأما أن يؤمن أن تلك الطبقات الصخرية والحفريات نتيجة ملايين السنين من الترسيب الباطني.<sup>206</sup>

### إن الاعتقاد بملايين السنين:

- يتعارض مع صفات الله القدوس ويطعن في صلاحه وحكمته.
- يشكك في مصداقية الكتاب المقدس ووحيه.
- يهدم عقيدة الفداء، إذ يضع الموت قبل السقوط.
- يجعل الله هو المسئول عن وجود الشر والألم والمعاناة والموت في العالم.
- يخضع الكتاب المقدس للتأويل الشخصي بما يتناسب مع آراء العلم المتغير المنحاز.
- يقرر ويتفق مع نظرية التطور.
- يُنكر الطوفان الكتابي.

## الاعتقاد بأن اليوم يمثل حقبة زمنية

يفترض أصحاب نظرية الحقب أن كلمة "يوم day yom" في قصة الخلق (تك1:1، تك2:3) لا

تعني اليوم المعتاد الذي نعرفه (24 ساعة)، ويقدمون في ذلك عدة أسباب:

1- كلمة "يوم" جاءت في الكتاب المقدس بعدة معاني مثل:

• يوم معتاد: "فِي الشَّهْرِ الْأَوَّلِ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ تُقِيمُ مَسْكَنَ خَيْمَةٍ

الاجْتِمَاعِ" (خر40:2)

• الآن: "الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ" (مز95:2)

• المستقبل: "إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ أَنْتَ الْيَوْمَ عَابِرِ الْأَرْضِ لَتَدْخُلَ وَتَمْتَلِكَ شُعُوباً أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ

مِنْكَ وَمُدُنًا عَظِيمَةً وَمُحَصَّنَةً إِلَى السَّمَاءِ." (تث9:1)

• عندما: "هَذِهِ مَبَادِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جِئْنَا خَلَقْنَا يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الْإِلَهَ الْأَرْضَ

وَالسَّمَاوَاتِ" (تك2:4)

• ومعاني أخرى غيرها، وهذا بالنسبة لهم يُشير إلى أن اليوم ليس يوماً حرفياً.

2- تعبير "صباح ومساءً" يُقصد به بداية ونهاية لكل حقبة، وذلك لأن الشمس والقمر لم يكونا قد

خُلِقا حتى اليوم الرابع، وبالتالي لا يُمكن أن تكون الثلاثة أيام الأولى أيام حرفية.

3- تعبير "صباح ومساءً" لم يُذكر مع اليوم السابع مما يؤكد أن اليوم السابع لم ينتهي بعد، وإنما ما

زلنا نحيا فيه. ويرون إذا كان هذا هو الحال مع اليوم السابع، فلا مانع أن تكون الأيام الستة

الأولى مثله.

4- قول معلمنا بطرس في رسالته الثانية: "وَلَكِنْ لَا يَخْفَ عَلَيْكُمْ هَذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الْأَجْبَاءُ، أَنَّ

يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفُ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ." (2بط3:8)، مما يؤكد أن اليوم قد

يكون حقبة زمنية.

## الرد على تلك الافتراضات:

### التحليل اللغوي.

- 1- رغم تعدد استخدامات كلمة "يوم"، إلا أنها لا تُستخدم مُطلقًا للإشارة إلى حقبة مُحددة من الزمن في الكتاب المقدس. فهل تعدد معاني الكلمة يُبيح لنا أن نستخدمها بأي معنى نريده؟!!
- 2- يتفق مفسري الكتاب المقدس أن تفسير النص الكتابي يكون عن طريق، أولاً: القراءة الطبيعية المباشرة والمعنى الظاهري، ما لم تؤدي القراءة إلى معنى شاذ أو غير منطقي للفكر العام للكتاب المقدس، وعندها، فإننا نبحث عن معنى آخر يكون أكثر قبولاً. ثانيًا: باستخدام القرينة، ومن خلال دراسة السياق الذي جاء فيه النص. ومن خلال المبدئين، يتضح أن القراءة البسيطة المباشرة هي الأصح والأكثر ملائمة للسياق وهي التي تُشير إلى يوم حرفي وليس حقبة.
- 3- بدراسة النص: "هَذِهِ مَبَادِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جِئْنَا بِحِينِ خُلِقَتْ يَوْمَ عَمَلَ الرَّبِّ الْآلَهُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ" (تك2: 4)، نجد أن كلمة "يوم" جاءت بصيغة ظرفية "beyom" لتعني "حين" وليس كلمة "يوم" في العبرية "yom"، وبالتالي هناك اختلاف في الكلمتين في الأصل العبري.
- 4- جاءت كلمة "يوم" 2291 مرة في العهد القديم، وفي كل مرة وردت في الكلمة مصحوبة بتعبير "صباح ومساء" (38مرة)، كانت دائمًا تعني يوم (24ساعة). وفي كل مرة وردت مع كلمة "صباح" أو مساء" (23مرة)، كان أيضًا تعني يوم (24ساعة). وفي كل مرة وردت مع كلمة "ليل" أو "ليلة" (52مرة)، كانت دائمًا تعني يوم (24ساعة). وفي كل مرة جاءت مرتبطة مع عدد (410 مرة خارج التكوين)، كانت دائمًا تعني يوم (24ساعة). وبمراجعة العدد الخامس من الأصحاح الأول: "وَدَعَا اللَّهُ النَّورَ نَهَارًا وَالظُّلْمَةَ دَعَاهَا لَيْلًا. وَكَانَ مَسَاءً وَكَانَ صَبَاحًا يَوْمًا وَاحِدًا" (تك1: 5). نجد أن الأربعة إشارات السابقة قد تم استخدامها، مما يؤكد أن يوم الخلق هو اليوم المعتاد. في حين أن العدد الذي يتم الاستشهاد به (تك2: 4) الذي سبق الإشارة إليه، لا يحمل أي من الإشارات السابقة.

5- تعبير "مساء وصباح" يؤكد بوضوح أننا أمام يوم عاديًا وليس حقبة. فلا يوجد في كل قواميس اللغة العبرية، ما يُشير إلى أن "صباح" تعني بداية، وأن "مساء" تعني نهاية. ولو كان الكتاب المقدس يقصد بداية حقبة ونهايتها، لجاء التعبير: "صباح ومساء"، ولكن على العكس، فإن التعبير المُستخدم هنا هو "مساء وصباح"، وفي هذا إشارة واضحة إلى اليوم المُعتاد الذي بدأ بالظلمة وشهد خلقه النور، وهذا ما جعل اليهود يبدؤون يومهم من المساء.

6- جاء في نفس الأصحاح: "وَقَالَ اللَّهُ: «لِتَكُنْ نُورٌ فِي جَدِّ السَّمَاءِ لِتَفْصَلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَتَكُونَ آيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينَ.» (تك1: 14). وهذا العدد يشير إلى أن الشمس والقمر والنجوم سينظمون الأوقات والأيام ثم السنين. تُظهر القراءة تصاعد زمني، فالأوقات جزءًا من الأيام، والأيام جزءًا من السنين. وبالتالي إذا كانت الأيام حُقب زمنية، فكيف تُصبح جزءًا من السنين؟ بهذا الشكل تُصبح "السنين" بلا معنى في هذا النص.

7- لو أراد الوحي الإلهي ان يخبرنا عن فترات زمنية طويلة، فهناك كلمات وتعبيرات أخرى متعددة أكثر وضوحًا، وبالتالي يُمكن استخدامها بدلا من كلمة "يوم"، مثل: صيغة الجمع من يوم "أيام yamim"، أو كلمة "زمان zeman"، أو كلمة "دهر olam"، أو كلمة "جيل dor"، أو كلمة "وقت eth".

8- لم تقم أي ترجمة من ترجمات الكتاب المقدس بترجمة كلمة "يوم" إلى مصطلح مناسب للحقبة الكبيرة لتوضيح المعنى. ان استخدام جميع الترجمات في العالم لنفس كلمة "يوم" لهو شهادة قوية على أن هذا هو المعنى المقصود.

9- لم يأتي تفسير الأيام على أنها حقب طويلة من الزمن في أي تفسير قديم من تفاسير آباء الكنيسة الأوائل أمثال القديس باسيليوس والقديس يوحنا ذهبي الفم والقديس أغسطينوس (وحتى التفسير الرمزي لبعض آباء الكنيسة لم يتضمن مفهوم حقب طويلة من الزمن). وحتى التفسير اليهودي نفسه في التلمود لم يتضمن تلك الفكرة، يقول د. جيمس بار أستاذ اللغة العبرية في جامعة أكسفورد: "على حد علمي، فإنه لا

يوجد أستاذ للغة العبرية أو العهد القديم في أي جامعة عالمية المستوى لا يعتقد أن كاتب سفر التكوين (أصحاحات 1-11)، قصد أن ينقل لقرائه أن الخلق حدث في سلسلة من ستة أيام والتي كانت هي نفسها 24 ساعة والتي نختبرها اليوم".

10- أخيرًا: أن إدعاء أصحاب الحقب الزمنية، يُظهر الله بشكل يجعله غير قادر على اختيار أنسب الألفاظ لتوصيل المعني، أو أنه يحاول مراوغتنا وخداعنا بكلمات تحمل معنى آخر غير ما تبدو. وحاشا له في الحالاتين.<sup>207</sup>

### أدلة تفسيرة من باقي أسفار الكتاب المقدس

1- سلاسل الأنساب التي كتبها موسى النبي في سفر التكوين وأهمها المسجلة في الأصحاح الخامس، تعكس مدى الدقة في تسجيل الأوقات والأزمنة، حتى أنه كان يسجل أعمار الآباء البطارقة بالسنة مدققًا. فكيف لا يهتم بأن يخبرنا مدة هذه الحقب المزعومة. ولماذا يستخدم "اليوم" بشكل رمزي ليعبر عن حقب طويلة، ثم يستخدمه في نفس السفر بشكل حرفي؟

2- يؤكد الكتاب المقدس في أكثر من نص أن عملية الخلق تمت في أسبوع واحد فقط، وهو ما ذكره موسى النبي بنفسه في سفر الخروج: "اذكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِنُقَدِّسَهُ سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَيَبِيهُ سَبْتُ لِلرَّبِّ الْهَكَ. لَا تَصْنَعُ عَمَلًا مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَامْتِكَ وَبَهيمَتِكَ وَزَيْلِكَ الَّذِي دَاخَلَ أَبْوَابِكَ. إِنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذَلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ." (خر20: 8-11)، وأيضًا: "فَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ لِيَصْنَعُوا السَّبْتَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. هُوَ بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِلَامَةٌ إِلَى الْآبِدِ لِأَنَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اسْتَرَاحَ وَتَنَفَّسَ" (تك31: 16-17). إن هذه الأعداد تخبرنا بشكل قاطع أن الله خلق العالم في ستة أيام، وفي اليوم السابع استراح. وأيضًا جاء في بشارة القديس متى عن السيد المسيح له المجد وهو

يتحدث مع الفريسيين عن الزواج: "أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟" (مت 19: 4)، وهي إشارة واضحة أن خلق الإنسان كان في البدء، فلو كانت الستة أيام حقب طويلة، فهذا يعني أن آدم وحواء خُلقا في الحقب السادسة، وكان رب المجد قال عن خلقهما "منذ نهاية الخلق" وليس كما سجل القديس مرقس: "وَلَكِنْ مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللَّهُ." (مر 10: 6).

### الأدلة العلمية والتاريخية والبيئية:

1- أيام الخلق هي أساس فكرة الأسبوع وهو نظام زمني معروف في العالم كله منذ القديم. وهنا يجب أن يُطرح سؤال: من أين عرف العالم فكرة الأسبوع؟ إن باقي الأنظمة الزمنية لها مصدر في الطبيعة يحكمها وتعتمد عليه. فالسنة تعتمد على دوارن الأرض حول الشمس، والشهر يقوم على دوران القمر حول الأرض، واليوم يتحدد بدوارن الأرض حول محورها. ولكن ماذا عن الأسبوع؟ فهو لا يقوم على أي ظاهرة فلكية.

2- إذا سلمنا بأن اليوم يُمثل حقبه زمنية طويلة، فإن هذا لا بد أن ينعكس على طبقات الأرض بحيث نرى انتظامًا لعدد من الطبقات يتوافق مع الحقب الزمنية، ولكن هذا لا يحدث في الحقيقة، كما سبق الإشارة. كما أن الحقب الستة لا تتوافق مع أي تفسير علمي لنشأة الكون، وحتى إذا تم وضع مثل هذا التفسير، فسوف يكون افتراضياً بشكل لا يعكس تساوي تلك الحق زمنيًا.

3- يؤمن العلماء أن النباتات والأشجار ظهرت متأخرة في شجرة التطور بعد الأسماك والطيور، الحيوانات، بينما تخبرنا قصة الخلق أن النباتات خُلقت في اليوم الثالث وبعدها الكائنات الحية. كذلك الزواحف تأتي في شجرة التطور سابقة للطيور التي تطورت منها، بينما سفر التكوين يخبرنا أن الطيور ظهرت في اليوم الخامس، وبعدها الزواحف في اليوم السادس.

4- هناك في الطبيعة ما يُعرف باسم "العلاقات التكافلية Symbiosis relationship"، وهو يعني وجود كائنين يعتمد وجودهما على بعضهما البعض، فإذا غاب أحدهما، فإن الآخر لا يستطيع الحياة. كثير من

تلك العلاقات تتم ما بين نباتات وحشرات، وبالتالي لا يُمكن تصور استمرار حياتهما، إذا كان الفاصل بينهما ملايين السنين.<sup>208</sup>

5- هناك الكثير من الأدلة والمقاييس العلمية التي تُثبت أن عمر الأرض لا يُمكن أن يتعدى بضعة آلاف من السنين (سوف يتم الإشارة إليها لاحقاً تحت عنوان قصر عمر الأرض).

جدير بالذكر أن: استخدام معلمنا بطرس لتعبير "يوم واحدًا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد"، لا يعنى أن القديس بطرس يقول أن اليوم يساوي ألف سنة، ولكن ما قصده هو التأكيد على أن الله فوق الزمن وأن حساباته تختلف عن منظورنا الزمني بشكل تام. وبهذا فإن القديس بطرس يخاطب المؤمنين الذين يعانون من اضطهادات وآلام موضحاً لهم أنه سيأتي وقت تتحقق فيه مشيئة الله، وبالتالي ما يقوله القديس بطرس ليس له علاقة بأيام التكوين بأي شكل.

أما عن إدعاء أن الكتاب لم يذكر عن اليوم السابع "كان مساء وكان صباح يوماً سابعاً"، فهذا ليس دليل على أن الأيام الستة ليست أيام معتادة، كما إنه إن كان لم يُذكر على أن اليوم السابع إنتهي فهو أيضاً لم يُذكر أنه أبتدأ، ولكن هذا الشكل من السرد هو ممارسة طبيعة يتم استخدامها في الحديث اليومي عندما يتم سرد سلسلة من الأحداث خلال فترات منتظمة، فيتم وضع عبارة فاصلة تختم كل حدث وتمهد للحدث الذي بعده حتى نصل إلى الحدث الأخير فلا يكون هناك حاجة لاستخدامها. إن إضافة تعبير "مساء وصباح" لليوم السابع، يتطلب وجود يوماً ثامناً. وإذا افترضنا أن اليوم السابع بدأ ولم ينتهي، فهذا اليوم تضمن سقوط الإنسان والخطية والشر والموت المُمتد عبر التاريخ البشري، فكيف تكون راحة الرب في يوماً كهذا. أخيراً إن تعبير "استراح" كما جاءت في (تك2: 2)، جاءت في الماضي التام، مما يعنى أن الفعل قد حدث وتم في الماضي،

وهو ما يشير إلى أن اليوم السابع قد تم ومضى. ولو كان اليوم السابع لا يزال مستمرًا لجاؤ زمن القعل في الماضي المستمر.<sup>209</sup>

إن الكتاب المقدس هو كلمة الله التي بها يخاطب الله كل إنسان بشكل شخصي. ولذلك فقد كتبها الروح القدس بشكل بسيط يفهمه الجميع، وهذا ينطبق بشكل خاص على سفر التكوين.

### أدلة عن قصر عمر الأرض:

إن الأدلة العلمية التي تؤكد مصداقية الكتاب المقدس، و تنفي فرضية ملايين السنين كثيرة جدًا ومنها

على سبيل المثال:

(1) أنه تم إكتشاف في ولاية مونتانا في الولايات

المتحدة الأمريكية عظمة فخذ لديناصور يسمى

(تيرانوصورس ريكس)، و بها أوعية دموية بخلايا بطانية

(endothelial cells) وتحتوى على كرات دم حمراء

مشابهة لتلك الموجودة في الطيور والزواحف، والسؤال:

كيف يمكن لهذه الخلايا أن تبقى ملايين السنين بدون أن

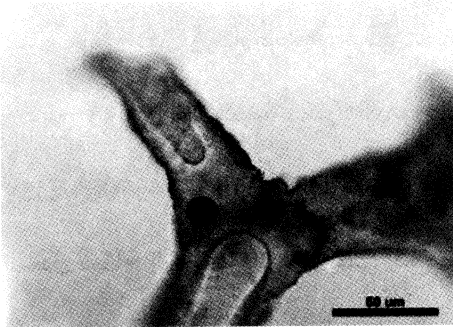
تتحلل؟

(2) معروف أن الشمس تستمد طاقتها عن طريق تحول نووى حرارى لغاز الهيدروجين إلى غاز

الهليوم في باطن الشمس فيجعلها تبدو أكثر بريقًا، فلو أن الحياة بدأت من 3.8 بليون سنة، فهذا يعنى أن

الشمس في ذلك التوقيت كانت 25% أقل بريقًا، وهذا يجعل حرارة الأرض تساوى -3 درجة مئوية، وهو

الأمر الذى لا يتناسب تمامًا مع بداية ظهور الحياة.



(3) من المعروف أنه أثناء التحلل النووي لعنصر اليورانيوم الموجود في بعض الصخور الطبيعية، ينتج عن ذلك الكثير من غاز الهليوم وهو غاز خامل خفيف سريعاً ما يتسرب إلى الغلاف الجوى بمعدل ثابت، وبهذا المعدل، يكون من المفترض أن يتسرب كل الهليوم في مدة لا تتجاوز 100 ألف سنة، ولكن الغريب أن أغلب تلك الصخور مازالت غنية بعنصر الهليوم (58% من الهليوم الذى يمكن أن ينتجه اليورانيوم مازال موجود)، كما أن كمية الهليوم الموجودة في الغلاف الجوى لا تعكس ملايين السنين التى يفترضها البعض.

(4) أمر آخر هام، وهو إنه تم إكتشاف أن المجال المغناطيسى يضمحل بمعدل متسارع يساوى تقريباً 7% من أول قياس تم في عام 1829م، فلو أن عمر الأرض ملايين السنين، فهذا يعنى هذا المجال كان قوى بشكل يفوق الخيال ويمنع إمكانية بداية أي حياة، حتى يمكن أن يظل له وجود بالقياس الحالى.

(5) دليل آخر يقدمه عنصر الكربون المشع C-14، وهو عنصر غير ثابت يتحول سريعاً إلى N-14، (  $T_{1/2} = 5700 \text{ year}$  ) هو الزمن الذى يتم في تحول نصف كمية الكربون إلى نيتروجين، و وفقاً لهذا المعدل نحتاج إلى 57300 سنة حتى يتم تحلل كل كمية الكربون المشع الموجودة، إذاً كيف يمكن تفسير إحتواء الحفريات التى يفترضوا أن عمرها ملايين السنين على كربون مشع؟، الأمر الأكثر دهشة هو إحتواء حجر الماس الذى يقاوم أي تلوث خارجى بسبب صلابته على كربون مشع، مؤكداً عمر الأرض القصير.<sup>210</sup> (هذا إلى جانب العديد من الأدلة العلمية الهامة الأخرى التى يُمكن الرجوع إليها)

مما سبق يتأكد بطلان إدعاء ملايين السنين الذى يستند عليه التطوريون لدعم فرضيات التطور الكيمياءى والبيولوجي، كفرضيات بديلة لوجود خالق فوق طبيعى.

210. موقع answersingenesis، "أفضل 10 إثباتات تؤكد عمر الأرض القصير"، تاريخ الإقتباس: مايو 2024.  
<https://answersingenesis.org/evidence-for-creation/10-best-evidences-young-earth>

## إعتراضات على حُجة التصميم:

قدم العديد من الملحدّين إعتراضات على التصميم، أهمها أن نظرية التصميم لا يتم تفسيرها بالاستناد إلى قانون طبيعي، فيدعون أن "النظريات العلمية يجب أن تُفسر باستخدام القوانين الطبيعية، ولأن نظريات التصميم أو الخلق ليست كذلك، فهي بالتأكيد ليست علمية".<sup>211</sup> بالطبع يُمكن الرد على هذا الأعتراض من خلال النقاط التالية:

(أ) الكثير من القوانين وصفية وليست تفسيرية، فهي تصف الأحداث، ولكنها لا تفسر لماذا تحدث هذه الأحداث. فالقانون العام للجاذبية الذي أعترف نيوتن بتلقائية أنه لا يُفسر بل يصف فقط. وبالتالي فإن الإصرار على مبدأ أن العلم يجب أن يُفسر بالقوانين الطبيعة سوف يستبعد كل القوانين الفيزيائية من ميدان العلم التي تصف رياضياً ولكن لا تُفسر الظاهرة المكتشفة.

(ب) العديد من العلوم التطبيقية والعلوم التاريخية لا تستخدم القوانين، بل تعتمد بشكل رئيسي على مواصفات الظروف والأحداث المسببة في الماضي وليس القوانين، وهو ما يُعرف بالبحث الاستكشافي. فالقانون لا دور له في التفسيرات التاريخية.<sup>212</sup>

## أعتراض آخر

التصميم الذكي لا يُمكن أن يكون مفهومًا علميًا، لأن الشيء الذي لا يُمكن قياسه أو إدراكه أو تصويره ليس علمًا. فيقول جيرالد سكوج: "الإدعاء بأن الحياة نتيجة لخلق مُصمم بفعل مُسبب ذكي، لا يُمكن اختباره، ولا يدخل في مجال العلم".<sup>213</sup> يمكن الرد على هذا الإدعاء من خلال عدد من النقاط:

211 . ماير، العلم ودليل التصميم في الكون، ترجمة رضا زيدان، 174.

212 . ماير، العلم ودليل التصميم في الكون، 175-176.

- أ) الكثير من الأشياء لا يُمكن ملاحظتها مباشرة أو دراستها، نظريًا وعلميًا، ولكن هذا لا يمنع من التسليم بوجودها، فكثير من العلماء يقومون باستنتاج ما لا يُمكن ملاحظته مما هو ملاحظ، كالقوى والذرات والمركبات البيولوجية الجزيئية والخصائص الجيولوجية.
- ب) عدم القابلية للملاحظة لا يحول دون القابلية للاختبار، فدائمًا تُختبر الأشياء غير القابلة للملاحظة المباشرة بمقارنتها مع الظواهر الملاحظة. فكثير من النظريات العلمية تُقيم بشكل غير مُباشر بمقارنة قوتها التفسيرية مع الفرضيات المنافسة.
- ت) إن تطبيق هذا المبدأ بنزاهة وشفافية من شأنه أن يستبعد نظرية التطور بالتبعية.<sup>214</sup>

### إعتراض آخر

التصميم الذكي غير قابل للتكذيب، وذلك لأنه لا يُمكن أخباره بالطرق العلمية، بالطبع هذا الإدعاء غير صحيح، لأن الباب مفتوح على مصراعية لتكذيب التصميم الذكي، وذلك من خلال التجارب المعملية التي تحاول تقديم تفسير لأنظمة بعينها بعيدًا عن المصمم الذكي. ففي كل مرة يفترض فيها الداروينيين أن نظامًا ما حيويًا قد يكون نتاج لعمليات داروينية، فإن هذا الأثبات إن تحقق فهو بمثابة تكذيب للتصميم الذكي.

### إعتراض آخر

لأننا إلى الآن لم نعرف كيفية ظهور التعقيد المخصص في الفيزياء والأحياء، فإننا نلجأ إلى فكرة التصميم الذكي الغامضة، وبناء عليه فإن مفهوم التصميم نابع من الجهل وليس تفسيرًا علميًا.

يُمكن الرد على هذا الإدعاء، بأننا نستدل بالآثر الذي سببه الفاعل الذكي كأفضل تفسير للأحداث والظواهر وذلك من خلال خبرتنا التي تؤكد أن فقط الفاعل العاقل لديه القدرة على خلق تعقيد وتصميم ومحتوى معلوماتي. فمن خلال خبرتنا نستطيع أن نستنتج أن الأنظمة الحية والخصائص المشروطة في القانون الفيزيائي نتاج للتصميم كأفضل تفسير وليس الصدفة أو العمليات الطبيعية. وبناء عليه فإن الاستدلال

214 . ماير، العلم ودليل التصميم في الكون، 183-185.

بالتصميم لا ينبع من الجهل، بل نتاج لما نلاحظه تعقيد. فعندما نواجه هذا الكم من المعلومات في الجزيئات الحيوية الضرورية للحياة أو الضبط الدقيق لقوانين الفيزياء، فلا بد ان نستنتج أن فاعلاً ذكياً صاحب وعياً هو من أوجد هذه الانظمة.<sup>215</sup>

### إعتراض آخر

لماذا لا يكون النظام الذي يُمكن رصدده في الكون هو نظاماً قائماً في الحيز الوجودي الذي نعيش فيه فقط، في حين أن هناك مساحات كونية بها فوضى كاملة، وكوننا سوف يُصبح في حالة الفوضى في يوماً ما وبالتالي لا حاجة للاستدلال على ضرورة وجود مُسبب.

يمكن الرد على هذا الإدعاء من خلال الملاحظة التجريبية، فعندما خرج الإنسان إلى الفضاء الخارجي، لم يجد عبثاً أو غياباً للانتظام والنظام، بل عاين ذكاءً عميقاً وأكثر تعقيداً، فهناك انتظاماً في كل أرجاء الكون ونحن لا نمتلك أي معطيات تشككنا في وجود انتظام محكم ونظام يدير الكون.<sup>216</sup>

### ثالثاً: التشكيك في الحُجة الأخلاقية

تنص الحُجة الأخلاقية:

(1) لكل قانون مُشرع

(2) هناك قانون أخلاقي

(3) إذا هناك مُشرع للقانون الاخلاقي

إدعاءات النسبيين والملحدين لتفسير وجود القانون الأخلاقي بعيداً عن الله:

البعض يدعي أن فكرة القانون الأخلاقي ليست حقيقة من الأساس وأنه ليس سمة مطبوعة على النفس البشرية منذ لحظة وجودها، وذلك لأن الحضارات والعصور المختلفة كانت لديهم نُظم أخلاقية مختلفة. في

215 . ماير، 111-112.

216 . سمارنة، 168.

الحقيقة هذا غير صحيح، لأن الاختلافات طفيفة ولم تبلغ حد الإختلاف الكلي، بل بالعكس هناك تشابه كبير بين أخلاقيات كل الحضارات، فالإنانية لم تُمدح ابداً وكذلك الخيانة.<sup>217</sup>

حاول الملحدون والنسبيين تفسير وجود القانون الأخلاقي، فقاموا بتقديم عدة فرضيات توضح طبيعة القانون الأخلاقي وسبب وجوده، فقد أفترضوا أن القانون الأخلاقي هو الغريزة الاجتماعية التي تطورت بدافع البقاء على مر الأزمنة، أو أنه مجرد عرف اجتماعي وشيئاً مكتسباً عبر التنشئة والتربية.

### هل الغريزة الاجتماعية هي القانون الأخلاقي؟

بمعنى اخر هل تطورت الغريزة والسلوك إلى ما يسمى القانون الأخلاقي؟

يدعي البعض أن القانون الأخلاقي، نابع من الغريزة الإنسانية، ومن السلوك البشري الذي تطور عبر

العصور.

**الغريزة:** هي الرغبة أو الميل للتصرف بطريقة معينة، والرغبة (الغريزة) تختلف عن وجوب التصرف (القانون الأخلاقي)، مثال: عند سماع استغاثة إنسان في خطر، هناك رغبتان: أولاً رغبة في المساعدة (غريزة اجتماعية)، ثانياً: رغبة في الابتعاد عن الخطر (غريزة حماية الذات). غير أنه هناك شيئاً ثالثاً في أعماق كل إنسان، يقول له عليك تلبية الرغبة في المساعدة وتحمية الرغبة في الهروب (هذا الشيء يختلف عن الرغبتين وخارج عنهما). الغريب أنه عندما تتعارض رغبتين، فالرغبة ذات الدافع الأقوى أو المنفعة الأكبر (البقاء حياً) يُفترض أن تسود، على الأقل من وجهة النظر الداروينية التي تنص على أن استمرار الأصلح والأفضل في الحياة هو ما يدير عجلة التطور. ولكن العكس يحدث فالإنسان يُظهر ميلاً أكثر للمساعدة حتى لو على حساب بقائه حياً: هذا هو القانون الأخلاقي: الذي يختار أي نغم يتم عزفه دون النغم الآخر (النوتة الموسيقية)، أما غرائزنا فهي المفاتيح التي تعزف.

**القانون الاخلاقي:** يقول لنا أن نحاول جعل الحافز الصحيح أقوى، فهو شيئا يدفعنا للقيام بالأمر الصائب. لا يمكن أن يكون القانون الأخلاقي جزءاً من الغريزة الاجتماعية، فليس بين غرائزنا واحدة لا يمكن للقانون الاخلاقي أحياناً أن يطلب منا قمعها أو أحياناً أخرى تنشيطها.<sup>218</sup>

### أليس القانون الاخلاقي مجرد عرف إجتماعي، أو شيئا نكتسبه عن طريق التربية؟

**الإدعاء:** إذا تعلمنا شيئا من والدينا أو معلمينا (سلوك سوي)، فلا بد أن يكون هذا إختراع بشري، وبالتالي هذا يجعل القانون الأخلاقي شيء مُكتسب عن طريق التلقين أو التعليم أو التنشئة، وليس جزءاً من الطبيعة البشرية.

هناك نوعان من الاشياء التي نتعلمها من والدينا:

**الفئة الأولى:** أعراف أو عادات أو اصطلاحات (مثل طريقة اللبس أو عادات الأكل أو التصرفات في مناسبات معينة) وهذه أشياء قابلة للإختلاف والتغيير.

**الفئة الثانية:** حقائق وقوانين (مثل جدول الضرب) لا يُمكن تغييرها، حتى إذا وُجدت الرغبة، وكون أن أحداً ما قد قام بتدريسنا تلك المفاهيم، فهذا لا يجعل الإنسان مصدر تلك القوانين أو مُشرعها، بل مجرد مُكتشف لها، وبدوره ينقل اكتشافه لآخر من بعده.

**السؤال الالهم إلى أي فئة ينتمي القانون الاخلاقي؟**

هناك سببان يُوكدا انتماء القانون الاخلاقي للفئة الثانية.

أولاً: الاختلاف بين المفاهيم الأخلاقية في زمان ما أو بلد ما أو ثقافة ضئيل جداً (ليس كما يعتقد البعض)، هذا عكس الأعراف والعادات بين الشعوب، تختلف إلى حد أكبر جداً.

ثانيًا: عندما نُفكر في الاختلافات بين أخلاقيات شعب وأخلاقيات شعب آخر، فهل نحسب ان هناك شعب أفضل أو أسوأ من الآخر؟ بمعنى هل حدث ترقى (تغيير إلى الأفضل) أو اصلاح (عن طريق مصلحين فهموا القانون الاخلاقي افضل من معاصريهم)؟

عندما نقول أن مجموعة من المفاهيم الاخلاقية أفضل من أخرى، تكون أخضعنا كليهما لمعيار ما. وإدعاء أن أحدهما أقرب لهذه المعيار الذي يختلف عن كليهما، فهذا دليل واضح على القانون الأخلاقي. مثال: إذا كان ممكنًا ان تكون مفاهيمنا الأخلاقية أصح، ومفاهيم النازيين أقل صحة، فلا بد من وجود شئ ما، نظام أخلاقي من نوع ما، حتى نقارن صحتهما به.

هناك أشخاصًا يُضخمون الفروقات، لأنهم لم يميزوا فوارق الأخلاقيات و فوارق الاعتقادات بشأن الحقائق؟ أحيانا يكون هناك اختلاف في واقع الحال نتيجة (للتقدم المعرفي) ولكن يبقى المبدأ الأخلاقي واحد.<sup>219</sup>

### حقيقة القانون الأخلاقي:

الجنس البشرى ينفرد بأمرين:

أولًا: نوع من السلوك ينبغي لهم أن يمارسوه (العدل، الانصاف، الأمانة، الصدق).

ثانيًا: يملكون الإختيار أن لا يخضعوا له.

قانون الطبيعة: يقول لك ما ينبغي للبشر ان يفعلوه الا أنهم لا يفعلونه.

ما يكمن وراء القانون؟

إذا كان خارج الكون قوة ضابطة، فلا يمكن أن تظهر لنا ذاتها كواحدة من الحقائق الواقعة داخل الكون، كما لا يقدر مهندس منزل ما ان يكون في الواقع جدارًا أو درجًا في ذلك المنزل. فالطريقة الوحيدة

219 . كريفت، نقد النسبية الأخلاقية: حوارات مع مؤيد للأخلاق المطلقة، 48-60.

التي يمكننا بها أن نتوقع من تلك القوة إظهار ذاتها ستكون داخل أنفسنا، بصورة سلطة مؤثرة أو وصية ثابتة، تحاول أن تحملنا على التصرف بطريقة معينة.

هناك من يدير الكون ويظهر ذاته صورة في صورة قانون يحث على فعل الصواب والشعور بالمسؤولية والقلق عند فعل الخطأ.

البعض يدعي أن السلوك الانساني ليس نتاج الصدفة، بل بفعل "كفاح قوة الحياة"، غير أن القانون لا بد أن يكون نتاج لعقل، وقوة الحياة وفقاً للإعتقاد التطوري مجرد قوة عمياء بلا أخلاق ولا عقل، لن تتدخل في شؤوننا ابداً مثل الإله الذي تعلمنا عنه في صغرنا.

القانون الأخلاقي يستدعي وجود شخص ما أو شئ خارج العالم المادى يستهدفنا. وبالنظر داخلنا نستنتج ان الكائن في ما وراء الطبيعة معنى على نحو شديد بالسلوك الصائب. المسيحية تطلب من الناس أن يتوبوا وتعددهم بالغفران، وتحذر من الدينونة أولئك الذين يصرون على فعل ما ينبغى أن يتوبوا عنه والذين لا يشعرون بأنهم يحتاجون الى غفران.

إن تطلع أحد إلى الحق، فقد يجد الراحة في النهاية، ولكن اذا تطلع الى الراحة، فلن يجد لا الراحة ولا الحق، بل مجرد كلام معسول وتفكير رغبوي في الحاضر وأساساً رهيباً في النهاية.<sup>220</sup>

القانون الأخلاق حقيقة موضوعية وليس تفضيلاً شخصياً لأى شخص. وهذا القانون ليس غريزة اكتسبها الإنسان كما سبق الإشارة، كما أنه ليس أعراف أو عادات مكتسبة تحصلت عليها الإنسانية عبر سنتين تطورها. فالقانون الأخلاق حقيقة موجودة، هو معيار موجود داخل كل إنسان وبمعزل عن تفضيله الشخصي. قد يختار البعض عدم الخضوع للقانون الأخلاقي، وهذا يرجع إلى حرية الإرادة الممنوحة للإنسان، غير أن عدم الخضوع لا يلغى وجود القانون الأخلاقي أو الدافع الذي يدفع الإنسان إلى اختيار الصواب ورفض الخطأ. إن القانون الأخلاق عصا قياس عليا، بواسطتها يستطيع الإنسان تقييم تصرفه

الخاص، أو حتى تصرفات الدول والحكومات والشعوب. ووجود هذا القانون، يتطلب وجود مشرع له، وه ما يُشير إلى الحجة الإخلاقية.

## قضايا تشكيكية خاصة بوجود الله

يتساءل الكثيرون قائلين: كيف يمكن للشر أن يوجد في عالم خلقه الله، وما زال يعتنى به؟ إن وجود

الشر في العالم يُشكك في حقيقة وجود الله؟ أو في صلاحه.

سؤال لماذا الشر؟

كان وما زال أحد أشهر التساؤلات الوجودية التي يطرحها البشر على مر العصور، وخاصة من جهة

من يتشكك في وجود الله. فهناك من عانى الشر وما سببه من ألم،

وهناك من يقف على قارعة الطريق محلاً وناقداً ومتسألًا: إن

كان الله حقًا كلي الصلاح وكلي القدرة، فلماذا إذاً يسمح بالشر؟

إن سؤال لماذا الشر؟ يطرح العديد من الأسئلة عن

طبيعة الشر، وهل له وجود حقيقي ملموس أم هو مجرد

غياب الخير؟ كما يطرح سؤال أكثر أهمية عن مصدر الشر، فهل الإنسان هو مصدر الشر؟ أم أن الله هو علة

وجوده؟ وهل يصح افتراض وجود مصدر للخير وأخر للشر؟ وهو ما يسمى بالثنائية الإلهية.

هل وجود الشر دليل على عدم وجود الله؟

أولاً، حقيقة الشر:

البعض يرى أن الشر متغلغل في طبيعة الأشياء، وأن له وجود جوهرى، وبالتالي يفترض أن الشر

من الأشياء الموجودة، وبالتالي يكون هناك خالق للشر، سواء كان هذا الخالق هو الله ذاته، أو إله آخر موازي

لله هو خالق الشر (كما اعتقد الغنوسيون والمانويين). بالطبع لا يمكن أن يكون الله خالق الشر، لأن الشر لا

يمكن أن يخرج من الخير، أو يختلط به، لأن بهذا الشكل لا يكون الخير خيرًا مطلقًا نتيجة لتلوث النبع الواحد.

كما لا يمكن أن يكون هناك مبدئين متناقضين (إله للخير وآخر للشر)، لأن هذا يتعارض مع مبدأ الألوهة المطلقة.<sup>221</sup>

في المقابل يرى البعض الآخر أن الشر ليس كيانًا ماديًا، وبالتالي فهو ليس له وجود جوهري، فالشر هو غياب الخير، كما أن الظلمة هي غياب النور، والبرودة هي غياب الحرارة، وبالتالي فإن الله لم يخلق الشر، لأنه أمر بلا وجود حقيقي، كما أن الله لم يخلق الظلمة بل خلق النور. يقول د. رونالد رودز أستاذ علم الدفاعيات: "الشر ليس موجودًا بحد ذاته، إنما هو تشويه لما كان موجودًا أصلًا. الشر هو غياب الخير والحرمان منه. الشر هو فساد ما هو جيد، كالصدأ على السيارة وتسوس الأسنان، أو هو حرمان مما هو موجود، كغياب النور الذي ينتج الظلمة، وبالتالي ليس له جوهر في حد ذاته". يؤيد هذا الرأي نورمان جايسلر المدافع الشهير قائلاً: "الشر ليس له كينونة حقيقية فعلية، ولكنه فساد حقيقي لكينونة فعلية موجودة، فهو فساد لما هو صالح أو جيد".<sup>222</sup> يقول القديس أثناسيوس الرسولي في كتاب "تجسد الكلمة": "كل ما هو شر فهو عدم، وكل ما هو خير فهو موجود".<sup>223</sup>

رفض أندرو ستو هذا الرأي، وأطلق عليه النظرة الأفلاطونية الجديدة، فيقول: "الشر ليس مظهر خارجي، ولكنه حقيقة في العالم". يمكن الرد على هذا الرأي، بأن الخطأ والشر، هما من جهة الوجود مجرد سلب أو عدم، ولكن من جهة الإرادة هما عمل إيجابي نابع من إرادة حرة، بمعنى أن الشر ليس أمر غير حقيقي، ولكنه في كينونته يعنى الحرمان الحقيقي من الجوهر الجيد.<sup>224</sup> أو بمعنى أبسط فالشر هو عمل حقيقي نابع من إرادة حرة، ولكنه يتضمن الحرمان من أمر جيد، مثل الظلمة التي تعنى الحرمان من النور. والدليل

221. تاوضروس، رسائل إلى عزيزى الملحد، 71.

222. القس بيشوى حلمى، وجود الله، حقيقة أم خرافة؟، 132-133.

223. القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة، ترجمة د. جوزيف موريس فلتنس (القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2003)، 11.

224. تاوضروس، رسائل إلى عزيزى الملحد، 82.

على هذا أن وجود الخير يُبديد الشر، كما أن وجود النور يُبديد الظلمة، فحين أن الظلمة لا تستطيع أن تبديد النور، وذلك لأن للنور وجود حقيقي وجوهر فاعل.

**ثانيًا: هناك نوعان من الشر:**

(1) الشر الأخلاقي **moral evil**، ويقصد به التصرفات السلبية التي يقترفها شخص تجاه أخيه الإنسان، ويتضح من التعريف أن هذا النوع يرجع إلى حرية إرادة الإنسان في الاختيار، والتي قد تتجه إلى الخير أو الشر.

(2) الشر الطبيعي **natural evil**، ويقصد به الزلازل والأعاصير والبراكين وما شابههم. وهذا النوع يمكن تفسيره عبر قوانين الطبيعة وظواهرها المختلفة.<sup>225</sup> كما أن الإيمان المسيحي يُضيف بعدًا وفهمًا آخر لهذا النوع من الشر يتأسس على فكر السقوط.

**ثالثًا: مصدر الشر:**

تتعدد الرؤى والاعتقادات الفلسفية حول مصدر الشر وعلته:

فالبعض يؤمن بالقدريّة **Fatalism**، التي تعتقد أن كل شئ مقدر من الله، وبالتالي فالله هو مصدر الشر، وهذه الرؤية لا تتفق مع صلاح الله وقداسته، ذلك كما سبق الإشارة لأن الشر لا يمكن أن يفيض من نبع الخير، وإلا فقد النبع خصائصه الخيرة.

آخرون يعتقدون في الحتمية **Determinism**، التي ترى أن كل شئ في الوجود هو نتيجة تفاعلات في الجسم والمجتمع والكون، وتلك الرؤية تجعل الإنسان غير مسئول عن أفعاله وعن ارتكاب الشر، يقول ريتشارد دوكنيز الملحد الشهير معبرًا عن هذا الاعتقاد: "لا يوجد خير أو شر، ولا صالح أو طالح، فكلنا نرقص على أنغام أحماضنا النووية". تلك الرؤية تنكر وجود الشر، ثم تهاجم الله بسبب وجود الشر الذي سبق أن أنكروا وجوده.

225. القس بيشوى حلمي، وجود الله، حقيقة أم خرافة، 135.

آخرون يعتقدون في حرية الإنسان المطلقة **Free Will**، تلك الحرية التي تجعل الإنسان هو المسؤول: مسئولية تامة عن الشر دون حدود أو ضوابط ، وتكمن مشكلة هذه الرؤية في أنها تُحمل الإنسان أكثر مما يحتمل، وتفترض أن الإنسان كائن غير محدود سواء في طبيعته، أو من خلال حواسه التي تتحكم في معرفته.

آخرون يعتقدون في الحتمية الإلهية **Theistic Detreminism**، حيث يعتقد البعض (طوائف إنجيلية) بأن معرفة الله المسبقة للأحداث، هي ما يدفع الأمور للحدوث، وبالتالي فالبشر مجرد أداة أو قطعة شطرنج يُحركها الله، فهو من عين البعض لفعل الخير وعين آخرون لفعل الشر، بالطبع هذه الرؤية لا تتفق مع عدل الله وصلاحه، فكيف يعاقب إنسان غير مسئول عن أفعاله؟ وكيف يكافئ إنسان لم يصنع الخير بإرادته؟

آخرون يعتقدون في الصدفة، وهي ما تؤمن به العلمانية، حيث يعتقدون بأن كل شئ بما فيه الشر هو نتاج للصدفة والعشوائية، وتخطئ هذه الرؤية إذ تعتقد أن الصدفة قوة محرّكة أو متحكم في الأحداث، على الرغم من إنها مجرد احتمالية رياضية.<sup>226</sup>

أما الرؤية المسيحية، فهي ترى أن الشر يرجع إلى حرية إرادة الإنسان التي قد تتجه إلى الخير أو الشر "فَدَّ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ" (تث30: 15)، فالله خلق العالم بلا شر، فالوحي الإلهي يقول عن الخليفة والإنسان: "وَرَأَى اللَّهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا" (تك1: 31 فان دايك)، وبالتالي فإن دخول الشر إلى العالم كان بسبب الحرية التي منحها الله للإنسان، تلك الحرية التي تتضمن إمكانية إختيار الشر "فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ خَالِدًا، وَصَنَعَهُ عَلَى صُورَةِ دَائِمِهِ، لَكِنْ بِحَسَدِ إِبْلِيسَ دَخَلَ الْمَوْتَ إِلَى الْعَالَمِ،" (حك2: 23-24). يقول سي. إس. لويس : "إن امكانية فعل الشر هو أحد الآثار الجانبية لحرية الإرادة، إلا أن هذه الحرية هي الطريق الوحيد الذي يجعل للمحبة والصلاح والفرح معنى جديدًا جديرًا بأن يُقننى، لذا فرغم

226. أبونا لوقا ماهر، "لماذا الشر والألم كورس"، apologetic program ask، تاريخ الإقتباس : مايو 2024.

علم الله بمخاطر الحرية التي قد يساء استخدامها إلا أنه يعلم أيضاً مزاياها الكثيرة، وبالتالي إختار أن يمنحها لنا".<sup>227</sup>

أما بالنسبة للشر الطبيعي ، فالرؤية المسيحية والكتاب المقدس، تُرجع هذا النوع من الشر إلى سقوط الإنسان، فالخلقة كما سبق أن ذكر خلقت حسنة جداً، وبالتالي فإن الكوارث الطبيعية هي نتيجة اللعنة التي أتت بسبب السقوط والخطية، فالله "قَالَ لِأَدَمَ: لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لَا تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْغُونَةٌ الْأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ" (تك3: 17)، وهو ما أكده القديس بولس الرسول في رسالة رومية قائلاً: "إِذْ أَخْضَعْتَ الْخَلِيقَةَ لِلْبُطْلِ- لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا - عَلَى الرَّجَاءِ" (رو 8: 20).<sup>228</sup>

كذلك فإن بعض الشرور التي نظنها طبيعية، هي في الواقع أخلاقية أي مرجعها حرية الإنسان مثل المجاعات التي تحدث بسبب جشع بعض الأفراد أو الدول، ورغبتهم في الحفاظ على تداول السلع الغذائية بأسعار مرتفعة، حتى أنهم يقومون بإلقاء الحبوب في المحيطات، أو حتى حين يمنعوا الموارد عن أجزاء من العالم، رغبة في التحكم السياسي بتلك المناطق. أو حين يتم استخراج البترول من طبقات الأرض فيؤدي إلى فراغات جيولوجية تنتج تحركات تكتونية تسبب زلازل. أيضاً حين يزداد معدل إحراق المواد البترولية فيزداد غاز ثاني أكسيد الكربون فيؤدي إلى ظاهرة الاحتباس الحراري وما ينتج عنها من تغيرات مناخية.<sup>229</sup>

227 . باسيلوس، الحقيقة في زمن ينكر الحقيقة، 65.

228. جايسلر وتورك، 418.

229 . الفس بيشوى حلمي، 136-138.

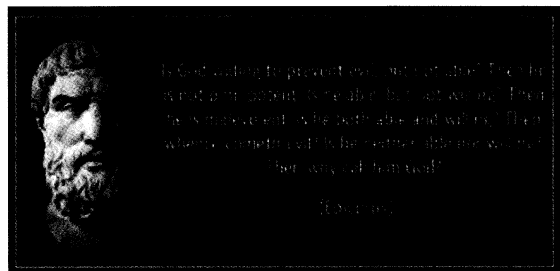
## رابعًا: الاعتراضات على الرؤية المسيحية لوجود الشر

يعترض البعض على الرؤية المسيحية لعلّة وجود الشر، وذلك عن طريق التشكيك في وجود وقدرة الله وصلاحه، حيث نجدهم يدعون أن وجود الشر في العالم، حتى لو كان بسبب الإنسان، هو دليل على عدم وجود الله، أو عدم قدرته على نزع الشر، أو عدم رغبته في نزعهم، وبالتالي عدم صلاحه.

إن مشكلة الشر تنشأ بسبب الصراع بين ثلاثة مفاهيم: (1) قدرة الله، (2) صلاح الله وعنايته، (3) وجود الشر في العالم. يرى البعض أن المنطق السليم يرفض تواجد هذا المفاهيم معاً في آن واحد، وبالتالي فإن الحل يكمن في تعديل واحد أو أكثر من هذه المفاهيم، مثل الحد من قدرة الله أو إنكار وجوده، أو التشكيك في صلاحه وعنايته، أو إنكار وجود الشر وإعتباره مجرد وهم.

لو لم يعلن الله أنه صالح، لأصبح ذلك مبرراً لوجود الشر، ولكن الله يعلن بكل وضوح أنه مصدر كل صلاح وأن كل الأشياء هي موضوع عنايته. كذلك لو كان الله محدود القدرة، لاستطاعنا إيجاد عذر لوجود

الشر، ولكنه يقول عن نفسه أنه كلي القدرة، ولا شئ يعثر عليه. و لو أمكن إنكار وجود الشر وإدعاء انه مجرد وهم، لأصبح هذا حلاً للمعضلة، ولكن للشر وجود لا يمكن إنكاره. ومن هنا ومما



سبق تنشأ معضلة الشر (وهي المعضلة التي تُعرف باسم معضلة أبيقور<sup>230</sup>)، التي يتساءل عنها الكثيرون، وهي تتدعى أن كيف لإله صالح وكلي القدرة وعنايته تشمل كل المخلوقات أن يسمح بوجود الشر.

230 . فيلسوف يوناني قديم (341-270 ق.م) وهو مؤسس المدرسة الأبيقورية في الفلسفة، وكان يعتبر أن غاية الحياة هي السعادة، وتتحقق عبر اللذة، ولكن ليس بمفهومها الحسي المفرط، ولكن عبر اللذة العقلية المتمثلة في التحرر من الألم والخوف. اعتبر أن أهم عقبتين أمام السعادة هما: الخوف من الآلهة والخوف من الموت. رفض أبيقور فكرة أن الآلهة تتدخل في حياة البشر، ورأي أن الموت ليس شيئاً مخيفاً، لأنه "عندما نكون نحن، لا يكون الموت، وعندما يأتي الموت، لا نكون نحن".

أنظر: كليمنت سي ويب، تاريخ الفلسفة، ترجمة أ.د. محمد محمود منصف (القاهرة: إبداع للترجمة والتدريب والنشر والتوزيع، 2019)، 85.

هذه الرؤية تصطدم بالفهم الحقيقي لقدرة الله ولطبيعة صلاحه. يتساءل سي.أس. لويس عن "القدرة الكلية": وهل هي تعنى "القدرة على فعل جميع الأشياء أو كل شيء؟"، ولكن ماذا عن المستحيلات الجوهرية؟ فهناك نوعان من المستحيلات، النسبي والمطلق:

**المستحيل النسبي:** هو مستحيل مقيد بتعبير "إلا إذا"، مثال على هذا النوع: "من المستحيل رؤية الشارع بأكمله "إلا إذا" صعدت الى الطابق الاعلى" (المقصود أن استحالاته من عدمها مرتبطة بقدرة الفاعل، وبالتالي يُعرف بالنسبي لأنه يُنسب للشخص وليس للأمر ذاته).

**أما المستحيل المطلق:** الذى يحمل استحالاته داخل ذاته فهو لا يرتبط بعبارة "إلا إذا"، لأنه مستحيل تحت كل الظروف وبالنسبة للكل. والكل "هنا يشمل الله نفسه".

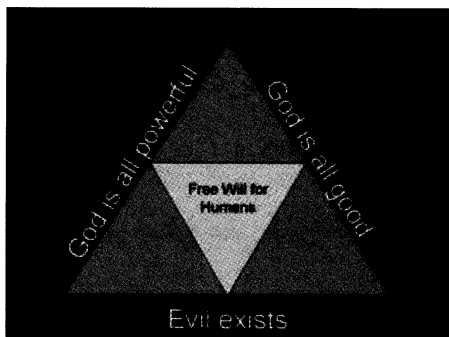
فقدرة الله الكلية تعنى القدرة على فعل كل ما هو ممكن جوهرياً، وليس على فعل ما هو مستحيل جوهرياً. إن كل مابه تناقض ذاتي فهو مستحيل جوهرياً ويتناقض مع طبيعة الله.

ككيف يمكن لله أن يدعى أنه كلي المحبة؟ وبسبب هذه المحبة يمنح الإنسان حرية الإرادة، وفي نفس الوقت بسبب امكانية إختيار الإنسان للشر، ينزع الله عنه حرية الإرادة، إن هذا التناقض الجوهرى، لا يندرج تحت قدرة الله، ليس بسبب عائق في قدرته، ولكن بسبب طبيعة التناقضين الذى يستبعد أحدهما الآخر.<sup>231</sup>

كما أن حرية الإرادة تتطلب وجود بيئة مستقلة تعمل وفقاً لقوانينها الخاصة، وذلك لكي يستطيع الإنسان أن يفعل ويمارس إرادته الشخصية الحرة. فالبينة (المادة) يجب أن تعمل كمجال محايد، ولا بد أن يكون لها طبيعة ثابتة خاصة بها. وإذا كانت للمادة طبيعة ثابتة وتطيع قوانين نظامية مستقرة، فلن تكون حالات المادة دائماً مناسبة لرغبات كل إنسان ما بطريقة متساوية، وهو ما قد يتضمن ضمناً حدوث الشر لأن هناك قوانين طبيعية لا بد من الخضوع لها. مثال: الطبيعة الثابتة الدائمة للخشب تمكننا أن نستخدمه كعارضه، ولكننا تمكننا أيضاً من أن نستخدمه كعصا لضرب إنسان على رأسه. ربما يمكننا ان نتخيل عالماً يقوم فيه الله

231. سي.إس.لويس، الله - الإنسان والألم (د.سامى فوزى سلسلة الكلاسيكيات، 2014)، 29-41.

كل لحظة بتصحيح نتائج اساءة استخدام مخلوقاته لارادتهم الحرة: بحيث تصبح العارضة لينة مثل العشب عندما يتم استخدامها كسلاح، ويرفض الهواء طاعة الإنسان اذا حاول أن يبيث الموجات الصوتية التي تحمل



الاكاذيب أو الشتائم. مثل هذا العالم سيكون عالماً تصبح فيه الافعال الخاطئة مستحيلة، وبالتالي حرية الارادة فيه باطلة وعقيمة. وحتى الافكار الشريرة ستكون مستحيلة لان المادة الدماغية سترفض القيام بمهمتها. وبالتالي فإن الله إذا قرر بقدرته أن يستبعد الشر والألم المتضمن في نظام الطبيعة، مع

الإحتفاظ بوجود الإرادة الحرة للحياة، فهو لابد أن يستبعد الحياة ذاتها. فحتى القدرة الالهية لا يُمكنها أن تخلق

مجتمعا من النفوس الحرة بدون أن تخلق في نفس الوقت "طبيعة مستقلة، يتعذر تغييرها "نسبياً".<sup>232</sup>

الشر هو غياب الخير كما سبق الإشارة، ومصدره هو إرادة الإنسان الحرة التي أختارت أن تحجز

الخير وتمنعه، تلك الإرادة التي مُنحت للإنسان كهبة ومنحة وكتعبير عن المحبة الكلية. إن الحرية التي

منحها الله للإنسان تحمل في طبيعتها امكانية إختيار الشر، تلك الامكانية التي اختار الله أن يسمح بها رغم

استغلالها أحياناً لصنع الشر. إن الله كضابط لكل ومصدر كل حكمة معرفة، هو يعرف كيف يدير الأمور،

كما أن قادر أن يدير كل الأمور للخير، وأخيراً سيأتى الوقت الذى ينزع فيه الشر من العالم، حين يأتى في

مجئهِ الثانى الذى يدين فيه الشر والأشرار، وينقل الأبرار إلى أفضل العوالم، العالم الذى يجمع الله فيه الذين

اختاروا الخير بإرادتهم الحرة.

وبشكل عقلي، وجود الشر في العالم لا يُمكن أن يكون حُجة ضد وجود الله، وذلك لأن الشر في العالم

قد يكون أحد أمرين: أما أن يكون مجرد رأي شخصي أو حقيقة موضوعية نابعة من قانون أخلاقي.

إذا كان الشر مجرد رأي شخصي فلا معنى للوم الله علي شيء لمجرد أن شخص لا يفضلهُ، كأن يقوم إنسان ما بلوم الله لأنه لا يحب الكرب، وعلى الرغم من ذلك خلقه الله.

وإذا كان الشر حقيقة موضوعية، فهذا بالضرورة يُشير إلى وجود قانون أخلاقي يسمو فوق الجميع، والذي بواسطته تم تعريف الشر.

ولكن تكمن المشكلة أن هذا القانون لا بد من وجود مُشرع له خارج الكون المادي وبعيداً عن كل البشر، فهو بمثابة عصا قياس خارجية يتم بواسطتها تقييم أفعال البشر، وبناء عليه لا يُمكن أن يكون وجود الشر برهاناً عن عدم وجود الله في كلا الحالتين.

كذلك يُمكن البرهنة على هذا الأمر حين يتم سؤال أحد الملحدّين: "ماذا تقصد بكلمة "الشر"؟" وتكون إجابته إن الشر هو القتل أو التعذيب أو الخيانة، غير أن كل ما سبق ذكره هو مجرد أمثلة عن الشر وليس تعريف عن ماهية الشر، ولكن لكي يعطي الإنسان أمثلة لشيء ما لا بد أن يكون لديه معرفة موضوعية به يتفق عليها الجميع ولا تكون موضع تفضيل شخصي، هو الأمر الذي يؤكد وجود القانوني الأخلاقي وبالتبعية وجود مُشرع له، يقول جريجوري كوكل: "المدهش أن الشر الذي يتخذه البعض كحجة ضد الله، هو أفضل دليل على وجود الله. هذه هي قناعتي". وبالتالي مما سبق يتأكد أن وجود الشر في العالم لا يصلح كبرهان عن عدم وجود الله.<sup>233</sup>

### هل وجود الشر دليل على عدم صلاح الله؟

أما بالنسبة للصلاح، فإن من يشكك في صلاح الله، يفترض مسبقاً أن الله لا يملك أسباب كافية لكي يسمح بوجود الشر، ولكن معرفة الله الكلية والغير محدودة تجعل لديه أسباباً منطقية للسماح بوجود الشر، قد لا يستطيع الإنسان بمعرفته المحدودة أن يدرك تلك الأسباب، ولكن هذا لا يلغى وجودها.<sup>234</sup>

233. جريجوري كوكل، *تكتيكات*، ترجمة ماريانا كتكوت (الأردن: أوفير للطباعة والنشر، 2023)، 219.

234. باسيلوس، 69.

يقول سي.أس.لويس: "في أيامنا هذه نحن نقصد بصلاح الله حصرياً: "محبته". فهل نعنى بالحب: مجرد اللطف والحنان، أو الرغبة في رؤية الآخرين أكثر سعادة؟ فهل خطة الله للكون أن يُقال فعلياً في نهاية كل يوم: "لقد استمتع الجميع بوقت طيب". فإذا كان الله محبة وهو هكذا بالحقيقة، فإنه حسب تعريف المحبة، يكون أكثر من مجرد لطف. إن محبة الله لنا تجعله يتحمل ألم تدريبنا وتشكيلنا وهو ما يجعلنا نجتاز في آلام مختلفة لأننا نمثل قيمة عظيمة بالنسبة له، لأننا لو كنا ذوى قيمة ضئيلة بالنسبة له لما سمح بهذا. فالمحبة الحقيقية تستلزم التهذيب الذى يكون بلا شك مؤلماً. إن محبة الله وصلاحه، تقتضى أن يصنع كل ما يلزم لأجل خير أولاده حتى لو أدى ذلك لسماحه بوجود الشر.<sup>235</sup>

يرتبط صلاح بعنايته، فالعناية يُقصد بها التدبير الصالح للحياة لإتمام مقاصد الله وغايته بشكل يفوق الإدراك، وهى تشمل أمرين: (1) ترتيب الأشياء للغاية المطلوبة، (2) إتمام ذلك بالوسائط المناسبة. فالله لم يكتفى بخلق المخلوقات، ولكنه يستمر فى رعايتها، فهو يهتم بها ويوجهها إلى الغاية التي وجدت لأجلها بشكل يتفق مع طبيعتها. فتفسير المخلوقات غير العاقلة جبرياً وفقاً لطبائعها، أما المخلوق العاقل فهو يوجهه بشكل يحترم حريته من خلال إعطائه الوصية، وبالتالي فإن عناية الله بالمخلوقات العاقلة تعنى أن الله يتصرف بشكل وبطريقة تحول كل الأعمال البشرية وكل ما يحدث فى الكون إلى وسائط تُتم مقاصده، وذلك دون تعارض مع إرادة الإنسان التي قد تختار الشر، وبالتالي يبقى الإنسان فاعلاً مختاراً حرّاً. إن هذا يقتضى حكمة فائقة وسلطاناً مطلقاً على كل الأسباب الثانوية حتى يجعلها تكمل ما قصده منذ الأزل فى الوقت المعين دون أدنى خلل، وذلك بفضل عنايته الفائقة الفعالة التي تشمل كل الموجودات، وكل الكون فى كل زمان وفى كل وقت".<sup>236</sup>

235. لويس، الله – الإنسان و الأمل، 44.

236. أبونا بنيامين المحرقى، دراسات فى علم اللاهوت النظرى، 214.

إن عناية الله أمر ضروري للغاية، فلم يكن كافياً أن يخلق الله الكون ويترك الخليقة لكي تسير وفقاً للشرائع والقوانين التي وضعها، وذلك لأن الكون ممكن الوجود لأنه مُحدث ومركب، وبما إن كل مركب هو قابل للتفكك والانحلال، فبالتالي لا بد من وجود حافظ ومدبر للكون كي يحفظ الخليقة ويصونها بشكل لا يستبعد قوانين الطبيعة ولكنه يتحكم فيها، لأنها لو تركت دون حفظ، فهي تسير بالكون نحو الفوضى والتلاشي. فكل معلول متعلق بعلة وجوده، فالمعلول يتوقف عن العمل إذا انقطعت صلته بمصدر علقته، فالنور يختفي بتواري منبع النور والفكر ينقطع بإنقطاع العقل عن التفكير، وبالتالي فإن استمرار وجود المخلوقات وعملها يؤكد وجود العناية الإلهية. هذا بالنسبة للمخلوقات الغير عاقلة، أما بالنسبة للإنسان، فإن العناية الإلهية أمر ضروري جداً، لأن الإنسان كائن أدبي ممنوح الحرية، وبالتالي فإن الحرية تعني امكانية اختيار الشر، هذا الاختيار الذي قد يشكل خطراً على الإنسان ذاته وعلى الآخرين، إذا لم يخضع لضابط يضع له حدود لا يتجاوزها.<sup>237</sup> وبالتالي فإن وجود المخلوقات في ذاته واستمرارها في الحياة رغم أن الوجود ليس من سماتها، يدل على عناية الله وصلاحه الذي بدون لا يُمكن الاستمرار.

علاقة العناية الإلهية بالشر، وهل يوجد بينهم تعارض؟

أن الأعمال البشرية تنقسم إلى:

(1) أعمال صالحة وهي تلك الأعمال التي تتفق مع إرادة الله الصالحة، وهي أعمال تكون نتيجة لتأثير النعمة الإلهية التي تعمل في الإنسان، بحيث يستخدم الإنسان حريته بطريقة صحيحة. بالطبع الله لا يجبر الإنسان على عمل الصلاح، ولكن الإنسان هو من يسلم إرادته بحرية كاملة إلى عمل النعمة، بحيث تتفق أعماله مع إرادة الله.

(2) أما بالنسبة للإعمال الشريرة، التي لا تتفق مع إرادة الله، فهي تحدث بسماع منه، ولكنها تظل تحت دائرة سلطانه، بمعنى أن الله لا يريد الشر ولا يسببه، ولكنه يسمح بحدوثه كنتيجة للحرية الممنوحة

237. أبونا بنيامين المحرقي، دراسات في علم اللاهوت النظرى، 215-217.

للإنسان، و التي يستخدمها بطريقة خاطئة، ويحكم عليها ويعين حدودها ولو شاء لمنع حدوثها. يؤكد هذا المعنى البابا شنودة الثالث قائلًا: "الخير الذي يفعله الإنسان هو بحسب إرادة الله، أما الشر الذي يفعله فهو بسماع من الله و ليس بإرادته، وهناك فرق بين إرادة الله وسماعه. فإرادته كلها خير، أما السماع فيتفق مع حرية الإرادة التي وهبها الله لبعض مخلوقاته.<sup>238</sup>

وبالتالي فإن العناية الإلهية لا تنتهك الحرية الإنسانية ولا تجعل الإنسان مجبرًا على تصرف ما، فتلغى مسئوليته الأدبية، ولذلك فإن عمل العناية يشمل دعوة الإنسان إلى السلوك وفقًا للوصية والشرعية، لما في ذلك من خير للإنسان، حتى لو أخطئ الإنسان فإن الله يعطى له إنذارات بطرق عديدة كي يعود إلى الطريق الصحيح .

من أعمال العناية أن الله لا يجازى أو يعاقب على الشر بشكل مباشر وقتي، و ذلك لعدة أسباب: (1

إن الإنسان لا يستمر بارًا و لا يستمر شرييرًا، ففي حياة كل إنسان يمتزج الخير والشر، فليست حياة الإنسان كلها خير ولا كلها شر، وبالتالي يجب الإنتظار حتى تكتمل الصورة، أما العقاب الوقتي، فهو لا يتماشى مع تكميل الصورة. (2) لقد قام الله بإرجاء الدينونة إلى اليوم الأخير، لأن لو إن الله وزع العدل الإلهي فورًا لأختل النظام الطبيعي، أى إن الطبيعة تترك حيادها (الذي سبق الإشارة إلى ضرورته لممارسة الحرية) وتتفاعل مع إختيارات الإنسان. (3) إختلال النظام الأدبي، فالمكافأة الفورية والعقاب الوقتي، يجعل الإنسان لا يتصرف بدافع من ضميره بل إنقيادًا لمصلحته الشخصية، مما ينتهك الحرية الشخصية. (4) لو عقاب الله على الخطية سريعًا ، لما بقى شئ فى نظرنا للدينونة الأخيرة، ولكن هذا لا يعنى أن أى خطية سوف تهرب من مجازة العدل الإلهي.<sup>239</sup>

238 . أبونا بنيامين المحرقى ، 232-233.

239 . أبونا بنيامين المحرقى ، 240.

وبسبب وجود الشر، البعض يطرح سؤال: إذا كان البشر يسيئون استخدام حريتهم، فلماذا لا يمنع عنهم الله تلك الحرية؟ كحل لقضية الشر. وهنا يجب التأكيد أن الحرية هي أعظم الهبات والعطايا بعد نعمة الوجود، التي أنعم بها الله على البشرية وعلى الإنسان، وبالتالي فإن نزع الحرية يعد إنتصارًا للشر على الخير، وهذا لا يليق بالله ومحبته وصلاحه، فهو لا يمكن أن يمنع عن البشر هذا الخير العظيم بسبب سوء استخدام البعض له، فالله بهذا الشكل يكون مثل من يمنع تعلم القراءة بسبب أن بعض البشر سوف يتعلمون القراءة ويقرأون كتب فاسدة. كما إن في حالة انعدام الحرية لا يبقى مجال للخير الأبدي، وبالتالي لا استحقاق للفضيلة، لأن فعل الفضيلة لا يكون إلا بالحرية وباختيار مقاومة الرذيلة. وبهذا فإن الله يسمح للبعض باختيار الشر، حتى لا يمنع الفضيلة، كما إنه يتدخل ليضبط الشر ويهذب نتائجه وفقًا للعناية الإلهية دون التدخل في حرية الإنسان.<sup>240</sup>

**لماذا خلق الله العالم، وهو يعرف بعلمه السابق ما سوف يتضمنه من شر؟**

الله خلق عالم رائع كما وصف الكتاب المقدس ولكن بخطية الإنسان دخل الشر إلى العالم وبدأ الألم والتعب "بِعَرَقٍ وَجَهْكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُجِدْتِ مِنْهَا. لِأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (تك 3: 19). نحن نؤمن كما أكد الانجيل أن الله يعلم كل شيء، ولأن الله يعلم كل شيء إذا فهو يعلم جيدًا أن الشر سيحدث في العالم قبل أن يخلق العالم. والله يعلم أنه بسبب الخطية سيفصل الإنسان عن الله وستنكسر العلاقة مع الإنسان وسيبدأ يعاني الشر والألم.

### الاحتمالات الممكنة لخلق العالم

**الاحتمال الأول.** "أن لا يخلق العالم بسبب امكانية حدوث الشر"، فهل عدم خلق العالم لكيلا يكون هناك فيه شر أفضل من خلقه؟ بالطبع لا، فالله عندما خلق كل شيء قال عنه أنه حسن وأجمل شيء فيه هو وجود المخلوق الذي قال عنه الله أنه حسن وبمجيئه أصبح كل شيء حسن جدًا (أي الإنسان). لذلك وجود

الشمس حسن لوجود الشمس ووجود النبات حسن لوجود النبات (وهو ما يُعرف باسم نعمة الوجود)، وأيضًا الحيوان والانسان. فوجود إنسان أفضل من عدم وجوده، بل حتى وجود إنسان به عيب أفضل من عدم وجوده على الإطلاق لأن عدم وجوده معناه عدم أخذ فرصه لإصلاح العيب بمساعدة الله أو حتى التعايش بهذا العيب وما يتضمنه من بركات، بالإضافة إلى الاستمتاع بباقي نقاط الحياة. كما أن عمل الخلق يتضمن صفات إلهية كثيرة، ما كان من الممكن إظهارها لآخر لو لم يخلق الله، مثل المحبة الأبوية وغيرها. كما أن الخلق ذاته يتضمن امكانية معرفة الله، وهو الخير الأقصى. لو لم يخلق الله العالم والبشر، لُحُرمت مخلوقاته العاقلة من امكانية معرفته، وبالتالي حُجز عنهم الخير الأقصى. كما أن الله سيظهر ضعيفًا لأنه أراد شيئًا، ولم يستطع أن يفعله وسيكون الشر انتصر، لأنه منع خير الله عن البشر بمنعه من خلقهم. ولهذا فهذا الاختيار مرفوض.<sup>241</sup>

يقول القديس أثاناسيوس الرسولي: "الله صالح بل بالأحرى هو مصدر الصلاح، والصالح لا يُمكن ان يبخل بأي شيء وهو لا يحسد أحدًا على الوجود، ولذلك خلق كل الأشياء من العدم بكلمته يسوع المسيح ربنا".<sup>242</sup> ما قصده القديس أثاناسيوس أن الله يُسر أن يوجد البشر لكي يُظهر محبته.

**الاحتمال الثاني.** "أن يخلق العالم ويجعل خلنقه بدون حريه كيلا لا يخطئ أحد، وبالتالي لا يكون هناك وجود للشر"، الله كان يستطيع أن يخلق العالم مقيد بقيود فيتحرك الكل كالأوت بدون حريه، وبهذا لن يخطئ أحد ولن يكون هناك وجود للشر. وهذا يصلح في حالة واحده لو لم يكن هناك محبة إلهية، لأن المحبة لا تتفق مع القيد والاجبار والكتاب المقدس يعلن: "وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ، وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ" (2كو 3: 17). بالطبع هذا الشكل من الخلق لا يتفق مع طبيعة الله التي ترفض القيد والعبودية. كما أن هذا

241. لويس، 36.

242. القديس أثاناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة، 8.

الشكل من الخلق، يحرم الإنسان من عطية الملكوت، لأنه لم يختَر الخير ويرفض الشر بإرادته الخاصة، فلا يكون له استحقاق لهذه النعمة.<sup>243</sup>

إلهنا كلي المحبة، وهو يريد أن نختاره بحريتنا الكاملة وهذا لا يتفق مع القيد. ولو كان هذا القيد هو الحل الأفضل لكان الله وضعنا من الأول في الملكوت، ولكننا في الملكوت لن يكون هناك علاقة أو معرفة سابقة له، وبهذا سوف نكون غرباء عنه. وبهذا يُصبح إله إجبار وفرض وسيطرة فقط وهذا ليس الهنا.

العالم بدون حريه لكيلا يخطئ الإنسان، مكانته أقل بكثير من العالم الذي يحيا فيه الإنسان وله حرية الاختيار، مثل الدولة الدكتاتورية القاسية التي تفرض قيود صعبه جدا على مواطنيها. فنسبة الجريمة قليلة جداً فلا يوجد بها حرية لكيلا يخطئ شعبها، لكنها بهذا الشكل أقل بكثير في المكانة من الدولة التي يتمتع شعبها بحرية حتى ولو كان البعض يتأذى من أخطاء الآخر ولكن من يخطئ يعاقب. والإنسان المقيد لن يعرف معني وجمال الحرية لأنه لم يدركها. قد يُخطئ الإنسان، ولكن الهنا قادر علي كل شيء وضابط الكل، فهو يستطيع أن يعطي الحرية للعالم ووسط هذا يحافظ على أولاده وخلقيتته من الشر ويضع له حدوداً. فهذا الاختيار الثاني مرفوض.<sup>244</sup>

إن الجبرية والحتمية، لا تتفق مع عدل الله وصلاحه، ولا مع الإعلان الإلهي الذي يصف الإنسان على أنه مخلوق على صورة الله ومثاله. فكيف تكون صورة الله مقيدة مجبرة مثل العبيد؟ كذلك فإن حرية الإنسان ليست مطلقة، ولكنها محددة بطبيعته، لأنه كائن مخلوق، والله وحده من يملك الحرية المطلقة، ولكن هذا لا يعنى أن حرية الإنسان تجاه الأمور التي تمس مصيره، حرية مقيدة، بل إن مصير الإنسان بيده لأن نعمة الله وخلصه متاح للجميع ولمن يقبل، فالله فمن جهته وبصليب ابنه قد جعل الخلاص في متناول الإنسان بعد أن كان أمرًا لا يمكن الوصول إليه.

243 . لويس، 37.

244 . لويس، 38.

**الاحتمال الثالث. "الخلق والسماح بوجود الشر وتدبير خطة لخلص البشرية"، وهذا الحل رغم أن**

به بعض الآلام والأمراض والمعاناة للبشر ولكنه فرصة تذوق حلاوة الحرية في المسيح. ولم يخدع الله أحد ويضله ولم يجبر الله أحد على قبوله الخلاص ولكن من يريد يرشده الله كأب، لكي يتعلم الإنسان من أخطائه وخطاياه ومن ثم يقبل التأديب، ولا يكون مجبراً على محبة الله.<sup>245</sup> ومن هذا نرى أن العالم الذي نعيش الذي فيه شر وآلم نتيجة الحرية، هو أفضل عالم ممكن. هو أفضل من عالم بلا آلام لأنه بلا حريه وهو أفضل من عالم لم يخلق من الأصل فلم يعرف شيء من الاصل.

عالمنا ليس أفضل تخيل لعالم مُعاش، فهو بالطبع أقل بكثير من العالم الذي خلقه الله في البداية قبل السقوط الذي لم يكن فيه شر. ولكنه بكل تأكيد أفضل وسيله على الاطلاق للوصول الي العالم الأفضل في ملكوت السموات. فمن يذوق حلاوة الحرية في المسيح مع بعض الآلام، ومن يختاره بإرادته الكامله ويعيش معه حياة توبة وقداسه ويقبل التأديب والتعلم، سيكون له نصيب معه وجوداً أبدياً، "فَأَيُّ أَحْسَبُ أَنَّ الْأَمَّ الرَّمَّانَ الْحَاضِرِ لَا تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِيْنَا" (رو 8: 18). أجمل ما في عالمنا الحالي هو امكانية معرفة ربنا باختيارنا وليس عن اجبار، والمعرفة هنا يُقصد بها الحميمية والعلاقة الشخصية وليس مجرد المعرفة العقلية. إن السماح بالشر، يندرج ضمن أعمال عناية الله، على عكس ما يظن البعض، فالتجارب التي تصيب الإنسان تشمل رسائل و دروس، يقدمها الله للإنسان حتى يصل الإنسان إلى الغاية القصوى لوجوده، وهي علم معرفة الله.

**الخبر الحقيقي:** إن أحد تعاليم الكتاب المقدس، هو الغرض من الحياة ذاتها، حيث أن المسيحية تؤكد

أن ليس الغرض من الحياة هو السعادة الوقتية الزائلة، بل معرفة الله الحقيقة. فهدف الله الحقيقي هو معرفته، تلك المعرفة التي ستجلب الإستيفاء البشرى الحقيقي للأبدية. إن الشر وما يسببه من الآلام البشرية بشكل عام هو فرصة لإعتماد أعمق على الله والثقة به، وبالتالي من خلال الألم تتحقق معرفة أعمق بالله، وهذا هو

الهدف النهائي لله نحو البشرية، وبالتالي فإن الألم هو الوسيلة التي قد يستخدمها الله لجذب الإنسان بحرية نحو ملكوته.<sup>246</sup>

إن السماح بالشر، يندرج ضمن أعمال عناية الله كما سبق الإشارة، على عكس ما يظن البعض، فالتجارب التي تصيب الإنسان تشمل رسائل و دروس، يقدمها الله للإنسان حتى يصل الإنسان إلى الغاية القصوى لوجوده، وهي علم معرفة الله.

إن الصلاح الإلهي يعني إن الله لديه أسباب تجعله يسمح بالشر. يقول القديس باسيليوس الكبير: "نحن خليفة الله الصالح، وإننا محفوظون بواسطة الله الذي يدبر أمورنا الصغيرة والكبيرة في حياتنا، ولذا لن نعاني شيئاً بدون أن يكون لله إرادة في ذلك، أيضاً ليس شيئاً مما نعاني منه، يعتبر ضاراً بل يكون أفضل لنا، عندما نتأمل في ذلك نستطيع أن نقرب من الله خالقنا. الله صالح ويدبر الخلاص من خلال محصلة لبعض الإجراءات".<sup>247</sup>

### كيف حل السيد المسيح معضلة الشر (العدالة في مقابل الرحمة)؟

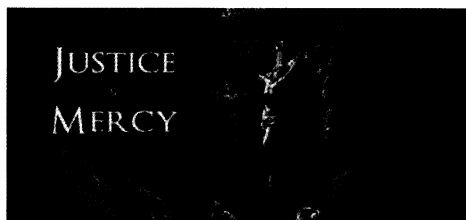
لقد طُرحت على السيد المسيح معضلة: ماذا تقول، هل يجب أن ترجم الزانية أم لا؟ فإذا قال السيد المسيح تُرجم، يُصبح قاسياً، وإذا قال لا ترجموها، فهو بذلك يكون متسامحاً. وإذا قال ترجموها، فقد خان تعليمه الخاص بالفرحان، وإذا قال لا ترجموها، فقد خان شريعة موسى.

كانت إجابة السيد المسيح، في كلمة واحدة وهي المغفرة، فالمغفرة لا تدين ولا تتسامح، فهي تعترف بأن الشر شر ولا تقول بلا مبالاة "أنه لا يوجد ما يستحق المغفرة"، كما أنها لا تجازي المخطئ، وهنا تكمن المشكلة، لأن المغفرة تحل الارتباط ما بين الخاطئ والخطية، فعلى أي أساس يتم هذا الحل؟

246 . كريج، 189-194.

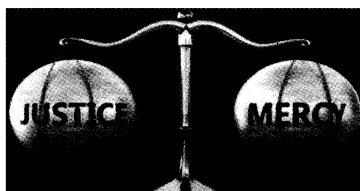
247 . القديس باسيليوس الكبير، الله ليس مسبباً للشرور، ترجمة د. جورج إبراهيم عوض (القاهرة: جورج إبراهيم، 2012)، 20.

أن الغفران يتطلب حل معضلة العدالة مقابل الرحمة، فالله إما أن يفرض العقوبة العادلة للخطية وهي الموت أو لا، في المقابل فإن الرحمة تبدو تخفيفاً للعدالة، وكما أن العدالة تُعد رفضاً للرحمة "فإما أن



تعاقب أو لا تعاقب"، يبدو أن قوانين المنطق تمنع الله أن يكون عادلاً ورحيماً في نفس الوقت، تماماً كما تمنع قوانين الفيزياء الجسم من أن يكون في مكانين مختلفين في نفس الوقت، وهنا تكمن المعضلة.

لقد حل الله هذه المعضلة على الجلجثة، لقد تم تحقيق العدالة الكاملة، فتم نيل جزاء المعصية والخطية، وفي المقابل الرحمة والمغفرة تم تنفيذهما من جهة الإنسان أيضاً. فقد تم منح البشرية الرحمة، كما تم تنفيذ العقوبة في نفس الشخص. لقد قدم السيد المسيح حلاً لقضية الشر، فقد تم تنفيذ العقوبة فيه، كما أنه من خلاله وبواسطته تحصلت البشرية على الرحمة وامكانية الغفران. فالخاطئ لم يكن في إمكانه أن يتلقى بمفرده



العقاب العادل والمغفرة الرحيمة في نفس الوقت، ولكن كفارة السيد المسيح بالنيابة، تفصل الخطية عن الخاطئ، فقد فصل بينهما السيد المسيح. فالخطية تتلقى عقابها العادل في شخصه الإلهي على

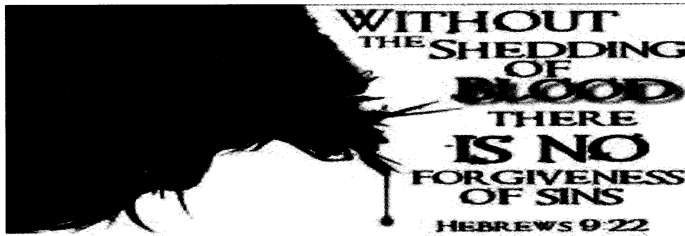
الصليب، ونحن الخطاة نتلقى الرحمة والمغفرة في أشخاصنا. لقد تم تحقيق الخلاص بواسطة السيد المسيح على الصليب، فقط دورنا أن نقبل بإيمان عمله، ونتوب عن سقطاتنا لكي يتحقق فصله للخطية عن الخاطئ.

يقول السيد المسيح: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِإِي. " (يو 14: 6).

إن هذا العبارة ليست جملة منعية (أي أن السيد المسيح لا يمنع أحداً من يقبل للأب، ولا المسيحية تفعل) ولكنها جملة تفردية لأن لا أحد فعل ما فعله على الصليب. السيد المسيح هو وحده الذي يتفرد بحل مشكلة الانسان والخطية، "الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. الرَّحْمَةُ وَالْأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ" (مز 89: 14).

أن المسيحية وحدها هي القادرة أن ترينا تماسك الطرح التاريخي كله، حيث الصورة الكبيرة المتناغمة التي لا يمكن أن تظهر لنا لها متناقضا، فوحده الإله الحق الذي مات على الصليب هو الذى يستطيع أن يرحم، بينما يحافظ في الوقت نفسه على عدالته. إن فهمنا المشوه لمشيئة الله وتسلمته على الخليفة وصورته لنا كإله يصنع أي شيء، حتى لو كان يتناقض مع طبيعته، تجعلنا نعتقد أنه يستطيع أن يغفر بدون مجازاة. ولكن هذا على حساب عدالته، والحقيقة أن مشيئته لا يُمكن أن تتعارض مع عدالته، لأنها تعكس طبيعته من الأساس. إن عدم كمال منظومة العدالة والرحمة والمحبة عند الله في فكر أي ديانة، يؤكد صدق المسيحية. فقط المسيحية تؤمن بإله لا يمكن أن يكون إلا نفسه. المسيح وحده يملك أحقية أن يغفر، لأنه هو من سدد الثمن ونال العقاب عنا ولأجلنا.

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: "لأنه من غير اللائق طبعا أن الله بعدما تكلم بشيء مرة يتضح أنه فيما بعد كاذب، أي أن الله بعد أن أمر الإنسان يموت موتاً، أن يتعدى الوصية ولا يموت، بل تُبطل كلمة الله. ليكون الله غير صادق، إن كان الإنسان لا يموت بعد أن قال الله أنه يموت". أي أن يتعدى الوصية، بدون تطبيق الحكم عليه. يضيف القديس أثناسيوس، شارحاً عمل رب المجد على الصليب وسبب تجسده، قائلاً: "أنه وحده القادر أن يأتي بالفساد إلى عدم فساد، وأيضاً أن يصون صدق الآب من جهة الجميع، وحيث أنه كلمة الله ويفوق الكل، كان هو وحده القادر أن يعيد خلق كل شيء وأن يتآلم عوض الجميع وأن يكون شفيحاً عن الكل لدى الآب".<sup>248</sup>





يقول الدكتور موريس تاووضروس عن العناية الإلهية وعلاقتها بالشر والمعاناة: "يجب أن لا ينظر إلى فعل ما شرير بشكل منفصل، فأسئلة الإنسان عن العناية الإلهية وعلاقتها بالمعاناة والشر، يجب أن يكون إجابتها: أولاً في شخص رب المجد يسوع، الذي جاء إلى العالم، وجلب معه

وفيه الشفاء الحقيقي والنهائي لمشكلة الشر والألم.<sup>249</sup> بهذه النظرة يضع الدكتور موريس، بعداً آخر لمعضلة الشر والألم، حيث أن الله لم يقف مكتوف اليدين أمام معاناة الإنسان من الشر، الذي كان هو سببه بإرادته الحرة، ولكنه من أعمال عنايته قدم حلاً نهائياً وجذرياً لمشكلة الشر، وذلك بصليب ابنه "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو:3:16).

كما أن النظرة إلى الشر والألم، لا يمكن أن تكتمل إلى من خلال منظور الأبدية: "صَنَعَ الْكُلَّ حَسَنًا فِي وَقْتِهِ وَأَيْضًا جَعَلَ الْأَبَدِيَّةَ فِي قُلُوبِهِمُ الَّتِي بَلَّاهَا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ الْعَمَلُ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النَّهَايَةِ" (جا:3:11).

### الألم مشكلة البشرية

الألم هو مشكلة البشرية على مر العصور، يقول فريدريك نيتشة الفيلسوف الألماني: "الألم هو جزء من الحياة الإنسانية، ويحب أن نمر به جميعاً، وكل محاولات الهروب منه أو تخفيفه بمتع وقتية أو التشاغل بمجتمع مزدحم وضوضاء، تجعلنا كمن يتهرب من الإمتحان وبالتالي يُحرم من النجاح". إن الألم هو المدرسة الأولى لتعلم كثير من الأشياء، لأنه هو أكثر الأمور التي تلمس الإنسان داخلياً.<sup>250</sup>

249 . تاووضروس، رسائل إلى عزيزي الملحد، 96.

245. باسيليوس، 76.

إن الألم يشكل حقيقة يلمسها كل الإنسان على مدار حياته، بسببه يعاني كل إنسان، تلك المعاناة، تطرح العديد من الأسئلة.

. **معنى الألم:** كلمة "ألم" تحمل معنيين: أ) الألم هو نوع معين من الشعور، يتم نقله بواسطة ألياف عصبية، ويتم إدراكه بواسطة المُتألم على إعتبار إنه نوع من الإحساس، سواء كان يزعه أم لا. ب) الألم هو خبرة، سواء جسدية أو فكرية يكرها المُتألم. من خلال هذا التقسيم، يتضح أن النوع الأول إذا ارتفع فوق مستوى معين من الحدة، يتحول إلى الألم بحسب المعنى (ب)، كما إن الألم بالمعنى (ب) لا يلزم أن يكون بحسب المعنى (أ) ، ولذلك فإن الألم بحسب المعنى (ب)، غالباً ما يطلق عليه "المعاناة" أو "الضيق" ، وهو غالباً ما يشكل معضلة الألم.<sup>251</sup>

البعض ينكر وجود الله بسبب الألم والمعاناة التي تصيب البشرية، والبعض يدعى أنه من غير

المحتمل أن يكون لدى الله أسباب جيدة للسماح بالألم. إن الرد على هذه الرؤية يستوجب إلقاء الضوء على ثلاث نقاط :

1) نحن لسنا فى موضع يسمح لنا أن نقول أنه من غير المحتمل إلا يكون لدى الله أسباب جيدة للسماح بالألم فى العالم، وهذا نابع من محدوديتنا سواء فى المكان أو الزمان أو البصيرة، والدليل على هذا هو نظرية الفراشة butterfly theory، حيث إن تغييراً بسيطاً (رפרفة فراشة)، قد يحدث تغييراً جذرياً فى مكان ما فى العالم. إن التعقيد المذهل للحياة، يؤكد على أننا لسنا فى موضع يسمح لنا بالحكم بأى قدر من اليقين، أو إنكار احتمالية وجود أسباب وجيهة لأجلها يسمح الله بالألم.

2) رغم أن الألم يشكك فى وجود الله على مستوى سطحى ، إلا أنه بعد التحقق، فهو بالحقيقة يثبت وجود الله، لأنه بعيداً عن الله لا يكون الألم شيئاً حقيقياً، فإذا أمن الملحد بأن الألم سيئ أو أنه كان يجب ألا

يكون موجودًا، فهذا يعنى إستناده على احكام أخلاقية موضوعية، لا يمكن أن تتوافر إلا إذا كان الله موجودًا، حيث إن وجوده يشكل عصا قياس يمكن الرجوع إليها.

(3) المسيحية تتضمن تعاليم تسمح بوجود الألم، وهذه الأسباب هي من تشكل مدرسة الألم.<sup>252</sup>

لماذا يسمح الله بالألم؟

المسيحية تؤكد أن ليس الغرض من الحياة هو السعادة الوقتية الزائلة، بل معرفة الله الحقيقية، كما سبق الإشارة. فههدف الله الحقيقي هو معرفته. الألم هو الوسيلة التي قد يستخدمها الله لجذب أناسًا بحرية نحو ملكوته. إن الجنس البشرى فى حالة من العصيان ضد الله، وضد أهدافه، فبدلاً من الخضوع له، أصبح البشر يتمردون على الله ويذهب كل منهم إلى طريقه، فهم يتلسموا طريقهم فى ظلمة روحية، ساعين وراء آلهة زائفة من صنعهم، والألم ومدرسته وسيلة هامة لإنارة تلك الظلمة الروحية، إلى نور معرفة الله الحقيقية.<sup>253</sup>

كما إن الألم، يجعل الإنسان أكثر مرونة وأقل إتكالاً على الأمور الخارجية، فهو يثبت نظر الإنسان على شخص المسيح الذى فيه وحده الخلاص، وبالتالي يبعد الإنسان عن التشنيت الذى يجلبه العالم، وعن طريق الألم يتذكر الإنسان أن العالم زائل، وأن المتعة الوقتية التى يلهث خلفها الكثيرين لا تفيد شئ ولا تحقق شبع حقيقى، وبالتالي فالمعاناة تجعل الإنسان يبحث عن ما هو أعظم من العالم، وبها ترتفع العيون نحو رجاء أبدي من الكنوز المحفوظة لنا فى ملكوت السموات "لأنَّ خِفَّةَ ضِيقَاتِنَا الْوَقْتِيَّةِ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَاكْثَرَ ثِقَلِ مَجْدٍ أَبَدِيًّا. وَنَحْنُ غَيْرُ نَاطِرِينَ إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لَا تُرَى. لِأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقُبِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لَا تُرَى فَأَبْدِيَّةٌ" (2 كو 4: 17-18 فان دايك). فالألم هو مدرسة الإتضاع الأولى، لأن من خلاله يتعرف الإنسان على ضعفه وقلة حيلته، وبالتالي يدرك إحتياجه الحقيقي للمعونة الإلهية والقوة التى تمنحها. تلك القوة لا يمكن التمتع بها بدون إتكال من إرادة حرة وإدراك واعى. فالألم يُعدنا للسماء، وهو وسيلة الله لتتقنية الإنسان من أى

247. كريج ، 189-194.

248. كريج ، 194.

شئ يعوق قداسته، وبالتالي فهو المكواة المؤلمة التي تستخدم الحرارة والضغط لكي يزِيل بها الله "التجاعيد الروحية" التي تعوق خلاص الإنسان".<sup>254</sup>

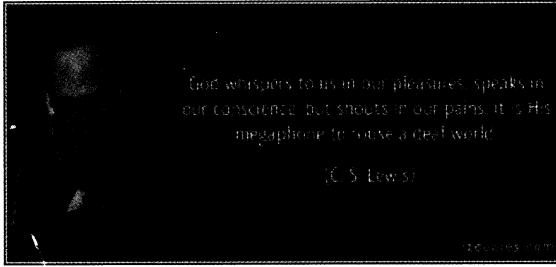
إن الألم طريق للكف عن الخطية، في كثير من الأحيان لا يكسر كبرياء الخاطئ إلا تجربة مؤلمة، تلك التي تدفع النفس البشرية إلى التوبة والكف عن الخطية، فكم من أشخاص يصيرون أفضل مع تقدم السنين، وكم من مرة صار المرض الأخير مصدر بركة بسبب الإحتمال والخضوع. يقول معلمنا بطرس الرسول: "فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ، تَسَلَّحُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهَذِهِ النَّيَّةِ. فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ، كُفَّ عَنِ الْخَطِيئَةِ" (1بط 4: 1). الله قد يسمح بالألم لكي يصل الإنسان إلى أعظم مقدار من التعليم الروحي والأخلاقي، لأن الشخصية الأخلاقية تتشكل من خلال المشقات والتغلب على العقبات وإحتمال المصاعب.

كما إن الألم طريق لإكتساب الفضائل مثل الصبر وطول الأناة والإحتمال، كذلك الألم يُزكى فضائل العطاء والخدمة، حيث يجعل الألم الإنسان أكثر حساسية نحو الآلام الآخرين، وبالتالي يزرع الرغبة في مساعدة المتألمين، من خلال السلام المستمد من رب المجد وقت التجربة، هذا السلام الذي من كثرته، يفيض ليكون مصدر راحة للآخرين في آلامهم.<sup>255</sup>

يعتقد سي. أس. لويس، إن أهم الدروس المستفادة من مدرسة الألم، هي الخضوع الفكري والإرادى والعاطفى لله، فمن خلال الألم يقوم الإنسان برد الإرادة التي زعم إنها ملك له على مر العصور، وبالتالي فإن الله يسمح بالمعاناة، حتى تبدأ الروح البشرية فى إخضاع وتسليم الإرادة الذاتية المنتفخة لمصدر وجودها، هذا الخضوع لا يمكن الوصول إليه إلا عندما لا تسيطر الأمور على ما يرام. وبالتالي إن هذا الخضوع يمثل الخير الحقيقى للإنسان. يقول القديس أغسطينوس: "يريد الله أن يعطينا شيئاً ما، ولكنه لا يستطيع، لأن أيدينا ملأنة، فلا يوجد مكان لكي يضع فيه هذا الشئ، وذلك بسبب إحساس الإنسان بأن "لديه كل ما يريد". بالألم

254. باسيليوس، 75.

255. القس بيشوى حلمى، 146-150.



تصير حياة الإنسان الخاصة أقل راحة له، ذلك عندما يأخذ الله منه المصادر الظاهرية للسعادة الزائفة، فقط عند هذه النقطة يبدأ الإنسان في البحث عن السعادة الحقيقية التي تكمن في الله ذاته، فالآلم يبدد الكفاية الذاتية الباطلة لدى المخلوق.

يقول سي. أس. لويس: "الآلم يُصر على أن يتم الإصغاء إليه. الله يهمس لنا في مسررتنا، ويتحدث

إلينا في ضميرنا، ولكنه يصرخ في آلامنا، فالآلم هو بوق الله الذي يُيقظ به العالم الأصم".<sup>256</sup>

الكتاب المقدس يعلن بكل وضوح ان العالم بكل معاناته ليس نهاية الرحلة، وبالتالي فإن السطر الأخير في القصة لا يُكتب في هذه الحياة، وبالتالي فإن الآلم ليس نقطة النهاية، بل هو مجرد فاصل مؤقت يساعد الإنسان أن يستكمل القصة في الأبدية، حيث المدينة الكاملة التي ليس فيها موت ولا حزن ولا صراخ ولا ألم: "سَيَمَسُحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتَ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صُرَاخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رؤ 4:21). يقول سي. أس. لويس: "إن المعاناة و الضيقات لا يمكن أن تنتهي إلا عندما يرى الله، أما إننا قد تشكلنا من جديد، وإن إعادة تشكيلنا قد أصبح مينوس منها".<sup>257</sup>

الآلم لا يمكن أن أن يصبح دليل على عدم وجود الله، كما إن الله بصلاحه يمتلك أسباب، قد تفوق إدركنا، لإجلها يسمح الله بعطية الآلم، تلك العطية التي تشكل مدرسة متعددة الجوانب، فيها يتعلم الإنسان الكثير من دروس الحياة القادرة أن تعينه على الوصول إلى الأبدية. يقول معلمنا بولس الرسول في رسالته إلى فيلبى: "لَأَنَّهُ قَدْ وَهَبَ لَكُمْ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ لَا أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطُّ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَّأَلَمُوا لِأَجْلِهِ" (في 1: 29). إذا

256. لويس، 93-97.

257. لويس، 108.

من الواضح إن الألم هو عطية من الله، منحة تُعطى لمصلحتنا ولتهذيب طبائعنا ولتحقيق غرض الله وهو الخلاص من خلال معرفته وبالدخول في علاقة معه للتمتع به، وبالتالي فإن الألم قد يكون صندوق خشبي خشن وقاسي، ولكنه يخفي كنوزاً ثمينة، يمكن الحصول عليه بتسليم الإرادة، لمن يملكها بالحق (أي الله). إن الألم الذي نمر به ونقبله بشكر، يصير مصدر بركة للأخرين سواء من خلال تقديم المساعدة للأخرين، أو عن طريق الكرازة للعالم كله، بأن معرفة السيد المسيح هي أثنم العطايا، وأعلى من أي ألم يمكن أن نمر به، وبهذا الشكل نُظهر مجد الله في حياتنا للعالم كله.<sup>258</sup>

أخيراً، يجب أن ندرك أن جزءاً كبيراً من مشكلة الألم يتم حله، من خلال التأمل في آلام رب المجد، فالهنا لا يسكن في برجاً عاجياً، بل نزل إلى عالمنا وشاركنا آلامنا، "لأن لئس لنا رئيس كهنه غير قادر أن يذتبي لضعفاتنا، بل مجرب في كل شيء مثلنا، بلا خطية. فلنقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في جيبه" (عب4: 15-16). فكما أن رب المجد قد قدم حلاً لمشكلة الشر على الصليب، هو أيضاً من خلال آلامه يجعلنا نجتاز تجربة الألم.

### كيف يُمكن التعامل مع خبرة الألم؟

هناك أساليب بشرية لمواجهة الألم، تتضمن ردود الأفعال المختلفة تجاه التجربة والألم:

(1) البعض ينكر وجود الألم ويعتبره وهم، فالألم و التجربة في نظر البعض مجرد إحساس موجود في عقل الإنسان، فالعقل هو من يعطى للألم فاعليته وبالتالي يمكن من خلال العقل إنكار وجود الألم أو حتى تخفيف الشعور به، ولكن حتى لو نجحت هذه الرؤية في تخفيف وطأة الألم، فإنه يوجد آلام تفشل معها وذلك لأن إعتقاد الإنسان لا يغير من الواقع شيئاً.

(2) مواجهة الألم والتجربة باللامبالاة، أصحاب هذا الرأي يرون أن الألم مرتبط بالرغبة، فكما زادت رغبات وتطلعات الإنسان، تزداد آلامه في سبيل الحصول عليها أو عند الحرمان منها، وبالتالي فإن

من يتحرر من كل رغبة وعاطفة، لا يبالي بأى شئ يحدث له حتى لو من أقرب الناس إليه، فهو يتقبل كل زُمور بلا مبالاة، ولكن هذا الإتجاه أشبه بالهروب من الحياة بالإنتحار، فإن قتل الرغبة هو نوع من أنواع موت، وبالتالي فإن من يتبنى هذا الإتجاه، هو شخص محروم من أى مشاعر أو بهجة فى الحياة.

(3) هناك من يواجهون التجارب بالإستسلام للإقدار، فهم يرى أن الأهم مُقدر لها أن تحدث، وبالتالي لا ضرورة لمواجهة الظروف، والجهاد لتحسينها، هذا الإتجاه يفقد الإنسان صورته كوكيل عن الله، ويجعله ريشة فى مهب الريح، تلعب بها الأقدار دون إرادة، بالطبع حياة الإيمان والتسليم لله بعيدة كل البعد عن فكرة تسليم للأقدار أو القدرية، كما إن تلك الفكرة تلغى مبدأ الشركة المسيحية والجسد الواحد، الذى يسعى فيه لجميع لمساعدة من يحتاج إلى مساعدة.<sup>259</sup> هذا المفهوم ضد قصة السامري الصالح التي أشار إليها رب أنمجد.

**الموقف المسيحي من التجربة.** المسيحية لا توعد الإنسان بعدم اجتياز وادى الدموع "في العالم سيكون لكم ضيق"، ولكنها تساعده أن يجتاز فى هذا الوادى المؤلم كي يصير له ينبوع بركات، فهي لا تعفي الإنسان من الألم والتجربة، فمواعيد الله لا تعنى أن المسيحي مُحصن ضد تجربة الألم، بل فى الواقع إن الإيمان المسيحي ينمى روح التعاطف والمشاركة، حتى فى أصعب الظروف، فالإنسان المسيحي حاله "فرحاً مع الفرحين، بكاءً مع الباكين" (رو12: 15)، وفى سبيل هذا فإن الإنسان المسيحي في مواجهته للتجربة والألم فهو يتسلح بعدة أسلحة وهى:

(1) **الثقة والإيمان**، عن طريق العبادة المؤسسة على الفهم الصحيح، وعلى الصلاة والشكر، والتي تغرس الثقة فى مواعيد الله، تلك الثقة بأن الله فى السفينة، وبالتالي فلن تغرق، وهكذا فعلى المسيحي يصبر صبراً حقيقياً فعلاً فى شجاعة وجهاد إنتظاراً للخلاص. فالمسيحي الحقيقى لسان حاله: "إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لَا أَخَافُ شَرًّا، لِأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَّارُكَ هُمَا يُعَزِّيانِي" (مز 23: 4).

259. القس فايز فارس ، الله المحب و الإنسان المتألم ( القاهرة : دار الثقافة ، 1999 ) ، 53-56.

(2) التسليم لله، فالمسيحي لا يستسلم للإقذار، ولكنه يسلم برجاء في إله صالح رحيم "سَلِّمْ لِلرَّبِّ طَرِيقَكَ وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ يُجْرِي" (مز 5:37)، فالمؤمن يتقبل الألام والتجارب، بتسليم ورضى، ويسلم حياته ليد الله لكي تعمل بها حسب رحمته وأمانته، فهو قادر أن يستخدم الألام ضمن خطة إلهية محكمة لتجميل حياة الإنسان.

(3) الرؤية المستقبلية، إن ما يزيد الإحساس بالألم، هو الحسرة على فرص ضاعت، أو الحزن والشفقة على النفس من شخص أساء التصرف وكان مصدر ألم، ولكن الإسلوب المسيحي لا يجتر الإحزان، بل يتطلع إلى المستقبل، ليرى يد الله العاملة وراء الأحداث.

(4) الثبات على المحبة، فالمحبة وحدها قادرة أن تخفف الألام، حتى تجاه من يسيئون إلينا.<sup>260</sup>

إن الإنسان المسيحي، يثق في عناية الله وتدبيره، وبالتالي فهو يقبل التجربة من يد الله، لأنه يعلم أنها سوف تكون مصدر خيره في المستقبل، فهو دائماً يقول: "لتكن مشيبتك"، وبعد القبول والتسليم، يتفرغ إلى دوره الأساسي في التجربة، وهو الصلاة، فالتجربة هي معلم الصلاة الأول، قد لا يفهم المسيحي سبب التجربة في حينها، ولكنه يتمسك بالصلاة عالماً واثقاً أن الله قد يتأخر ولكنه سيأتي، قد يتباطأ ولكنه يتأني حتى يأتي الميعاد المناسب للإستجابة و التغيير (2 بط 9:3)، وفي كل الأحوال هو لا يحول عينه عن السيد المسيح لكي لا يغرق في بحر التجارب، عالماً أن المسيح وحده هو مصدر النصر، فحربنا ليست مع بشر ولكن مع أجناد الشر الروحية وبالتالي مهما صنع به الأخر فهو يظل على محبته، تلك المحبة التي يخرج بها خارج عن ذاته لكي يسند المعوزين و المتألمين. إن المسيحي بإيمانه لا يغرق في التفكير في سؤال "لماذا؟"، ولكنه يعلم أن التجربة ضرورية لخلاصه، وبالتالي سواء رفع الله التجربة في هذه الحياة، فهو يفرح إجتيازها، وإن لم يرفعها، فهو يعلم أن إكليله يُعد في السماء.

## قضايا أخرى تُشكك في وجود الله

لماذا يبدو الله مختفياً؟

البعض يطلب حضوراً مادياً لله، ويعتقد أن الله مُطالب أن يظهر سريعاً استجابةً لأي صلاة، وذلك لكي يبدو أي تساؤل عن وجوده، بالطبع هذا قد لا يحدث بالشكل الذي ينتظره البعض وذلك لعدة أسباب:

أولاً: يقول الكتاب المقدس: "الله رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا" (يو: 4: 24)، ولأنه روح فهو لا يُرى "وَمَلِكُ الدُّهُورِ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا يُرَى، الإِلَهُ الْحَكِيمُ وَحَدَهُ، لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ" (1 تي: 1: 17). إن الله في مستوى من الوجود يختلف تماماً عنا كبشر، وبالتأكيد قدرة البشر لا يُمكنها أن ترى سلطان الله وقوته، فهو الذي قال لموسى: "لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ" (خر: 33: 20).

ثانياً: الله قدوس تماماً "لِأَنَّ بَعْلَكَ هُوَ صَانِعُكَ رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ وَوَلِيِّكَ قُدُوسُ إِسْرَائِيلَ. إِلَهَ كُلِّ الْأَرْضِ يُدْعَى" (إش: 54: 5)، في المقابل البشر غير كاملين ولا يتمتعوا بالقداسة "هَكَذَا اجْتَنَزَ الْمَوْتَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رو: 5: 12)، أما عن الله فيقول الكتاب المقدس: "عَيْنَاكَ أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ وَلَا تَسْتَطِيعُ النَّظَرَ إِلَى الْجَوْرِ" (حب: 1: 13). بالطبع الله يرغب أن يكون له علاقة مع خلقته ولكن لا تستطيع طبيعة الإنسان الخاطئة أن تحتل ظهور الله كلي القداسة.<sup>261</sup>

ثالثاً: بإمكاننا أن نعرف الله من خلال تجسد الكلمة ابن الله الحي، وبموته الكفاري للسيد المسيح الذي كفر عن خطايانا "الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ" (يو: 14: 9)، "الله، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعِ

261. جوش ماكديول، أصعب 77 سؤالاً عن الله والكتاب المقدس وإجاباتها (القاهرة: هيئة الخدمة الروحية للنشر،

2017)، 162.

وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ" (عب: 1: 1-2).<sup>262</sup>

رابعًا: الله أظهر ذاته، من خلال خلقه "لأنَّ مُنْذُ خَلَقَ الْعَالَمَ تَرَى أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلَاهُوْتَهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلَا عُدْرِ" (رو: 20)، ومن خلال ضماننا الإخلاقية "الَّذِينَ يُظْهِرُونَ عَمَلَ النَّامُوسِ مَكْتُوبًا فِي قُلُوبِهِمْ شَاهِدًا أَيْضًا ضَمِيرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ" (رو: 2: 15)، ومن خلال كلمته "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَى بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ." (2 تي: 3: 16-17)، ومن خلال كنيسته "أَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ" (أف: 1: 23)، ومن خلال سكنى الروح القدس "الرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لِأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ." (رو: 8: 16).

خامسًا: من خلال سر الإفخارستيا وحضور القداس الإلهي، يتجدد اللقاء مع الله، وهو ليس مجرد لقاء بل هو إتحاد سرانيري مع شخص رب المجد من خلال تناول جسده ودمه الأقدس "مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ، لِأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي يَبْنُثُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. كَمَا أَرْسَلْتَنِي الْآبُ الْحَيُّ وَأَنَا حَيٌّ بِالْآبِ فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي" (يو: 6: 54-57).

سادسًا: لا يُعد الجانب المخفي عن الله أمرًا سلبيًا، فاحتجابه يُمكن أن يكون له نتيجة إيجابية، فقد قال لبني إسرائيل: "وَتَطَلَّبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطَلَّبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ، فَأَوْجِدُ لَكُمْ الرَّبَّ" (إر: 29: 13-14)، كما قال رب المجد: "اسْأَلُوا تُعْطُوا. اطْلُبُوا تَجِدُوا. افْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ" (لو: 11: 9)، فالله يريد منا أن نسال ونبحث، ونكتشف كل الثروات التي تقدمها علاقته معنا، كما هو الحال مع الكنز المخفي. نعم، يوجد سر مختلف عنا، هذا صحيح، غير أن هذا السر من شأنه أن يعمق رغبتنا في لقاء الله وبناء علاقة معه.<sup>263</sup>

262. مكدويل، أصعب 77 سؤالاً عن الله والكتاب المقدس وإجاباتها، 163.

263. مكدويل، 10.

سابعًا: إن أقل ظهور لله، هو أمرًا لا يستطيع الإنسان أن يحتمله، وهو حضور طاغٍ، لا يعطي للإنسان قدرة على ممارسة حرّيته في اختيار قبول الله أو رفضه. وبناء عليه، فإن احتجاب الله يُعد احترامًا لحرية الإنسان في تقرير علاقته مع الله. مع العلم أن حضوره، لم يمنع بني إسرائيل من انكار وجوده وعبادة تمثال البعل بعد الخروج من مصر.

ثامنًا: قد يكون الله مختلفيًا بالمعنى المادي والجسدي، ولكنه حاضر في حياة أولاده الذين افتداهم المسيح، ويعمل من خلالهم. الله يُظهر ذاته بطرق ووسائل كثيرة "مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلَا شَاهِدٍ" (أع14: 17).

### لماذا لا يستجيب الله للصلاة في بعض الأوقات؟ (الصلاة الغير مستجابة)

لقد وعد رب المجد تلاميذه، قائلًا: "وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتِمَّ جَدَّ الْآبِ بِالْإِبْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ" (يو14: 13-14)، كما كرر الوعد مرات بكلمات مختلفة: "كُلُّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الْآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ" (يو16: 23)، "الْكَيُّ يُعْطِيكُمْ الْآبُ كُلُّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِي" (يو15: 16). لا شك أن رب المجد كان صادقًا وأمينًا في وعده، ولكن الواقع أن الله أحيانًا قد لا يستجيب لصلواتنا.

بعضنا يُصلي طلبًا لشفاء شخصًا ما، ولكن الشفاء قد لا يتحقق، رغم الصلاة بلجاجة ومثابرة. وأحيانًا نُصلي لأجل حل تجربة ما أو أزمة، ثم نجد أن الأمور تتعقد ولا يظهر حلًا واضحًا. كذلك نجد الكتاب المقدس ذاته، يُقدم نماذج لصلوات غير مستجابة، مثل صلاة معلمنا بولس الرسول الذي كان يُعاني من شوكة في الجسد تضرع إلى الله ثلاث مرات لكي تفارقه "مِنْ جِهَةٍ هَذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي" (2كو12: 8)، ولكن الله لم يستجب. وهكذا تظهر مشكلة الصلوات غير المستجابة، رغم الوعد الأمين، والتي بسببها قد يُشكك أحدهم في وجود الله أو محبته وأهتمامه.

البعض يقدم حلًا لهذه المشكلة، قائلًا: "الله دائمًا يستجيب، ولكن استجابته قد تتضمن ثلاث ردود "نعم، أو لا أو أنتظر". فحين تتحقق الطلبة التي تم الصلاة لأجلها، تكون إجابة الله بنعم. ولكن أحيانًا تكون

إجابة الله برفض الطلبة أو على الأقل الانتظار بعض الوقت، وهنا تكمن المشكلة التي بسببها يُشكك أحدهم في وجود الله. وبالتالي من المهم جدًا الإشارة إلى شروط الصلاة المقبولة التي يرتبط تحقيق الوعد بها، أو بمعنى آخر معوقات استجابة الصلاة:

**خطية في القلب.** من المؤكد أن السبب الرئيسي الذي يعوق استجابة الصلاة هو وجود خطية في

القلب، إن وعد رب المجد يتحقق لمن يعيش في ملء وقوة الروح القدس، وهو ما أعلنه الله على لسان داود النبي: "إِنْ رَاعَيْتَ إِنَّمَا فِي قَلْبِي لَا يَسْتَمِعْ لِي الرَّبُّ" (مز66: 18 فان دايك) "لو فكرت بالإثم في قلبي لما سمع الله لي" (مز66: 18 الأخبار السارة)، كما أشار معلمنا بطرس الرسول أن مجرد سوء المعاملة بين الزوجين قد يعيق الصلوات "كَذَلِكَ أَيُّهَا الرِّجَالُ كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الْفِطْنَةِ مَعَ الْإِنَاءِ النَّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً كَالْوَارِثَاتِ أَيْضًا مَعَكُمْ نِعْمَةَ الْحَيَاةِ، لِكَيْ لَا تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ" (1بط3: 7). مما سبق يتضح أن استجابة الصلاة تكون للمؤمن الثابت في المسيح، الذي يعيش الوصايا ويسلك في النور ويمتلئ من الروح القدس ويقدم محبة للآخرين، ولعل هذا ما نختبره حين نرى استجابة الله لصلوات أتقيائه.<sup>264</sup>

**الدوافع الخاطئة.** كثير من صلواتنا لا تجد استجابة، وذلك لأن داووعنا غير صحيحة، فكثير من

الطلبات تتمركز حول الذات وهو ما أشار إليه معلمنا يعقوب الرسول: "تَطْلُبُونَ وَلاَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لِأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رِذِيًّا لِكَيْ تُتَفَقَّوْا فِي لَدَائِكُمْ" (يع 4: 3). إن الدافع الصحيح لأي صلاة هو طلب مجد الله، وهو ما طلبه حزقيا الملك بعد أن وصلته رسائل تهديد الملك سنحاريب "وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُنَا خَلَصْنَا مِنْ يَدِهِ، فَتَعَلَّمْ مَمَّا لَكَ الْأَرْضُ كُلُّهَا أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ إِلَهُ وَحْدَكَ" (2مل19: 19)، وكذلك طلب رب المجد: "أَيُّهَا الأبِّ مَجِدِ اسْمَكَ" (يو12: 28). هكذا يجب أن تكون داووعنا ونحن نصلي أن نطلب مجد الله، وليس مجرد اشباع لرغبتنا

فقط.<sup>265</sup>

264 . وليم لين كريج، أجوبة ليست سهلة، ترجمة القس عزت شاعر (القاهرة: دار الثقافة، 2023)، 47.

265 . كريج، أجوبة ليست سهلة، ترجمة القس عزت شاعر، 54.

**ضعف الإيمان.** وضح رب المجد في أكثر من موضع أن الصلاة المستجابة هي صلاة الإيمان، وذلك حين قال لتلاميذه: "كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَما تُصَلُّونَ فَاِمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ فَيَكُونُ لَكُمْ" (مر 11: 24)، وهكذا نرى أن الوعد يرتبط بالإيمان. فإن كنا نؤمن من كل قلوبنا، أن الله يستجيب، ولا نشك، تتحقق الاستجابة، وعلى النقيض، فإن الشخص الذي تسيطر عليه الشكوك، لا يجد استجابته، كما أشار معلمنا يعقوب الرسول: " لَكِنْ لِيَطْلُبَ بِإِيْمَانٍ غَيْرِ مُرْتَابٍ الْبَتَّةَ، لِأَنَّ الْمُرْتَابَ يُشْبِهُ مَوْجاً مِنَ الْبَحْرِ تَحْبِطُهُ الرِّيحُ وَتَدْفَعُهُ. فَلَا يَظُنُّ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ" (يع 1: 6-7)، ولذلك علينا دائماً أن نصلي: "أُوْمِنُ يَا سَيِّدُ فَأَعِنْ عَدَمَ إِيْمَانِي" (مر 9: 24).

**عدم الجدية.** أحياناً كثيرة لا نجد استجابة لصلواتنا لأننا لا نطلب بجدية. إن أعظم صلوات الكتاب المقدس وجدت استجابة بسبب جدية من رفعوها، المثال الرائع لهذا هو صلاة حنة أم صموئيل لكي يعطيها الله طفلاً.

**عدم المثابرة.** إن انعدام المواظبة هو أحد أسباب عدم استجابة الصلاة. كثيراً ما نصلي مرة أو اثنتين، ثم نكف عن الصلاة، وهذا ما أشار إليه رب المجد في مثل صديق نصف الليل الذي تحققت طلبته بسبب مثابرته وإلحاحه، كذلك مثل قاضي الظلم الذي استجاب لطلبة المرأة المتكررة.

**الأمر الأكثر أهمية.** لكي تتم استجابة الصلاة، يجب أن تكون الصلاة وفق مشيئة الله الصالحة، وهو ما أشار إليه معلمنا يوحنا الرسول: " وَهَذِهِ هِيَ الثِّقَّةُ الَّتِي لَنَا عِنْدَهُ: أَنَّهُ إِنْ طَلَبْنَا شَيْئاً حَسَبَ مَشِيئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا. وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبْنَا يَسْمَعُ لَنَا، نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا الطَّلِبَاتِ الَّتِي طَلَبْنَاها مِنْهُ" (1يو 5: 14-15). ففي بعض الأحيان لا نجد استجابة لصلواتنا، وذلك ليس لعيب فينا، بل لأن الله يعرف الأفضل لنا أكثر مما نعرف نحن، إن معرفتنا محدودة وقاصرة تشمل الحاضر والماضي فقط، أما الله فمعرفة أشمل وأكمل ولا تتقيد بزمن، فالكل حاضر أمامه. وهكذا لا بد أن نطلب مشيئة الله أولاً أكثر من طلبتنا لأمر تسدد احتياجاتنا، إن طلب مشيئة الله هو تعبير عن الخضوع والاتضاع أمام الله، والثقة في مشيئته الصالحة لنا: "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لِأَنَّ"

فُوتِي فِي الصُّعْفِ نُكْمَلُ. فَبِكَلِّ سُرُورٍ أَفْتَحِرُ بِالْحَرِيِّ فِي صَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحَلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ" (1كو12: 9).

إن أفضل صلاة يُمكن أن يُصليها أي إنسان هي: "لتكن لا إرادتي بل إرادتك".<sup>266</sup>

إن الثقة في الحق المسيحي، لا يتأسس على برهان استجابة الصلاة وحده، ولكن على شهادة

الروح القدس التي تتأكد بالطرح المنطقي. إن الحياة المسيحية الحقيقية هي أن يعيش الإنسان بالإيمان، ولا

يتعلق بحتمية استجابة الصلاة، بل بتسليم الإرادة. فالله يعرف الأفضل لحياة كل إنسان ولمستقبله، وهو يريد

أن يعلمنا أن ما نحتاج إليه حقاً هو ملكوته " لَكِنْ أَطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهْ وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ" (مت6:

33). إن الصلاة عمل شاق ولكنه ممتع، إذ يتضمن لقاء الله، ولذلك يجب أن نتأثر في الصلاة متمسكين

بالوعود الإلهية.<sup>267</sup> (المقصود أن المسيحي الحقيقي لا يجب أن يضع قبول الطلبة شرطاً لقبول الإيمان، يظهر

هذا الأمر بوضوح في قصة يهوديت التي استنكرت وضع ميعاد لتدخل الله وقالت: "من أنتم حتى تجربوا

الرب. فإنكم قد ضربتم اجلاً لرحمة الرب وعينتم له يوماً كما شئتم" (يه8: 11-13).

**لماذا يسمح الله بالفشل؟**

كل إنسان منا، في فترة ما في حياته، يختبر الفشل. وعندما تحدث خبرة الفشل، تظهر العديد من

الأسئلة، مثل: أين الله؟ ولماذا سمح بهذا؟ وهل أنا خارج إرادته؟ وهل حقاً الله موجود ويهتم بي؟ هذه الأسئلة

تُعذب الإنسان وتؤرقه.

للرد على هذه الأسئلة، يجب أن نميز بين نوعين من الفشل: أولاً، الفشل في الحياة الروحية. وثانياً،

الفشل في الحياة من جهة أي أمر. يُقصد بالفشل في الحياة الروحية هو فشل علاقة المؤمن ومسيرته مع الله،

والفشل هنا سببه الخطية، لأنها تؤثر على العلاقة مع الله. أما الفشل في حياة المسيحي، فهو خبرة قد لا ترتبط

بالخطية، ولكنه تتضمن بعض المشكلات التي قد تحدث في حياة المسيحي، مثل: رجل أعمال مؤمن يُصاب

266 . كريج، 58.

267 . كريج، 59.

بإفلاس، أو طالب مجتهد لا يوفق في امتحان رغم بذله مجهود كبير، أو شخص يفقد وظيفته، فيجد نفسه بلا عمل. إن هذا النوع من الفشل، الذي قد يحدث لشخص في الإيمان ويحيا في طاعة الله، يظل أمرًا محيرًا وخاصة أن الله وعد بالنجاح "لأنَّ الله لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفُشْلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَةِ وَالنُّصْحِ" (2تي1: 7).

للرد على هذه المعضلة، يجب أولاً أن نُميز بين الفشل والاضطهاد. وذلك لأن كلمة الله واضحة "جَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالْقُوَّةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهُدُونَ" (2تي3: 12)، كما أن رب المجد طوب المُضْهِدِينَ والمطْرُودِينَ من أجل البر. فكثير منا، قد ظلموا ولم يُعاملوا بعدل، لأنهم مسيحيون، وبناء عليه لا يليق بنا أن نقول أن هذا هو الفشل.

كذلك يجب أن نُميز بين الفشل والتجارب، فكلمة الله واضحة أننا كمسيحيين لا يُمكن أن نُعفي من التجارب. فالتجارب بمثابة اختبارات تساعد على النضج، وتدريب على الاحتمال، وبدون التجارب نظل مثل الأطفال المدللين.

**لماذا يسمح الله بالفشل.** إن الله له تدبير مُحكم للعالم، وهو يقود التاريخ عبر الأزمنة المختلفة. وهو يسمح للإنسان أن يُمارس اختياريته بحرية، ولكن تظل كل الأحداث تحت سلطانه وعنايته وارشاده. فخطه الله قد تتضمن سماحه بالفشل لأبنائه، وذلك لوجود أمور يريد الله أن يُعلمها لهم من خلال تجربة الفشل، وما كان ليتعلموها من خلال النجاح. فالفشل يجعلنا نحدد أولوياتنا بدقة، كما يجعلنا نُدرك حقيقة هامة، وهي أن النجاح الحقيقي ليس في الوصول إلى الثروة أو القوة أو الشهرة، ولكن يكمن في معرفة الله. وبناء عليه قد يكون الفشل من وجهة نظر العالم، نجاح من وجهة نظر الله، وذلك حين تتضمن التجربة، الاتكال على الله والثقة به ومعرفته بشكل أفضل.<sup>268</sup>

**التطبيق العملي لخبرة الفشل.** عندما نفشل في أمرًا ما، علينا أن نُحلل أسباب الفشل لكي نتعرف على الدرس الذي يُمكن أن نتعلمه منه، وهذا لا يعنى بالضرورة معرفة لماذا سمح الله بهذا في حينه؟ فليس من

الضروري أن نعرف: لماذا سمح الله بالفشل، لكي نستفيد منه، لأن تلك المعرفة قد تفوق استيعابنا في حينه. ولكن هذا لا يمنع من تقييم الذات، ومحاولة معرفة أسباب الفشل، لكي نتمكن من تجنبها مستقبلاً. وبناء عليه، يجب أن نركز على رد الفعل الذي يريد الله أن نتخذه، والأمور التي يجب أن نتعلمها ونطورها. أيضاً، عندما نفشل، يجب أن لا نستسلم، بل نطلب من الله أن يعطينا قوة لنسير إلى الأمام. وهو سيمنح تلك القوة، ويعلمنا كيفية الصبر والاحتمال بشرط ان نتجاوب معه بطريقة صحيحة. إن التعلم من الفشل، هو بداية طريق النجاح. كما إن النجاح الحقيقي، هو ما يقود للابدية.<sup>269</sup>

## قضايا ترتبط بوجود الله

### الوحدانية والثالوث

هل الله واحد؟ وهل لا وجود لآخر؟ إن مفهوم الألوهة يقتضى أن يكون الله واحداً، فالله كإله هو بطبيعته واجب الوجود، أي أن وجوده ضروري، لأن الموجودات تكتسب وجودها منه، فهو علة كل الموجودات. وهذا الوجود الذاتى هو وجود جوهرى، وبالتالي يترتب عليه أن الله يجب أن يكون كاملاً، أي أنه يملك كل الأشياء، ولا ينقصه شئ ولا يمكن ان يزداد عليه شيء، و بالتالى لا يمكن أن يكون هناك شريك آخر يساويه، فالله واحد في طبيعته وأيضاً وحيد لا يمكن أن يماثله آخر.<sup>270</sup>

### براهين وحدانية الله

العقل يرفض تعدد الإلهة، فهو يؤكد على ضرورة وحدانية الإله لان مبدأ الألوهة يستلزم السيادة الكاملة والتي لا تتحقق بوجود آخرين، فأما أن يكون هؤلاء الآلهة متساويين في القدرة المطلقة وهذا أمر عقلي فقط وغير قابل للتنفيذ لأن المطلق لا يكون مطلقاً إذا وجد ما يماثله، أو أن يكون أحدهم أقوى وأكبر،

269 . كريج، 80.

270 . الراهب بنيامين المحرقى، دراسات فى علم اللاهوت النظرى، 146.

وبالتالي لا يكون الأصغر هو العلة الأولى أي ليس إله. كما أن وجود إله إلى جوار الله، خارج دائرة الإلوهة، يجعل الله لا يشمل هذا الآخر وبالتالي يصبح وجوده محدود، لأنه لا يشمل كل الوجود بذاته.<sup>271</sup>

كما إن القدرة على التمييز بين الآلهة يكون بسبب وجود صفات ومميزات تميز أحدهم عن الآخر، وبالتالي فإن ما يميز هذا الواحد يفتقره الآخرين وبالعكس، وبالتالي فإن تعريف الإله لا يتحقق على أي منهم، لأن مفهوم الإله الحقيقي: هو الذي لا ينقصه شيئاً.<sup>272</sup>

كما أن وجود أكثر من إله، يجعل الإرداة معطلة، لأننا لو إفترضنا رغبة أحدهم في حدوث الطوفان، ورغبة آخر في عدم حدوثه. فلما أن تكون إرادة كلاهما كاملة وعاملة، وهذا يعني أن الطوفان يحدث أو لا يحدث في وقت واحد وفي هذا تناقض منطقي غير قابل للحدث، أو أن تكون إرادة أحدهما أقوى وبالتالي فالآخر الذي لم تكتمل إرادته لا يكون إلهاً.<sup>273</sup>

كما إن إفتراض وجود إلهين منذ الأزل، يفترض وجود كلاهما في مكان أزلي، وبينهما خلاء أزلي، وفي هذا استحالة. كما إن وجود مكان لا يشغله أحدهما، يجعل كلاهما مُحيز في مكانه، وبالتالي أصبح كلاهما محدود وبالتبعية ليس إلهاً. يقول أثنياغورس الأثيني في دفاعه عن الوجدانية : "إذا كان هناك منذ البدء عدة آلهة، لوجدوا أما في مكان واحد، أو في أمكنة منفصلة، فهم لا يمكنهم أن يكونوا في مكان واحد لأنهم ما كانوا يستطيعون أن يكونوا في طبيعة واحدة وطبعاتهم ليست متشابهة ، لأنه لا يتشابه إلا الكائنات المولودة من بعضها البعض، ولأنهم الهة لا يمكنهم أن يكونوا لا مولودين ولا مُكونين على صورة الغير، وأيضًا لا يمكن أن يكونوا في أماكن منفصلة لأن هذا يجعل الإله محدود بمكان محدد. أما أن يفترض أحدهم وجود إله لا

271 . الراهب بنيامين المحرقى، 147.

272 . جايسلر وتورك، 90.

273 . الراهب بنيامين المحرقى، 148.

يشغل مكانًا و لايفعل شيئًا، أو يسهر على أمر ما، فهذا تصريح بعدم وجوده وعدم الحاجة إليه، لأنه يجعل من وجوده أمر غير ضروري، فقد يوجد أو لا يوجد ولا فارق، وهذا لا يتفق مع طبيعة الإله.<sup>274</sup>

الله واحد و ليس هناك من يماثله في هذه الوجدانية، ولا يشاركه فيها أحد، وهى وحدها التى يمكن أن تسمى بالوجدانية الإلهية، وهذه الوجدانية ليست صفة إلهية مثل القداسة أو القدرة، ولكنها شرط مطلق للوجود الإلهي.<sup>275</sup>

إن الكون الواحد دليلاً آخر على هذه الوجدانية ، لأنه لا يعقل أن آلهة كثيرين يصنعون كونًا واحدًا، لأن إشتراك هؤلاء في صنع الكون الواحد يشير إلى الضعف من جانب الذين خلقوه، حتى إنهم اضطروا أن يشتركوا في خلقه. إن إشتراك كثيرين في نتيجة واحد هو دليل على نقص المقدرة، لأنه إن كان واحدًا قادرًا على الخلق بمفرده، فما الحاجة إلى آخرين. كما ان الكون إذا كان خلق بآلهة متعددة لصارت حركاته متعددة مخالفة بعضها للبعض، لأن الشئ يتبع علة وجوده، فإذا اختلف المصدر، اختلفت النتيجة، وهذا يؤدي إلى وجود اضطراب وعدم نظام. و لكن طالما أن الخليقة واحدة والكون واحد ونظامه واحد، فإنه بالضرورة يكون سيد و خالق الكون واحدًا.<sup>276</sup>

يقول القديس هيلارى أسقف بواتييه : "أن أزلية الله تتجاوز المكان والزمان والشكل وكل أنماط الفكر البشرى، إنه خارج وضمن كل الأشياء، وهو يحوى كل الأشياء ولا يمكن أن يحويه شئ، وهو غير قابل للتغيير بالزيادة أو النقصان، وهو غير مرئى، وغير مُدرك، تام كامل أبدي، لا يستمد ما له من آخر".<sup>277</sup>

274. الراهب بنيامين المحرقى، 149.

275. الراهب بنيامين المحرقى، 150.

276. الراهب بنيامين المحرقى، 151.

277. القديس هيلارى أسقف بواتييه، عن الثالث (دير القديس العظيم الانبا أنطونيوس بالبحر الأحمر، 2017)،

ويقول القديس أمبروسيو: "أن وحدة القدرة تمنع وتعارض كمية العدد، إذ أن الوحدة ليست عددًا، ولكنها هي نفسها أصل ومبدأ جميع الأعداد". ويضيف: "إن الطبيعة تشهد عن وحدانية الله من حيث أن العالم واحد".<sup>278</sup>

### سمات وحدانية الله

إن وحدانية الله ليست وحدانية مجردة، بل هي وحدانية موصوفة بصفات وقائمة على ركائز وخصائص توضحها. كما إنها ليست وحدانية مركبة، فالله روح بسيط. وهي وحدانية شاملة جامعة لكل ما هو ضروري لتحقيق صفات الله منذ الأزل، ومانعة لكل ما ينقص كمال الله. وبهذه الوحدانية يكون الله مستغنى عن كل شيء في الوجود و مكففي بذاته.<sup>279</sup>

**الوحدانية المجردة:** هي التي لا تتصف بصفة، ومن ينزهون الله عن الاتصاف بصفات، فهم بذلك يجعلونه بلا كيان حقيقي، بل أمرًا مجردًا، وذلك لأن كل موجود حقيقي لا بد له من صفات يتصف بها. وذلك في مقابل **الوحدانية المطلقة:** وهي أن الله يتصف بكل الصفات سواء السلبية (أي التي تنفي عن الله كل نقص مثل عدم الجهل) والإيجابية (كالإرادة والقدرة والصلاح)، ولكن تكون صفاته معطلة (لأنه واحد وحيد) حتى يقوم بعمل خلق، لئفعل تلك الصفات، أي أن الصفات تكون موجودة بالقوة أزليًا ولكنها غير مُفعلة، ثم تصير بالفعل عندما يخلق.

سواء تم افتراض أن وحدانية الله مجردة، فهذا يُنقص منه كإله لأنه يجعله بلا وجود حقيقي بل يجعل منه مجرد فكرة أو قيمة مجردة مثل العدل والصدق، وبهذا تُنزع عنه امكانية الفعل، وذلك لأن كل موجود حقيقي لا بد أن يتصف بصفات. وإذا كانت وحدانية الله مطلقة، أي تشمل كل الصفات، ولكن الصفات معطلة

278. القديس أمبروسيو أسقف ميلان، شرح الإيمان المسيحي (القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأباتية، 2018)، 44-22.

279. القس الدكتور بيشوى حلمى، التوحيد و التثليث (القاهرة: كنيسة القديس أنطونيوس بشبرا، 2016)، 17.

بسبب عدم وجود مخلوقات غيره، فهذا يجعل من الله في حالة احتياج لفعل الخلق، وهذا يتعارض مع مفهوم الألوهة الذي يجب أن لا يحتاج لشيء.<sup>280</sup>

### مدخل إلى عقيدة الثالوث

إن عقيدة الإله الواحد الأزلي المطلق تُعلن ثبات الله وعدم تعرضه إلى تغيير أو أن يطرأ عليه جديد، وبالتالي فإن الوحدة المطلقة تتضمن استحداث علاقات خارجية بين الله ومخلوقاته بعد خلقهم، وبالتالي هذا يعنى إضافة أو إدخال شيء جديد على الله، وبالطبع هذا يتعارض مع مفهوم الإله الثابت غير المتغير.

فعلاقة كالمحبة تستلزم وجود إثنان على الأقل في علاقة معًا. فعدم وجود آخر بسبب الوحدانية المطلقة، يعنى أن الله متمركز حول ذاته، وهذا النوع من محبة الذات هو إلغاء للمحبة ذاتها. وبالتالي فإن وجود آخر ضروري لكي يمارس الله علاقة المحبة معه، ولكي لا يكون متمركزًا حول ذاته. هذا الآخر لا يصح أن يكون إلهًا، وإلا سقطنا في تعدد الآلهة الذي سبق أن تم رفضه، كما لا يصح أن يكون جزءًا من الله، لأن هذا يعنى أن الله مركب وكل من هو مركب غير كامل أو ثابت ومعرض للتغيير. كما أنه لا يصح أن يكون مخلوقًا، لأن هذا يعنى إضافة علاقة جديدة على الله لم تكن موجودة في السابق مما يعرضه للتغيير، وإذا افترضنا أن صفة المحبة موجودة في الله ولكنها غير فاعلة بسبب عدم وجود مخلوقات، فهذا يجعل الله في حاجة إلى الخلق وإلى المخلوقات، لكي يفعل صفة الحب المعطلة، وهذا الإحتياج لا يتناسب مع طبيعة الله الكاملة التي لا تحتاج إلى شيئًا ولا ينقصها شيئًا. إذا لابد أنه كان يمارس المحبة بينه وبين نفسه من خلال ركائز (أقانيم)<sup>281</sup> يقوم عليها جوهره الإلهي، حيث ينشأ بين الأقانيم علاقات تجعل صفات الله أمرًا عمليًا حقيقيًا، وبها يتحقق الكمال اللانق بالله الذي يجعله مستغنى عن كل شيء غيره.<sup>282</sup>

280 . القس إبراهيم القمص عازر، مدخل إلى حقيقة الثالوث، مراجعة د. موريس تواضروس (بني سويف: انسبيراشن للطباعة والنشر، 2015)، 67-68.

281 . كلمة أقنوم هي كلمة سريانية، أطلقها الآباء السريان الأولون في المسيحية على كل من الأب والابن والروح القدس، ونقلتها عنهم الكنيسة القبطية. ويقابل كلمة أقنوم في اللغة اليونانية hypostasis، والتي تتكون من مقطعين: hypo وتعنى تحت، و stasis وتعنى القيام أو الكيان، وهي بهذا تعني "ما يقوم تحت الكيان كأساس. وبكلمات بسيطة الأقنوم هو من

يقول د.موريس تاوضروس: "الوحدانية المطلقة تعنى أن الله منزه مجرد عما سواه، وعن جميع الكائنات، و قائم بذاته ومكتف بنفسه، منزه عن الحوادث والزمان والمكان. والإشكال في هذا، إنك بعد أن تنزه الله بهذه الصورة المطلقة، لا يصح أن تتكلم عنه كخالق، لأنه في هذه الحالة تنقل الله من حيز الغنى عما سواه إلى حيز القيام بعملية الخلق فيصير خالقاً مرتبطاً بعلاقات مع مخلوقاته، وتجاوز الصيرورة عليه، وهذا يتنافى مع التنزيه".<sup>283</sup>

إن وحدانية الله وحدانية علاقات، وليست مجردة من العلاقات. فالعلاقات الموجودة بين الأقانيم داخل الجوهر الإلهي تمتد حرارتها من المركز الأبدي لتشمل كل الخليقة، وبهذا الأمتداد لا يكون هناك أمرًا جديدًا تم إضافته لله، فالعلاقات الخارجية مع الخليقة، هي إمتداد للعلاقات الداخلية.<sup>284</sup> علم البابا أناسيوس الرسولي أن: "الجوهر الإلهي هو الكيان الداخلي الحقيقي الفائق لكل إدراك، وهو يحتوي ضمناً العلاقات الأَقنومية في داخله".

يقول الأنبا بيشوى أسقف دمياط والبراري: "مفتاح المسيحية هو المحبة، فمن كان الله يحب قبل خلق البشر والملائكة؟ إذا أحب الله ذاته، يكون أنانيًا ego-centric، والله لا يُمكن أن يكون هكذا، وبالتالي لا بد من وجود آخر (أقنوم الإبن)، حتى يمكن أن يتصف الله بالمُحب أزليًا، بحيث لا يكون الحب شيئًا حادثًا أو مُستحدثًا بالنسبة لله. ولكن الحب لا يصير كاملاً إلا بوجود ثالث (أقنوم الروح القدس)، لان الحب الذي يتجه

---

يقوم عليه الجوهر الإلهي وبدونه ينعدم قيام الجوهر. ليس هناك مرادف لكلمة أقنوم في اللغة العربية. والأقانيم في المسيحية ليسوا تعنيات أو أجزاء في الله، لأن الله لا تركيب فيه. فلا يقال الله يتكون من ثلاثة أقانيم بل يقال الله هو الأقانيم الثلاثة. كما أن الأقانيم ليسوا صفات أو أسماء أو ألقاب لله. ولكن الأَقنوم شخص متميز بصفته الأَقنومية بغير إنفصال عن باقي الأقانيم. أنظر: القس بيشوي حلمي، 24-25.

282. القس بيشوى حلمي، التثليث والتوحيد، 17-19.

283. القس بيشوى حلمي، 20.

284. القس بيشوى حلمي، 22.

إلى آخر فقط، وليس سواه هو حب متخصص رافضًا للإحتواء exclusive، وبالتالي فهو حب غير كامل. ولكن الحب المثالي هو الذى يتجه نحو الآخر وإلى كل من هو آخر inclusive، وبالتالي فإن وجود الأفتوم الثالث ضرورى لكمال المحبة". وعن كون الأفتانيم ثلاثة فقط، يضيف الأنبا بيشوى قائلًا: "إن كل ما هو ناقص ضد كمال الله الإلهي، كذلك كل ما يزيد بلا داع يعتبر ضد هذا الكمال. إن مساحة المثلث الإلهي هي لا نهائية، وهي كافية لكى تشمل كل الخليقة، فما الداع لوجود مربع أو مسدس. يكفي لكى تكون هناك مساحة تشمل كل الخليقة أن تكون المساحة مثلث الأفتانيم الثلاثة، فالمساحة لا تكون لنقطة أو لخط بين نقطتين".<sup>285</sup>

إن الوجدانية الجامعة في الثالوث، تجعل الله عاقلاً ومعقولاً، ناظرًا ومنظورًا، مُحَبًّا ومحبوبًا، دون أن يكون هناك تركيب في ذاته أو شريك معه، وهو الأمر الذي يتوافق مع كماله، واستغناؤه عن كل شيء. إن وحدانية الله مثلث الأفتانيم، هي وحدانية أعمق من أي وحدانية موجودة في عالم البشر، فجوهر الله هو ثلاث خواص لم تكن متفرقة ثم اجتمعت وليست بزائدة على جوهر الله ولا جوهر الله زائد عليها، بل بمجموعها يقوم جوهر الله، وجوهر الله يقوم بمجموعها.<sup>286</sup> إن تمايز الأفتانيم لا يعنى إنفصالهم في الكينونة بل الجوهر واحد غير منفصل، فكيف يمكن فصل الحكيم (الأب)، عن الحكمة (الابن) التى تولد من الحكيم، عن روح الحكمة (الروح القدس) الذى ينبثق من الأب.

يقول القديس هيلارى أسقف بواتييه ملخصًا كل ما سبق: "إننا لا نعترف بإله منعزل، ولا حتى بالهين، بل نتمسك بالطريق المستقيم الذى للحق، لا بإنكار أن الله واحد، ولا بذكر إنه وحيد. فكل شخص (أفتوم) إلهي في الوحدة، ومع ذلك فلا يوجد شخص هو الإله الواحد. إن سر الله لا يوجد في الفردية ولا في التعددية".<sup>287</sup> ويضيف أيضًا: "أنتم تسمعون قوله: "أنا والأب واحد"، لماذا تمزقون وتنزعون الابن عن

285. القس بيشوى حلمي، 30.

286. الراهب بنيامين المحرقى، 154.

287. القديس هيلارى أسقف بواتييه، عن الثالوث، 467.

الآب. أنهما وحدة، ووجود مطلق. كل ما له هو في شركة كاملة مع الوجود المطلق الذي منه. إننا نعتزف بأن في كليهما تساوي في قوة وكمال اللاهوت".<sup>288</sup>

يقول القديس كيرلس الكبير: " الابن واحد مع الآب في الجوهر، لأنها خرج من الآب، وهو فيه بالطبيعة والجوهر. إن وحدتهما حسب الطبيعة، ولا يُمكن أن تتعرض الأقانيم لأي تغيير كما يظن البعض، بحيث أن نفس الأَقنوم يكون آباً وابتاً" (رداً على بدعة سابيلوس الذي ادعى وجود أَقنوم واحد يتغير اسمه وعمله من حين لآخر). يؤكد القديس كيرلس أن: "كل إقنوم قائم بذاته ويملك وجوداً خاصاً به. ووحدة الجوهر هي التي تُعرف الأقانيم معاً".<sup>289</sup>

وعن الفرق بين الجوهر والأَقنوم، يقول القديس كيرلس الكبير: "الجوهر يحتوي كل الصفات الجوهرية. فجوهر كل إنسان دليل على إنسانيته. أما الأَقنوم فهو يُطلق على كل واحد في ذاته، دون أن نخلط بين العام والخاص. ويقولنا واعرافنا أن الابن واحد في الجوهر مع الله الآب، فإننا نقر أن لكل منهما أَقنومه الخاص وأنهما متحدان ومتميزان في نفس الوقت".<sup>290</sup> فالجوهر يشمل الطبيعة وما تتميز به من صفات، أما الأَقنوم فهو ينشأ عندما تتخصص الطبيعة بوجود خاص، ينشأ عنه أَقنوم. على سبيل المثال يمتلك كل البشر الطبيعة الإنسانية، وحين يُولد إنسان تتخصص الطبيعة البشرية في أَقنوم مميز وشخص فريد. يختلف البشر عن الله، فكل أَقنوم بشري منفصل عن غيره، أما الأقانيم الإلهية فهي في حالة وحدة واحدة بلا انفصال أو تركيب، حالة من الاحتواء المتبادل داخل الجوهر الإلهي الواحد "أنا في الآب والآب في" (يو 14: 10).

288 . القديس هيلاري أسقف بواتييه، 298.

289 . القديس كيرلس الأسكندري، حوار حول الثالث، ترجمة جوزيف موريس فلتس (القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2014)، 32.

290 . القديس كيرلس الكبير، حوار حول الثالث، ترجمة جوزيف موريس فلتس، 33.

يقول القديس أمبروسيو عن الثلاث تقديسات التي لتسبحة السيرافيم " قُدُوسٌ قُدُوسٌ قُدُوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلءُ كُلِّ الْأَرْضِ" (إش:6:3): "هم لا يقولون قدوس مرة واحدة حتى لا نؤمن بأن الله واحد قدوس فقط، ولا مرتين حتى لا يرفض أحد الروح القدس، ولا يقولوا "قدوسين" لنلا يظن أحد أن الله جماعة. وإنما ثلاث مرات فقط، حتى تتمكن من هذه الترنيمة أن نفهم تمايز الأقانيم الثلاثة وأن نعترف في نفس الوقت بإله واحد. فالقداسة الحقيقية هي واحدة وجوهر اللاهوت واحد".<sup>291</sup>

### بعض أقوال آباء ما قبل نيقية

يقول العلامة تاتيان السوري: "اللوجوس أتى إلى الوجود بالشركة وليس بالإنفصال، لأن ما يُبتر يفصل عن الأصل، ولكن الذي يأتي من الشركة لا نجعله ناقصًا عن المصدر الذي خرج منه، فكما أن الشعلة الواحدة تضئ نيران عدة، بينما لا يفصل الضوء عن الشعلة الأولى بإشعال مشاعل أخرى، هكذا اللوجوس إذ خرج من القوة العقلية التي للوالد الذي ولده".<sup>292</sup>

القديس إغناطيوس الأنطاكي يقدم الثالث في بساطة كما آمن بها قائلًا: "أنتم حجارة هيكل الله، معدون للبناء الذي يبنيه الأب، مرفعون حتى القمة بألة يسوع المسيح التي هي صليبه، مع الروح القدس الذي هو الحبل". كما يوصي أبنائه قائلًا: "اعتنوا أن تقيموا في الإيمان في المحبة مع الابن والآب والروح القدس". كما يذكر القديس بوليكاربوس عقيدة الثالث بعفوية في رسالة استشهاده قائلًا: "لهذا السبب وبحق ولأجل كل شيء أسبحك وباركك وأمجدك برئيس الكهنة الأبدي السماوي، بيسوع المسيح ابنك الحبيب الذي له المجد معك ومع الروح القدس الآن وفي الدهر الآتي أمين"<sup>293</sup>

291 . بشارة، الثالث ما قبل نيقية، 28.

292 . بشارة، 155.

293 . بشارة، 111-128.

يقول ثيوغناسطس (كاهن سكندري أشار إليه القديس أنثاسيوس في صراعه مع الأريوسية): "جوهر الابن ليس جوهرًا غريبًا من صنع أحد، ولا وُجد من عدم، بل من جوهر الأب مثل الشعاع من الشمس أو مثل مجرى الماء من الينبوع. فالشعاع ليس هو الشمس نفسها، كذلك المجرى ليس هو الماء، ولكن كليهما لا ينفصلان عن المصدر. فالابن هو فيض من جوهر الأب ومع هذا يظل جوهر الأب دون تقسيم".<sup>294</sup>

كذلك القديس ديونسيوس السكندري: "الأب والابن واحد في الجوهر، وكلاهما مقيم في الآخر. فمن الضروري الإيمان بالكائن العاقل الحي، وبجوهره الواحد البسيط الأزلي وبأقنيم ثلاثة غير منفصلين ولم يوجد أحدهم قبل الآخرين. إنهم كالنار التي لها لهيب ونور وحرارة في ذات الوقت، وهكذا نفهم الوجدانية غير مجزئة إلى ثلوث، بل بالعكس يجتمع الثلوث دون فقدان الوجدانية".<sup>295</sup>

#### إعتراضات على الثلوث

إن إيماننا المسيحي عن الثلوث ليس نتاج أفكار إنسانية، أو محاولات بشرية، أو نتيجة للتأثر بالحضارات المختلفة، أو تطور لتصورات بشرية عن الله، ولكنه إعلان الله عن ذاته، وهو ما أشار إليه رب المجد للقديس بطرس الرسول: "طوبى لك يا سمعان بن يونا إنَّ لحمًا ودمًا لم يُعلنْ لكَ لكنَّ أبي الذي في السَّمَاوَاتِ" (مت16: 17). الثلوث سر إلهي، والمقصود بالسر ليس الأمر الغامض الذي لا يُمكن معرفته، ولكن المقصود تمام الإدراك. فالثلوث كالمحيط الذي يُمكن أن يتعمق فيه الإنسان يومًا بعد يوم، ولكنه لا يُمكن أن يصل إلى نهايته.

294 . امجد بشارة، 168.

295 . امجد بشارة، 182.

البعض يدعي أن هناك تعارضًا بين الوجدانية والثالوث.<sup>296</sup> وهذا الإدعاء له عدة أسباب، أهمها:

(1) المنطق الحسابي: وذلك من خلال المقارنة بين العدد 1 والعدد 3، فكيف يكون للواحد أن يكون

ثلاثة وللثلاثة أن يكونوا واحدًا؟

(2) المنطق اللفظي: فكيف يكون الله ثلاثة؟ فكلمة ثالوث تحمل معنى التعددية أي وجود أكثر من إله،

وهو ما يتعارض مع الوجدانية.

ولكن التفكير بهذا المنطق، سواء الحسابي أو اللفظي، لا يتناسب مع طبيعة الله، فلا يجوز أن نفكر في

الله بهذه الكيفية، وذلك لعدة أسباب:

أولاً: الله ليس قضية حسابية عددية، فالإنسان لا يعد إلا المحسوسات، وما يعده الإنسان فهو بذلك

يحدده، وبالتالي فالله ليس قضية حسابية عددية، أي أن العدد لا علاقة له بالله.

ثانيًا: الله ليس قضية لغوية لفظية، فاللغة أداة للتواصل بين البشر والله، ولكن الله لا ينحصر في لغة

بشرية، بل اللغة هي فقط محاولة للتعبير عن الإلهيات بما يتناسب مع قدرة الإنسان على الاستيعاب، ولكن الله

يظل أعلى وأسمى من الالفاظ البشرية، وفوق الإدراك. فالله لا مثيل له، وبالتالي لا يُمكن التعبير عنه بكلمات

يُمكن أن تستخدم لوصف غيره. مثال لذلك: عندما نتحدث عن الولادة في اللاهوت، ونقول أن الابن مولودًا

من الأب، فهذا لا يُقصد الولادة بمفهومها الجسدي، لكنها ولادة تفوق إدراك البشر، لأنها ولادة روحية حقيقية

أزلية بدون انفصال ولا فارق زمني، وقد تشبه ولادة النور من النور والشعاع من الشمس (لكن تظل طبيعة

هذه الولادة بلا مثيل أو تطابق مع أي شيء في عالمنا).

### إن الواحد يصف ثلاثة وجوه: عدد- جنس- نوع

ولكن الله ليس واحد في العدد، لأن الواحد الصحيح هو عدد محدود، والله ليس كمًا وغير محدود، وبالتالي وصف الله بأنه واحد في العدد هو بمثابة وصف الله بالنقصان، لأن الواحد في العدد هو بعض العدد ولا كمال الأعداد.

كذلك الله لا يُمكن أن يكون واحد في النوع، مثل كتاب واحد من ضمن كتب كثيرة، فالكتاب جزء من نوع هو الكتاب، ولذلك الله ليس واحدًا وفقًا لهذا المعنى، فهو ليس آلهًا ضمن آلهة.

أيضًا ليس واحدًا في الجنس، فإله ليس فردًا ضمن جماعة، فحكم الواحد في الجنس هو الذي يضم أنواعًا كثيرة مختلفة، وهذا لا يجوز عن الله.

إن كلمة واحد عندما تُنسب لله فالمقصود بها التفرد، فهو وحده ينفرد بالربوبية والعبادة والصلاة تقدم له وحده، فهو وحده الخالق المخلص الذي لا مخلص سواه. فالوحدانية ليست الواحد الحسابي، ولكنها الوحدانية الجامعة. فعندما نتحدث عن الله الواحد، فالواحد يعني وحدة لا ينطق بها.

إذا كانت كلمة واحد ليس المقصود بها المفهوم الحسابي، فكذلك كلمة الثالوث لا يُقصد بها المعنى الحسابي، ولكن المقصود التعبير عن الكيان الإلهي الفريد، الذي لا يكتمل بدون الأب والابن والروح القدس. فالثالوث هو كمال الوحدانية، والوحدانية الحقيقية هي التي تُبنى على مفهوم الثالوث المسيحي. فإذا قلنا أن الله هو الحق وهو كذلك، فإننا نقصد أيضًا الحقاني مصدر ونبع الحق وروح الحق الي ينبثق منه بلا انفصال، فبدون الحقاني وروح الحق، تصبح الصفة غير مُحَقَّقة. هكذا بدون الثالوث تصبح الوحدانية صورة مشوهة وناقصة عن الله، ويصبح وجود الله مجرد فكرة ونظرية دون وجود وكمال حقيقي. وهذا يمكن تطبيقه على كل صفات الله.

الحكمة: الحكيم / الحكمة / روح الحق.

المحبة: المحب / المحبة / روح المحبة.

الحياة: الحي / الحياة / روح الحياة.

وبناء عليه، فإننا نؤكد أنه لا يوجد تعارض على الإطلاق بين الوجدانية والثالوث، بل أن الثالوث هو كمال الله، وهو قمة التوحيد، ولا قيام للإله الحقيقي بدون الثالوث. يقول القديس أنثاسيوس الرسولي: "من خلال الثالوث نؤمن بوجدانية الله، ومن خلال الاعتراف بوجدانية الابن والروح القدس في ذات الجوهر مع الأب يكتمل إيماننا بالثالوث".<sup>297</sup> كان مفهوم الوجدانية في ذات الجوهر الذي تم التعبير عنه بكلمة "هوموأوسايوس: واحد في الجوهر" - عند القديس أنثاسيوس وآباء نيقية - هو مفتاح الوجدانية في الثالوث. وكان هذا المفهوم يحوي داخله، أن الثلاثة أقانيم الإلهية تحتوي بعضها البعض، فالأب في الابن وفي الروح القدس، كما أن الروح القدس هو في الأب وفي الابن في ذات الوقت: وهو ما يُسمى التواجد أو الاحتواء المتبادل للثلاثة أقانيم الإلهية داخل جوهر الله الواحد. هكذا فهم آباء الكنيسة أن الوجدانية لا تتعارض مع الثالوث.

## الفصل الثاني

خلق الله الإنسان على صورته: "فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرْنَا وَأَنْشَى خَلَقَهُمْ" (تك 1: 27)، ومنحه نعمة الوجود في الحضرة الألهية، حيث كان في جنة عدن يتحدث مع الله ويسمع صوته. ولكن الإنسان عصى الله وسقط في الخطية وخرم من نعمة هذا الوجود. وبفقدان هذا الاتصال، أصبحت أسئلة الإنسان الوجودية بلا إجابة، حيث أنه محدود، كما يقول الحكيم: "كَمَا أَنَّكَ لَسْتَ تَعْلَمُ مَا هِيَ طَرِيقُ الرِّيحِ وَلَا كَيْفَ الْعِظَامِ فِي بَطْنِ الْخُبْلَى كَذَلِكَ لَا تَعْلَمُ أَعْمَالَ اللَّهِ الَّذِي يَصْنَعُ الْجَمِيعَ" (جا 11: 5). ورغم أن الله حاضر ومستعلن من خلال خليقته "السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ وَالْفَلَكَ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (مز 19: 1)، إلا أن البشرية فشلت في أن تُدرك الله، وبالتالي بادر الله بذاته بالإتصال بالإنسان وكشف له عن حقائق الوجود والحياة (تلك التي ترى والتي لا ترى وتفوق استيعابه بسبب عقله المحدود وفكره القاصر)، وفي اتصال الله بالإنسان، استخدم الله طرق وأنواع متعددة.

### ضرورة تواصل الله مع البشرية

إن حقيقة وجود الله كوجود حقيقي، تقتضي أن يتواصل الله مع البشرية لأنه من الواضح أن الله لم يكن مضطراً لأن يخلق، بل قد خلق بإرادته الحرة وذلك من فيض نعمته وجوده.

إن العلاقة الأبدية، بين الأب والابن والروح القدس، والطبيعة المتكاملة لله بشكل مطلق، تقتضي أن الله لا يعوزه أو ينقصه شيء، ولا يوجد ما يمكن أن يحتاجه. وبالتالي فالخلق لم يكن لصالح الله أي لمنفعته أو بسبب حاجة، أي أنه لم يكن ملزماً أو مضطراً أو محتاجاً أن يخلق، ولكنه خلق. إذ لا بد أن يكون هذا لمنفعة المخلوقين.

الله بإرادته الصالحة، قرر أن يمنح مخلوقاته العاقلة نعمة الوجود، وأن يمنحهم فرصة معرفة خالقهم، وذلك لأن الوجود الحقيقي يتحقق من خلال معرفة الله، تلك التي بواسطتها تتشكل هوية الإنسان ومعنى وجوده ومصيره: "أَنْتَ مُسْتَحِقُّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لِأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ" (رؤ4: 11). ولأجل أن يعرفوا خالقهم، كان لا بد أن يتواصل الله مع البشرية بطرق عدة.

يقول القديس أناسيوس الرسولي: "فإنه لم يكتف بمجرد خلقه للإنسان، كما خلق باقي المخلوقات غير العاقلة على الأرض، بل خلقه على صورته ومثاله، وأعطاه نصيباً في قوة "كلمته"، وقد خلق عاقلاً، لكي يبقى في السعادة أبداً، ويحيا الحياة الحقيقية، حياة القديسين في الفردوس"<sup>298</sup>.

يقول كاتب الرسالة إلى ديجونيتس عن المعرفة الحقة: "إذ لا حياة بدون معرفة، وما من معرفة حقيقية بدون حياة حقة. كل من يعتقد انه يعرف شيئاً بمعزل عن المعرفة الحق التي تشهد لها الحياة، فذاك لا يعرف شيئاً والحياة تغويه، لأنه لم يحب الحياة، أما من كانت المعرفة عنده مرتبطة بالخشية، مستمرة في طلب الحياة، فذاك يُغرس في الرجاء، ويطلب طلوع الثمر. ليكن قلبك وعاء المعرفة، فتصبح الكلمة فيك شهادة حياة"<sup>299</sup>.

### طرق تواصل الله مع البشرية

تكلم الله مع البشرية، وكان له صوت مُسموع (يفهم للسامع)، وظهر للأنبياء والرسل في أشكال مرئية (بعضها لم يعلن عنه)، وأحياناً في هيئة جسمية مثل الرجال. تلك الظهورات يطلق عليها علماء اللاهوت "التيوفانيا" (أي الظهور الألهي)، وبالطبع الأنبياء والرسل لم يروا الله بلاهوته أو في طبيعته النورانية الروحية، أو بجوهره الذي لا يرى. فنجد الله يظهر لابونا آدم في جنة عدن بشكل مرئي (لم يُذكر) "سَمِعَا

298 . القديس أناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة، ترجمة القمص مرقس داود. الفصل الثالث.

299 . الرسالة إلى ديجونيتس، 28.

صَوَّتَ الرَّبُّ إِلَهَهُ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ" (تك3: 8)، وظهر لأبائنا إبراهيم وإسحق ويعقوب.<sup>300</sup>

بعض الظهورات الإلهية يطلق عليها "الظهور المسياني" (ملاك الرب)، حيث ظهر الله بذاته في هيئة جسمية كإنسان، وأدى وظائف إنسانية وكان مميزًا عن البشر والملائكة، فتكلم باعتباره هو الله "يهوه" مستخدمًا ضمير المتكلم "أنا" ونسب لنفسه صفات الله وأعلن للذين رأوه، أنهم رأوا الله، فقبل العبادة وغفر الخطايا وأعلن ما سيحدث في المستقبل. فظهر لأبينا إبراهيم "ظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بُلُوطَاتِ مَمْرًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقَتَّ حَزَّ النَّهَارِ" (تك18: 1)، وظهر لأبينا يعقوب في هيئة جسمية وصارعه حتى الفجر "فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنَيْبِيلَ» قَائِلًا: «لَا تِي تَطْرُثُ اللَّهُ وَجْهًا لَوْجِهِ وَنَجِيثَ نَفْسِي" (تك32: 30). وظهر لموسى أكثر من مرة وليشوع ولجدعون.

بالطبع هناك فارق جوهري بين الظهورات الإلهية والتجسد الألهي، حيث الهيئة التي ظهر الله بها للإنسان قبل التجسد كانت هيئة جسمية وقتية ورمزية، تنتهي بإنهاء المهمة التي تم الظهور لإجلها، أما التجسد الإلهي فقد كان تجسدًا حقيقيًا، فيه أخذ الله الكلمة، جسدًا حقيقيًا، وفيه أتحد اللاهوت مع الناسوت اتحادًا أبدئيًا لا ينفص ولا ينفصل.<sup>301</sup>

300. القمص عبد المسيح بسيط ابو الخير، الإعلان الألهي وكيف كلم الله الإنسان؟ (القاهرة: مطبعة المصريين، 1997)، 6-10.

301. القمص عبد المسيح بسيط ابو الخير، الإعلان الألهي وكيف كلم الله الانسان؟ 15-18.



تحدث الله أيضا مع الأبياء من خلال ظواهر طبيعية كالريح والزلازل والدخان والنار والسحاب والبروق والرعود، إلى جانب سحابة المجد (الشكينة). وكانت أحداث الله من خلال هذه الظواهر في صورة مهيبه، معلنة عظمة الله أمام الشعب وقدرته. وكان المشهد الأعظم للظهورات

الألهية من خلال ظواهر الطبيعة، حين تحدث الله مع موسى في جبل حوريب، حيث صاحب الظهور الألهي مظاهر رهيبه ومهيبه: "فَقَدَّمْتُمْ وَوَقَفْتُمْ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ وَالْجَبَلُ يَضْطَرِمُّ بِالنَّارِ إِلَى كَيْدِ السَّمَاءِ بِظُلَامٍ وَسَحَابٍ وَضَبَابٍ. فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسْطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلَامٍ وَلَكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةَ بَلْ صَوْتًا" (تث4: 11-12). كما استخدم الله عامود السحاب والنار "بِعُمُودِ السَّحَابِ كَلَّمَهُمْ" (مز99: 7). وأيضا من خلال "سحابة المجد": "شكينة المجد"، حيث الحضور الإلهي المرئي لعظمة الله ولسكنى الله وسط شعبه (بمعنى قريب وبإشارة إلى "عمانويل"، لقب السيد المسيح "الله معنا") "كَانَ لَمَّا خَرَجَ الْكَهَنَةُ مِنَ الْقُدْسِ أَنَّ السَّحَابَ مَلَأَ بَيْتَ الرَّبِّ. وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْكَهَنَةُ أَنْ يَفْقُوا لِلْخِدْمَةِ بِسَبَبِ السَّحَابِ، لِأَنَّ مَجْدَ الرَّبِّ مَلَأَ بَيْتَ الرَّبِّ" (1مل8: 10-11).<sup>302</sup>

كل إنسان يحلم أثناء النوم، فالحلم هو تعبير عن ما يختبره العقل الباطن. أما الحلم الإلهي، الذي من الله، فهو وسيلة اتصال بين الله والإنسان. يميز الكتاب المقدس بين الأحلام العادية والأحلام الإلهية التي تحمل كلمة الله، بالتأثير النفسي على رائي الحلم حيث الاضطراب الشديد والقلق والاحاح على معرفة تفسير الحلم (مثل حلم دانيال 7د). كما يذكر الكتاب المقدس بعهديه "الرؤيا" أو "الرؤى" الإلهية المعطاه من الله، كأحد

وسائل إتصال الله مع الأنسان، وهى تختلف عن الحلم حيث يكون الرائي مفتوح العين وفي حالة وعى وإدراك كامل ويقظة كاملة محمولاً بالروح القدس، فترى عينه الرؤيا، مُعلنة كلام الله و أقواله.<sup>303</sup>

كما حملت الملائكة رسائل من الله للبشرية، سواء في رؤى أو أحلام أو ظهورات كما سبق الإشارة، مثل ظهور الملائكة للرعاة والملاك جبرائيل لزكريا الكاهن، وللقديسة العذراء مريم.

ومن أكثر الوسائل التى استخدمها الله في اتصاله بالبشرية، هي حلول الروح القدس على الأنبياء والرسل واستخدامه لهم سواء بالقول أو الكتابة. قال الله لموسى النبي "أَذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فِيمَكَ وَاعْلَمْكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ" (خر4: 12)، وفي العهد الجديد "أَسْتَمُّ أَنْتُمْ المتكلمين بَلْ رُوحِ أَبِيكُمْ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ" (مت10: 20)، وقول القديس بطرس الرسول: "لَمْ تَأْتِ نُبُوءَةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أَنَا اللهُ الْفَدِيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (2بط: 1: 21).

وأخيراً كلمنا الله في ابنه مباشرة، الذى هو صورة الله غير المنظور، وبهاء مجده ورسم جوهره "اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الْإِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ حَبْرٌ" (يو: 1: 18)، فالسيد المسيح هو كمال الأعلان الإلهي: "الله، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ - الَّذِي جَعَلَهُ وَارثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بِهَاءِ مَجْدِهِ، وَرَسَمَ جَوْهَرَهُ، وَحَامِلٌ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ،" (عب1: 1-3).

ومما سبق يتضح مدى حرص الله على التواصل مع البشرية، وليس كما يفترض البعض أن الله قد خلق الكائنات ووضع لها ناموس وقوانين وتركها وانعزل عنها وأصبح لا يبالي بها. إن مجرد خلق كائنات عاقلة يبرهن على رغبة الله في التواصل معهم، وإلا كانت كل الخليقة خلقت غير عاقلة، لتحيا فقط وفقاً لغرائزها.

## يسوع المسيح كمال الإعلان الإلهي ومخلص البشرية

أعلن الله عن ذاته من خلال تجسد ابنه في ملء الزمان، وقد حاول الكثيرون التشكيك في حقيقة

الوهية الابن وفي حقيقة تجسده وصلبه وموته وقيامته.

إدعاء البعض أن المسيح شخصية أسطورية غير حقيقية

يرى بعض النقاد الذين يؤمنون بالمادية، في شخص السيد المسيح وميلاده المعجزي وأعماله

الإعجازية وقيامته من الموت، ما يتعارض ويتناقض مع أفكارهم ومعتقداتهم الشكوكية، فافترضوا أن المسيح

مجرد شخصية أسطورية ليس لها وجودًا حقيقيًا تاريخيًا. وحاولوا تبرير ما جاء في العهد الجديد عن حقيقة

السيد المسيح، بأنه اقتباسات من شخصيات أسطورية (مثل كريشنا وبوذا وفشنو وميثرا وحورس وغيرهم)

في الديانات الوثنية التي تأثر بها تلاميذ المسيح في عصور لاحقة.

لقد أصدر المشككون العشرات من الكتب التي حاولوا فيها تصوير تلك الافتراضات وكأنها الحقيقة

نفسها، ومن أهم هذه الكتب، كتاب الفيلسوف الأمريكي المشكك كيرسي جرافيس من القرن التاسع عشر

"مخلصوا العالم الستة عشر المصلوبين"، فقد زعم أن شخصية المسيح ليست شخصية حقيقية وأن المسيح لم

يوجد أصلاً، بل أن سيرته قد أختلقت من مجموعة المخلصين عن طريق الاقتباس من أساطير الآلهة

الوثنية.<sup>304</sup>

### ملخص إدعاءات وافتراضات مدارس النقد الكتابي

يدعى هؤلاء النقاد أن الفترة التي نشأت فيها أصول المسيحية، ارتبطت بظهور مجموعات تنتمي

للثقافة الهيلنستية التي اعتقدت في مفهوم موت وقيامه الإله المخلص، بعضًا من تلك المجموعات كان له

علاقة بالديانة اليهودية التي ربطت الإله المخلص بالمسيا المنتظر، تلك الجماعة أنشأت تجسيدًا أسطوريًا

304. القمص عبد المسيح بسيط ابو الخير، هل اقتبست المسيحية عقائدها من الأساطير الوثنية ( القاهرة : كنيسة

السيد العذراء الأثرية بمسطرد، 2010)، 9-11.

لشخصية تحمل أسماً طانفياً وهو "يسوع" المستمد من كلمة عبرية تعنى "خلاصاً"، هذه المجموعات هي نواة الكنيسة المسيحية.<sup>305</sup> هؤلاء افترضوا عدم وجود شخصية تاريخية تحمل اسم يسوع المسيح، وأن الشخصية وسماتها كما جاءت في العهد الجديد، من اختراع جماعة مسيحية تأثرت بثقافات وأساطير مجاورة. في المقابل، البعض الآخر افترض وجود شخصية تاريخية بهذا الاسم وربما كانت لها بعض التعاليم، ولكن ليست بالشكل الإلهي الذي وصفه العهد الجديد وأن هذه السمات من اختراع الجماعة المسيحية الأولى، هؤلاء يُعرفوا بمدرسة نقد الشكل.

### مدرسة نقد الشكل:

افترض النقاد أن أناجيل العهد الجديد نشأت بوصفها الأخبار المتدولة شفهيًا في أوساط جماعات كنسية متعددة حول حوض البحر المتوسط، هذه الأخبار المختصة بيسوع صاغت تلك الجماعات لكي تتصدى لأسئلة كل كنيسة ولكي تلبى احتياجاتها الخاصة. وخلال فترة من التدوال الشفهي، حدث تطور لتلك الأخبار بإضافة مواد خرافية شتى على الأحداث التي تم تسجيلها في شكلها المكتوب.

لقد افترض هؤلاء النقاد أن "يسوع التاريخي" الحقيقي كان معلم حكمة، أثار معارضة ولقى الإعدام. وزعموا أنه بعد موته، برزت فرق وآراء مختلفة بين أتباعه بشأن هويته الحقيقية. فأعتقد البعض أنه كائن إلهي قام من بين الأموات، وآخرون اعتقدوا أنه كان مجرد معلم بشري استمر حيًا على نحو روحي في قلوب تلاميذه. إنتهى الصراع بين الفرقتين، بفوز فرقة "يسوع الإلهي" التي أوجدت نصوص تزوج لمعتقداتها وقاموا بقمع جميع النصوص البديلة التي تشير إلى يسوع من نوع آخر. لو صحت هذه النظرة إلى أصول أسفار العهد الجديد، لتغير جذريًا الفهم لمضمون ورسالة المسيحية، ولفقد الكتاب المقدس مكانته وسلطته

على الحياة والمعتقدات.<sup>306</sup> بالطبع هذه هي افتراضات مدرسة نقد الشكل وسوف يتم الرد عليها بشكل

### مفصل لاثبات بطلانها.

قام هرمان صموئيل ريماروس<sup>307</sup> (1694-1768م) بأول دراسة نقدية نظامية عن يسوع، والذي أكد فيها أنه لا يجب على الدارس أن يتجه في دراسته ليسوع إلى عقيدة الكنيسة الرسمية لأنها لا تعكس الحقيقة. قام ريماروس بدراسته سرًا، ولم ينشر كتابه الهائل ذا الأربعة آلاف صفحة، فقام ليسنج بنشر كتابه بعد موته، وأصبح هذا العمل بمثابة مقدمة لباقي الأعمال التي تلتته.<sup>308</sup>

أنكر هؤلاء النقاد أن يسوع المسيح كان بالصورة التي رسمتها الكنيسة الأولى، فقد اعتقدوا أن المسيحيين الأوائل قد ضخموا من شخصيته حتى جعلوه ابن الله صانع المعجزات وقاهر الموت. وقد اعتقد هؤلاء النقاد أن الفرق شاسع بين "مسيح التاريخ" و"مسيح الإيمان". كما أكدوا أن استخراج سيرة يسوع التاريخية من الأناجيل أمر مستحيل، لأن الأناجيل لا تعتبر مستندات تاريخية، بل هي عناصر ووحدات متناثرة تم تجميعها لتثبت وتقوي إيمان المسيحيين ولتدعم احتياجات الكنيسة الأولى، وبالتالي من الصعب التمييز بين ما هو تاريخي وما هو غير تاريخي في حياة يسوع كما وردت في الأناجيل.<sup>309</sup>

306. تيموثي كلر، **الإيمان في عصر التشكيك**، ترجمة سعيد فارس باز (الأردن: أوفير للطباعة والنشر، 2019)، 151-150.

307. فيلسوف وكاتب المانيا من عصر التنوير، أعتقد أن العقل البشري يُمكن أن يصل لمعرفة الله والأخلاق من خلال دراسة الطبيعة والواقع الداخلي، وبالتالي القضاء على الحاجة إلى الديانات القائمة على الوحي. فأنكر الأصل الإلهي للمسيحية، وأعتبر يسوع نبيًا يهوديًا بشريًا، وأن الرسل أسسوا المسيحية كدين منفصل عن خدمة يسوع.

308. مارك الفونس، **النص تحت الفحص: كيف تطور يسوع من البشارة إلى الأناجيل** (القاهرة: دار سلام للنشر والطباعة، 2018، 11).

309. حلمي القمص يعقوب، **النقد الكتابي: العهد القديم الجزء الثاني**، مدارس النقد والتشكيك والرد عليها (الإسكندرية: كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس خاتم الشهداء، 2006)، 277-278.

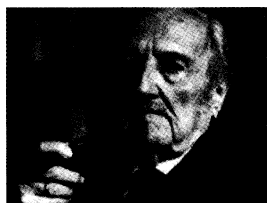
"نقد الشكل" هو ترجمة للكلمة الألمانية "formgeschichte" وترجمتها الحرفية "تاريخ الشكل"، وقد قُصد بالكلمة التعبير عن "دراسة أشكال الكتابة الأدبية والوثائق التي تحفظ التقليد المبكر". يقول ب. ريدلش اللاهوتي المعروف (1878-1960م) في كتابه "شكل النقد": "إن نقد الشكل هو منهج للدراسة والفحص يتعامل مع مرحلة ما قبل الكتابة لتقليد الإنجيل، عندما كانت المادة يتم تناقلها شفهيًا، وهو يهدف إلى اكتشاف أصول وتاريخ المادة المتمثل في الروايات والأقوال التي قامت عليها الأناجيل، وإلى تفسير كيف اتخذت تلك الروايات شكلها الحالي في الأناجيل. كما يهتم نقد الشكل بالعمليات التي تؤدي

إلى صياغة وتكوين الأناجيل".<sup>310</sup>



يُعتبر مارتن ديبلوس<sup>311</sup> (1883-1947م) أحد أهم رواد مدرسة "نقد الشكل"،

فيقول: "لم يكن لدى المسيحيين الأوائل أي اهتمام بتسجيل حياة وآلام يسوع بصورة موضوعية كشهادة للبشرية"، وبالتالي الأناجيل لا تعكس صورة تاريخية حقيقية عن يسوع".



كما ساعد رودلف بولتمان<sup>312</sup> (1884-1976م) في تطوير مدرسة نقد

الشكل، فقد أكد بولتمان أن شخصية "يسوع التاريخ" لا يرقى إليها الشك، ولكنها لم تكن قط بهذا التضخيم الذي صوره كتاب الأناجيل، فيقول: "إن الشكوك بشأن

310 . جوش ماكديول، برهان جديد يتطلب قرارًا، 474.

311 . عالم لاهوت بروتستانتي ألماني، أحد أكبر نقاد الشكل، ويعد من رواد هذه المدرسة، له عدة مؤلفات مثل: "من التقليد إلى الإنجيل"، "نقد الإنجيل والكريستولوجي". تشكك في الوجود التاريخي ليسوع، ومعروف بتصويره لعظة يسوع على الجبل على أنها تعكس مثلًا من المستحيل الارتقاء إليها في ما اعتبره عالما ساقطًا. أهتم ديبلوس في نقد الشكل بالأناجيل الثلاثة الأزائية، فقد رأى: "إن الفهم الأدبي للأناجيل المتوافقة يبدأ بإدراك أنها عبارة عن تجميع من الكتابات والمواد، وأن القائمون بإعدادها لا يمكن اعتبارهم مؤلفين إلا في أضيق الحدود. بل هم بالدرجة الأولى ليسوا سوى جامعين أو محررين قاموا بتجميع المواد التي وصلت إليهم".

312 . عالم لاهوت لوثيري ألماني، يُعد ناقدًا بارزًا للاهوت الليبرالي. شغل عدة وظائف أكاديمية، وساهم بشكل فعال في تطوير مدرسة نقد الشكل، ومن أهم أعماله: "يسوع والعالم"، "يسوع وعلم الأساطير"، "المسيحية البدائية في أوضاعها الحالية"، "تاريخ النقد المتوافق". شكك بولتمان في القصص التاريخية، وقال أن الأساطير والخرافات والأفكار اليهودية الأخروية تغلب عليها. وقد إنتهى بولتمان أن الأناجيل قدمت لنا "مسيح الإيمان" كما رآه الكنيسة الأولى، وثمة إستحالة في الوصول إلى "يسوع التاريخ". لقد حاول بولتمان حسب تصوره أن يُخلص الكتاب المقدس من أسلوبه الأسطوري.

هل وُجد يسوع حقاً؟ هي شكوك لا أساس لها ولا تستحق التفكير فيها، فليس من شخص عاقل يمكن أن يشك في يسوع كمؤسس للحركة التاريخية التي كان نشأت بين الجماعة الفلسطينية. ولكن إلى أي مدى حافظت هذه الجماعة على صورة موضوعية حقيقية له ولرسالته؟ فهذه قضية محل فحص وجديرة بالدراسة".<sup>313</sup>

**يلخص ردليش أحد رواد النقد الأدبي قصور المنهج النقدي لنقد الشكل في عدة نقاط، قائلًا:**

1) تقوم مدرسة نقد الشكل على تصنيف الأنجيل إلى أحداث وتعاليم وسرد لمعجزات، فتقوم برفض المقاطع التي تحتوى على معجزات بشكل مُسبق باعتبارها أمور خيالية مستبعد حدوثها، وهذا ليس من صلاحيات النقد الأدبي.

إدعي أدولف فون هارنك<sup>314</sup> (1851-1930م)، أن قصص المعجزات الواردة في الأنجيل تعكس خيالات عالم بدائي أكثر من كونها حقائق تاريخية، وأن المسيحية بشكل عام هي نتاج فكر قديم مُقتبس من الديانة المصرية القديمة، والديانات البابلية، والهيلينسية. ويضيف وليم بوسيه: "بأنه لا توجد معلومات كافية توضح حياة يسوع الأولى في الجليل، كما أعتقد أن إضفاء صفة الألوهية على يسوع جاء نتيجة مؤثرات أجنبية خارجية، وأن يسوع لم يكن صاحب معجزات وعجائب، وأن الأفكار الأخروية في المسيحية مشتقة من أديان أخرى".<sup>315</sup>

2) نقد الشكل في تركيزه على تأثير الجماعة المسيحية الأولى، يتجاهل تأثير يسوع المسيح كمعلم، ولكنه في المقابل ينسب للجماعة التأثير المبدع، وهو ما لا يمكن الاستدلال عليه سواء من كتابات العهد الجديد أو من كتابات الآباء الأولى.

313 . حلمي القمص يعقوب، **النقد الكتابي: العهد القديم الجزء الثاني**، مدارس النقد والتشكيك والرد عليها، 292-

.295

314 . لاهوتي لوثرى الماني، تتبع تأثير الفلسفة الهلنستية على الكتابة المسيحية المبكرة ودعا المسيحيين للتشكيك في صحة العقائد التي نشأت في الكنيسة المسيحية الأولى.

315 . حلمي القمص يعقوب ، **النقد الكتابي: العهد القديم الجزء الثاني**، 20-22.

(3) أيضًا تتجاهل مدرسة نقد الشكل حقيقة وجود شهود عيان في الفترة البدائية، كما تتجاهل كذلك قدرتهم على فحص التقليد وحمايته.

(4) كما تتجاهل مدرسة نقد الشكل دلائل وبراهين كتاب القرن الثاني وما بعده، سواء من آباء الكنيسة أو من النقاد المعاصرين.

(5) كذلك تتغاضى مدرسة نقد الشكل عن الحقيقة المؤكدة بأن أفراد الكنيسة الأولى قبلوا الألم والموت لأجل إيمانهم بيسوع وبقوة اسمه، مما يؤكد أن يسوع كان شخصًا حقيقيًا، وكان مسيحهم الذي أكد مسيانيته بأفعاله وأقواله.<sup>316</sup>

يلحق روبرت هايدن موونس على أحد أهم نقاط ضعف مدرسة نقد الشكل، وهي عدم القدرة على الاتفاق ما بين نقاد المدرسة، قائلا: " يبدو أمامنا نقد الشكل كما لو أنه منهجًا علميًا، ولكنه لو كان كذلك، لوجدنا إتساقًا وتماسكًا في التفسير، ولكن ما يحدث هو أن تأتي التفسيرات على مقولة واحدة مختلفة ومتنوعة بشكل واسع.

يستكمل ج. برينز أستاذ العهد الجديد شرح ذاتية نقد الشكل قائلا: "إن الخطأ الأكبر لنقد الشكل هو ذاتيتها التخيلية في تقييمها وتقديرها للتقاليد (أي أن افتراضاتها بمثابة تخيلات ورؤى لا تستند على أدلة موضوعية ولكنها آراء شخصية)، ولذلك فإن نقاد الشكل يواجهون تحدي، فإما أن يعترفوا بخطأ منهجهم، وما توصلوا إليه من نتائج أو يتخلصوا منه تمامًا." يقول ف.ف. بروس: "ليس هناك ما يدعو للشك، أنه خلال فترة قصيرة سوف تلحق نظرية نقد الشكل بغيرها من النظريات الفاشلة وتشاركها مصيرها". ثم يضيف قائلا: "سوف يفعل ناقد الشكل فعلاً طيبًا عندما يتنحى إلى الوراء، وينضم إلى قراء الإنجيل، وينعم بمعرفة إن شهادة الإنجيل تمتلك رنين الحق".<sup>317</sup>

316 . ماكديول، برهان جديد يتطلب قرآنا، 504-502.

317 .ماكديول، 504-482.

يقول "ألفريد فيرمين لويزي" (1857-1940م) الكاهن الفرنسي الكاثوليكي ومؤسس الحداثة في الكنيسة الرومانية، ملخصاً الإدعاءات السابقة: "لطالما حلم البشر بأن يعاينوا شخصاً ينوب عن الله على الأرض ويدخلهم ملكوته السماوي، فكان المسيح محط تلك الآمال، ولكن يسوع الناصري لم يلب في الواقع رغبات البشر وأمالهم. لم يكن الموت عنصرًا أساسيًا من رسالة المسيح، ولكنه جابهه دون ترتيب، وما تبقى من ديانته تسربت إليها الأساطير ولعبت بها المثولوجيا اليونانية ولا سيما الديانات السرية"<sup>318</sup> بالطبع إيماننا المسيحي يعارض كل ما جاء في التصريح السابق شكلاً وموضوعاً، فالسيد المسيح وجوده وجود حقيقي وهو الله الظاهر في الجسد، وقد أختار الموت بإرادته الخاصة ضمن تدبيره الخاص لخلاص البشرية.

### الرد على تلك الإدعاءات

**المسيحية دين تاريخي:** (أي أن المسيحية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ، وذلك لأن شخصية السيد

المسيح التاريخية قد تداخلت في أحداث التاريخ، وبالتالي إذا لم يكن للسيد المسيح وجود حقيقي تاريخياً، فإن ركنًا هاماً من أساس المسيحية يتأثر). كما أن كثير من الأحداث التي تناولت حياته قد تم ربطها بتاريخ وأزمنة وأشخاص تاريخيين، وبالتالي لا يُمكن أن تكون أحداث خيالية.

يتم تقييم الأحداث التاريخية وفقاً لأهميتها، وذلك لأن التاريخ يعني فقط بتسجيل الأحداث التي تمثل قيمة ومعنى لمجموعة من الأفراد، تلك الأهمية تُمكنهم من تذكر تلك الأحداث وتناقُلها وتسجيلها بشكل أوسع. والمسيحية نشأت من مجموعة أحداث تاريخية معينة، وبالتالي فإن علاقة المسيحية بالأحداث التي تدعي أنها نشأت من خلالها، علاقة وطيدة الصلة، فلا يُمكن فصل المسيحية عن أحداث ميلاد وصلب وقيامة وصعود السيد المسيح، لأن تلك الأحداث هي التي شكلت جوهر المسيحية ورسالة الخلاص.

يختلف الأمر بالنسبة لباقي الأديان، فالدين ربما يكون مؤسس على تعاليم رجل حكيم، ولكنه لا يشتمل على أحداث خاصة بحياته تكون محور الأحداث. فكثير من المعتقدات انبثقت من إلتقاء مختلف التيارات الثقافية دون تدخل فاصل لأي معلم أو قائد تاريخي، وبالتالي فإن تأسيس باقي المعتقدات قائمًا على أفكار وليس أحداث تاريخية، وذلك في مقابل المسيحية التاريخية.<sup>319</sup>

يقول " وليم لين كريج " الفيلسوف المسيحي: "المسيحية تمد جذورها في أحداث حقيقية في التاريخ وهو ما يجعل المسيحية فريدة من نوعها خلافاً لمعظم معتقدات العالم، فلدينا من الوسائل للتحقق من حقيقة الأحداث والحقائق التاريخية". يقول دونالد هاجيز أحد علماء العهد الجديد: "تعتمد المسيحية الحقيقية على التاريخ اعتمادًا كليًا، وجوهر إيمان العهد الجديد هو التأكيد على أن "الله كان في المسيح مصلحًا نفسه للعالم" (2كو 5:19). وتعد أحداث تجسد السيد المسيح وموته وقيامته، أحداث حقيقية زمنيًا ومكانيًا، أي حقائق تاريخية وأساسية لا غنى عنها للإيمان المسيح".

### إن شخصية يسوع التاريخية ليست مسألة ذات أهمية ثانوية بالنسبة للإيمان المسيحي الذي يركز

على التاريخ". وما سجلته الأناجيل يمثل الحقيقة بأجلى معانيها، ويدعمها مئات النبوات التي جاءت في أسفار العهد القديم (أكثر من 300 نبوة، تحقق منهم أكثر من 30 في آخر أربع وعشرون ساعة في حياة السيد المسيح، فالمسيحية لم تأتي من فراغ وإنما جذورها التاريخية العميقة تمتد إلى مئات السنين).<sup>320</sup>

تعد الأناجيل وثائق دينية، وهذا أمر مسلم به، ولكنها أيضًا وثائق تعكس ديانة تاريخية، فهي تركز على التأكيد بأن سلسلة من الأحداث قد حدثت بالفعل، وأنها ليست أساطير أو روايات شعبية، وأن تلك الأحداث التاريخية، قد تضمنت إعلان الله عن نفسه من خلالها لأجل خلاص الإنسان. فالأناجيل تخبرنا بما حدث، ولكن ليس بهدف تقديم سرد تاريخي بحت، ولكن لأنها تريد تثبيت نشأة الإيمان بالشهادة على مثل تلك

319 . دود، التاريخ والإنجيل، ترجمة بيشوي جرجس، 10-15.

320 . ماكول، 152.

الأحداث التاريخية التي يمكن التحقق من صدقها، "أَمَا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَلِكَيْ تَكُونْ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ" (يو20: 31).<sup>321</sup> مما سبق يتأكد الوجود التاريخي لشخص السيد المسيح، فهو وجود حقيقي وليس أسطوريًا.

### تعريف الأسطورة:

"الأسطورة وجمعها أساطير" تُعرف على أنها أباطيل. و"أساطير" في اليونانية، هي: "ميثولوجيا Mythology" وهي تترجم: "حكايات تقليدية عن الآلهة والأبطال". يقول د. سيد القمني: "الأساطير هي مجموعة خرافات وأقاصيص عن الأبطال في غابر الزمان، بحسب تخيلات وثقافة العصر التي صيغت فيه". وعادة الأساطير أن تحتوي على: مشاعر إنسانية جياشة وإنفعالات، فلسفة الإنسان ومحاولاته الفكرية الأولى، خيالات ومبالغات وتصورات بعيدة عن الواقع. فالأسطورة هي التسجيل الأمثل للفكر وواقعه في مراحلها الابتدائية، وبالتالي جاءت لتعبر عن عجز الإنسان على تفسير الأمور المحيطة به تفسيرًا علميًا. يرى البعض أن الأسطورة تختلف عن الخرافة، لأن الأسطورة هي معالجة خيالية لمادة تاريخية وأنها تعد تجسيد لحقيقة ميتافيزيقية. يقول د. عبد الحميد أحمد زايد: " يجب أن ننظر إلى الأسطورة بعين غير تلك العين التي ننظر إلى الخرافات والروايات والحكايات الشعبية". فالأسطورة لا تعني بالضرورة خرافة أو شيئًا لم يحدث، بل تعني لغة خاصة يُعبر بها عن حقائق معينة عندما تعجز اللغة العادية أن تتكلم عنها.<sup>322</sup>

### الفرق بين الأسطورة والخرافة:

العين الفاحصة قادرة أن تبين الفروق الواضحة بين الأسطورة والخرافة، فالخرافة تقوم على عنصر الإدهاش وتمتلى بالمبالغات والتهويلات وتجري أحداثها بعيدًا عن الواقع، بحيث تحرك الشخصيات بسهولة

321 . دود، 16.

322. حلمي القمص يعقوب ، النقد الكتابي: العهد القديم الجزء الرابع، مدارس النقد والتشكيك والرد عليها (الإسكندرية: كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس خاتم الشهداء، 2008)، 20-25.

بين المستوى الطبيعي المنظور وبين المستوى فوق الطبيعي، بحيث تتشابك العلاقات مع الكائنات الماورائية، وقد يدخل الآلهة مسرح الأحداث ولكنهم يظهرون مثل البشر المتفوقين وليسوا كآلهة سامية متعالية كما يحدث في الأسطورة. من هنا تتشابه الأسطورة مع الخرافة، ولا يفصلهما إلا معيار القداسة. فالأسطورة حكاية مقدسة، تؤمن بها الجماعة التي أنتجتها ويرون في مضمونها رسالة سرمدية موجهة لبني البشر. أما الخرافة، فالجميع يعرف أنها تقص أحداثاً لا تستلزم أن يصدقها أحدًا أو يؤمن برسالتها.<sup>323</sup>

**هناك أربعة رؤى للأساطير بشكل عام من حيث مصدرها وطبيعتها:**

**أولاً:** نظرية الأسفار المقدسة: بحيث ينظر إلى كل القصص الاسطورية باعتبارها مشتقة من قصص الكتب المقدسة (من نفس النبع الإلهي الواحد)، ولكن الوقائع تغيرت وتشوهت وإنحرفت بما أدخله عدو الخير من دنس وإفساد عليها، مثل قصة الطوفان، فالقصة تم تداولها بين شعوب كثيرة، والكثير منهم أضاف للقصة الكتابية العديد من التفاصيل الأسطورية البعيدة عن الحقيقة. بمعنى أن الأصل في بعض الأساطير هو أحداث الكتاب المقدس، التي تم تداولها بعد تغيير أحداثها.

**ثانياً:** النظرة التاريخية: التي ترى أن الأشخاص الذي ورد ذكرهم في الأساطير، كائنات بشرية حقيقية، وأن الخرافات التي تُنسب إليهم هي زيادات وزخارف أقحمت في عهود متأخرة.

**ثالثاً:** النظرة المجازية: التي تعتبر أن الحقائق الدينية والتاريخية أخذت شكل الرمز أو المجاز، ولكنها ليست أحداث حقيقية، ولكن بمرور الزمن أستوعبها البشر على أساس ظاهرها الحرفي. أي أنها قد تكون قصص رمزية تم تداولها لشرح مفهوم ديني، ومع الوقت افترض البعض حدوث تلك القصص بشكل حرفي.

**رابعاً:** النظرة الطبيعية: وهي التي تجعل كل عناصر الطبيعة فاعلة في الرواية الدينية، بحيث تجعل للرياح والأعاصير والزلازل والظواهر الطبيعية دور في سياق الأحداث.

323. فراس السواح، الأسطورة والمعنى: دراسات في المثلوجيا والديانات المشرقية (دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2001)، 15.

تتباين الرؤي والافتراضات، تجاه الكتاب المقدس، فالبعض يعتقدوا أن أحداث الكتاب المقدس مجرد رمز أو مجاز تصويري غرضه التعليم، ومع الوقت تم إعتبار أحداثه أحداث حرفية. والبعض الآخر يعتقد أن قصص الكتاب تأثرت بأساطير الحضارات المختلفة، وأخذت منها، بالطبع كل تلك الإدعاءات يُمكن الرد عليها، وذلك لأن الأسطورة أو الخرافة لا يُمكن أن ترتبط بالتاريخ، بالشكل الذي أرتبطت به أحداث البشائر، كما سيتم الإشارة، فالأساطير بشكل عام لا يُعرف زمن أو مكان حدوثها أو حقيقة أبطالها التاريخية، في مقابل الأنجيل التي تقدم سرد لأحداث ترتبط بالإطار العام للتاريخ الروماني واليهودي.<sup>324</sup>

يشدد نورمان جايسلر على خطورة الفصل بين يسوع التاريخ والإيمان، قائلاً: "إن لم يكن يسوع التاريخ حقيقة، فباطل هو إيماننا وقضية خلاصنا تصبح بلا معنى" ثم يضيف: "إن فصل مسيح التاريخ عن مسيح الإيمان، يقوم على إنقسام خاطئ بين الحقيقة والإيمان". إن الدلالة التاريخية للمسيح لا يمكن أن تنفصل عن أصلاته التاريخية، لأنه إذا كان يسوع لم يعيش ولم يعلم ولم يموت أو يقوم من الأموات، كما يقول العهد الجديد، فعندها لن يكون هناك أي أهمية أو معنى لاختلاصنا. إن تجاهل حياة يسوع التاريخية على الأرض، يقترب بشدة وبشكل خطير، من إنكار أن يسوع جاء في الجسد على الأطلاق". هذا ما يؤكد ألوين قائلاً: "عندما تصير الحقيقة التاريخية ليسوع الناصري مجرد لغز نسبي، فهذا يعني أن ظهور إعلان الله الذي يُفترض أنه أتخذ شكلاً جسدياً وتاريخاً في يسوع، يتلاشى ولا تقوم له قائمة".<sup>325</sup>

شخصية المسيح التاريخية من مختلف المصادر:

أولاً، الأنجيل والأسفار المقدسة (باعتبارها وثائق تاريخية قديمة):

بالإضافة إلى ما تم سرده من أحداث أساسية عن شخص السيد المسيح في الأنجيل وكتابات العهد الجديد، فإننا نجد أجزاء من إترافات الإيمان المسيحي المبكر داخل الأنجيل، تلك التي صيغت وتناقلت

324. حلمي القمص يعقوب، النقد الكتابي: العهد القديم الجزء الرابع، مدارس النقد والتشكيك والرد، 25-35.

325. جايسلر وتورك، 290.

شفهياً قبل تدوينها في أسفار العهد الجديد، مثل شهادة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس: " فَإِنِّي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الْأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ. وَأَنَّهُ دُفِنَ وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، وَ أَنَّهُ ظَهَرَ لِنَصَفَا ثُمَّ لِإِلْتِنْيَ عَشْرَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لِأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةٍ أَحْ أَخْ أَكْثَرُهُمْ بَاقِي إِلَى الْآنَ. وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا، وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ. " ( 1كو 15: 3-5)، تلك شهادة مبكرة جدًا تؤكد تاريخية الأحداث. كما أن العبارات الأربع، كل منهم يمثل مقومات العقيدة المسيحية التي صيغت بشكل مبكر وتداولت شفهيًا، فكانت بمثابة قانون إيمان مصغر. بالإضافة إلى قول بولس لتلاميذه تيموثاوس: "وَبِالْإِجْمَاعِ عَظِيمٍ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللَّهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَأَى لِمَلَائِكَةٍ، كُرِّرَ بِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ، أَوْ مِنْ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ " ( 1 تي 3: 16)، والذي يبدو مثل ترنيمة مسيحية قديمة تناقلها المسيحيون الأوائل، مما يؤكد مصداقية الأحداث التي تناقلت بشكل مكرر بسيط.<sup>326</sup> (لتلك الشهادات المبكرة أهمية خاصة لدى النقاد، لأن معنى انتشارها بهذا الشكل الواسع وفي زمن مبكر جدًا يكاد يقترب من الأحداث ذاتها، يؤكد حقيقة الأحداث التاريخية، لأنه لم يكن هناك زمن كافي لاختلاق الأحداث).

كان التناقل اليهودي للتقاليد المقدسة متطورًا جدًا وموثوقًا به بدرجة عالية، ففي ثقافة شفوية مثل تلك التي كانت للأمة اليهودية في القرن الأول، كانت القدرة على حفظ قطع كبيرة من التقليد الشفهي واستبقاءها وتناقلها مُقدرة جدًا (بالتالي لا يجوز مقارنة النقل اليهودي للتقاليد بلعبة "التليفون الخربان"<sup>327</sup>، لأن هذا يعتبر تشويه للواقع اليهودي، بالإضافة إلى المعلومة في تلك اللعبة تبدأ من شخص لآخر، على عكس شخص السيد المسيح الذي علم تلاميذه، وهم من كرزوا بالبشارة، مما ينفي تشوه الرسالة عبر النقل). كانت تلك مهارة مطورة جدًا يتم تلقينها للأطفال منذ الصغر داخل المدارس الملاحقة بالجماع. وبالتالي وسط هذه القدرات

326 . ماكول، 152-154.

327 . لعبة يتم فيها نقل معلومة من شخص لآخر بصوت منخفض، ويحدث تشويه للكلمة الأصلية عبر تناقلها ما بين الأفراد، البعض يشير إلى أن تعاليم السيد المسيح الأصلية قد تشوهت بسبب تناقلها ما بين الأفراد، عبر الزمن حتى تم تدوين البشائر. بالطبع هذا الافتراض غير حقيقي، وذلك لأن تعاليم رب المجد لم تكن لفرد واحد، تناقلها لآخر بصوت منخفض، بل كانت تعاليم تم القاءها أمام الجموع الذين حفظوها وأمنوا بها وعاشوها ونقلوها لتلاميذهم، "أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ عَلَانِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ جَيْبٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِمًا. وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ" (يو 18: 20)

الفائقة، فإنه من المستبعد أن يتم إختراع قصة أسطورية لم تحدث أحداثها فعلياً، وخاصة أن السيد المسيح لم يكن شخصية عادية، فقد كرز المسيح بملكوت السماء في مدينة أورشليم العظيمة وليس في قرية نائية، فقد جال في كل ربوع فلسطين، وعلم وشفى الكثيرين وأختار اثني عشر تلميذاً وأقام سبعين رسولاً، صاروا شهوداً له في كل المسكونة، وحفظوا أقواله وتعاليمه وتناقلوها بمنتهى الدقة والأمانة. يقول القديس بولس الرسول: "لأنه من جهة هذه الأمور عالم الملك الذي أكلمه جهاراً إذ أنا لستُ أصدق أن يخفي عليه شيء من ذلك لأن هذا لم يفعل في زاوية" (أع 26:26).<sup>328</sup>

إن شخصية يسوع المسيح شخصية تاريخية حقيقية تخبرنا بها الأنجيل والأسفار المقدسة وتؤكدها المصادر الخارجية. يقول الأب بولس إلياس اليسوعي: "تاريخ المسيحية وأصلها لا تفسرها الأساطير، فهناك شخصاً ولد وعاش وقام برسالة روحية في فترة محددة من الزمن وفي حقبة محددة من التاريخ، وفي موضع جغرافي يعرفه الجميع، يُدعى "يسوع المسيح".

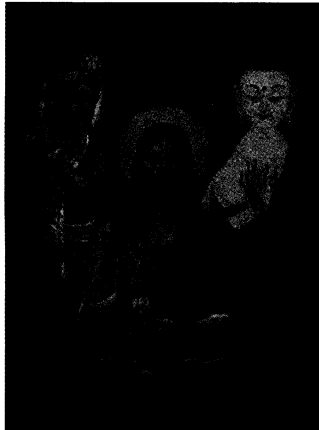
**أدلة داخلية تؤكد أن شخصية المسيح ليست شخصية أسطورية:**

عادة الأسطورة لا تحتوي على أزمنة محددة، فلا أحد يعرف زمان حدوثها أو أسماء الأماكن الحقيقية التي حدثت فيها، أو الأشخاص الحقيقيين أبطالها. في المقابل فإن قصة ميلاد السيد المسيح محددة الزمان والمكان والأشخاص، ويمكن التحقق منهم. "لَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ" (مت 2:1 فان دايك)، " وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أَوْغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ" (لو 2:1). يقول الأب أيوب شهوان: "كل تلاعب بالمسيح وكل تحويل له إلى عقيدة أو أسطورة، يصطدم بالتاريخ. فليس هناك مسيح فكري خارج الزمن أو خرافة ذات معنى عميق، بل مسيح المسيحية هو في الواقع شخص حقيقي، بشري وتاريخي. وبهذا المعنى تركز

المسيحية على التاريخ، والإيمان المسيحي هو أساسًا إيمانًا تاريخيًا، وإلا ما استطاعت المسيحية أن تفرض ذاتها منذ البدء على الأساطير وعلى كل الفلسفات والعبادات السرية".<sup>329</sup>

### سبب التشابه الضئيل بين شخصية المسيح وبعض الشخصيات الأسطورية:

على الرغم من قدم الأساطير سواء اليونانية أو الشرقية بمئات السنين قبل ميلاد المسيح، إلا أنه لا يوجد سجلات أو مخطوطات لها أقدم من القرنين الثالث أو الرابع الميلادي، فما المانع أن يكون التشابه في بعض التفاصيل نتيجة لحدوث تطور في الأساطير بحيث تكون اقتبست بعض صفات السيد المسيح وأضافتها لشخصيات الأبطال الأسطورية؟ وخاصة مع الانتشار الواسع للمسيحية في كل أرجاء المسكونة في زمن



قصير (المقصود أن تلك الشخصيات التي يدعى البعض وجود تشابه بينها وبين السيد المسيح، تكون هي من اقتبست من المسيحية وليس العكس، والدراسات التاريخية تؤكد عدم وجود بعض الأحداث في قصص تلك الشخصيات في المصادر الأقدم).

يقول عباس محمود العقاد: "وجود تشابهات بين ديانة والأساطير،

ليس دليل كافي على هذه الديانة اقتبست من الأساطير". لقد كانت

الأساطير موجودة قبل السيد المسيح، فلماذا ارتبطت المسيحية بميلاده؟ بمعنى لماذا لم تظهر الديانة المسيحية في عصور سابقة لميلاد المسيح التاريخي. بالإضافة إلى أن الأسطورة دائماً وأبداً تعظم من شخصية البطل وتُسخر كل الظروف لصالحه، بينما لا نجد هذا في قصة السيد المسيح، بل نجد أنه ولد في مذود حقير، وهرب من وجه هيرودس إلى مصر، وتعرضت كرازاته لإضطهاد وسخرية من القيادات اليهودية وفي

النهاية قدموه للصلب. كما أنه من المستحيل أن تتجمع أشتاتًا مبعثرة من الأساطير لتكون دينًا عظيمًا مثل المسيحية في قوتها وعظمتها وتماسك طرحها التاريخي والديني.<sup>330</sup>

### عدم منطقيّة إدعاء اقتباس اليهود أحداث من ديانات أخرى:

بالإضافة إلى أن فكرة وجود جماعة من اليهود، قاموا باقتباس أحداث أسطورية من ديانات وثنية وقاموا بإلحاقها بقصة السيد المسيح، تتعارض مع الفكر اليهودي، لأن اليهود كانوا يصنون معتقداتهم بعناية من المؤثرات الخارجية، وكانوا يعتبرون أنفسهم شعبًا مميزًا، وكانوا يقامون الأفكار والشعائر والطقوس الوثنية والروايات الشعبية، وهو ما يظهر بشكل واضح في كتابات موسى النبي الذي لم يقتبس من الخرافات والمبالغات السائدة في عصره. بالإضافة إلى أن الديانات السرية التي أشار إليها البعض، كانت تحتوى على قصص عن آلهة تموت وتقوم من الموت، ولكن ذلك ضمن دورة الحياة الطبيعية للموت ثم الولادة ثانية، فالمحاصيل تموت عند سقوطها في الأرض ثم تعود إلى الحياة في الربيع، وكانت تلك القصص تقدم بشكل أسطوري يبدأ بافتتاحية "في قديم الزمان وسالف العصر والأوان". ولكن في المقابل نجد أن تلك الصورة تتناقض بشدة مع ما جاء عن يسوع في الأناجيل، فهي تتحدث عن شخص عاش فترة محددة وعاصر شخصيات تاريخية، وبالتالي فهناك أشياء تاريخية واقعية ملموسة.<sup>331</sup>

كما أن الأسطورة لكي تنضج يجب أن تُسوى على نار هادئة، بمعنى أنها يجب أن تستغرق وقتًا طويلًا، أي عدة أجيال لكي تتحول القصة إلى أسطورة. في المقابل فإن جميع المؤرخين يتفقون على أن الأناجيل دُونت وأنتشرت في خلال الجيل الأول بعد الأحداث، أي في الوقت الذي كان فيه شهود العيان على قيد الحياة، وحتى تكون قصة المسيحية أسطورية في أصلها، كان هناك ضرورة وإحتياج إلى وجود عدة أجيال بين الأحداث التي حدثت وتاريخ تسجيلها، وذلك حتى لا يعترض شهود العيان الأحياء على تلك

330 . حلمي القمص يعقوب، 26-28.

331 . كريج، 158.

الأحداث التي لم تحدث وتم إضافتها. إن الفجوة الزمنية بين الأحداث وزمن تسجيلها لا يمكن أن ينتج أسطورة. وعلى النقيض، فإن تلك الفجوة تتحقق بظهور الأناجيل الأبوكريفية في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، والتي تسجل بعض القصص الخرافية عن يسوع لمحاولة ملء الفترة ما بين صباحه وأيام خدمته، وبالتالي فإن تلك الكتابات مرشحاً أفضل للأساطير التي يسعى إليها النقاد وليس أناجيل العهد الجديد.<sup>332</sup>

يقول سي. أس. لويس الكاتب والفيلسوف الشهير: "ما زلت أقرأ القصائد والحكايات الرومانسية والأدب الخيالي والأساطير. فأنا أعرف حقيقة هذه كلها، وأعلم أن أي فن منها ليس مثل نص الإنجيل. فبالنسبة إلي هذا النص، ثمة رأيان محتملان لا ثالث لهما. أنه أما تقرير دقيق عما جرى، وأما كاتباً مجهولاً

قديمًا، لا يُعرف أسلافه، استبق فجأة كامل تقنية السرد الواقعي الروائي العصري". ما قصده لويس، أن الأدب القصصي القديم، لم يكن يشبه الأدب الحديث في خصائصه الحالية. فالفن القصصي الحديث يتميز بالواقعية، إذ يحوي تفاصيل دقيقة، تجعل القارئ يشعر أنه يسمع شهادة



شاهد عيان، غير أن هذا النوع من الأدب، لم ينشأ إلا في آخر ثلاثة مائة سنة. في المقابل، كانت حكايات المغامرات والأساطير هي السائدة في زمن كتابة الأناجيل، تلك التي لا تحتوي تفاصيل تتسم بالواقعية. في المقابل نجد الأناجيل تمتلئ بالتفاصيل الدقيقة الواقعية، مما يؤكد أننا أمام تقرير تاريخي مفصل، فعلى سبيل المثال، جاء في إنجيل مرقس الأصحاح الرابع، أن يسوع كان نائماً على وسادة في مؤخرة سفينة. إن مثل هذه التفاصيل تظل راسخة في ذاكرة كل شاهد من شهود العيان، فينقلها دون تعمد مؤكداً مصداقية الشهادة.<sup>333</sup>

332 . كريج، 222.

333 . تيموثي كلر، الإيمان في عصر التشكيك، ترجمة سعيد فارس 162-163.

ثانيًا: تاريخية شخصية المسيح من مصادر أخرى:

تتعدد المصادر التي تؤيد تاريخية شخصية يسوع، بداية من المصادر العلمانية ( الوثنية) وهي عادة ضد المسيحية، فقد أشار الكثير من الكتاب القدماء مثل تاسيتوس وبليني الصغير ولوسيان الساموساطي، إلى يسوع والحركة التي قام بها، وكونهم أعداء للمسيحية فهذا يجعل شهادتهم محل ثقة لأنهم ليس لهم مصلحة في الإعتراف بالأحداث التاريخية الخاصة بقائد ديني وأتباعه وخاصة أنهم يزدرون بتلك الأحداث.

أمثلة لمصادر وثنية أشارت للسيد المسيح باعتباره شخصية تاريخية حقيقية:

كرنيليوس تاسيتوس Tacitus (حوالي 55- 120م)، كان مؤرخًا رومانيًا عاصر حكم بضعة

أباطرة رومان. وقد أُطلق عليه اسم

«المؤرخ الأعظم» في روما القديمة، أهم

أعماله الحوليات والتاريخ. وهو معروف

بوجه عام بين العلماء باستقامته الأخلاقية

وامانته، وفي حديثه عن حكم نيرون،

يشير تاسيتوس إلى موت المسيح ووجود



### Cornelius Tacitus

He said Christ suffered the extreme penalty [crucified] during the reign of Tiberius by Pontius Pilate.

المسيحيين في روما. وقد أخطأ في هجاء كلمة المسيح «Christus» وكان هذا خطأ شائعًا لدى الكتاب الوثنيين. يصف تاسيتوس إتهام نيرون للمسيحيين بإحراق روما بأنه إتهام باطل، ويقول عن شخص المسيح: "عانى المسيح من العقوبة القسوى في عهد طيباريوس على يد أحد حُكامنا "ببلاطس البنطي"، وأغلب الخرافات المؤذية تم التحقق منها، واندلعت ليس فقط في اليهودية، المصدر الأول للشر، ولكن حتى في

روما" ( كتاب: الحوليات الجزء الخامس عشر، فقرة 44).<sup>334</sup>

لوسيان الساموساطي **Lucian of Samosata**: وهو من كُتَّاب الهجاء اليونانيين في النصف

الثاني من القرن الثاني الميلادي، وقد تحدث بازدراء عن المسيح والمسيحيين ولكنه لم يفترض أو يشكك

مطلقاً في هذه الحقائق. وقد أشار إلى السيد المسيح

قائلاً: "إن المسيحيين كما نعلم يعبدون إلى هذا اليوم

رجلاً ذا شخصية متميزة، وقد استحدث الطقوس

الجديدة التي يمارسونها والتي كانت علة صلبه...

انظر كيف يعتقد هؤلاء المخدوعون أنهم خالدون

مدى الدهر، وهو ما يفسر احتقارهم للموت وبذل الذات طواعية وهو أمر شائع بينهم، وهم أيضاً يتأثرون

بمشرّعهم الأصلي الذي قال لهم إنهم جميعاً إخوة من اللحظة التي يتحولون فيها وينكرون كل آلهة اليونان

ويعبدون الحكيم المصلوب ويعيشون طبقاً لشرائعه. وهم يؤمنون بهذه كلها مما يؤدي بهم إلى احتقار كل

متعلقات الدنيا على حد سواء واعتبارها متاعاً مشتركاً للجميع".<sup>335</sup>

ثالوس: هو أحد أوائل الكُتَّاب العلمانيين الذين ذكروا المسيح. وحوالي عام 52م كتب تأريخاً لمنطقة

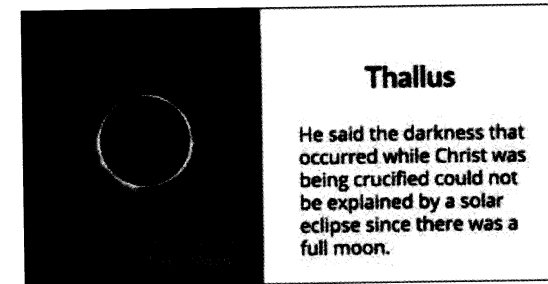
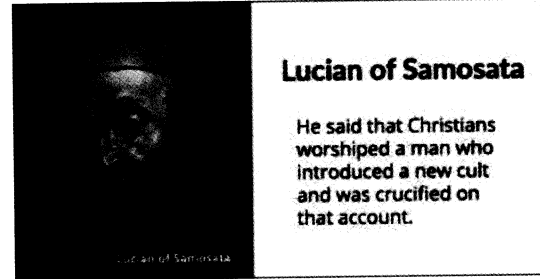
شرق البحر المتوسط بدءاً من حرب طروادة إلى

عصره، على الرغم من ضياع هذا العمل، إلا أن

مؤرخين آخرين اقتبسوا منه، مثل يوليوس

أفريكانوس. ومن أهم ما سجَّله ثالوس تعليقه على

الظلمة التي غطت الأرض وقت الظهر عندما مات



يسوع على الصليب. ويقول أفريكانوس: "يفسر ثالوس هذه الظلمة بحدوث كسوف للشمس- وهذا التفسير غير معقول من وجهة نظري لأن الكسوف الشمسي لا يمكن أن يحدث وقت اكتمال القمر، وكان ذلك الوقت هو وقت عيد الفصح عند اكتمال القمر عندما مات المسيح".<sup>336</sup>

**بلييني الصغير:** كتب بلييني الصغير وقد كان الحاكم العسكري لبيثينيا بونتوس رسالة إلى الإمبراطور الروماني تراجان لطلب النصيحة في التعامل مع المسيحيين والمؤرخة 112م: "كانوا معتادين على الإجتماع في يوم محدد قبل طلوع النهار، عندما غنوا آبيات شعرية ترنيمة للمسيح، كإله وألزموا أنفسهم بالقسم الرسمي على عدم ارتكاب أي أعمال شريرة".<sup>337</sup>

**أمثلة لمصادر يهودية أشارت للسيد المسيح باعتباره شخصية تاريخية حقيقية:**

وجد العلماء الكثير من الإشارات الموثقة عن يسوع في الكتابات اليهودية، وخاصة في شهادة يوسيفوس المؤرخ اليهودي، كما جاءت بعض الإشارات الخاصة بحياة يسوع مثل حدث الصلب في التلمود البابلي.

**التلمود:** "هو المكون الأساسي لليهودية التاريخية التي امتزجت فيها التعاليم الدينية النظرية بالحياة العملية. وهذا التلمود- بشقيه المشنا (القانون اليهودي للفقهاء الديني) والجمارا (التعقيب على تفسير المشنا)- هو عمل موسوعي ضخم قام به العديد من العلماء و الشراح و الرواة اليهود خلال فترة تقارب 700 سنة (200 ق.م 500 م). نظرًا لأن التلمود كان قاصرًا على الشريعة اليهودية والتعليقات على القانون، فقد كان من المستبعد أن نجد أي إشارة عن يسوع فيه، وعلى غير المتوقع جاء في التلمود البابلي: "علق يسوع في ليلة الفصح. ولكن قبل تنفيذ الحكم ولمدة أربعين يومًا سار المنادي معلنًا: إنه سوف يرحم لأنه مارس السحر و ضلل إسرائيل. وأي شخص يمكنه أن يدلي بأي شئ في مصلحته فليتقدم للدفاع عنه. ولكن إذ لم يكن هناك

336 . هيرك، أقصر قفزة للإيمان، 247.

337 . هيرك، 249.

ما يمكن أن يبرئه فهذا يؤدي به إلى أن يعلق في ليلة الفصح!""، وهذا النص يؤكد ما ورد بالعهد الجديد فيما يتعلق بوقوع حادثة الصلب وتوقيتها، بالإضافة إلى نية قادة اليهود الدينيين لقتل يسوع.<sup>338</sup>

**يوسيفوس Josephus** (حوالي 37-100م): كان مؤرخًا يهوديًا وفريسيًا من نسل الكهنة، ورغم ذلك كان يعمل في ظل السلطة الرومانية، وكان حريصًا على ألا يثير استياء الرومان. جاء في كتابه " الأثار القديمة إشارتين ليسوع، جاء في أحدهما التالي: "كان في ذلك الوقت رجل حكيم اسمه يسوع، كان سلوكه حسنًا وكان معروفًا بالفضيلة. وكثير من اليهود والأمم الأخرى صاروا تلاميذه. وحكم عليه بيلاطس بالصلب والموت. ولكن أولئك الذين أصبحوا تلاميذه لم يتخلوا عن تلمذته. وأخبروا أنه ظهر بعد صلبه بثلاثة أيام وأنه

حي. وبناء على ذلك، ربما كان هو المسيا الذي

رؤي عنه الأنبياء العجائب".<sup>339</sup> البعض قد يُشكك

في أصالة تلك العبارة، غير أن أحدث الدراسات

تؤكد أن هذه الفقرة ليست دخيلة وذلك لأن

يوسيفوس يستخدم نفس التعبيرات التي استخدمها

من قبل في كتابه هذا (آثار اليهود).<sup>340</sup>

### شخصية السيد المسيح التاريخية من شهادات مسيحية أخرى:

كان العصر الرسولي وكتاباته بمثابة ثاني أوسع المصادر المسيحية (بعد العهد الجديد)، للتأكيد على

الطبيعة التاريخية ليسوع. فجميع كتاب هذا العصر كانوا قربين من الأحداث تاريخيًا، فهم كانوا تلاميذ التلاميذ

338 . هيرك، 252.

339 . هيرك، 253-254.

340 . للمزيد من التفاصيل عن شهادة يوسيفوس يُمكن مراجعة دراسة د.غالي بعنوان (هل كلام يوسيفوس وشهادته عن صلب المسيح محرف؟

وبعضهم عاصر السيد المسيح وهو صغير، مثل إكلندس الروماني وأغناطيوس الأنطاكي وبوليكاربوس أسقف سميرنا. لقد كانت كتاباتهم بمثابة شهادات مستقلة على الأحداث التاريخية، ويمكن مقارنتها بما جاء في الأناجيل.

يقول القديس أغناطيوس وهو في طريقة للإستشهاد: "يسوع المسيح كان من نسل داود، الذي كان ابن مريم، الذي ولد حقاً وأكل وشرب والذي قتل بالحقيقة على يد بيلاطس البنطي، الذي صلب بالحقيقة ومات أمام جميع من في السماء وعلى الأرض، الذي قام أيضاً بالحقيقة من الأموات".<sup>341</sup>

يقول "هوارك كلارك كي" الأستاذ المتقاعد في جامعة بوسطن: "أن نتيجة فحص المصادر الأخرى غير العهد الجديد، تؤيد بشكل مباشر أو غير مباشر ما نعرفه عن يسوع، وبالتالي هي تأكيد على وجوده التاريخي." كما كتب المؤرخ المعروف جاروسلاف بليكان: "بغض النظر عن العقيدة الشخصية لأي شخص في يسوع الناصري، فإنه هو الشخصية التي لها الحضور الأقوي في تاريخ الثقافة على مدى ما يقرب من عشرين قرناً. لو كان ممكناً باستخدام نوع من المغناطيسات الفائقة أن ينزع من ذلك التاريخ كل أثر لأسمه، فماذا كان سيبقى؟"<sup>342</sup>

يقول القديس بطرس الرسول: "لأننا لم ننبغ خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيبه، بل قد كنا معانين عظمتة" (2بط 1:16). ويشهد يوحنا الحبيب: "الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بغيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة" (1يو 1:1). ويضيف بولس الرسول: "فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره، قد ابتدأ الرب بالتكلم به، ثم تنبأت لنا من الذين سمعوا" (عب 3:2). إن تلك الشهادات توثقت من خلال شهود العيان الذين كانوا معانين الأحداث التاريخية وشهدوا عنها

341 . مكدول، 152-154.

342 . مكدول، 163-164.

بكل مجاهرة بكل أمانة. كذلك جاءت عظة بطرس الرسول يوم الخمسين، بمثابة إقرار تاريخي موثق أمام جميع اليهود بما فيهم رؤساء اليهود والفريسيين على تاريخية شخصية المسيح.

## من هو يسوع الناصري؟ نبي وأعظم من نبي

إن ما قاله يسوع عن نفسه في أكثر من موضع عن كونه الله، لا يدع مجالاً لافتراض البعض أن السيد المسيح لا يتعدى أن يكون نبياً أو معلماً أو فيلسوفاً أو داعية أخلاقية. يقول سي. أس. لويس أستاذ الفلسفة بجامعة كامبردج: "البعض يقبل المسيح معلماً وداعية أخلاقياً ويرفضه كإله. هذا جهل وعدم فهم للمسيح. أي إنسان مهما كان قدرته يستطيع أن يقول ما قاله المسيح عن نفسه، ولكن ما قاله عن نفسه يجعلنا أمام خيارين لا ثالث لهما، أما أن يكون هو ابن الله حقاً، أو يكون رجلاً مختل العقل أو أسوأ من ذلك. وبالتالي أما أن ترفضه وتدير وجهك عنه أو ترتمي تحت قدميه قائلًا ربي وإلهي. ولكن لا يمكن أن تتظاهر باحترامه وتكريمه على أنه فقط معلم أخلاقي". فيسوع بتصريحاته عن نفسه وعن علاقته بالأب لم يترك خيار كونه نبياً أو معلماً فقط متاحاً. وهذا ما يؤكد كينيث لاتوريت أستاذ التاريخ المسيحي في جامعة يل: "أعلن يسوع أنه هو الله، ولم يترك مجالاً لإختيار آخر، فإما أن نأخذ إعلانه كحق صحيح أو نرفضه كلياً".<sup>343</sup>

يضيف سي. أس. لويس أمراً هاماً، قائلًا: "من بين المؤمنين بوحدة الوجود، مثل الهنود، يُمكن لأي إنسان أن يدعي أنه جزء من الإله أو واحدًا معه، ولن يكون في ذلك غرابة شديدة. ولكن يسوع بإدعاءه عن نفسه وسط المجتمع اليهودي، الذي يُدرك تمامًا طبيعة الله باعتباره الكائن الذي هو خارج العالم الذي خلقه وأنه مختلف اختلافًا نهائياً عن ما سواه، يكون قد قال ببساطة أكثر الأقوال الصادمة التي يُمكن أن تنطق بها أي شفاة".<sup>344</sup> وهو الأمر الذي يُفسر سبب رد فعل اليهود ورغبتهم في رجمه: "أَسْنَا نَرَجُمُكَ لِأَجْلِ عَمَلٍ خَسَنٍ بَلْ لِأَجْلِ تَجْدِيفِ فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا" (يو: 10: 33). وبناء عليه لكي يتم فهم طبيعة

343 . جوش ماكديويل، أعظم من نجار، ترجمة سمير الشوملي ( القاهرة: دار الثقافة، 1999)، 24-25.

344 . جايسلر وتورك، 370.

شخصية السيد المسيح، يجب أن يتم فهم أولاً مفهوم المسيا الذي كان ينتظره اليهود، لأن هذا المفهوم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإدعاء يسوع عن نفسه، ولا يمكن فهم هذا الإدعاء بعيد عن خلفيته التاريخية والدينية.

### انتظار اليهود للمسيا:

"مسيا משיח" هي الصيغة العبرية للكلمة اليونانية "مسياس"، المأخوذة من الكلمة الآرامية "مشيحا משיחא" أي Mashiach، وتتنطق أيضاً باليونانية "خرستوس" والتي تعني المسيح. وهي كلمة ذات أصل عبري تعني "ممسوح"، وهي تشير إلي الشخص الممسوح بقرن الدُّهن علناً أو بقوة الله سرّاً للقيام بمهمة عظي من قبل الله.

هذا اللقب أُطلق في العهد القديم على عدة وظائف هامة، وأُختير له أشخاص مُنحوا قوة وسلطاناً للقيام بهذه الوظائف، وبالتالي فاللقب ارتبط بالقدرة الممنوحة من الله لشخص ما للقيام بوظيفة معينة.

تعددت الشخصيات الممسوحة، وتعددت أنواع المواهب الممنوحة على مدى التاريخ القديم، بدءاً من آدم الذي من خلال الوعد الممنوح له، تظهر وظيفته المسيانية. ثم تركزت تلك الوظائف في موسى ورؤساء الكهنة، وظهرت بشكل أكثر وضوحاً في داود ثم بصورة جديدة روحية في الأنبياء. لو تعمقنا أكثر في الأوصاف المسيانية الملكية والكهنوتية العالية والفائقة جداً، لوجدنا أنها تشمل مهمات عظي متعددة الإتجاهات، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تجتمع في شخصية بشرية واحدة، وذلك لأن وظائف "المسيا" الواحد كما جاءت في أسفار العهد القديم أعظم من أن يتحملها أعظم الأنبياء والملوك، هؤلاء الذين كانت حياتهم بكل قوتها، صورة رمزية مصغرة جداً لأوصاف "المسيا" المنتظر المخلص والممسوح بالروح والقوة، والذي يختلف كلياً عن أي ممسوح أخر جاء ذكره في الكتاب، لأنه تجتمع فيه كل الصفات المسيانية.<sup>345</sup> وهو ما أشار إليه رئيس الملائكة جبرائيل في رؤيا دانيال: "سَبْعُونَ أَسْبُوعاً قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ

345. الأب متى المسكين، الإيمان بالمسيح (القاهرة: دير القديس العظيم أنبا مقار بوادي النطرون، 2009)، 95-

وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيلِ الْمُعْصِيَةِ وَتَتْمِيمِ الْخَطَايَا وَلِكَفَّارَةِ الْإِثْمِ وَلِيُؤْتِيَ بِالْبِرِّ الْأَبَدِيِّ وَلِخْتِمِ الرُّؤْيَا وَالنُّبُوَّةِ  
وَلِمَسْحِ قُدُوسِ الْقُدُوسِينَ. اَعْلَمْ وَأَفْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الْأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبَنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةَ  
أَسَابِعَ وَأَثْنَانَ وَسِتُونَ أَسْبُوعًا يَعُودُ وَيُبْنَى سُوِّقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضَيْقِ الْأَزْمَةِ" (دا 24: 10-25).

كان الإنتظار المسياني جزء لا يتجزأ في الإيمان اليهودي: "وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون  
في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح" (لو 3: 15 فان دايك)، ولذلك سألوا السيد المسيح، قائلين: "إلى متى تعلق  
أنفسنا؟ إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرا" (يو 10: 24)، ورئيس الكهنة وجه له السؤال بشكل أكثر تحديداً،  
قائلاً: "أستخلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟" (مت 26: 63). وحتى السامريين كانوا في  
إنتظار المسيا: قالت له المرأة: أنا أعلم أن مسياً الذي يقال له المسيح يأتي. فمتى جاء ذلك نخبرنا بكل  
شيء؟" (يو 4: 29).

إن العهد القديم غني بالمعلومات والأوصاف التي تخص "المسيا" المنتظر والتي تعتبر إشارات  
واضحة وعلامات مميزة لظهوره في العالم كمخلص ومنقذ للبشرية، وكان الهدف من نبوات العهد القديم، أن  
يكون الشعب اليهودي قادراً على معرفة المسيح الحقيقي، فلا يُخدع بأي مدعي آخر، وأن يتعرف ويتشجع  
بالخلاص والفضاء وتحقيق وعود الله.<sup>346</sup>

جمع العالم اليهودي الفريد ايدرشم 456 نبوة طبقتها علماء اليهود على "المسيا" المنتظر (منها 365  
نبوة مباشرة)، وقد أكد على يقينية اليهود القدامى بأن هذه النبوات تتكلم بوضوح عن المسيا وليس سواه.<sup>347</sup>  
تشكل هذه النبوات بصمة الأصبع الرمزية التي يمكن للمسوح من الله وحده أن يتطابق معها، وبهذه  
الطريقة يمكن للإسرائيليين أن يستبعدوا أي مُنتحل ويُصدقون على أوراق اعتماد المسيا الحقيقي. لذلك يقول

346. مناخم كليتش، يسوع في كتب العهد القديم، ترجمة نور ادور يوسف (القاهرة: كنيسة مار مرقس القبطية  
الأرثوذكسية بمصر الجديدة، 2022)، 174.

347. هاني ماهر، من هو الإله الحقيقي؟ مراجعة وتقديم أبونا داود لمعي (القاهرة: كنيسة مار مرقس القبطية  
الأرثوذكسية بمصر الجديدة، 2017)، 28.

السيد المسيح لتلاميذه: " هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْتُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدَ مَعَكُمْ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ " (لو 44:24). تحققت جميع نبوات العهد القديم في شخص المسيح، فكان هو الوحيد الذي ضاهى بصمة الأصبع النبوية لمسيح الله الواحد، وهو الأمر الذي أكده عالم الرياضيات المعروف بيتر ستونر، حين أكد أن احتمالية تحقيق عدد ثمانية وأربعين نبوة فقط في شخص واحد بالصدفة، هو احتمال واحد من 10 أس 157، وبالتالي مستحيل أن تتحقق باقي النبوات في شخص بالصدفة، دون ترتيب وقصد إلهي.<sup>348</sup>

كان لليهود أفكارهم الخاصة وتفسيراتهم الخاصة للنبوات الواردة في أسفارهم المقدسة عن "المسيا". فقد كانت توقعاتهم لشخص المسيا تختلف كثيرًا عن مسيح الناصرة كما عرفه المسيحيون، وهو ما جعل كثيرين منهم يرفضون يسوع. لقد قام اليهود بتحويل الصفات المسمانية إلى صور لأشخاص وفقًا لرؤيتهم، هذا الأمر يشبه مجموعة من الحروف يتم تجميعها بشكل ما، فتخرج جملة معينة، ولكن حين يتم تجميع نفس الحروف ولكن بشكل آخر، تخرج جملة أخرى. ولذلك فقد كان للرابيين في المجتمع اليهودي فهم وتفسير للنبوات، يختلف عن فهم المسيحيين لنفس النبوات.<sup>349</sup>

منذ أن وعد الله البشرية بأن "نسل المرأة يسحق رأس الحياة"، وكان الفكر بخصوص المسيا أنه سوف يخلص الشعب من خطاياهم ويحررهم من عبودية إبليس والموت، كان هذا الفكر هو الوحيد والساند بين شعب إسرائيل وقادته الدينيين. حتى حدث السبي، الذي كان نقطة تحول ومفترق طرق في التاريخ اليهودي. فقبل السبي، لم يكن الشعب اليهودي في حاجة إلى التعمق داخل الأسفار المقدسة، للبحث عن هويته

348. لي ستروبل، القضية المسيح ( القاهرة: مكتبة دار الكلمة، 2007)، 231-250.

349. الفريد ادريشم، حياة السيد المسيح والزمان الذي عاش فيه، ترجمة وعرض القمص أنطونيوس فكري ( القاهرة: مكتبة الكنوز القبطية، 1997)، 22-25.

التي تميزه عن باقي الشعوب التي يعيش بينها. فقد كان الإحساس بالبر الذاتي والاستحقاق مسيطر على شعور الشعب كسبب لإختيار الله لهم كشعب مختار.

فكان السبي بمثابة الهزة الوجدانية التي جعلت الشعب يستفيق ويبدأ في إدراك واقعه كأمة تحت نير العبودية. وبسبب السبي والمعاناة تحت نير العبودية، بدأ علماء اليهود في البحث عن خلاص الله من داخل الأسفار المقدسة، الخلاص الذي سيتحقق من خلال "المسيا الآتي"، وبالتالي بدأت تدخل أفكارًا جديدة على الشعب وقيادته بخصوص هذا "المسيا"، وهو ما شجع على تفسير النبوات الخاصة بالمسيا، بطريقة خاطئة وبشكل سياسي. ففي السبي بدأ الشعب يحلم بمخلص وملك يخلصهم من الأسر ويحررهم من العبودية، والبعض تمادى في حلمه، فظنه مخلصًا سياسيًا سيحقق السيادة للشعب الإسرائيلي على العالم كله، ويحقق السلام المادي الأبدي، وهي الأمور التي لم يسع لها يسوع المسيح، حيث ظهر واضحًا في أكثر من مناسبة عدم قبوله للسلطان الأرضي، وهو ما أحبط كثير من اليهود.<sup>350</sup>

استخدم الله لاستعلان ذاته لشعب إسرائيل،

ثلاث أشخاص هم: "الملك"، الذي يدبر الله عمله معه ليتم المواعيد لشعب إسرائيل كأمة، فقد رأى دانيال في رؤياه شبه ابن انسان: "فَأُعْطِي سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لَتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ.

سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرُضُ." (دا 7: 14). كما جاء في سفر زكريا: "إِبْتَهْجِي جَدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيُونِ، اهْنِئِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكَ يَأْتِي إِلَيْكَ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيْعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى جِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ." (زك 9: 9).

350 . القمص روفائيل البراموسي، أما إسرائيل فلا يعرف، مراجعة الأنبا إيسيدورس (القاهرة : دار الكلمة الحقيقية للنشر والترجمة والتوزيع، 2003)، 26-28.

و"الكاهن"، الذي يختاره الله ويمسحه، ليقرب الشعب لله من خلال تشريعات وطقوس دينية، جاء على لسان داود النبي: "أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ: أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلَكِي صَادِقٌ" (مز 110: 4 فان دايك). إن كلمة "كاهن" تعني الذي يقف نيابة عن آخر ويتوسط في قضيته، فالكاهن هو شخص معين للقيام بأعمال البشر أمام الله، وذلك لأن البشر خطاة ولا يحق لهم الوقوف أمام الله، فالكاهن وسيط بين الله والناس. كما أنه الشخص المعين لتقديم الذبائح والقرابين عن الخطايا، وبالتالي هو من يقوم بدور المصالحة بين الله والبشر. كما أنه هو الشخص الذي يشفع عن الآخرين شفاعاة خاصة بوظيفته.

وأخيراً "النبي"، الذي يعطيه الله نبوات تختص بمستقبل الشعب من جهة علاقته الدائمة بالله، جاء وعد الله على لسان موسى النبي: "يُؤَيِّمُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ." (تث 18: 15)، وهنا تبدو الخطة الإلهية واضحة في شكلها من خلال نظام ملكي ونظام كهنوتي ونظام نبوي، يشكلون في جوهرهم عضوية واحدة حية لخالص أبدي، وبالتالي فالملك والكاهن والنبي ليسوا ممثلين لثلاثة أنظمة، بل هم في الواقع ثلاثة وظائف في جسم واحد حي، يحركه الله ويدبره نحو قصد معين وغاية هامة بالنسبة للعالم كله، وهو استعلان الله نفسه من خلال شخص المسيا، الذي يجمع في ذاته: وظائف الملك والكاهن والنبي.<sup>351</sup>

إن العهد القديم هو وحدة عضوية، هو صورة نبوية مهيبية، لا تنفصل فيها الأحداث التاريخية والشرائع والطقوس والتوقعات والنبوات عن بعضها. فهم اليهود أن كل معجزات العهد القديم، وخالصهم، سيحققها "المسيا" المنتظر. وبصورة أوسع، أعتقدوا أن كل الماضي هو مجرد رمز لما سيحدث في أيام المسيا. فيقول التلمود أن كل النبوات تصب على المسيا. وأن كل الأحداث في الماضي هي صورة لمرآة البركات التي سيحصل عليها إسرائيل في المستقبل. يقول التلمود أن العالم خلق فقط للمسيا. وضع اليهود النبوات عن العصر المسياني المجيد لإسرائيل كنجوم تتلأ في أيامهم المظلمة وهم مشتتين في الأرض.

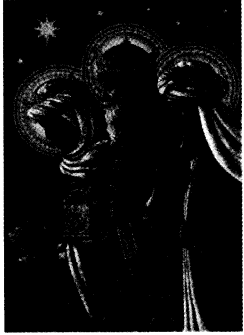
351. القمص روفائيل البراموسي، أما إسرائيل فلا يعرف، مراجعة الأنبا إيسيدورس، 28.

رأي بعض الرابيين أن المسيا هو "ابن الله"، ولكن ليس كبنوة جوهريّة، ولكن بنوة تسمو سموًا لا نهائيًا كخادم لله فوق كل خليفة آخري، فهو كلمة الله "الميمرا". وبعضهم اعتقد أنه الوسيط الوحيد بين ايلوهم والانسان، والالوهية فيه مثل الله ولهذا يتصرف بالسلطة الإلهية. بعض الرابوات قالوا: أنه يمثل الطبيعة البشرية والإلهية لأنه يجمع بينهما. وهو مسيح فوق كل الملائكة لأنه هو كاهن الهيكل السماوي ومكانه في السماء منذ الازل بجانب قديم الأيام. وهو يمثل عدل وحكمة الله وقدرته التي تستمر من جيل الى جيل وسيكون اسمه ابن الانسان وهو "شيم يهوه أي مجد يهوه"، وهو المسيا الخارج من نسل دواود:الذي سينفذ إسرائيل وأن جسده سيكون هيكل الله و ليس هيكل حجري. وفي نهاية الأيام سيكشفه الرب للعالم ويضعه على كرسى مجد الله ليحكم على كل الخليقة. شكلت تلك الصفات بالاشتراك مع النبوات المسيانية وتاريخ الأمة اليهودية، ملامح المسيا المنتظر، ولذلك فقد كان إعلان يسوع عن نفسه عندما سأله رئيس الكهنة أنت هو المسيح ابن الله، قائلًا "أنا هو"، إعلان جوهري يفوق أي إعلان آخر، ويشكل أساس لفهم طبيعة شخصه الإلهي.<sup>352</sup>

ولد يسوع في هذه البيئة اليهودية التي تتخبط بين المحافظة على هويتها القومية، ورغبتها في الوقوف أمام المستعمر الذي يريد أن يغرس ثقافة أجنبية بعيدة كل البعد عن مورثاتهم ومعتقداتهم. وأيضًا ظهور جماعات غيورة على الشريعة و ضد الممارسات السياسية للقادة اليهوديين. كان اليهود يأملون في ملكوت أرضي يعيد المجد للأمة اليهودية، ويعيد الهيكل لسابق قدسيته. وبتالي فقد كانت الفترة التي جاء فيها السيد المسيح، فترة تخبط : ما بين إنتظار "المسيا"، وبين عبودية ونير تحت السلطة الرومانية القاسية، وبين تأثر بالثقافة اليونانية والثقافة الغنوسية المتصاعدة، وبين تنافر الجماعات اليهودية سواء سياسيًا أو دينيًا. وبين الرغبة في ملكوت أرضي وآخر ديني، وبين تأثر بالغ لفترة الصمت النبوي وتكرار الحركات الثورية التي ميزت فترة المكابين، وهو ما أثر بشكل كبير في رفض البعض لشخص يسوع المسيح، لأنه خالف توقعاتهم.

352 . الفريد ادريشم، حياة السيد المسيح والزمان الذي عاش فيه، ترجمة وعرض القمص أنطونيوس، 25-35.

بدأ معلمنا متي إنجيله بكتاب ميلاد السيد المسيح، ثم أشار إلى الهدايا التي قدمها ألمجوس "وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُتُورَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلَبَانًا وَمُرًّا". (مت 2: 11). نوع الهدايا التي قدمها المجوس تعلن أن كل الوظائف



المسيانية سوف تتحقق في شخص يسوع الناصري، فالذهب يرمز إلى المسيا الملك المخلص، واللبان إلى المسيا الكاهن والنبى، والمر إلى المسيا الذي سوف يتألم من أجل خلاص العالم. فيسوع المسيح هو الملك والنبى والكاهن، الذي تتحقق فيه كل النبوات المسيانية.<sup>353</sup>

لقد تم يسوع كل النبوات المسيانية التي كتبت عنه قبل ميلاده بمئات السنين، فهو من نسل امرأة عذراء (تك 15:3) ومن نسل إبراهيم (تك 3:12) ومن سبط يهوذا (تك 10:49) ومن نسل داود الملكى (أر 5:23)، وهو الله والإنسان (أش 6:9)، وجاءت ولادته في بيت لحم (ميخا 2:5) وسبقه رسول (ملا 1:3)، بالإضافة إلى العديد من النبوات التي تصف حياته وصلبيه وخيانته أحد أصدقائه وقيامته، والتي جاءت بشكل مكثف في سفرى إشعياء والمزامير.<sup>354</sup>

يسوع المسيح نبي أم أعظم:

مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا؟ "وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى نَوَاجِي قَيْصَرِيَّةِ فِيلُبُّسَ سَأَلَ تَلَامِيذَهُ: مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الْإِنْسَانِ؟ فَقَالُوا: قَوْمٌ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ وَآخَرُونَ إِبِلِيَّا وَآخَرُونَ إِرْمِيَا أَوْ وَاحِدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. قَالَ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟ فَأَجَابَ سِمَعَانُ بَطْرُسُ: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «طُوبَى لَكَ يَا سِمَعَانُ بَنَ يُونَا إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنَنَّ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ... جِينَنِي أَوْصَى تَلَامِيذَهُ أَنْ لَا يَقُولُوا لِأَحَدٍ إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (مت 16: 13-20).

353 . القس بولس حلبي، المسيا المنتظر، 160-164.

354 . جايسلر وتورك، 360354.

ما أن بدأ السيد المسيح خدمته من الفي سنة تقريبًا، حتى أدرك الذين يتبعونه ويسيروا خلفه أنه يتحدث عن نفسه بشكل مختلف ومذهل. واكتشفوا أن أقواله وأعماله تجعله أكثر من معلم وأكثر من مجرد نبي... لاشك أنه أصبح على نفسه صفات الألوهة. البعض قد يبدي استعدادًا لقبول السيد المسيح كمعلم أخلاقي عظيم، ولكن في المقابل يرفض الايمان به كالله الظاهر في الجسد. تكمن المشكلة في أن: يسوع ذاته لم يترك هذا الاختيار متاحًا، لأنه أعلن عن نفسه وزعم بوضوح أنه هو الله بأقوال وأعمال كثيرة، كما سبق الإشارة.

فحين سأله رئيس الكهنة " أنت ابن المبارك" فقال يسوع: "أنا هو. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ" (مر 14: 61-64). كان سؤال قيافا مباشرًا، وكان رد يسوع حاسمًا "أنا هو"، كما أنه أشار لنفسه بلقب "ابن الإنسان" صاحب الدلالة القوية لدى اليهود، كما أضاف أنه سوف يأتي في سحاب السماء. لقد أدرك قيافا مغزى ومضمون هذا التصريح، وذلك بسبب الربط بينه وبين رؤيا دانيال 7، والتي جاء فيها أن المسيا "ابن الإنسان" سيأتي على الأرض ليدين العالم بالسلطان الممنوح له من الله الأب. وبناء عليه أصدر قيافا قراره "قَدْ سَمِعْتُمْ النَّجَادِيْفَ" 355

في أكثر من موضع في العهد الجديد، نجد السيد المسيح يشهد عن نفسه شهادة فريدة تخص أصله السماوي، تلك الشهادات تقدم السيد المسيح كمن سبق وجوده زمن تجسده، مما يشير إلى أزليته وسرمديته الواضحة (أي لا بداية لوجوده و لن يكون له نهاية) وعدم خضوعه للتغيير: "قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ" (يو 8: 58)، "وَالآنَ مَجِدُنِي أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ" (يو 17: 5)، "أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنْ هُوَ لَاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ" (يو 17: 24). كذلك شهادة يوحنا المعمدان عن أزلية المسيح: "هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي، الَّذِي صَارَ قُدَّامِي، الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحَقٍّ أَنْ أُحَلَّ سُبُورَ جِدَانِهِ" (يو 1:

17). وإعتراف بولس الرسول بعدم خضوع السيد المسيح للتغيير مؤكداً أزليته، لأن وحده الأزلى هو الغير خاضع للتغيير: "يَسُوغُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ" (عب 13: 8).<sup>356</sup>

تعبير إيجو إيمي "أنا كائن  $\epsilon\iota\mu\iota \epsilon\gamma\omega$ ": "قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ" (يو 8: 58)، تعبر عن الكينونة الدائمة (جاءت بدون صفة تتبعها) التي لا يتصف بها إلا الله وحده، تلك الكينونة التي لا تخضع للزمن، فالوجود الدائم يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، وهو ما يؤكد سفر الرؤيا: "يُوحَنَّا، إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسْيَا: نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ الْكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، وَمِنَ السَّبْعَةِ الْأَرْوَاحِ الَّتِي أَمَامَ عَرْشِهِ" (رؤ 1: 4). يعلق القديس أغسطينوس قائلًا: "ولده الأب الأزلى ولادة أزلية في الأزلى، أي لا بداية له ولا نهاية لأنه هو الذى هو"، وفي هذا تطابق مع اسم الله "يهوه"، وهو الإسم الذى يشتق من الفعل "أهيا" أي "يكون" وهو في المضارع دائمًا، للدلالة على الوجود الدائم في الماضي والحاضر والمستقبل.<sup>357</sup>

لخص القديس يوحنا الحبيب مفهوم أزلية الابن في أية واحدة: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ" (يو 1: 1)، وهو ما يعلق عليه القديس كيرلس الكبير قائلًا: "لا يوجد شئ ما سبق البدء، إذ ظل البدء بالحق بدءًا، لأن بدء البدء مستحيل. كذلك الفعل "كان" (فعل مطلق) وضع لكى يقود كل مُفكر إلى أعماق سحيقة، وهى الميلاد الأزلى غير المدرك، الذى هو فوق الزمن، حيث الطبيعة الإلهية تُعَلِّقُ حدود الزمن. البداية تسمى بداية بسبب وجود نهاية لها والعكس صحيح، أما بالنسبة للابن، فالبدء ليس بدءًا زمنيًا ولا جغرافيًا، لأنه يتعدى كل تلك الحدود، فهو أزلى وأقدم من كل الدهور، ولم يولد من الأب في الزمان، لأنه "كان" مع الأب، مثل الماء من ينبوع، وهذا ما جعل أشعياء النبى تصيبيه الدهشة قائلًا "وميلاده من يخبر به ؟" (أش 8: 53).<sup>358</sup>

356. موقع اللاهوت الدفاعى، "وجود أقتوم الابن الأزلى"، تاريخ الإقتباس : مايو 2024.

<https://www.difa3iat.com/19882.html/>

357. الأنبا غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس : اللاهوت العقيدى الجزء الأول (القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس ، 2004)، 86-89.

358. القديس كيرلس الأسكندرى، شرح إنجيل يوحنا ألمجلد الأول ، 42-44.

العهد الجديد يقدم المسيح كإله بكل بوضوح :

## 1- الأسماء والالقباب التي تُطلق عليه لا يمكن ان تنطق الا على الله ذاته :

قال السيد المسيح: "أليس كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ

إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت7: 21). وأيضًا: "وَإِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: لِمَاذَا تَفْعَلَانِ هَذَا؟ فَقُولَا: الرَّبُّ<sup>359</sup>

مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُ إِلَى هُنَا». (مر11: 3). وقال عنه الملاك: "أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ

هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ" (لو2: 11). في صعوده: "ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمْ انْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ"

(مر16: 19). أما التصريح الأوضح فقد جاء على لسان القديس توما: "أَجَابَ ثُومَا وَقَالَ لَهُ: «رَبِّي

وَالْهِي!»"<sup>360</sup> (يو20: 28)، لو كان السيد المسيح نبي عادي !!!!!، هل كان سيقبل هذا اللقب ؟ كان يُفترض

أن ينتهره ويقول حاشا أنا إنسان، ولكنه: "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا ثُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

يَرَوْا». (يو20: 29).

## 2- ينسب الكتاب المقدس ليسوع لصفات لا يصح نسبتها الا الى الله:

- فوق الزمن: "قبل أن يكون ابراهيم انا كائن" (يو8: 85).
- موجود في كل مكان: مع نيقوديموس: "وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ" (يو13: 3)
- متحد بالاب: "أَنِّي فِي الْآبِ وَالْآبِ فِيَّ" (يو14: 10).
- هو الديان: "هَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِي مَعِي لِأَجْزِي كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ." (رؤ22: 12)

<sup>359</sup> . ο` κύριος :lord, Lord, master, one who has full control this title is given to: God, the Messiah.

<sup>360</sup> . 'Ο κύριός μου και ὁ θεός μου. "My Lord and my God!".

- **فاحص القلوب والكلى:** كثيرًا ما نُسب للسيد المسيح معرفة الأفكار "فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ فَقَالَ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟" (مت 9: 4).
- **قال عن نفسه أنه هو الله:** " أَبِي يَعْملُ حَتَّى الْآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ" (يو 5: 17)، وهو التصريح الذي أثار غضب اليهود: "مِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبَبَ فَقَطْ بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلًا نَفْسَهُ بِاللَّهِ". وأيضًا: "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يو 10: 30)، واحد في النص اليوناني تعني وحدة في الجوهر.
- **غافر الخطايا:** "فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَقْلُوجِ: «يَا بُنَيَّ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» (مر 2: 5)، وهو الأمر الذي أثار حفيظة اليهود لأن "مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ؟" (مر 2: 7)، فكان رد السيد المسيح: "لَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِابْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا" (مر 2: 10).
- **بالإضافة إلى تصريحات "أنا هو" المباشرة مع صفة تُنسب لله:** "أنا هو الراعي" (يو 10: 11) في مقابل "الرب راعى فلا يعوزني شيئًا" (مز 1: 23)، و"أنا هو نورُ العالم. مَنْ يَتَّبِعْنِي فَلَا يَمشي في الظلمة بل يكون له نورُ الحياة" (يو 8: 12) في مقابل "الرب نورى" (مز 1: 27)، و"أنا هو الطريقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِي" (يو 14: 6) في مقابل تعليم العهد القديم إن الله وحده هو واهب الحياة (تث 32).
- **كما أن يسوع أعلن عن لاهوته ضمنيًا في الامثال الكثيرة التي علم بها:** (الابن الضال، الفعلة والكرم) حيث صور نفسه في دور الله. بالإضافة إلى أعماله الإلهية التي تدعم إدعائه: "ولكن إن كنتُ أَعْمَلُ فَإِنَّ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَأَمِنُوا بِالْأَعْمَالِ لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يو 10: 38).
- **كما أنه أعطى وصايا وشرايع جديدة** "سمعت انه قيل للقديس... أما انا فاقول لكم"، " وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (يو 13: 34)، وقيل العبادة في أكثر من مناسبة (حوالي 9 مرات)،

رغم أن كلا العهدين يمنعان العبادة إلا لله وحده (تث 6:5-9)، كما أنه يطلب أن نصلي بأسمه" مَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الْآبُ بِالْإِبْنِ" (يو 14:13) .

لذلك يسوع لم يدعى فقط أنه الله، بل دعم هذا الإدعاء بحقائق مذهلة وبأعمال شفاء مذهلة وبيظهار سلطة مدهشة على الطبيعة وبتعليم فائق غير مسبوق وببصيرة إلهية وبمعرفة قلوب وأفكار الناس وأخيراً بقيامته من الاموات التي لم يستطيع أحد أن يقلدها: "أَضَعْ نَفْسِي لِأَخْذِهَا أَيْضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذُهَا أَيْضًا" ( يو 17:10). هل يجرو انسان ان يدعى هذا السلطان؟

من هو يسوع الناصري؟

إن بإدعاء يسوع عن ذاته أنه هو الله، يكون أمامنا ثلاث احتمالات (ليس واحد منهم أنه معلم أخلاقي فقط)، الاحتمالات هي: أما أن يكون كاذب، أو واهم، أو هو حقا الرب .

إن الاعتقاد بأنه كاذب: أمر لا يتفق مع الحقائق المقدمة لأنه عاش وعلم أرقى المستويات الاخلاقية، كما أنه من المستبعد أن يقدم حياته للموت في سبيل كذبة هو صانعها. كما أنه كان يعلم تلاميذه قول الصدق والأمانة مهما كلفهم الامر، فكيف يستمر في إدعائه وخداعه، ذلك الذي قاده الى الموت و الصلب؟ إن هذا الادعاء لا يتفق مع ما نعرفه عن يسوع (حياته وصلاحه وعصمته من كل شر)، وحتى اليوم الكرازة باسم يسوع المسيح تحدث تغييرًا ايجابيًا في حياة الشعوب، يُضاف إلي ذلك النبوات التي قيلت عنه والتي تحققت جميعها ولم يخطئ ولا مرة، فقد تنبأ عن موته وصلبه وقيامته ودمار أورشليم، بالإضافة إلي شهادة الفريسيين: "يَا مُعَلِّمُ نَعَلِمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلَا تَنْبَالِي بِأَحَدٍ لِأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ بَلْ بِالْحَقِّ تَعَلِّمُ طَرِيقَ اللَّهِ" (مر 12: 14)

أما الاعتقاد بأنه واهم. أي أنه يتوهم في نفسه شيئاً غير الحقيقة، فهو احتمالاً لا يطابق الحقائق لأن يسوع نطق بأعمق ما سُجل من أقوال: "فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ"

(مر1: 22). يصف علماء النفس الشخص المصاب بالفصام أو انقسام الشخصية على انه أكثر ميلاً للاسترسال في الخيال والحلم، فيرغب الفصامي أن يهرب من عالم الواقع. فهل كان يسوع كذلك؟ الإجابة هي بالطبع لا: فنحن امام إنسان نطق بأعمق الاقوال والتعاليم، تلك التي لقد حررت افرادًا كثيرين من القيود الذهنية. فعمق تعاليمه والمهارة التي قُدمت بها لا تثبتان إلا رجاجة عقله الكاملة. يقول أحد العلماء: "هل يمكن ان تكون مثل هذه العقلية الصافية صفاء السماء، النشطة كهواء الجبل، الحادة والخرقة كالسيف، غرصة لخداع جذرى وخطير للغاية يتعلق بهويتها و مهمتها؟ بالطبع هذا مستحيل ولا يقبله عقل"

إدًا هو الرب، لا مجال للشك في ذلك. يصرح بيتر كريفت قائلًا: الحجة بكل بساطة "ليس أمامنا إلا احتمالين: يسوع هو الله أو يسوع ليس هو الله، فأما أن يكون يسوع هو الله، إن كان زعمه عن نفسه صحيحًا. أو رجلا سيء إن لم يكن كلامه صحيحًا، لأن الرجال الصالحين (الأنبياء) لا يزعمون أنهم الله. ولكنه لم يكن رجلا سيئا، إذا فقد كان ولم يزل هو الله".<sup>361</sup>

العقيدة هي مجموع الأفكار التي يدين بها شخص ما أو بمعنى آخر يؤمن بها، وعليها تتعقد نفسه، وهي أساس كل تصرفاته، كما إنها ترتبط بحياة الإنسان الحاضرة وبالحيات الأخرى.

إن ألوهة السيد المسيح هي أساس العقيدة المسيحية، وهي أهم موضوع بالنسبة للإنسان المسيحي، حيث ينعقد إيمانه عليه، كما يكتسب إنتسابه كمسيحي لجماعة المؤمنين وللكنيسة من خلال هذا الإيمان. فالسيد المسيح في العقيدة الأرثوذكسية ليس مجرد نبي أو رئيس للأنبياء، وليس عبداً لله أو رسولاً منه، ولكنه بالحق هو الله نفسه "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يو1: 1) "ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إليها مباركًا إلى الأبد. أمين" (رو 9: 5)، "فإنه فيه يجل كل ملء اللاهوت جسديًا" (كو 2: 9). السيد المسيح هو الله الكائن منذ الأزل، والذي تنازل في ملء الزمان

وتجسد وولد من امرأة تحت الناموس، ليفتدى الذين تحت الناموس، فهو الكلمة المتجسد وهو من حيث لا هوته كائن مع الآب والروح القدس في الذات الإلهية منذ الأزل وإلى الأبد.<sup>362</sup>

يلق القمص تادرس يعقوب ملطى على إجابة القديس بطرس لسؤال رب المجد: "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ!" (مت 16: 16). قائلاً: "إن إجابة القديس بطرس تعبر عن إيمان سائر التلاميذ وعن حقيقة الإيمان الخاص بكل المسيحيين، فإيماننا أن السيد المسيح هو ابن الله المتأنس، ليس فكرة فلسفية نعتقها، ولا هو وليد إيمان عقلاني نستقبله من بشر (لحم و دم )، وإنما هو إعلان إلهي يشرق به الآب بروحه القدس على شعبه من خلال الرسل والتلاميذ "فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «طُوبَى لَكَ يَا سَمْعَانَ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنَنَّ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت 16: 17)، هذا الإيمان الذي تسلمته الكنيسة كوديعة، ينتقل من جيل إلى جيل، ليس كتسليم بشري وإنما تسليم إلهي، يشرق به الله في قلوب المؤمنين".<sup>363</sup>

إيمان الكنيسة الأولى بألوهة السيد المسيح:

يقول القديس بطرس الرسول في عظته يوم الخميس، معلناً إيمان الكنيسة الأولى منذ تأسيسها وإيمان والرسل: "يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهَنْ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ بِقُوَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ فِي وَسَطِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ. هَذَا أَحَدْتُمُوهُ مُسَلِّمًا بِمَشُورَةِ اللَّهِ الْمُخْتَوِّمَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ وَبِأَيْدِي أَنْتُمْ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا أَنْ يُمَسَّكَ مِنْهُ... فَيَسُوعُ هَذَا أَقَامَهُ اللَّهُ وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذَلِكَ... فَلْيَعْلَمُ يَقِينًا جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبًّا وَمَسِيحًا" (أع 2: 22-23).

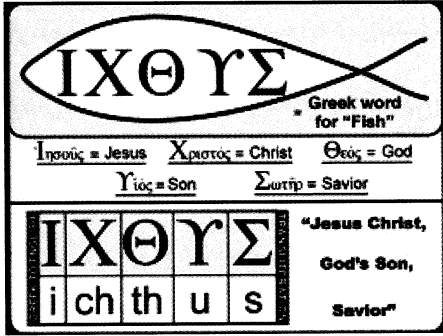
362. الأنبا غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس -6- اللاهوت العقيدى الجزء الأول (القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس ، 2004)، 68.

363. القمص تادرس يعقوب ملطى ، تفسير إنجيل متى الإصحاح السادس عشر ، موقع الإنبا تكلا هيمانوت ، تاريخ الإقتباس : مايو 2024.

36). شهد القديس بطرس عن إيمان الكنيسة برب المجد في يوم تأسيس الكنيسة وحلول الروح القدس على الرسل والتلاميذ: "فَيَسُوعُ هَذَا أَقَامَهُ اللَّهُ وَنَحْنُ جَمِيعاً شَهِودٌ لِذَلِكَ"، وكانت شهادته في موقع الأحداث وأمام الكتبة والفريسيين الذين حكموا عليه وبعد مرور زمن قصير جداً من الأحداث. يتأكد إيمان الكنيسة تجاه ألوهة السيد المسيح، من خلال عدة نقاط.

### أولاً، الكرازة باسم المسيح:

كان الإيمان بالمسيح الإله المخلص هو مركز البشارة، حتى صارت "السمة" هي الرمز للإيمان  $\text{ΙΧΘΥΣ}$  المسيحي في العالم اليوناني، وذلك لأنه في اليونانية "ΙΧΘΥΣ" وهي تشمل الحروف الأولى من العبارة "يسوع المسيح ابن الله المخلص". وعندما إنطلقت



البشارة في عصر الرسل تركز وتبشر العالم بالخلص، كان لازماً أن يعترف كل موعوظ جهراً بإيمانه في صيغة مختصرة قبل أن يقبل العضوية في جسد المسيح، أي قبل عماده مباشرة كما فعل الخصي الحبشي: "فَقَالَ فِيلُبُّسُ: «إِنْ كُنْتُ تُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ يَجُوزُ». فَأَجَابَ: أَنَا أُوْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ

المسيح هُوَ ابْنُ اللَّهِ" (أع8: 37).<sup>364</sup>

### ثانياً، قوانين الكنيسة:

نجد أولى الصياغات المعبرة عن قانون الإيمان، خارج العهد الجديد، في قوانين الإيمان المصغرة التي صاغها الآباء الأولون، والتي تؤكد إيمان الكنيسة المبكر بألوهة السيد المسيح. فقد جاء في قانون الإيمان للرسل: "نؤمن... ويسوع المسيح ابن الله الوحيد ربنا الذي حُمل به بواسطة الروح القدس، وُلد من العذراء مريم".

364 . أمجد بشاره، الثالث القدوس قبل نيقية (القاهرة: دار سلام للنشر والتوزيع، 2017)، 96.

وفي قانون القديس إيريناؤس: "نؤمن...ويسوع المسيح الواحد ابن الله، الذي صار جسداً لأجل خلاصنا".

وقانون العلامة ترتليان: "نؤمن...وبالكلمة، ابنه يسوع المسيح الذي نزل إلى العذراء مريم خلال روح الله الأب وقوته، وصار جسداً في أحشائها وولد منها".

وفي قانون لوكيانوس أنطاكية (300م): "نؤمن...وبرب واحد يسوع المسيح ابنه المولود من الأب قبل كل الدهور. إله من إله، الحكمة، الحياة، النور، الذي ولد من العذراء حسب الكتب وتأنس".

وفي قانون إيمان نيقية: "نؤمن...ونؤمن برب واحد بيسوع المسيح ابن الله الوحيد".<sup>365</sup>

ثالثاً، الآباء الرسوليون (تلاميذ الآباء الرسل):

كتب القديس أغناطيوس الأنطاكي في رسالته إلى سيمونا: "أمجّد يسوع المسيح الذي جعلكم حكماء.."، وأيضاً: "نؤكد أن الرب يسوع هو الله، الذي ظهر في الجسد، فإله تجسد وصار إنساناً حقيقاً"، بل يذكر تعبير إله والله عن المسيح أكثر من ثلاثة وثلاثين مرة في كتاباته: "إلهنا كلنا يسوع المسيح"، "أشكر يسوع المسيح الإله الذي وهبكم مزيداً من الحكمة"، "لأن إلهنا يسوع المسيح"، "يسوع المسيح الكائن مع الأب قبل كل الدهور وظهر في ملئ الزمان".

والقديس بوليكاريوس في رسالته التي تركها قبل استشهاده: "أمنوا بمن أقام سيدنا يسوع المسيح من الأموات، وأعطاه مجداً، وأجلسه عن يمين عرشه، وأخضع له كل من في السماء وعلى الأرض، والذي تعبدته كل نسمة، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات".

والقديس اكليميندس الروماني: "إن صولجان جلال الله، الرب يسوع، لم يأت متسربلاً بجلال عظمته

كما في استطاعته، بل جاء متواضعاً، كما تنبأ عنه الروح القدس".<sup>366</sup>

365 . القس بيشوي حلمي، عقيدة التجسد الإلهي (القاهرة: كنيسة الانبا أنطونيوس بشبرا، 2013)، 96.

366 . أمجد بشارة، الثالوث القدوس قبل نيقية، 96-114.

#### رابعًا، المعلمون المدافعون الأوائل:

القديس يوستينيوس الشهيد: "الإيمان الذي نعتنقه بتقوى، إنه الإله صانع العالم بأسره منذ البدء، وأيضًا يسوع المسيح، ابن الله والذي أُخبر عنه الأنبياء، بأنه سوف ينزل للبشرية كمُعلن الخلاص ومُعلم للعقائد الحسنة".

القديس إيريناؤس: "إن كلمة الله ابن الله يسوع المسيح ربنا، الذي تنبأ عنه الأنبياء الذي كل شيء به كان وبتدبير الأب في الأيام الأخيرة، صار إنسان من البشر، وتراءى لكل لكي يُبطل الموت، ولكي يجمع كل شيء، ويُظهر الحياة ويصنع شركة بين الله والإنسان".

العلامة ترثليان: "قاعدة الإيمان، نعرفها جميعًا، ونكررها بروح واحد: نؤمن بإله واحد عظيم صانع العالم، وابنه يسوع المسيح الذي ولد من العذراء، وتآلم في عهد بيلاطس البنطي، وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماوات ويجلس الآن عند اليد اليمنى للأب، وسيدين الأحياء والأموات ويقيم الأجساد".

العلامة أثيناغوراس: "إن ابن الله هو كلمة الله اللوغوس، وهو الفكر الذي يُبدع والقوة التي تُخلق، الذي بموجب مشيئته كان كل شيء، فالأب والابن واحد، حيث أنه من خلال قوة ووحدة الروح، فإن الأب في الابن والابن في الأب. إن ابن الله هو فكر وكلمة الأب".<sup>367</sup>

مما سبق ومن خلال الكرازة باسم المسيح، ومن خلال قوانين الكنيسة الأولى، وإيمان الآباء الرسولين، والآباء المعلمون، يتضح أن إيمان الكنيسة تجاه ألوهة السيد المسيح بأعتباره أقنوم الكلمة الذي ظهر في الجسد في ملء الزمان، هو إيمان مستقر في الكنيسة الأولى، وليس كما يدعى البعض أنه إيمان

متأخر ربما يكون تشكل في مجمع نيقية.

## إيمان الكنيسة تجاه عقيدة الخلاص والتجسد والفداء

تؤمن الكنيسة أن الله دبر خلاص الإنسان، بتجسد وتأنس ابنه الوحيد الجنس في ملء الزمان، وذلك بإتحاد الكلمة اللوغوس بجسد حقيقي مساوي لأجسادنا تمامًا، في ما خلا الخطية وحدها، وبجسده الخاص ذاق الموت عنا وحمل خطايانا وسدد الدين وأتم الخلاص: "إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانِسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّلِيبِ" (في 2 : 6 - 8).

يقول القديس كيرلس الكبير: "المسيح الذي هو بهاء وصورة الله الأب وشكله وهو كلمة الله الذي هو من الله وفي الله، أخلى ذاته وصار إنسانًا وذلك بإرادته ومسرة أبيه، ولم يكن مجبرًا على فعل هذا، ومع صيرورته إنسانًا ظل محتفظًا بكرامة اللاهوت وأخذ ما للإنسان من التدبير".<sup>368</sup>

### كيف حدث التجسد الالهي؟

تؤمن الكنيسة أن الله الكلمة اللوغوس تجسد وتأنس من الروح القدس ومن العذراء مريم، وذلك بأن الروح القدس قد كون من العذراء مريم ناسوتًا كاملًا طاهرًا، مساويًا لنا بالكامل ما خلا الخطية وحدها، وأتحد اللوغوس بهذا الناسوت اتحادًا أقنوميًا كاملًا، وجعله واحدًا مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا تشويش، ولاهوته لم ينفصل عن هذا الناسوت لحظة واحدة ولا طرفة عين من بعد الإتحاد: "وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنْ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَقْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَقَالَ التَّبَيُّي". (غل 4 : 5)

يقول القديس كيرلس الكبير: "على أن ذلك لم يكن ليتم إلا بطريقة واحدة وهي الولادة البشرية، وقد تمت هذه الولادة بطريقة غريبة وعجيبة لأن الذي تجسد هو الله، إلا أنه ولد مثلنا أي مثل الولادة الخاصة بنا كبشر ويجب أن نعترف أن الجسد الذي اتحد به كان له نفسًا عاقلة" (ق. كيرلس الكبير: المسيح واحد).

ما هو هدف التجسد ؟

تؤمن الكنيسة أن هدف التجسد هو: إصلاح طبيعة الإنسان التي تشوهت، وتجديدها مرة أخرى على صورة الله، وتسديد العقوبة التي نتجت عن المعصية الأولى، وإظهار محبة الله للبشرية، ومعرفة الله مرة أخرى: "كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الْإِلَهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ، الَّذِينَ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا المَوَاعِيدَ العُظْمَى وَالتَّمِينَةَ لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الْإِلَهِيَّةِ، هَارِبِينَ مِنَ الفَسَادِ الَّذِي فِي العَالَمِ بِالشَّهْوَةِ" (2بط 1: 3-4).

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: "لأجل ذلك إن نزل إلى عالمنا كلمة الله الذي بلا جسد، عديم الفناء و غير المادي، إذ رأي أن كل البشر تحت سلطان الموت، فإنه رحم جنسنا وأشفق على ضعفنا وترائف على فسادنا. وإذا لم يحتمل أن يرى الموت وقد صارت له السيادة علينا، لئلا تفنى الخليقة ويتلاشى عمل الله، فقد



أخذ لنفسه جسداً لا يختلف عن جسدنا، وهكذا اتخذ جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا، وإذا كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع، وقدمه للاب. كل هذا فعله من أجل محبته للبشر، أولاً: لكي إذ كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يبطل عن البشر ناموس الموت والفناء، ذلك لأن سلطان الموت قد استنفذ في جسد الرب، فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر. ثانياً: وأيضا فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية يعيدهم

إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد، الذي جعله جسده الخاص، وبنعمة القيامة يبيد الموت منهم كما

تبيد النار القش".<sup>369</sup>

## هل التجسد يقلل من قداسة الله ؟

تؤمن الكنيسة أن التجسد لم يقلل من قداسة الله سواء باتحاده بالجسد أو بوجوده في العالم، بل قد وُهبَت القداسة به ومن خلاله للجسد البشري.

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: "لأنه إن كانت الشمس التي خلقها هو والتي نراها وهي تدور في السماء لا تتدنس عندما تلمس أشعتها الأجسام الأرضية ولا تفقد نورها بسبب ظلمة هذه الأجسام لكنها بالعكس تنيرها وتطهرها أيضًا، فبالأولى جدًا كلمة الله كلي القداسة خالق الشمس وربها لا يتدنس بمجيئه في الجسد بل بالعكس فلكونه عديم الفساد فقد أحيى الجسد المانت وطهره".<sup>370</sup>

وعن أعمال الجسد واحتياجاته الطبيعية التي لا تمنع التجسد، يقول القديس كيرلس الكبير: "كما استخدم الجسد كعضو وكل ما يخص أعمال الجسد وكذلك الضعفات الطبيعية التي لا تقع تحت دينونة، استخدم أيضًا نفسًا بشرية تتجاوب مع الميول والرغبات البشرية (الغير ملومة التي تخص الطبيعة البشرية كالجوع والعطش) غير الشريرة بمعنى أنه تألم وعانى أتعابًا ومشى مسيرات طويلة، وخبر التوسل والخوف والحزن وصراع موت الصليب". (ق. كيرلس الكبير: حوار حول تأنس الابن الوحيد).

## هل التجسد يحد وجود الله ؟

تؤمن الكنيسة أن الله الكلمة حينما تجسد لم ينحصر بلاهوته في الجسد البشري الذي اتخذه، بل ظل موجودًا في كل مكان بلاهوته الذي لا يحد، وأن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا، وأنه لم يتدنس بظهوره في جسد بشريتنا لأنه هو مطهر جميع الأشياء: "وَأَلْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" (يو 1: 14).

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: "لأنه لم يكن محصورًا في الجسد، كما قد يتوهم البعض، أو أنه بسبب وجوده في الجسد كان كل مكان آخر خاليًا منه أو أنه بينما كان يحرك الجسد كان العالم محرومًا من أفعال قدراته وعنايته".<sup>371</sup>

لماذا لم يكتفي المسيح بالتجسد ثم الفداء مباشرة؟ لماذا عاش وعلم بيننا؟

تؤمن الكنيسة أن كل أعمال الصلاح والكمال التي صنعها السيد المسيح، صنعها لأجلنا ليرينا المثال والنموذج والطريق الذي نسير فيه لخلاصنا فنقرأ أنه صام وصلى واعتمد لأجلنا: "فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحِ الْآنَ، لِأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيْقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بَرٍّ»" (مت: 3: 15).

يقول القديس كيرلس الكبير: "كل ما فعله المسيح إنما كان من أجل منفعتنا نحن، ولخير الذين يؤمنون به، فهو يقدم لنا أفعاله لتصير لنا بنوع ما نموذجًا للسلوك الروحي، حتى يُنهضنا كعباد حقيقيين" (ق. كيرلس الكبير: تفسير لوقا 6: 22). يقول رب المجد في ليلة صليبه: "فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمَعْلَمُ قَدْ عَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ. لِأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالًا حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا." (يو: 13: 14-15).

كذلك أعطانا نعمة معرفة الأب، تلك المعرفة التي تشوهت بالسقوط والتغرب عن الله. لقد تجسد ابن الله غير المرئي، وغير المحسوس، لنراه في الجسد، فنرى فيه الأب "الَّذِي رَأَيْتُ فَقَدْ رَأَى الْآبَ" (يو: 14: 9)، ونتعرف على الأب والروح القدس. فقد أظهر السيد المسيح لنا نور الأب، وأنعم علينا بمعرفة الروح القدس "هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَاكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أُرْسَلْتَهُ" (يو: 17: 3)، وأيضًا "أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ." (يو: 17: 6).

يقول القديس أنثاسيوس عن تلك المعرفة الخلاصية: "أظهر نفسه في جسد لكي نحصل على معرفة الأب غير المنظور". وهكذا نصلي في القديس الغريغوري: "الذي أظهر لنا نور الأب، الذي أنعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية". يقول القديس أنثاسيوس: "عندما ظهر كلمة الله في الجسد وعرفنا بأبيه، فحينئذ بطلت وتبددت خداعات الأرواح الشريرة، وإذ بدأ البشر يحولون أنظارهم إلى الحقيقي، كلمة الله، فإنهم أصبحوا يهجرون الأصنام، وصاروا الآن يعرفون الإله الحقيقي".<sup>372</sup>

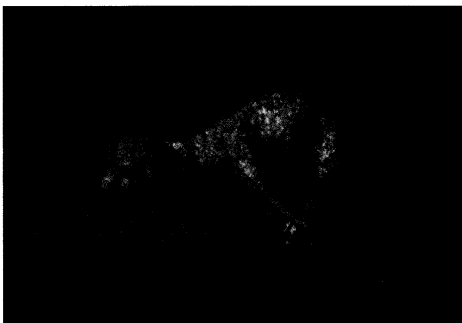
## الفداء و تدبير الخلاص

لماذا يجب سفك دم كي يحدث مغفرة و فداء ؟

"أوصى الربُّ الإلهَ ادمَ قَائِلًا: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلُ مِنْهَا لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تك: 1-2: 17). خلق الله آدم ومنحه نعمة الوجود في الحياة و وعد بالخلود في الأبدية، ولكن هذا الخلود وهذه الحياة مرتبطة باستمرار الصلة مع مانح الحياة، ولكن بكسر الوصية، فصل الإنسان نفسه عن نبع الوجود، وبالتالي كان الموت هو العقوبة العادلة لكسر الوصية والنتيجة الطبيعية للانفصال عن مصدر الحياة "لأنَّكَ تُرَابٌ وَآلِي تُرَابٍ تُعْوَدُ" (تك: 3: 19).

تؤمن الكنيسة أن التكفير عن خطية الإنسان تطلب وجود فدية وفادي "بِذُنِّ سَفْكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ

مَغْفِرَةٌ!" (عب: ٩: ٢٢)، لكي يتم تسديد العقوبة ولكي يتم تنفيذ حكم الموت الذي سبق أن نطقه الله. ولذلك أعطى الله شعبه القديم أن يتقدم إليه بذبائح عديدة ترمز جميعها للذبيحة الكفارية التي ترفع خطايا العالم كله على مدى الدهور "لأنَّ فَصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحُ قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا" (١ كو ٥: ٧)، "أليس



بِدَمِ ثِيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا." (عب9: 12).

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: "ببذله لجسده الذي إتخذه لنفسه كتقدمة مناسبة، فإنه رفع الموت فورًا عن جميع من أناب عنهم من البشر فقد كان لائقًا به أن يقدم هيكله الخاص فدية عن حياة الجميع موفيًا دين الجميع بموته".<sup>373</sup>

يضيف القديس أثناسيوس الرسولي: "فلقد ادرك الكلمة جيدًا أنه لم يكن ممكنًا أن يقضى على فساد البشرية بأي طريقة أخرى سوى الموت نيابة عن الجميع. ومن غير الممكن أن يموت الكلمة لأنه غير مانت بسبب أنه هو ابن الله غير المانت. ولهذا اتخذ لنفسه جسدًا قابلاً للموت حتى عندما يتحد هذا الجسد بالكلمة الذى هو فوق الجميع. يصبح جديرًا ليس فقط ان يموت نيابة عن الجميع، بل ويبقى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمه به. ولذلك قدم للموت ذلك الجسد الذى اتخذه لنفسه كتقدمة مقدسة و ذبيحة خالية من كل عيب. وببذله لهذا الجسد كتقدمة مناسبة ، فإنه رفع الموت فورًا عن جميع البشر، موفيًا دين الجميع، باتخاذ جسدًا مماثلًا لجسد جميع البشر وبتحاده بهم، فان ابن الله عديم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد، بوعد من القيامة ولم يعد الفساد الفعلى بالموت له أي سلطان على البشر بسبب الكلمة الذى جاء وسكن بينهم بواسطة جسده".<sup>374</sup>

**لماذا ذبيحة المسيح قادرة على فداء كل أنسان على مر العصور ؟**

نؤمن أن حياة السيد المسيح على الأرض كانت مقدسة وبلا خطية، وأنه دان الخطية في الجسد وإذ صار بكرًا لنا و نائبًا عنا تم الفداء بالصليب: "الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً، وَلَا وُجِدَ فِيهِ مَكْرٌ. الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَتُنْحَى لِلرَّبِّ" (1بط2: 24، 22)، فبسبب اتحاد الكلمة الغير محدود بجسد الطبيعية البشرية وحياته الخالية من الخطية، أصبحت ذبيحته التي قدمها على الصليب، ذبيحة غير محدودة كافية لفداء كل البشر على مر العصور.

373 . القديس أثناسيوس الرسولي، 24.

374 . القديس أثناسيوس الرسولي، 23.

### ماهى الشروط التى يجب توافرها فى المخلص ؟

تؤمن الكنيسة أن المخلص كان لابد أن يكون إنساناً لكي ينوب عن البشرية، وأن يكون غير محدوداً ليهب خلاصاً لا ينضب، وأن يكون قدوساً بلا خطية لكي تكون ذبيحته مقبولة ولتكون عوضاً ونيابة عن الذين أخطأوا، كذلك يجب أن يقبل الموت عن البشرية بإرادته الخاصة ليصبح الفادي والفدية معاً، كما يجب أن يكون قادراً على تجديد الطبيعة البشرية التى فسدت، وذلك بإتحاده بها لكي يجدد خلقها وليعيد الصورة الإلهية إليها ولتحيا إلى الأبد إذا حافظت على الوعد الإلهي وقبلت العطية: "وَمَا لَيْسْنَا صُورَةَ التَّرَابِيِّ سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَائِيِّ" (1 كو 15 : 49)، "إِذَا إِنَّ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا. وَلَكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللَّهِ، الَّذِي صَالَحْنَا لِنَفْسِهِ بِسُوعِ الْمَسِيحِ" (2 كو 5 : 17، 18)، "وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلُّ لِنَفْسِهِ، غَامِلًا الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءً كَانَ مَا عَلَى الْأَرْضِ أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ." (كو 1: 20)

### لماذا كان الفداء ضروري لخلاص الانسان؟ ألا تكفي التوبة؟

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: "إن التوبة تعجز عن حفظ أمانة الله، لأنه لن يكون الله صادقاً إن لم يظل الإنسان في قبضة الموت، ولا تقدر التوبة أن تُغير طبيعة الإنسان. فلو كان تعدي الإنسان مجرد عمل خاطئ لكانت التوبة كافية، أما الآن بعد أن حدث التعدي، فقد تورط البشر في ذلك الفساد الذي كان في طبيعتهم ونُزعت منهم نعمة مماثلة صورة الله. إذاً فما هو الذي كان ممكناً أن يفعله الله وماذا كان يمكن أن يتم سوى تجديد الخليفة التي وجدت على صورة الله مرة أخرى...ولهذا أتى كلمة الله بذاته لكي يستطيع وهو صورة الأب أن يجدد خلقه الإنسان على مثال الصورة"<sup>375</sup>.

جاء في ثيوطوكية يوم الاثنين: "لأنه حل الحاجز وقتل العداوة بالكمال. ومزق كتاب يد العبودية التي لأدم وحواء وحررهما. الذي ولد لنا في مدينة داود مخلصنا يسوع المسيح كقول الملاك. أشرق جسديًا من العذراء بغير زرع بشر حتى خلصنا" (القطعة الثامنة – تسبحة نصف الليل).

إن التوبة وأي أفعال بشرية آخري تعجز عن أمرين، الأول: سداد العقوبة ودفع الدين، وبالتالي فإن الله إذا أعفى عن الإنسان دون سداد للعقوبة، فهذا يجعل الله غير متسقًا مع ذاته، قال ولم يفعل، وبهذا تتميز المسيحية والإيمان المسيحي عن أي طرح ديني آخر، لأنه على الصليب يلتقي عدل الله مع رحمته، وبالصليب وحده، تكون طبيعة الله متسقة (كما سبق الإشارة). يقول القديس أناسيوس: "كان سيكون مخيفًا إن لم يمتم الإنسان". الأمر الثاني: التوبة تعجز عن تجديد الطبيعة البشرية التي فسدت، فتجديد الطبيعة يكون بالإتحاد بالحياة ذاتها التي للكلمة ابن الله المتجسد. هذا الإتحاد الذي سوف يحفظ الطبيعة البشرية من نتائج وتبعات الخطية لاحقًا. إن خطأ الإنسان أرجعه إلى العدم، وبسبب الخطية والفساد الذي حل عليه أصبح للموت سيادة شرعية عليه، وبالتالي كان مصيره الفناء، فكان لا بد من إعادة خلقه من جديد، كخليقة جديدة. وهذا لم يكن من الممكن حدوثه، إلا بالإتحاد بكلمة الحياة الوحيد القادر على إعادة خلقه.

نؤمن بالفداء الذي تم بتجسد كلمة الله، قد أعلن عن محبته الكاملة للإنسان، كما أعلن عن عدله وذلك بموته نيابة عن الجميع: "لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذلَّ ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ." (يو: 3: 16).

### عقيدة الكنيسة في ما يخص طبيعة السيد المسيح

تؤمن الكنيسة بأن السيد المسيح هو الإله الكلمة المتجسد، له لاهوت كامل وناسوت كامل، ولاهوته متحد بناسوته بغير اختلاط ولا أمتزاج ولا تغيير وبدون استحالة،<sup>376</sup> أتحادًا كاملاً أقتومياً جوهريًا، تعجز

376. بدون اختلاط كاختلاط القمح والشعير، بدون أمتزاج كامتزاج الخمر الماء، ولا تغيير مثل الذي يحدث في المركبات الكيميائية حين تفقد المواد الأولية خواصها التي كانت تميزها قبل الأتحاد، بدون استحالة أي اللاهوت لم يتحول إلى

اللغة أن تعبر عنه: " عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَأَى لِمَلَائِكَةٍ، كُرَّرَ بِهِ بَيِّنُ الْأَمَمِ، أُوْمِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ" (1تي3: 16). وهذا الإتحاد دائم لا ينفصل مُطلقاً ولا يفترق من بعد الإتحاد، نقول عنه في القديس الإلهي: "لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين".

تؤمن الكنيسة أن الطبيعة اللاهوتية التي لله الكلمة أتحدت بالطبيعة الناسوتية، التي أخذها الكلمة (اللوجوس) من السيدة العذراء مريم بعمل الروح القدس. فالروح القدس طهر وقدس مستودع العذراء طهارة كاملة، حتى لا يرث المولود منها شيئاً من الخطية الأصلية، وكون من دماغها جسداً، أتحد به ابن الله الوحيد "الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكَ فَلِدَلِكِ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ" (لو1: 35). وقد تم هذا الإتحاد منذ اللحظة الأولى للحبل المقدس في رحم السيدة العذراء بمجرد قبولها بشاراة الملاك جبرائيل: "هُودًا أَنَا أَمَةٌ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ" (لو1: 38). وبإتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية داخل رحم السيدة العذراء مريم، تكونت طبيعة واحدة هي: "طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد **Μια φυσικς του θεος**

377. "Λόγου σεσαρκωμένη

ناسوت، ولا الناسوت إلى لاهوت. شبه آباء الكنيسة مثل القديس كيرلس الكبير هذا الأتحاد باتحاد الحديد والنار، في ما يُسمى الحديد المحمي.

أنظر: البابا شنودة الثالث، **طبيعة المسيح** (القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، 1991)، 12.

377. عُرِفَت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بأصحاب الطبيعة الواحدة Monophysites، وذلك بعد الشقاق الذي حدث في مجمع خلقيدونية 451م، وهذا التعبير أسى فهمه سواء عن قصد أو غير قصد خلال فترات التاريخ، وبسببه أضطهدت الكنيسة القبطية والكنيسة السريانية. فالبعض أعتقد أن الكنيسة القبطية تؤمن بطبيعة واحدة للمسيح وتنكر الأخرى. غير أن هذا غير حقيقي، فالكنيسة تؤمن بكمال الطبيعتين في شخص السيد المسيح. علم القديس كيرلس الكبير بأنه يجب أن لا نتحدث عن طبيعتين بعد الإتحاد، وذلك لأن الحديث عن الطبيعتين يوحي بالانفصال والافتراق، حتى لو أقر أصحاب الطبيعتين بإتحادهما، وهو ما أسى فهمه. كانت نغمة الانفصال واضحة في مجمع خلقيدونية، فقد أكد المجمع أن هناك طبيعتين في المسيح، طبيعة لاهوتية تعمل ما يختص بها، وطبيعة ناسوتية تعمل ما يختص بها، وهو ما يوحي بالانفصال. هو ما أشار إليه البابا لاون حين قال: " المسيح اثنان إله وإنسان: الواحد يهر بالعجائب والآخر مُلَقِي للشتائم والإهانات"، ولأجل هذا رفض البابا ديسقورس الكتاب المشهور بطومس لاون، مما أدى إلى نفيه.

أنظر: البابا شنودة، **طبيعة المسيح**، 7-10.

إن إتحاد الطبيعة الإلهية للمسيح بالطبيعة البشرية في رحم السيدة العذراء هو أتحاد أفتنومي، ذاتي جوهري حقيقي، وليس مجرد أفتران أو مصاحبة، يقول البابا أثناسيوس الرسولي: "ليس هو طبيعتين، نسجد للواحدة ولا نسجد للآخري، بل هو طبيعة واحدة، هي طبيعة الكلمة المتجسد، المسجود له سجدًا واحدًا"<sup>378</sup>. الطبيعة الواحدة هي التي جعلت السيد المسيح يقول لليهود: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ" (يو: 8: 58)، فهو لم يقل لاهوتي كائن قبل إبراهيم، وإنما قال أنا كائن، مؤكدًا على الطبيعة الواحدة بعد الإتحاد في طبيعة واحدة لها خواص الطبيعتين.

إن الإيمان بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد، أمر لازم وجوهري وأساسي لعمل الفداء، وذلك لأننا إن تكلمنا عن طبيعتين منفصلتين، بحيث تقوم الطبيعة البشرية بعمل الفداء بحسب الجسد البشري، وعلى أساس أن كل طبيعة تقوم بما يخصها كما أدعي أصحاب الطبيعتين، فهنا ستكون الكفارة محدودة وغير كافية لخلاص البشرية كلها في كل الأزمنة "الْحِكْمَةُ الْمَكْتُومَةُ الَّتِي سَبَقَ اللَّهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا. الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ - لِأَنَّ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ" (1كو 2: 7-8).

يقول القديس كيرلس: "لا نقول ان الله صار أب الجسد، ولا أيضًا أن طبيعة اللاهوت وُلدت من امرأة، قبل أن يتخذ الناسوت، بل بالحري إذ حضر معًا، في وحدة واحدة الكلمة المولود من الله، والإنسان الكامل المولود من العذراء القديسة، فنحن نعبد مسيخًا واحدًا، الرب يسوع، غير واضعيه خارج الألوهية بسبب جسده، ولا نازلين به إلى مجرد ناسوت بسبب مماثلته لنا". يؤكد القديس كيرلس على طبيعة هذا الإتحاد، قائلًا: "إن عمانوئيل يُعترف به أنه من اثنين، من اللاهوت والناسوت، غير أنه يوجد رب واحد يسوع المسيح، ابن واحد بالحق، وإنسان في نفس الوقت". يؤكد القديس كيرلس على الوحدة الواحدة من بعد الإتحاد، قائلًا: "لأنه كواحد منا رغم أنه لم يعرف الموت، نزل إلى الموت، بواسطة جسده الخاص، لكي نصعد نحن أيضًا إلى الحياة، لأنه عاد إلى الحياة ثانية سالبًا الجحيم، ليس كإنسان منا، بل كالإله في الجسد.

فلنسجد له كواحد منا، دون أن نقسمه إلى اثنين بعد الاتحاد، لأننا قد عبدنا ليس مجرد إنسان، بل بالحري نحن قد عبدنا الله بحسب الطبيعة، دون أن نجعل مجده وحتماً صار مثلنا، فقد بقى كما كان، أي الله".<sup>379</sup>

يستفيض القديس كيرلس في شرح الاتحاد بين الطبيعتين، قائلاً: "الكلمة وحد مع نفسه أقنومياً، جسداً محيياً بنفس عاقلة، وصار إنساناً بطريقة لا يمكن التعبير عنها وإدراكها. ونحن نقول على الرغم من أن الطبيعتين اللتين اجتمعتا معاً في وحدة حقيقة مختلفتان، فإنه يوجد مسيح واحد، وابن واحد بين الاثنين. ان اختلاف الطباع لن يتأثر بسبب الاتحاد، بل بالحري فإن الاتحاد يفوق الفهم والوصف، كون لنا من اللاهوت والناسوت، رباً واحد يسوع المسيح وابناً واحداً. وإذا رفضنا الاتحاد الأقنومي، سواء بسبب تعذر إدراكه أو بسبب عدم قبوله، نسقط في التعليم بابنين. هكذا نعترف بمسيح واحد ورب واحد".<sup>380</sup>

نصوص كتابية كثيرة تؤكد عقيدة الطبيعة الواحدة من بعد الاتحاد: "يُوحَنَّا شَهِدَ لَهُ وَنَادَى: «هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: إِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي صَارَ قُدَّامِي لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي» (يو: 1: 15)، "الَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بَعْيُونَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسْنَاهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ" (يو: 1: 1)، "فَإِنْ رَأَيْتُمْ ابْنَ الْإِنْسَانِ صَاعِداً إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلًا" (يو: 6: 62) الذي كان في السماء هو أقنوم الابن، ولكن لوحدة الطبيعة يقول عن ابن الانسان ما يقوله عن أقنوم الكلمة، لأنه هو الكلمة المتجسد.

إن كل معجزات السيد المسيح تدل على الطبيعة الواحدة، "عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانَ عِنْدَهُمْ سَقَمَاءُ بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلَفَةٍ قَدَّمُوهُمْ إِلَيْهِ فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَشَفَاهُمْ" (لو: 4: 40)، لقد شفا الجموع بوضع يده. وفي حادثة نازفة الدم "لَمَّا سَمِعَتْ بِيَسُوعَ جَاءَتْ فِي الْجَمْعِ مِنْ وَرَاءِ وَمَسَّتْ ثَوْبَهُ" (مر: 5: 27)، وفي حادثة المولود أعمى "تَقَلَّ عَلَى الْأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ الثُّفْلِ طِيناً وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنِي الْأَعْمَى" (يو: 9: 27).

379 . القديس كيرلس الأسكندري، رسائل القديس كيرلس- الرسالة إلى رهبان مصر (القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 1989)، 18-26.

380 . القديس كيرلس الأسكندري، رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي (القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2001)، 12-14.

(6)، من المؤكد أن المعجزات عمل اللاهوت بقدرته، ولكن السيد المسيح استخدم جسده وناسوته في أعمال

الشفاء، فهل الذي شفى اللاهوت أم الناسوت؟ أم الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد!!

**الطبيعة الواحدة والآلام.** تؤمن الكنيسة أن اللاهوت بالطبع غير قابل للآلام، ولكن ناسوت السيد

المسيح حين وقع عليه الآلام، كان ناسوت الكلمة المتجسد، المتحد باللاهوت، وبالتالي تُنسب الآلام إلى

للطبيعة الواحدة الغير محدودة. قدم الآباء (القديس كيرلس الكبير) مثلاً يشرح هذه الحقيقة وهو الحديد

المحمى بالنار، فحين يطرق الحديد المحمي، نجد أن الحديد يتشكل (يتآلم)، أما النار فلا يضرها شيئاً، ولكن

الطرق وقع على إتحاد الطبيعتين، فُنسب للحديد المحمي بالنار "لِتَرْغُوا

كَنِيْسَةَ اللَّهِ الَّتِي افْتَنَّاها بِدَمِهِ" (أع20: 28)، ينسب الوحي الإلهي على لسان

معلمنا بولس الرسول الدم إلى الله، وبما أن الله روح، فالدم دم ناسوته.<sup>381</sup>

**تعبير ابن الإنسان والطبيعة الواحدة.** لاشك أن تعبير ابن الإنسان

يُعبّر عن ناسوت المسيح، كما أن تعبير ابن الله يُعبّر عن لاهوته، ومع ذلك

نجد أن رب المجد استخدم تعبير ابن الإنسان في الإشارة إلى أمور تخص

لاهوته، مما يؤكد الطبيعة الواحدة التي للكلمة المتجسد من بعد الإتحاد، فعلى سبيل المثال، يقول رب المجد:

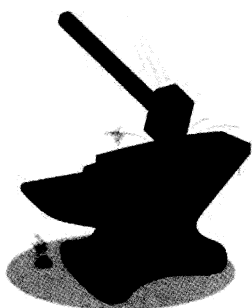
"فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ أَيْضًا" (مت12: 8)، "لَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِابْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ

أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا" (مت9: 6)، "فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدٍ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ

حَسَبَ عَمَلِهِ" (مت16: 27)، "لَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي

السَّمَاءِ" (يو3: 13)، "مَنْ الْآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ" (مت26:

64).<sup>382</sup>



381 . البابا شنودة الثالث، 21.

382 . البابا شنودة الثالث، 23.

تشكك البعض في لاهوت السيد المسيح بسبب بعض الأقوال أو الأفعال التي تُنسب لطبيعته البشرية

تشكك البعض في لاهوت السيد المسيح بسبب بعض الأفعال والأقوال التي تُنسب إلى طبيعته البشرية، وكنتيجة للإخلاء الذي قبله رب المجد بتجسده واتخاذه طبيعة بشرية. شرح القديس كيرلس تعبير "الإخلاء"، قائلاً: "ما هو هذا الإخلاء؟ الحياة في صورة عبد، في الجسد الذي أتخذه، أنه التشبه بنا، حيث لم يكن مثلنا من جهة طبيعته، بل هو أسمى حقاً من كل الخليقة، وبهذه الطريقة وضع ذاته نازلاً- بحسب التدبير- إلى المقاييس البشرية. إلا أنه مع ذلك، هو الله، لأن أمتيازه الطبيعي لم يُوهب له، لذلك قال الله الأب: "مجدني بالمجد الذي كان لي عند قبل كون العالم" (يو: 17: 5).<sup>383</sup>

يضيف القديس كيرلس، قائلاً: "هكذا بحسب التدبير نزل إلى مقاييسنا وتواضع وقبل الطبيعة البشرية، ذاك الذي له اسم أعظم من كل الكائنات، والعروش السامية تليق به، الذي هو رب

بطبيعته، جاء إلى مقاييس العبيد، لأنه يقول "كان عند الله".<sup>384</sup>

جاع أو حزن، ولا يعلم اليوم ولا الساعة

ويوضح القديس كيرلس أن الأقوال التي تُنسب إلى رب المجد مثل القول أنه جاع أو حزن، وقوله أنه لا يعلم اليوم ولا الساعة، تخص تجسده وعمل الإخلاء. يقول القديس كيرلس: "أعرف أن هذه الأقوال لا تتناسب مع الكلمة الذي ولد من الله الأب، إذا أبعدها عن طريق التدبير الإلهي (الذي يتضمن الإخلاء)،

وإذا رفضنا أنه صار إنساناً وفق الكتب المقدسة". يضيف قائلاً: "إذن لم يصر كلمة الله لنا نموذجاً عندما لم يكن بلا جسد، وغير مشارك لمقاييس الإخلاء، ولكن، أثناء فترة- تجسده- سُمح له أن يستخدم المقاييس

383 . القديس كيرلس الأسكندري، الكنوز في الثالوث، 234.

384 . القديس كيرلس الأسكندري، المسيح واحد، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم (القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2023)، 88.



البشرية، لكي يكون هذا النموذج لأجلنا حسناً ومفيداً، لأن منه يُمكن للمرء أن يتعلم، أنه لا ينبغي أن يسلك طريقاً آخر". يستفيض في شرحه قائلاً: "أن الأقوال التي تتناسب مع الإخلاء، وهي متمشية مع مقاييس الطبيعة البشرية، قد صارت في الوقت المناسب، وفي الضرورة، بحيث تظهر أن هذا الذي فوق الخليفة، قد صار مثلنا".<sup>385</sup>

يشرح القديس كيرلس مفهوم الإخلاء قائلاً: "إن لم يكن قد صار إنساناً، وإن لم يكن قد ولد بحسب الجسد من امرأة، لكننا أزلنا عنه الخواص الإنسانية. أما إذا كان حقاً قد أخلى ذاته وبتواضعه صار مثلنا، فلاي سبب يبعدون عنه تلك الخواص الإنسانية التي بواسطتها يُعرف أنه تواضع، هادمين- بدون تبصر- سر التأنس. وضح القديس كيرلس أن رب المجد لم يفقد خواص طبيعته الإلهية بسبب الإخلاء وبسبب تجسده، قائلاً: "لقد احتمل إخلاء إرادياً من أجلنا، ولكن هذا لا يؤدي إلى استبعاده من مجده الإلهي، ولا من علوه الفائق وامتيازته فوق الكل. فإنه هو الله الكلمة، المولود من جوهر الله الأب بطريقة تفوق التعبير، وإذ قد أتخذ الطبيعة الإنسانية فقد كرمها، ولكنه لم ينفصل عن امتيازته الخاص، بل ظل هو الله في إنسانيته".<sup>386</sup>

أيضاً في شرحه لقانون الإيمان، يؤكد القديس كيرلس على الطبيعة الواحدة من بعد الاتحاد، قائلاً: "يوجد رب واحد يسوع المسيح، وهو بذاته الكلمة الوحيد الجنس من الأب، والذي صار إنساناً، وهو لم يتخل عن ما كان عليه لأنه بقي إلهاً في بشريته، والسيد في صورة عبد، محتفظاً بملء الوهيته في إخلائه ليكون مثلنا. هو رب القوة في ضعف الجسد، وفي قياس بشريته كان يملك ما هو قوة كل الخليفة خاصة به.

385 . القديس كيرلس الأسكندري، المسيح واحد، 55-75.

386 . القديس كيرلس الأسكندري، رسائل القديس كيرلس- الرسالة الأولى، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد ود. موريس تواضروس (القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2020)، 19-20.

لأن كل ما كان عليه قبل الجسد، كان خاصًا به و لا يُمكن أن يُفقد، لأنه كان إلهًا، وهو الابن الحقيقي والوحيد والنور والحياة والقوة".<sup>387</sup>

### فصل الأقوال والأفعال

يتعجب القديس كيرلس من فكر الذين يفصلون دائمًا الكلمات والأقوال، وينسبون بعضًا فقط وحصريًا للابن الوحيد، والبعض الآخر للابن المولود من امرأة، قائلًا: "الفصل يكون صحيحًا إذا كان الكلام عن شخصين وأقنومين منفصلين فيما بينهما، وهما متباعدان تمامًا، ولكن الابن واحد هو، والكلمة صار إنسانًا لأجلنا، وأود أن أقول أن الكل صار خاص به: الأقوال والأعمال، وكل ما هو يتناسب مع الله، وبنفس القدر كل الخواص البشرية". ولهذا يُؤكد القديس كيرلس: "المسيح لا يُقسم، بل كل الذين يعبدونه يؤمنون به ابناً واحداً وحقيقياً".<sup>388</sup>

**المشيئة الواحدة والطبيعة الواحدة.** تؤمن الكنيسة أن للسيد المسيح مشيئة واحدة وفعل واحد، فما يختاره اللاهوت، لا شك أنه هو نفسه ما يختاره الناسوت (في الأصل لا يجوز الفصل وكان هناك انفصال بين اللاهوت والناسوت)، ولا يوجد تناقض مطلقًا بينهما في المشيئة والعمل. يقول السيد المسيح: "طعامي أن أعملَ مشيئةَ الذي أرسلني وأتممَ عمَلَهُ" (يو: 4: 34)، وهنا يعلن أن مشيئة الكلمة المتجسد هي عينها مشيئة الأب. إن البر الكامل الذي عاش فيه السيد المسيح يؤكد على وحدة المشيئة، فهو القائل "من منكم بيكتني على خطية؟" (يو: 8: 46)، وبما أن الخطية هي المشيئة المغايرة والمناقضة لله، فهو بذلك يعلن المشيئة الواحدة.<sup>389</sup>

387 . القديس كيرلس الأسكندري، رسائل القديس كيرلس – الرسالة الخامسة والخمسون لشرح قانون الإيمان (القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 1997)، 36.

388 . القديس كيرلس الإسكندري، المسيح واحد، 123.

389 . البابا شنودة الثالث، 29.

يَا أَبَتَاهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِنَتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتِكَ" (لو22: 42). يري آباء الكنيسة أن تعبير "تجيز" أو "تعبير عني"، لا يعنى أن السيد المسيح إرادته مغايرة للآب، وإنما المقصود أن كأس الألم سوف تجتاز به أو تعبر دون أن يكون لها سلطان عليه. كما يرى القديس أمبروسيو أن ما حدث في جثيمانى، إنما يؤكد أن السيد المسيح حمل جسداً حقيقياً، وإنه جاء نيابة عن البشرية، فجوهر هذه الصلاة هو تصحيح لوضع الإنسان، فعوض العصيان الذي مارسه آدم الأول، جاء آدم الثاني نائباً ليصحح موقفنا بتسليم الإرادة للآب، مع إن إرادته واحدة مع أبيه. يقول القديس أمبروسيو: "لا توجد إرادة للآب تختلف عن إرادة الابن، بل لهما مشيئة واحدة ولاهوت واحد، ومع ذلك تعلم الخضوع"<sup>390</sup>.

### معرفة الابن لليوم والساعة

"أما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب" (مر1: 32)

يتعجب القديس أثناسيوس، من تفكير الأريوسيين، قائلاً: "رب السماء والأرض الذي به خُلقت كل الأشياء، يُطالب بتقديم حساب أمامهم عن اليوم والساعة. والكلمة الذي يعرف كل الأشياء، يهتمونه بأنه جهل اليوم، والابن الذي يعرف الآب يقولون إنه جهل ساعة من ساعات اليوم"<sup>391</sup>.

رد القديس أثناسيوس على الإدعاء السابق في "كتاب ضد الوثنيين"

يقول القديس أثناسيوس: "إن بمواصلة قراءة الفصل يتضح أن ابن الله يعرف تلك الساعة وذلك اليوم، لأنه يشرح للتلاميذ ما يحدث قبل ذلك اليوم قائلاً سيكون هذا وذاك، ثم يأتي المنتهي. فالذى يتكلم عن ما يحدث قبل ذلك اليوم، يعرف بالتأكيد اليوم أيضاً، الذي سوف يأتي بعد كل ما سبق وقد أخبر به".

390 . القمص تادرس يعقوب ملطي، تفسير إنجيل لوقا

391. القديس أثناسيوس الرسولي، ضد الأريوسيين، ترجمة أ. صموئيل كامل عبد السيد ود. نصحي عبد الشهيد (القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2007)، 349.

يقدم القديس أثناسيوس صورة تشبيهية رائعة، فيقول: "مثل إنسان يدل الذين يجهلون مكان منزل أو مدينة، فهو يذكر لهم بالتفصيل الأشياء التي تقابلهم قبل المنزل أو المدينة وبعد أن يشرح لهم كل شيء، يقول ستجدون المنزل أو المدينة مباشرة، فهذا المشير يعرف تمامًا أين يوجد المنزل أو المدينة، لأنه لو لم يعرف نما استطاع أن يشرح لهم ما يجدونه قبلها. وحتى لا يتسبب دون قصد في أن سامعيه يضلون الطريق. هكذا فإن الرب بحديثه عن ما يسبق ذلك اليوم وتلك الساعة فهو يعرف بالضبط، ولا يجهل متى تأتي الساعة ويكون اليوم".<sup>392</sup>

يقول القديس أثناسيوس بمنتهى الوضوح: "والآن فلماذا رغم أنه كان يعرف، لم يخبر تلاميذه بوضوح في ذلك الحين، لا يستطيع أحد أن يفحص ما صمت الرب عنه "لأن من عرف فكر الرب؟ أو من صار له مشيراً؟"

#### يقدم القديس أثناسيوس العديد من الأجابات لهذا التساؤل:

يقول القديس أثناسيوس: "إنه قال هذا مثلما قال الأقوال الأخرى- كإنسان بسبب الجسد، فهذا ليس نقصاً في الكلمة، بل هو بسبب تلك الطبيعة البشرية التي تتصف بعدم المعرفة". يضيف قائلاً: "من الصواب أن ننسب إلى ناسوته كل شيء تكلم به إنسانياً بعد أن تأنس، لأنه من خاصية الكلمة أن يعرف مخلوقاته، وأن لا يجهل بدايتها ونهايتها، وإذ هو يعرف بداية كل شيء ونهايته، فإنه يعرف بالتأكيد النهاية العامة والمشاركة لكل". ثم يضيف قائلاً: "فهو يقول لا أعرف لكي يوضح أنه بينما يعرف لأنه هو الله، فهو يجهل جسدياً، ولذلك لم يقل "ولا ابن الله يعرف" لنلا يبدو أن اللاهوت يجهل، بل قال ببساطة "ولا الابن" لكي تكون عدم المعرفة منسوبة لطبيعة الابن البشرية".<sup>393</sup>

392 . القديس أثناسيوس الرسولي، ضد الأريوسيين، 350.

393 . القديس أثناسيوس الرسولي، 351-352.

يقول القديس أثناسيوس: "وهو في حديثه عن الملائكة أنهم لا يعرفون اليوم ولا الساعة ، لم يواصل ويقول "ولا الروح القدس يعرف"، وذلك لسببين : أولاً، لأنه إن كان الروح يعرف، فبالأولى فإن الكلمة لا بد أن يعرف لأن الكلمة الذي يستمد منه الروح المعرفة، هو بالأولى يعرف. ثانيًا، بصمته عن الروح وقوله "ولا الابن" فهذا إنما يؤكد حديثه عن خدمته البشرية وأنه تكلم إنسانياً". "فالكلمة قال لا أعرف، ليس لأنه لا يعرف، إذ هو يعرف كل شيء ولكن لكي يُظهر الناحية الإنسانية، إذ أن عدم المعرفة خاص بالبشر، وأنه قد أتخذ الجسد الذي جهل، والذي بوجوده فيه قال بحسب الجسد "لا أعرف".<sup>394</sup>

يضيف القديس أثناسيوس، قائلاً: " قال "لا أعرف"، لنلا يسأله أكثر، وعندئذ أما أن يحزن التلاميذ بعدم إجابته لهم، وأما أن يجيبهم لأجلنا حيث إن الكلمة صار جسداً لأجلنا. ولذلك فلأجلنا قال "ولا الابن يعرف"، وهم لم يكن غير صادق بقوله هذا ، لأنه إنسانياً كإنسان قال لا أعرف، ولا سمح للتلاميذ أن يضطروه إلى الكلام، لأنه بقوله لا أعرف قد أوقف تسأولاتهم. ولهذا قال حين صعد "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة ولا الأوقات". وقتها لم يقل لا أعرف، لأن الجسد وقتها قد قام وخلع عنه الموت، وبالتالي لم يعد لانقاً أن يجيبهم حسب الجسد".<sup>395</sup>

يؤكد القديس أثناسيوس: " أنه ليس نافعا للناس أن يعرفوا متى تكون النهاية أو متى يكون يوم النهاية، لنلا عندما يعرفون، يصيرون متهاونين في الفترة المتبقية من الزمن، وينتظرون فقط الأيام التي قرب النهاية فقط". "لذلك بسبب المنفعة التي تأتي من عدم المعرفة، قال هذا".

يتسأل القديس أثناسيوس على نفس القياس: " هل الله عندما سأل أذا "أين أنت؟"، وعندما "سأل قايين "أين هابيل أخوك؟، هل كان لا يعلم.<sup>396</sup>

394 . القديس أثناسيوس الرسولي، 352-353.

395 . القديس أثناسيوس الرسولي، 353-354.

396 . القديس أثناسيوس الرسولي، 355.

"سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى

الآبِ لِأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي" (يو: 14: 28)

يشكك البعض في ألوهة السيد المسيح بسبب تصريح رب المجد "أبي أعظم مني"، هو التصريح

نذي استخدمه آريوس لاثبات إدعاءه أن الابن أقل من الأب.

### رد البابا كيرلس عمود الدين على هذا الفكر

يقول البابا كيرلس شارحاً تصريح رب المجد: "لم يكن له أن يستمر لوقت طويل في شكل البشرية

نذي أتخذه لأجل منفعتنا نحن بسبب محبته لنا، ولكنه كان لازماً، أنه بعد أن يكون أكمل تدبير خلاصنا، أن

يصعد إلى مجده الذاتي، وأن يعود بالجسد الذي أتخذه لأجلنا، إلى المجد الذي له مع الأب بالتساوي". ثم

يستكمل قائلاً: "لقد أكمل سر فدائنا، فإنه صعد إلى الأب في السماء، وبعد أن انتهى زمن تنازله إلى وضاعتنا،

واكتملت فترة تواضعه الإرادي في حالتنا البشرية، فإنه أظهر نفسه إنه إله حقيقي أمام القوات العلوية، لأن

السماء لم ترفض رب الكل حينما صعد، بل أعطى الأمر لحراس الأبواب العلوية أن رب القوات يقترب من

الأبواب، رغم أنه كان لابساً ثوب الجسد، والروح القدس يشير إلى فتح الأبواب حينما قال: "ارفعي رؤوسك

أينها الأبواب، وارتفعي أيتها المداخل الأبدية. فيدخل ملك المجد." (مز: 24: 7 الأخبار السارة). يضيف البابا

كيرلس: "التجسد لم يكن لفائدة الابن، بل بالحري صعوده إلى أبيه، لكي يستعيد مجده وقوته وكرامته الإلهية

في نظر الكل، ولا يكون محجوباً بعد".<sup>397</sup>

يستكمل القديس كيرلس شرحه لسبب تصريح رب المجد، قائلاً: "هو يقول أن الأب أعظم، بسبب إنه

كان لا يزال معنا على الأرض في صورة الإنسان، لأنه عندما كان لا يزال لابساً صورة عبد، لم يكن قد أتى

الوقت بعد لكي يعود إلى مجده، فإنه يدعو الله الأب أعظم منه، "فالآب أعظم"، حيث أن الابن كان لا يزال

يخدم كعبد في العالم. لأننا إن كنا نؤمن أنه أدل ووضع نفسه، ألا يكون واضحاً للجميع أنه نزل من العلو إلى

397 . القديس كيرلس الأسكندري، شرح إنجيل يوحنا- المجلد الثاني، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد(القاهرة: المركز

الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2012)، 236-237.

الانخفاض، أما الآب فلم يتعرض إلى أي شيء من هذا، وظل مقيمًا حيث كان منذ البدء، إذًا الآب أعظم من ذلك الذي إختار النزول والانخفاض بتدبيره الخاص، وبقي في هذه الحالة إلى أن رجع إلى وضعه الأصلي، أقصد مجده الطبيعي الخاص به الذي كان له منذ البدء".<sup>398</sup>

رد البابا كيرلس على إدعاء أريوس بإضافة منطوية، وذلك حين سأله: "من أي نقطة بداية يُمكن أن تتطلق المقارنات بين الأشياء التي هي من نفس المستوى؟"، يجيب البابا كيرلس: "كل الأشياء التي من نفس النوع في الخصائص الجوهرية، هي متماثلة تمامًا، ولكن الاختلاف يكون في تلك الخصائص الإضافية التي إما أن تكون متأصلة فيها، أو التي تكون خارج طبيعتها. فالأشياء التي هي من نفس الطبيعة فقط، هي التي تسمح بالمقارنة بطريقة صائبة، فالإنسان يقارن بإنسان، والحصان بحصان، لماذا حينما يُقارن الابن مع الله الآب على أساس أنه من نفس المستوى، ينسب له أنه أقل من الآب، وأين ستجد هذه القلة؟ حينما يكون نفس التعريف الواحد لجوهرهما، هو لهما معًا لأنهما من نفس المستوى".<sup>399</sup>

يؤكد القديس كيرلس ما سبق أن شرحه، قائلاً: "لا يختلف إنسان عن إنسان آخر في صفته الجوهرية كإنسان، ولكن هناك إنسان تقي وآخر شرير، وإنسان ضعيف وآخر بصحة جيدة وقوي، وإنسان فاسد وآخر صالح، ولكن حين نفحص تلك الاختلافات فإننا لن نرجعها إلى جوهرها المشترك، بل بالحري إلى وجود أمراض في العقل أو الجسم". ثم يشرح القديس كيرلس أن "ما يُصيب الكائنات المخلوقة لا يُمكن أن ينطبق على الجوهر الإلهي الذي لا يُمكن أن يصيبه نقص"، يؤكد القديس كيرلس: "لكون الابن من نفس المستوى الخاص بالإله الحي، فهو يظهر نفسه أيضًا أنه بالطبيعة الله- لأنه يُقارن بالآب: "ولا يوجد ما يمنعه من أن تكون له نفس حالة أبيه- فكيف يكون أقل؟".<sup>400</sup>

398 . القديس كيرلس الأسكندري، شرح إنجيل يوحنا- المجلد الثاني، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، 238-239.

399 . القديس كيرلس الاسكندري، 242.

400 . القديس كيرلس الأسكندري، 243-244.

## الكتاب المقدس

إن الكتاب المقدس هو كلمة الله الصادقة: "قَدَسْتُهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلَامَكَ هُوَ حَقٌّ" (يو 17:17). وهو

إعلان الله ودليل محبته، وهو يعتبر السلطة العليا لكل المسائل المتعلقة بالإيمان والدين والاخلاقيات، بالتالي يجب أن نقدره، وندرسه، ونطيعه.

يُعلن الكتاب المقدس بأنه هو كلمة الله الموحى بها، وأنه كافي للتعليم والتوجيه في كل أمور الحياة

"كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَىٰ بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّنَادِيْبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ" (2تي3:16)

وبالتالي فالكتاب يعلن من ذاته عن تلك الحقيقة ، كما يوجد أدلة أخرى تؤكد مصدره الإلهي.

### معايير مصداقية الكتاب المقدس

أحد تلك الأدلة الهامة هي وحدة الكتاب: فالكتاب المقدس 73 سفر وكتب على مدار 1500 عام في

ثلاث قارات وعلى يد أربعين كاتب وبن ثلاث لغات، وتحت ظروف مختلفة، وكتب لأغراض مختلفة، ومع ذلك

ما زال وحدة واحدة من البداية للنهاية، بدون وجود أي تناقضات، ويدور حول مشكلة واحدة وهي الخطية:

"بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي اخَذْتَ مِنْهَا. لِأَنَّكَ تُرَابٌ وَآلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (تك3:19)،

وله موضوع واحد وهو خلاص الله للبشر: "وَأَنَّكَ مِنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحْكِمَكَ

لِلْخَلَاصِ، بِالْإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (2تي 3:15) ويدور حول شخص واحد هو شخص السيد

المسيح: "ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَىٰ وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الْأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ" (لو 24:27)،

وله هدف واحد هو تمجيد الله: "فَأَفْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللَّهِ" (1 كو 10:31).<sup>401</sup>

### النبوات كأهم معيار لمصادقية الكتاب المقدس

من الأدلة الهامة جدا التي تؤكد مصادقية الكتاب المقدس هي النبوات العديدة التي يحتويها الكتاب المقدس والمدونة تفصيليًا، سواء المتعلقة بمستقبل بعض الأمم أو بعض المدن مثل (صور و صيدا)، أو بمستقبل البشرية، أو النبوات المسيانية التي تخص مجيئ المسيح المنتظر ليفدى ليس إسرائيل فقط بل البشرية كلها (أكثر من 300 نبوة)، كلها كتبت كحقائق وحدثها لا يعطى مجال لتفسير ذلك بعيدًا عن الإيمان بأن الله هو مصدر تلك النبوات، لأنه هو وحده الإله الحقيقي هو القادر أن يُتنبأ بالمستقبل، إذ الأمور كلها حاضرة أمامه. 402

لو افترضنا أن أحدهم قال نبوة بسيطة مباشرة عن حدث ثم تحقق، سيكون أمر رائع لأنه حدث بالصدفة، ولكن أغلب النبوات التي جاءت في الكتاب المقدس، وخاصة تلك التي تنبأت عن حياة رب المجد يسوع لم تكن بسيطة، ولكنها كانت في غاية التعقيد لأنها مركبة من أكثر من حدث متتالي أو بها علامة أو رمز، وهو ما يعرف بمستويات النبوات. أن تحقق النبوات بمستوياتها يوفر دليل لا يقبل الشك فيه على مصادقية الكتاب المقدس.

النبوة هي إعلان نابع من وحي إلهي يعلن مقاصد الله سواء عن طريق توبيخ أو مواساة، ويكشف عن أشياء حقيقية وأحداث مقبلة لم تحدث بعد، وكل تلك النبوات لم تكن بلا هدف، بل دائمًا يوجد فائدة روحية من كل نبوة.

فقرى الكتاب يصف أحداث، أو أماكن و دول، أو أشخاص في المستقبل، مثل النبوة عن اسم كورش الملك في سفر إشعياء: "أَلْقَانِلُ عَنْ كُورَشَ: رَاعِيَّ فَكُلَّ مَسَرَّتِي يَنْجُمُ. وَيَقُولُ عَنْ أورشليم: سَنُبْنِي وَلِلْهَيْكَلِ: سَتُسُوسَّ" (إش: 44: 28)، و النبوة عن عدم بناء أريحا وغيرها. بالإضافة إلى نبوات عن رب المجد يسوع. وأيضا النبوات عن الايام الاخيرة في سفر الرؤيا.

وضع إشعياء النبي معيارًا هامًا للمصادقية وهو الكشف عن أحداث المستقبل كبرهان للألوهية الحقيقية، ومن ثم من يُخبر بالمستقبل يكون هو الإله وحده، وهذا ما تحقق في الكتاب المقدس "قَدِّمُوا دَعْوَاكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ. أَحْضِرُوا حُجَجَكُمْ يَقُولُ مَلِكُ يَفْعُوبَ. لِيَقْدِّمُوا وَيُخْبِرُونَا بِمَا سَيَعْرِضُ. مَا هِيَ الْأَوْلِيَّاتُ؟ أَخْبِرُوا فَنَجْعَلْ عَلَيْهَا قُلُوبَنَا وَنَعْرِفَ آخِرَتَهَا أَوْ أَعْلِمُونَا الْمُسْتَقْبَلَاتِ. أَخْبِرُوا بِالْآيَاتِ فِيمَا بَعْدُ فَنَعْرِفَ أَنَّكُمْ آلَهُةٌ وَأَفْعَلُوا خَيْرًا أَوْ شَرًّا فَتَلْتَفِتُ وَتَنْظُرُ مَعًا. هَا أَنْتُمْ مِنْ لَأ شَيْءٍ وَعَمَلُكُمْ مِنَ الْعَدَمِ. رَجَسٌ هُوَ الَّذِي يُخْتَارُكُمْ" (أش 41: 21-23). جدير بالذكر أن الكتاب المقدس ينفرد، دون أي كتاب آخر على الأرض، بما فيه من نبوات تحققت، مما يؤكد المصدر الإلهي، فوحده الإله الخالق الذي علمه غير محدود والذي المستقبل حاضر أمامه كل حين، هو القادر على إخبار انبيائه بتلك النبوات عن طريق الوحي الإلهي ليسجلوها وتكون شاهدة على قدرته وعلى صحة كلمته وكتابه المقدس. إن النبوة وتحقيقها يدعم مصداقية الكتاب المقدس، فتحقق النبوة هو دليل على ختمها الإلهي وبرهان مصدرها وبالتالي هي برهان الألوهة الحقيقية.

حينما نقرأ نبوات الانبياء، يلفت انتباهنا كثيرًا عنصر الزمن، فزاهم يتناقلون الماضي ويتحدثون عن الحاضر ويتنبأون عن المستقبل. فقد كانت كلماتهم تتجول في صفحات الزمن ذهابًا وإيابًا، وهذا لأنهم أنبياء الله سيد التاريخ ومالكة. فقد تناول الأنبياء أحداث الماضي بغرض تحليله للاستفادة منه ولتذكر عمل الله مع الشعب، أما الحديث عن الحاضر، فقد كان بغرض تذكير الشعب بالعهد الذي قطعوه مع الله وضرورة الحفاظ على أمانتهم تجاه هذا العهد، ولذلك فقد كان للأنبياء رسالة مزدوجة وهي: إعلان اللعنات والعقوبات لمن يخالف العهد، وإعلان البركات لمن يسير في الطريق ملتزمًا بالوصايا الإلهية حافظًا للعهود.

أما بالنسبة للمستقبل، فقد كانت نبوة الأنبياء بمثابة إعلان عن الله ذاته، وهذا الإعلان أمتاز بالطابع المتدرج الذي وصل لكماله في شخص المسيح. لم يكن حديث الأنبياء عن المستقبل يهدف إلى الاستعراض أو

إثبات القدرات الروحية الخارقة، بل كان عملاً إلهياً خالصاً وله أهداف محددة، أهمها تأييد النبي في عمله،

إعلان نتائج الحاضر على حسب حالة الشعب، تأكيد نبوات أخري، الكشف عن المسيا المنتظر.<sup>403</sup>

السيد المسيح هو أساس نبوات العهد القديم القديم، وموضوعها الرئيسي، كما أنه هو مفتاح فهم العهد

القديم بأكمله، ولولاه لبقينا حائرين أمام كثير من نصوص العهد القديم، يقول الحاخام Auginew Rosilly،

الذي أمن بالسيد المسيح: "لقد بدا لي العهد القديم كبرقية مشفرة، مرسله إلى البشر. أما الآن فصاعداً فإن هذه

الشفرة هي المسيح الذي في ضوئه، تأخذ النصوص المسيانية التي يُغص بها العهد القديم معناها. فمع المسيح

ينتشع الغمام وتوضع النقاط فوق الحروف "أَنْكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي لِأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ

عَنِّي" (يو 5:46).<sup>404</sup>

فالنبوة ليست نوع من التنجيم عن المستقبل، لأنها لا تعتمد على إجتهدات بشرية، بل هي صادرة

بعمل وقوة الروح القدس الناطق في الأنبياء. "عالمين هذا أولاً: أَنْ كُلَّ نُبُوءَةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرِ خَاصٍ.

"لِأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوءَةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أَنَا اللهُ الْفَدَيْسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْفُدْسِ. (2 بط 1:20-21).

"كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْفَدَيْسِينَ الَّذِينَ هُمْ مِنْذُ الدَّهْرِ" (لو 1:70).

أما العرافين فهم يدعون التنبؤ بالغيب في أي موضوع بلا قيد أو شرط وعلى حسب رغبة السائل.

وهذا عكس النبوة التي يكون محورها وموضوعها الرئيسي: عمل الله مع شعبه والإنبياء عن تاريخ الفداء.

"فَقَالَ الرَّبُّ لِي: بِالْكَذِبِ يَتَنَبَّأُ الْإِنْبِيَاءُ بِاسْمِي. لَمْ أَرْسَلْهُمْ، وَلَا أَمَرْتُهُمْ، وَلَا كَلَّمْتُهُمْ. بِرُؤْيَا كَاذِبَةٍ وَعِرَافَةٍ وَبَاطِلٍ

وَمَكْرٍ قُلُوبِهِمْ هُمْ يَتَنَبَّأُونَ كُمْ" (إر 14:14). "وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْعِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلَامًا لَمْ أَوْصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ إِلَهٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ. وَإِنْ قُلْتِ فِي قَلْبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الْكَلَامَ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ

403 . الشماس مراد مجدي يواقيم، رحلة مع النبوة والأنبياء في الكتاب المقدس (كنيسة القديس العظيم مار جرجس

بسبورتنج، 2012)، 19-20.

404 . القمص روفائيل البراموسي، أما إسرائيل فلا يعرف، 16.

الرَّبُّ؟ "فَمَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَخْذُتْ وَلَمْ يَصِرْ، فَهُوَ الْكَلَامُ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ، بَلْ يَطُغِيَانِ تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ، فَلَا تَخَفْ مِنْهُ." (تث 18: 20-22).<sup>405</sup>

النبوة هي وحي من الله، تكشف أمورًا مستقبلية ستحدث في الزمان المعين لها. في اللغة العربية فعل "أنبأ"، يعني "أخبر" أو "أعلم"، ولذلك فالنبي هو المخبر عن الغيب أو المستقبل بإلهام من الله، فهو المخبر عن الله. وهو صوت صارخ يهیی لله الطريق، يرى ما لا يراه الناس، لأنه ينظر إلى الأمور بعين مفتوحة. فالله هو من يختار نبيه، يدعوه ويرسله.<sup>406</sup>

ترتبط النبوات بمفهوم الوحي، فما هو مفهوم الوحي في المسيحية؟

تعبير "موحي به"، في الأصل اليوناني (θεόπνευστος)، ويعنى "الذى يُتنفس من الله"، وبالتالي فإن الوحي الإلهي: هو "أنفاس الله"، فالكتاب المقدس هو نسمة من الله نفخها في قلوب كتّاب الوحي. فيعبر قاموس وبستر عن "الوحي" قائلًا: "هو تأثير روح الله الفائق للطبيعة على الفكر البشرى، وبه تأهل الأنبياء والرسل والكتبة المقدسون لأن يقدموا الحق الإلهي بدون مزيج من الخطأ"، و أيضًا قاموس شامبرز: "إنه التأثير الإلهي الذي بواسطته أرشد الله كتبة الكتاب المقدس القديسون".<sup>407</sup>

هناك ثلاث مصطلحات تترجم بالعربية إلى "الوحي": (1) revelation، وهو يشير إلى إظهار الله وإعلانه عن نفسه للإنسان (سواء في رؤيا، أو حلم، أو أي طريق). (2) inspiration، هو وحي الكتاب المقدس، حيث إن الكتاب المقدس هو كلمة الله التي أوحى بها لرجالها القديسين، فدونوه، أي أن كانت الطريقة أو الوسيلة. (3) illumination، وهي عمل الروح القدس بداخل كل إنسان، ليرشده ويقوده أثناء قراءة الكتاب

405. جرجس إبراهيم صالح، النبوة والأنبياء في العهد القديم، 5.

406. القمص روفائيل البراموسي، أما إسرائيل فلا يعرف، 15.

407. حلمي القمص يعقوب، أسئلة حول صحة الكتاب المقدس، خرافة إنجيل برنابا، 5.

المقدس للوصول إلى المعنى الصحيح للنص. الثلاثة يتفقون على وجود إتصال مباشر وحقيقي بين الله والإنسان. 408

**تختلف نظريات الوحي، فهناك:**

**أولاً: النظرة الطبيعية،** وهنا الوحي مجرد إلهام طبيعي لعقل الكاتب، وبالتالي هو عمل بشري، دون أي تدخل إلهي. أهم الاعتراضات على هذه النظرية هي أنها تلغي وجود الله ودوره، فهي نظرية وجودية وقد نادى بها بعض من أعجبوا بالكتاب المقدس رغم أنهم لا يؤمنون بوجود الله.

**ثانياً: النظرة الأملانية،** وفيها الله يملئ على الكاتب كل حرف وكل كلمة، متجاهلاً شخصية الكاتب الذي تحول إلى آلة كاتبة. المشكلة الأساسية لهذه النظرية أنها تفترض أن الوحي حرفي فيصبح فقد أي حرف منه تحريفاً، كما أن الانسان وفقّ لهذه النظرة يكون مثل الآلة الكاتبة فقط وهذا يخلق العديد من المشاكل الفرعية والثانوية، مثل: (أ) أن الإله لا يعنيه الانسان لأن الانسان في نظره ما هو الا مجرد آلة، هذا غير لائق بأي إله ولكنه لائق فقط بالشياطين لأن أسلوب الشياطين أن تفقد الإنسان دوره وشخصيته. (ب) كما أن هذه النظرية تجعل الإله محدود في لغة واحدة فقط فكيف بعد ذلك أن يفترض أن هذا الإله هو إله لجميع البشرية إن كان هو يتكلم بلغة واحدة فقط؟ وهذا ينقلنا الى أنه من لمفترض أن لغة هذا الإله تعتبر أفضل لغة ولكن كيف نشاهد هذه اللغة وهي ما تزال تتطور في نطقها وكتابتها؟

**ثالثاً: النظرة الموضوعية،** وفيها الله يُلهم فقط الموضوع ويترك للكاتب الحرية التامة في التعبير دون أدنى تدخل. ومشكلة هذه النظرية أنها تفترض أن الكلام في الكتاب المقدس هو كلام بشري، وهذا يقلل من أهميته. كما أن هذه النظرية تنادي بأن المعاني لمقدمة غير مهمة ولكن الفكرة فقط هي الهامة، كما أنها تلغي أي أهمية للرموز لكونها من تأليف البشر. وكذلك تلغي أهمية النبوات، لان أصل نصها من البشر. وهذه

408 . فادي إلكساندر، "اللاهوت الكتاب المقدس (الوحي - العصمة)"، موقع اللاهوت الدفاعي، تاريخ الإقتباس:

أبريل 2024.

نظرية قديمة، والقائلين بها هم من الذين أصيبوا بالاهتزاز نتيجة تعرضهم لبعض الأفكار التشكيكية ولذلك عتقدوا بوجود تناقضات في الكتاب المقدس وكانوا لا يعرفون حلا لها أو توهموا عدم الدقة العلمية أو تاريخية في موضع ما من الكتاب، مثلما حدث عقب ظهور نظرية داروين . . . وغيره.

**رابعاً: النظرة الجزئية،** وهي تنص على أن بعض الأجزاء موحى بها مثل الوصايا، أما الأمور الأخرى فهي غير موحى بها. وخطأ هذه النظرية يتضح ويظهر في الآتي: ما هي الكيفية التي يتم بها على التعرف أن هذا الجزء يمكن تصنيفه تحت أي نوع أو قسم؟ ما هو القسم أو النوع الهام؟ وما هو الأقل أهمية؟ وما هو ما لا يمكن اعتباره وحي كامل أو أنه ليس وحي على الإطلاق؟ وكيف يسمح الله أن كلامه يذوب وسط الأفكار البشرية؟ وكيف يقبل العقل أن كلام الله درجات؟ إن هذه النظرة تعطي سلطة للإنسان على كلمة الله، فهو من يصنفها وفقاً لآراءه، التي قد تخلف من شخص لآخر ومن هيئة لآخرى.

**خامساً: النظرة الروحية،** والوحي فيها قاصر على الأمور الروحية، أما الأمور التاريخية أو العلمية فهي غير موحى بها وقد تكون قصص خيالية فُصد بها منفعة روحية. وأخطاء هذه النظرية تتمثل فيما يلي: تنمي الشكوك تجاه تاريخية ومصداقية أي قصة من قصص الكتاب، على الرغم من أن الكثير من الأمور الروحية تعتمد في أساسها على قصص تاريخية، مثل قضية الخلاص. كما أن الاعتقاد بهذه النظرية يجعل الذي يقرأ الكتاب يقبل جزء ويفرض جزء آخر تبعاً لأهوائه أو كما يظنوا له!<sup>409</sup>.

**أما بالنسبة لمفهوم الوحي في المسيحية،** فهو يختلف عن كل ما سبق، حيث يختار الله بعض أتقيائه القديسين ويحرك قلوبهم للكتابة مع احتفاظ كل كاتب بأسلوبه ومفرداته، وفي كل هذا يعصمهم ويحفظهم من الخطأ، ويعلمهم بما خفي عنهم. الوحي لا يتقيد بلغة معينة وإنما يستخدم لغة شعب الله في وقت الكتابة. يقول الأنبا أثناسيوس المنتيخ مطران بنى سويف والبهنسا: "الوحي طاقة وليس شكلاً ويمكننا أن نُشبهه بالتيار الكهربائي الذي يسرى في الأسلاك وإن كانت العيون لا تراه إلا في ضوء المصباح. الوحي هو الطاقة وليس

409. ماجد غالى، "مقدمة علم اللاهوت الدفاعي الجزء الرابع"، موقع هولى بايبل، تاريخ الإقتباس: فبراير 2025.

<https://www.drghaly.com/articles/display/12021>

المصباح المحدد الشك، الوحي قوة تملأ فكر وحس الرسول فينطق به بلغة البشر، والروح إذ يضبط الرسول في التعبير ويحفظه من الخطأ ويعصمه من الدلل، فتأتى التعبيرات في لغة البشر ولكن الروح هو القوة الفعالة فيها".<sup>410</sup>

كلمة "مسوقين"، تستخدم في الحديث عن إمتلاء الشراع بالرياح، وتوجيه السفينة في الماء. فعندما كان البشر (كُتَّاب الوحي) يضعون القلم على الورقة، كان الروح القدس "يسوقهم" حتى يكتبوا الكلمات التي تنسم بها الله، ولهذا فإنه مع كون الكتابات تحمل بصمة الكاتب (فقد استخدم بولس الرسول أسلوبًا يختلف من يعقوب أو بطرس أو يوحنا)، إلا أن الكلمات جاءت كما أراد الروح أن يكتبوا . وفقًا لهذا المفهوم فالله هو النبع الأساسي والمصدر، فهو المحرك، فالمساق ليس هو مصدر التحريك.<sup>411</sup>

ان حقيقة كون الله قد "أوحى" بالكلمة المقدسة، فهذا يؤكد عصمة الكتاب المقدس، لأن الله لا يمكن أن يوحى بخطأ. بالطبع عصمة الكتاب تنطبق فقط على المخطوطات في لغتها الأصلية، أما أخطاء الترجمة أو أخطاء النسخ، فهي أخطاء البشر. إن فهم طبيعة الوحي في المسيحية أمرًا هامًا جدًا للعمل الدفاعي، أولاً لأنه يُعطي ثقة للمُدافع في الرد على أي إدعاءات أو شبهات تخص عصمة الكتاب المقدس، كما أنها تعطيه فهمًا لسبب تباين أساليب الكتاب المقدس الأدبية. ثانيًا: تحصنه من أي خطأ في الرد على الشبهات، بالإنجراف إلى إحدى النظريات التي سبق الإشارة إليها.

#### قانونية أسفار الكتاب المقدس (العهد الجديد):

أشتقت كلمة قانونية الأسفار من الكلمة اليونانية (kanon-canon) والتي تعنى "عصا أو قضيب القياس"، وفي الإنجليزية (cane) والعبرية (kaneh)، وقد استخدم العلامة أوريجينوس، أحد معلمي الكنيسة

410 . حلمي القمص يعقوب، 10.

411. موقع Got questions، "مقالة ما هي النظريات المختلفة حول نظريات الوحي؟"، تاريخ الإقتباس : فبراير

في القرن الثالث، هذه الكلمة في الإشارة إلى المعيار الذي نقيم به الأسفار، ثم أصبح هذا المصطلح يعنى قائمة  
 و فهرس بالكتب المقبولة رسمياً و كنسياً.<sup>412</sup>

من المهم جدا التأكيد على إن الكنيسة لم تقرر الأسفار المقدسة، أي أن تلك الأسفار لم تكتسب  
 قنيتها بناء على قرار الكنيسة، ولكن الكنيسة قبلت تلك الأسفار لأنها هي بالفعل كلمة الله، فالكنيسة  
 'بركت أو اكتشفت وقبلت الأسفار المقدسة الموحى بها من البداية لأن هذا ما تم تسلمه شفاهياً من قبل.  
 وكان لهذا القبول الذي سُمي بعد ذلك بالقانونية، أسبابه ومبرراته، ومنها:

**أولاً:** رسوليته الرسل (شهود العيان)، فقد كتبت هذه الأسفار ودونها بالروح القدس تلاميذ السيد  
 المسيح ورسله وشهوده الذين سلموا للكنيسة نفس ما بشروا به من قبل شفاهياً، حين كانوا مؤيدين بالعجائب  
 والمعجزات التي تدل على عمل الروح القدس فيهم وكلامه على لسانهم، كما يقول الكتاب "شَاهِدًا اللَّهُ مَعَهُمْ  
 بَيَّاتٍ وَعَجَائِبٍ وَقَوَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (عب2:4).

**ثانياً:** التقليد الرسولي المسلم من رسل المسيح، فقد كان الذين قبلوا هذه الأسفار في البداية هم  
 أنفسهم الذين تسلموا ما جاء فيها من قبل، كما يقول الكتاب "الَّذِينَ تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضًا"  
 (1كو11:23)، "وَمَا تَعَلَّمْتُمُوهُ، وَتَسَلَّمْتُمُوهُ، وَسَمِعْتُمُوهُ، وَرَأَيْتُمُوهُ فِيَّ، فَهَذَا افْعَلُوا" (في4:9).

**ثالثاً:** تسليم الأسفار للكنيسة الأولى، فقد كان الذين استلموا هذه الأسفار وقبلوها هم الذين طلبوا من  
 الرسل أن يدونوا لهم ما سبق أن تسلموه شفاهاً، ومن ثم فقد دونت بالروح القدس لهم وأمامهم وبمعرفتهم ومن  
 ثم قبلوها بكل قداسة ووقار ككلمة الله الموحى بها من الروح القدس.<sup>413</sup>

412 . جوش ماكديول، 68.

413 . القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير، الإنجيل كيف كتب؟ وكيف وصل إلينا؟ (القاهرة : كنيسة السيد العذراء  
 الأثرية بمسطرد، 2010)، 23.

لقد طلب المسيحيون الأوائل من الآباء الرسل تدوين الأسفار المقدسة بناء على احتياجات الكنيسة الأولى، حيث كانت الكنائس في حاجة إلى معرفة الأسفار التي تستخدمها في العبادة و القراءة، وأيضًا في التبشير، كما كان لظهور بعض المشكلات، أهمية لتحديد الأسفار ذات السلطان الإلهي التي يمكن الرجوع إليها. و أيضًا ظهور الهرطقة في وقت مبكر جدًا، فقد وضع ماركيون الهرطوقي 140م ، قائمة خاصة به للأسفار القانونية وبدأ في الترويج لها، وبالتالي كانت الكنيسة في حاجة إلى تحديد الأسفار المقدسة لمواجهة تعاليمه. وأيضًا كان للإضطهاد الذي واجهته الكنيسة واستشهاد الرسل، دور كبير في تحديد قانونية الأسفار وجمعها.<sup>414</sup>

#### الأدلة على قانونية أسفار العهد الجديد:

أولاً: الآباء الرسوليون (تلاميذ الرسل وخلفاؤهم)، استشهدوا بآيات من الأسفار القانونية في كرازتهم وعظاتهم وتعليمهم، وكتاباتهم تشهد لنا عما تسلموه من الرسل وما تعلموه وعلموه من عقائد. وكان على رأس هؤلاء (القديس إكلمنس الروماني (30-110م) والقديس أغناطيوس (30-107م) والقديس بوليكاربوس (55-165م) ، فقد تركوا لنا أعمالاً مكتوبة ظلت ومازالت تشهد للأجيال لصحة وقانونية الكتاب المقدس (العهد الجديد).<sup>415</sup>

#### ثانيًا: إن الوثائق التي تشهد لقانونية الأسفار المقدس كثيرة ، فعلى سبيل المثال:

(1) قائمة قانون موراتوري: وجدت هذه الوثيقة في المكتبة الأمبروسية بميلان سنة 1740 م ونشرها العالم الايطالي موراتوري، فدعيت باسمه. وترجع نصوص هذه المخطوطة، التي كُتبت اصلا باليونانية، كما تؤكد هي نفسها، إلى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، وتؤكد لنا هذه الوثيقة ثلاث حقائق جوهرية هي: (1) إيمان الكنيسة في القرن الثاني للميلاد بوحى أسفار العهد الجديد، السبعة والعشرين، وكتابتها وتدوينها

414 . جوش ماكديول، 66-68.

415. القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير، 26

تروح القدس.2) وأنها، وحدها، أسفار مقدسة وذات سلطان إلهي.3) كما تميز تمامًا بين هذه الأسفار المقدسة وبين الكتب المزيفة التي قالت عنها أنه "لا يمكن أن تقبل (الكتب الأبوكريفية، المزيفة) في الكنيسة الجامعة.

لأنه لن يُخلط الخل مع العسل"416

2) كما قدم البابا أثناسيوس في رسالته الفصحية للكنائس (267 م) قائمة لأسفار العهد الجديد، وهي

صُنق تمامًا أسفار العهد الجديد التي بين أيدينا ، فيقول :

"لا اكل أن أتحدث إليكم عن أسفار العهد الجديد وهي الأنجيل الأربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا . ثم سفر أعمال الرسل والرسائل (أو الأسفار الجامعة) وهي سبعة: واحدة ليعقوب واثنان لبطرس وثلاثة ليوحنا وواحدة ليهوذا. وهناك أيضا أربع عشر رسالة لبولس مرتبة على النحو التالي: الأولى إلى رومية واثنان إلى كورنثوس وواحدة إلى غلاطية وواحدة إلى أفسس وواحدة إلى كولوسي واثنان إلى تسالونيكى وواحدة إلى عبرانيين واثنان إلى تيموثاوس و واحدة إلى تيطس وأخيرًا واحدة إلى فليمون، ويضاف إلى ما سبق رؤيا يوحنا".<sup>417</sup>

ثالثًا: هذا بالإضافة إلى كتابات الآباء، مثل القديس جيروم والقديس أغسطينوس الذان حددا

أسفار القانونية للعهد الجديد التي تضم سبعة وعشرون سفرًا، وقبلهم يوستينيوس الشهيد (100-165 م) في

حواره مع تريفون، وأيضًا القديس إيريناؤس (180م)، بالإضافة إلى العلامة ترنتيان (145-220م)، الذي

قتبس من كل أسفار العهد الجديد واستشهد بأكثر من 7000 (سبعة آلاف) اقتباس، و أيضًا العلامة

وريجينيوس (185-245م)، الذي فسر الكثير من الأسفار المقدسة، وأيضًا القانون المدعو الجلاسياني: وجاء

في القانون المدعو بالجلاسياني والمنسوب للبابا جلاسيوس الخامس (496م) قائمة بأسفار العهد الجديد

لقانونية السبعة والعشرين القانونية كما تسلمتها الكنيسة من الرسل، بالإضافة إلى المجامع المقدسة.<sup>418</sup>

416. القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير، 28.

417 . جوش ماكديول، 68.

418 . القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير، 28.

### الأبوكريفا (الأسفار المنحولة):

أما بالنسبة للأسفار غير القانونية من العهد الجديد، والتي قد رفضتها الكنيسة و المسماة بالأبوكريفا (الخفية، الغامضة)، فقد رفضتها الكنيسة حيث أنها لم يأت ذكرها في أي مجمع كنسى أو قائمة رئيسية للأسفار المقدسة الموحى بها في العهد الجديد، كما إنها لم تتسم بالصفة القانونية الكاملة للأسفار المقدسة وبالتالي لم تلق أي قبول.<sup>419</sup>

كلمة "أبوكريفا" ἀπόκριφα, ἀποκρυφα كلمة يونانية تعني "خفي، غامض، مبهم، عويص". وكان اليونانيون القدماء هم أول الذين استخدموها حيث كان عندهم نوعان من المعرفة: النوع الأول يشمل عقائد وطقوساً عامة لكل الناس، أما النوع الثاني فكان يشمل عقائد وطقوساً غامضة عويصة لا يفهمها إلا فئة متميزة خاصة، ولذلك بقيت "مخفية" عن العامة، بالتالي أُطلق عليها "الأبوكريفا أي التعاليم المخفية". ثم أُطلقت كلمة "أبوكريفا" في العصور المسيحية على بعض الكتابات غير القانونية في العهد القديم (يطلق عليها الكتابات المزيفة، لأن كتابها نسبوا للأباء البطاركة الذين لا يمكن أن يكونوا قد كتبوها مثل سفر أخنوخ)، وكذلك في العهد الجديد (كتابات ترتبط بالغنوسية والأبيونية). وبصفة عامة ارتبطت تعبير "أبوكريفا" بالكتابات المزيفة أو المنحولة (تُنسب لأشخاص لم يكتبوها) التي لا يمكن أن يكون الرسل وتلاميذ السيد المسيح قد كتبوها، وبالتالي فالكنيسة ترفضها وتقر عدم قانونيتها، وبالتالي فهي كتابات ولدت ميتة وأستمرت مرفوضة من الكنيسة.<sup>420</sup>

هذه الكتب الأبوكريفية كُتبت، في معظمها، بعد انتقال الرسل من العالم بحوالي مئة سنة، وإن كانت تنسب أسمائها للرسل، كمحاولة لإعطائها مصداقية. فقد كتبت جميعها فيما بين 150 و450م، ولا يعتبر أي

419. جوش ماكديويل، 70.

420. القمص عبد المسيح بسيط ابو الخير، أبوكريفا العهد الجديد، كيف كُتبت؟ ولما رفضتها الكنيسة؟ ( القاهرة: كنيسة العذراء الأثرية بمسطرد، 2007)، 49-50.

كُتِبَ قانونيًا إلا إذا كان قد تم تسليمه من الرسل أنفسهم، وكانت قد قيلته كل الكنائس من الرسل وليس من غيرهم. وهذا بالطبع لم يحدث.

يقول يوسابيوس القيصري المؤرخ الكنسي: "إننا نرى أنفسنا مضطرين لتقديم هذه القائمة لنتمكن من معرفة كل هذه الأسفار وتلك التي يتحدث عنها الهرطقة تحت اسم الرسل، والتي تشمل أناجيل بطرس وتوما ومتياس وخلافهم، وأعمال اندرواس ويوحنا وسائر الرسل، هذه التي لم يحسب أي واحد من كُتَّاب الكنيسة أنها تستحق الإشارة إليها في كتاباتهم" ثم يضيف قائلاً: "علاوة على هذا فإن أسلوب كتابها يختلف عن أسلوب الرسل، ثم إن تيار التفكير العام لمحتوياتها والقصد منها، يختلفان كل الاختلاف عن التعاليم المستقيمة الحقيقية، مما يبين بكل وضوح أنها من مُصنفات الهرطقة. ولهذا لا يصح وضعها حتى ضمن الأسفار المرفوضة، بل يجب نبذها كلها ككتابات سخيفة ماجنة".<sup>421</sup>

#### أهم صفات الكتب غير القانونية:

- (1) خرافية، تنسب للسيد المسيح و الرسل أعمال خيالية لا مبرر لها.
- (2) الزهد الجنسي والامتناع عن الزواج، كرد فعل للباحية السائدة.
- (3) تمتلئ بأفكار الهرطقات الغنوسية والابيونية، (فتصور أن السيد المسيح كائن روحاني بلا جسد حقيقي، وتشير إلي أن الخلاص بالمعرفة).
- (4) تمتلئ بالتعاليم السرية.
- (5) تخطئ بين المسيحية و الديانات الوثنية.<sup>422</sup>

421. يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقس داود ( القاهرة: مكتبة المحبة، 1979)، 153.

422 . القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير، 30-34.

## علاقة الغنوسية بالأبوكريفا:

الغنوسية: هي حركة وثنية، كان أتباعها يخلطون بين الفكر الإغريقي والفكر المصري القديم مع اقتباس بعض التقاليد الكلدانية والبابلية والفارسية (خاصة الزرادشتية التي أسسها الحكيم الفارسي زرادشت (630-553 ق م)، بالإضافة إلى التأثير ببعض الأفكار اليهودية، وفوق ذلك الفلسفة الأفلاطونية.

الغنوسية فكر فلسفي حاول أن يصطبغ بمفهوم ديني وهو لا يعتقد في الإيمان الأعمى، بل يعتمد على العقل والمعرفة، فاللفظ اليوناني Gnosis معناه "معرفة"، ولذلك فقد وضع الغنوسيون العقل فوق الإيمان، بشكل جعلهم يرفضون كل ما يعتقدون أنه يتعارض مع عقلم. وأصبحوا يمجّدوا العلم أكثر من اللازم لدرجة جعلتهم يحولون الإيمان إلى معرفة عقلية. ويتلخص التعليم الغنوسي في محاولته لتفسير الشر وكيفية الخلاص منه، من خلال إفتراض وجود أصليين للكائنات الحية، وهما الروح الأعلى السامي والمادة، فالأول هو مصدر الخير، والثاني سبب الشر. وخلاص روح الإنسان السجينة في المادة أي الجسد، يكون من خلال الإلتزام بالنسكيات الصارمة والإبتعاد عن كل ما هو مادي بقدر الإمكان، أو بالإنغماس في كل ما هو شهواني وذلك للإنتصار على الحس المادي.

أما عقيدتهم عن السيد المسيح، تتلخص في إنكار بشريته وناسوته، وذلك لرفضهم للإرتباط بين الإله والمادة، ولذلك فقد اعتبروا جسده مجرد خيال.<sup>423</sup> أعتبر تاتيانوس السوري أن المادة هي منبع كل شر، وأنه نظرًا لأن الجسد مخلوق من المادة، لذلك يجب كراهيته وإماتته. ولذلك فقد متع الحياة وكره الخمر، إلى الحد الذي جعله يستعمل الماء بدلاً منه في العشاء الرباني. كما زعم بأن خالق العالم ليس هو الله بل إله أقل، وأن السيد المسيح لم يكن له جسداً حقيقياً.<sup>424</sup>

423 . الأنبا يؤانس، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (القاهرة: الأنبا رويس-الأوفست- بالعباسية، 1970)، 358.

424 . العلامة الأسقف إيسودورس، الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، طبعة جديدة منسقة ومنقحة (مكتبة المحبة، سلسلة كتب التراث القبطي، 2002)، 124.

ولما ظهرت المسيحية، خلط قادة هذه الجماعات بين أفكارهم، وبين بعض الأفكار المسيحية التي تتفق معهم. لم يكن خطر الغنوسية على المسيحية في كونها ديانة منافسة، ولكن خطرها كان في محاولة الغنوسيين أن يفسروا المسيحية بأسلوب وفكر غنوسي. فقد استخدموا الكتب المقدسة (ما عدا العهد القديم) في دعم أفكارهم المنحرفة.

وبالتالي ارتبطت كتابات الأبوكريفا بالفكر الغنوسي الذي يحقر من المادة، وبالتالي فهي تصور المسيح ككائن روحاني وتتكلم عنه كلاهوت فقط، وأنه ظهر فجأة على الأرض بدون أي تفاصيل تخص الميلاد أو التجسد.. الخ ( لذلك حذفوا أول أصحابان من إنجيل معلمنا لوقا الخاصان بالبشارة والتجسد والميلاد). أنبثقت من الغنوسية هرطقة أخرى تُدعي الهرطقة الدوستية أو الخيالية،<sup>425</sup> وهي التي تؤكد أن جسد المسيح كان جسداً خيالياً.

كما تزعم هذه الكتب أن المسيح أعطى تلاميذه تعاليم سرية خاصة بهم وحدهم، لا يتعلمها أو يعرفها العامة من الناس، بل وقد أعطاها بشكل سري وخاص لواحد أو بعض تلاميذه. في المقابل فإن السيد المسيح أعلن للجميع: "أنا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ عَلَانِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ جِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِمًا. وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ" (يو 18:20). تصور تلك الكتابات السيد المسيح كمعلم غنوسي جاء فقط ليعلم تعاليم غنوسية صوفية سرية.<sup>426</sup> إن أغلب الهرطقات التي ظهرت لاحقاً لكي تشكك في ألوهة الابن أو في ناسوته الكامل، تجد أصولها في الفكر الغنوسي.

425 . هرطقة الدوستية امتداداً للغنوسية، والاسم مشتق من الفعل Dekeo ومعناه "يظهر أو يبدو"، فقد ادعوا أن السيد المسيح لم يكن بشراً حقيقياً، ولكنه بدا كذلك، وقد جاء هذا من التراث الفلسفي الذي يعتبر المادة شر، ولذلك يرفض فكرة أن الإله يمكن أن يرتبط بالعالم المادي. ولذلك فقد اعتبروا أن كل الأشياء التي تُنسب لناسوت السيد المسيح ليست أموراً حقيقية بل خيالية، بما في ذلك الصلب ذاته.

أنظر: جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، عصر الآباء: من القرن الأول وحتى السادس (القاهرة: دار الثقافة، 2013)،

82-79.

426 . القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير، أبوكريفا العهد الجديد، كيف كُتبت؟ ولما رفضتها الكنيسة؟، 54-62.

هناك عدة عوامل أدت إلى كتابة وظهور هذه الكتب الأبوكريفية من أهمها:

(1) محاولة العامة والبسطاء من المؤمنين إشباع رغبة رعيتهم لمعرفة تفاصيل الأحداث التي ذكرت في أسفار العهد الجديد، وخاصة فترة طفولة السيد المسيح.

(2) محاولة البعض الدفاع عن عقائد مسيحية هاجمها اليهود مثل بتولية العذراء القديسة مريم وحبلها بالمسيح بالروح القدس. كذلك حاولت تلك الكتابات التأكيد على ألوهة السيد المسيح، وخاصة في فترة طفولته، فأظهرته يستغل قوته الإلهية لتحقيق رغباته الذاتية بشكل مُنفر.

(3) كان هناك عامل أخطر وأقوى وهو ظهور الأفكار الهرطوقية ومحاولة إيجاد صيغ ونصوص توازي الأسفار القانونية وتدافع عن هذه الأفكار والعقائد الهرطوقية. فانطلقت هذه الهرطقات، تأخذ آيات الإنجيل القانوني بأوجهه الأربعة، وتصيغها بحسب أفكارها ومعتقداتها، وبإضافة أفكار تناسب الفكر الغنوسي، وبالتالي جاء بعضها بشكل أسطوري خيالي.<sup>427</sup>

ونتيجة لهذا ولكل هذه الأسباب، رفضت الكنيسة منذ عصورها الأولى هذا الكتب، ولم تقر قانونيتها، ولم يقتبس منها أي من آباء الكنيسة عبر عصورها، ولم تُستخدم في صلوات الكنيسة في أي زمن. كما درس علماء العصر الحديث هذه الكتب بروح العلم الحديث وطرقه العصرية الحديثة، وبعد الدراسة التحليلية الدقيقة، أقر العلماء بزيف هذه الكتب وأيدوا آباء الكنيسة الذين رفضوا إقرارها أو قبولها في القرون الأولى، كما أقروا بصحة الأناجيل القانونية الأربعة وبقية أسفار العهد الجديد القانونية لسموها وبساطتها وعظمتها. كما أقروا بأن المصدر الأول لهذه الكتب الأبوكريفية هي الكتب القانونية.<sup>428</sup>

يقول الانبا شنودة رئيس المتوحدين: "أنتم ترون أن الذين يكتبون مثل هذا الكلام يضلون وينسبون للقديسين غير ما سلموه لنا. فمن ذا الذي يقول أن هناك إنجيلاً آخر غير أربعة الأناجيل، ولا ترفضه الكنيسة

427 . القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير، 65.

428 . القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير، 63.

كمهرطق؟ فإن كان بولس يقول: "إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن محروماً"، ثم "نقبل نحن كتب أبوكريفا لا نعرف لمن هي، فلماذا لم يقبلها كل الآباء القديسين، ولا سيما أبينا الأنبا أنثاسيوس رئيس الأساقفة، صاحب المعرفة الحقيقية، وإنما رفضها بشدة؟". كما يضيف: "ما الذي قصر فيه الرسل والأنبياء وكل القديسين؟ ما الذي يوجد في الكتاب المقدس ليس من الروح القدس الناطق فيهم حتى ننتظر الأبوكريفا؟ ألا ترون أنها أعمال شيطانية؟"<sup>429</sup>.

### قانونية أسفار العهد القديم:

من الناحية الفنية لا يجوز أن نستعمل كلمة "قانوني" من وجهة النظر اليهودية، لأن اللفظة من حيث إطلاقها على الكتاب المقدس مسيحية في نشأتها، ولم يستعملها اليهود، بل اصطلاحاً بعبارة "تدنس الأيدي"، للتعبير عن القانونية أو المصدر الإلهي.<sup>430</sup> فالأسفار المقدسة هي من تدنس الأيدي (الشخص) إذا تعامل معها بدون استعداد كافي عبر صلوات وخطوات تطهير. أما الأسفار الغير قانونية فهي ليست ذات قدسية وبالتالي لا تدنس الأيدي.

لم يعرف اليهود مفهوم القانونية في العهد القديم قبل مجمع جامنيا (95-120م). فقد كانت الأسفار المقدسة وتعاليم الربانيين تتساوى في القداسة والتقدير لدى عموم اليهود وذلك قبل الشتات (70م)، ولذلك فقد كان البحث عن القانونية يتم من خلال التأكد من مصداقية النبي وتطابق أقواله مع أسفار موسى النبي في الهدف المضمون مما يعكس التاريخ اللاهوتي للعهد القديم. كما كان وجود اسم "يهوه" في الكتابات العبرية دليل على المصداقية. وكانت النصوص العبرية من حيث اللغة لها المصداقية في القانونية في المنظور اليهودي لقانونية أسفار العهد القديم في مقابل اللغة اليونانية ولا سيما الترجمة السبعينية. ولذلك فقد وضع

429 . صموئيل قرمان معوض، 121.

430 . القس مرقوريوس الأنبا بيشوي، مدخل إلى الأسفار القانونية الثانية (دير الأنبا بيشوي- دراسات كتابية،

اليهود عدة اعتبارت كقياس لقانونية أسفار العهد القديم: (1) أن يكون السفر موحى به، (2) وأن يكون قديمًا، (3) وأن تُحدد قانونيته من مجمع السنهدرين.<sup>431</sup>

اعتمد يهود فلسطين قانونية اثنين وعشرين سفرًا للعهد القديم بعدد حروف الأبجدية العبرية (وبحسب تقليد آخر 24 سفرًا بسبب ضم سفر راعوث على سفر القضاة، والمراثي على إرميا). وهي نفس الأسفار التي اعتمدها الكنيسة المسيحية، إلا أن عددها تسعة وثلاثون سفرًا، وذلك لأن يهود فلسطين كانوا يعتبرون سفر راعوث جزءًا من القضاة، والمراثي جزءًا من إرميا، وأسفار صموئيل والملوك والأخبار جعلوا من كلا منها سفرًا واحدًا، وكذلك الأنبياء الصغار الإثني عشر سفرًا اعتبروها سفرًا واحدًا.<sup>432</sup> فالأسفار واحدة لكن العدد يختلف لضم أسفار في سفرًا واحدًا.

بدأ تحديد الأسفار من قبل الراباي يوحنان بن زاكاي (رئيس المجمع)، الذي أنتقل إلى مدينة جامنيا وحصل على موافقة الرومان بأن يؤسس مدرسة حلقة اليهودية، وذلك بعد تدمير أورشليم وانتقال مجمع السنهدرين إلى المدينة وبقائه بها حتى 135م. كان الموقف السياسي لليهود دورًا بارزًا في رفض قانونية الأسفار اليونانية في مجمع جامنيا (95-120م)، وذلك بسبب الصراع مع السلطة الرومانية والاضطهادات التي تعرض لها اليهود في الشتات، بالإضافة إلى سعي اليهود إلى التصدي إلى المسيحية الناشئة.<sup>433</sup>

431. القس بولس رمزي، الأسفار القانونية- مذكرة دراسية جامعة هولي صوفيا، 5-6.

432. القس مرقوريوس الأنبا بيشوي، مدخل إلى الأسفار القانونية الثانية، 13.

433. ماجد غالي، خلفية تاريخية عن مجمع جامنيا اليهودي وقانونية أسفار العهد القديم، موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: مارس 2025.

أسفار العهد القديم اليونانية (القانونية الثانية): "تعبير لا تفضله الكنيسة القبطية لأنه قد يشير إلى كونها أقل في المكانة"، وسبب رفض اليهود لها:

اعتمد رفض اليهود لقانونية الأسفار اليونانية، على أنه لا يوجد لها أصل عبري أو آرامي (في حين أن مخطوطات قمران كان لها رأي آخر، حيث وُجد في الكهف الرابع عدد من الأجزاء تحتوي على نصوص من الأسفار القانونية الثانية، مثل طوبيا وتنمة دانيال). كما كان قبول الأسفار اليونانية، يعني ضمناً الاعتراف بالترجمة السبعينية التي تحتوي تلك الأسفار، واعتبار أنها ترجمة معتمدة، وهو ما حرص اليهود على رفضه بسبب اعتماد الكارزين المسيحيين عليها في كرازاتهم ونقاشاتهم مع اليهود، ولذلك جاءت الترجمات التالية للعهد القديم خالية من أي إشارة يمكن أن تنطبق على يسوع الناصري.<sup>434</sup> رفض اليهود الترجمة السبعينية، أولاً بسبب صراعهم مع الدولة الرومانية وخاصة بعد تدمير الهيكل، وأيضاً بسبب استخدام الكارزين لها في البشارة بالسيد المسيح، من داخل المجامع اليهودية في دول الشتات.

يقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي الأعظم عن الأسفار اليونانية: "أن الأسفار التي وضعت بعد أيام ارتحسستا كانت بمكانة عند اليهود غير أنها لم تكن عندهم مؤيدة بالنص تأييد الأسفار القانونية لأن تعاقب الكتبة الملهمين لم يكن عندهم في تمام التحقيق" (ضد آبيون).<sup>435</sup>

موقف الكنيسة القبطية تجاه الأسفار اليونانية:

أما كنيسةنا القبطية المجيدة، فهي تتمسك بقانونية هذه الأسفار (سفر طوبيا- سفر يهوديت- تنمة سفر أستير- سفر الحكمة- سفر يشوع بن سيراخ- تنمة سفر دانيال- سفر نبوة باروخ- سفر المكابيين الأول- سفر المكابيين الثاني إضافة إلى: المزمور (151) وصلاة منسى الملك) وقدسيتها، وذلك لعدة أسباب:

434. القس بولس رفعت رمزي، الأسفار اليونانية، 9.

435. الأنبا إبرام، الأسفار القانونية التي حذفها البروتستانت (مطرائية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم، 2010)، 9.

**أولاً،** لقد وصلتنا بالتقليد المقدس، دون أن تُقابل باعتراض من رجال الكنيسة اليهودية قديماً، أو من السيد المسيح له المجد، أو من الرسل الأطهار والآباء الرسوليين. فلم يرد أدنى إشارة إلى اعتراض أو نقد من آباء الكنيسة الرسولية على مر العصور، حتى ظهرت حركة النقد الأدبي في المانيا في القرن السابع عشر بعد الميلاد، والتي كان لها رأي آخر.

**ثانياً:** بعض نصوص العهد الجديد، تُفسر من خلال تلك الأسفار، مثل الحديث عن عيد التجديد (يو10:22)، وهو العيد الذي رسمه يهوذا المكابي بعد تجديد بناء المذبح وإعادة العبادة الهيكلية (1 مك 4، 2 مك 10).

**ثالثاً:** تربط تلك الأسفار بين العهدين، من حيث الفكر الديني والعقائد والتاريخ، وبالتالي فهي لا غنى عنها للراغبين في دراسة العهد الجديد وللوصول إلى تفسير دقيق واضح لبعض مواضيع الكتاب وآياته. (قارن طو 4:14، ومت 7:12. و يهوديت 8:25، و 1كو 9:10. وغيرها).

**رابعاً:** توضح تلك الأسفار بعض الحوادث الهامة والعادات والتقاليد، التي سار عليها اليهود أثناء فترة السبي، وأثناء المرحلة السابقة لمجيء السيد المسيح، فبدونها تصبح تلك العصور غامضة مغلقة على أذهان الدراسين.

**خامساً:** استشهد عدد كبير من آباء الكنيسة الأولين بتلك الأسفار في كتاباتهم، مثل القديس إكليمنضس الروماني، والقديس بوليكاربوس، والقديس باسيليوس الكبير، والقديس امبروسوس، والقديس يوحنا ذهبي الفم، والقديس أنثاسيوس الرسولي، وغيرهم.

**سادساً:** اعتراف ثلاثة مجامع أفريقية، في القرنين الرابع والخامس، بقانونية تلك الأسفار، وهي: مجمع أيبونة أو هيو 393م، ومجمع قرطاجنة 397م، وقرطاجنة 419م.<sup>436</sup>

436. وهيب جورج، مقدمات العهد القديم (الكلية الأكليريكية للأقباط الأرثوذكس، 198)، 231-232.

**سابقاً:** في صلوات الكنيسة توجد كثير من الاقتباسات من تلك الأسفار، فالقداس الإلهي تضمن صلواته جزءاً مما جاء في سفر الحكمة، فنجد الكاهن في صلاة الصلح لقداس القديس باسيليوس يقول: "والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس" وهذا النص موجود في (حك2:24). كما تحتوي صلاة الساعة التاسعة اقتباس من جزء من سفر دانيال الذي حذفه البروتستانت (دا3:34). كما استخدمت الكنيسة القبطية منذ القديم بعض فصول من هذه الكتب ضمن قرأتها الخاصة بالصوم الكبير وأسبوع الآلام.<sup>437</sup>

أخيراً، من المهم جداً أن نقرر أن الترجمة السبعينية التي اشتملت تلك الأسفار، تعد عملاً جليلاً، مكماً لما قام به عزرا. فلا شك أن علماء اليهود الذين أوكل إليهم بطليموس هذا العمل، كانوا جميعاً موضع ثقة، وسيظل عملهم تراثاً خالداً تعتز به كافة الأجيال. ونحن بدورنا لا نشك في أنهم كانوا مسوقين في كتاباتهم وترجمتهم بعناية الله وبارشاد روحه القدس.<sup>438</sup>

**البابا أثناسيوس الرسولي، وإدعاء البعض أنه لم يشمل الأسفار اليونانية ضمن الأسفار القانونية:**

البعض يرى أهمية خاصة للرسالة الفصحية رقم 39، والتي كتبها القديس أثناسيوس الرسولي عام 367م، في هذه الرسالة ينتقد أثناسيوس الأعمال الأبوكريفية التي اخترعها البعض، ولذلك فقد وضع القديس أثناسيوس قائمة "بالأسفار القانونية، التي سلمت للكنيسة على أنها أسفاراً إلهية"، وذلك حتى يستطيع المؤمنون التمييز بين الأسفار القانونية والكتابات المزيفة.<sup>439</sup>

يقول البابا أثناسيوس في رسالته الفصحية عن أسفار العهد القديم: "هناك للعهد القديم اثنين وعشرين كتاب في العدد، كما سمعت تم تسليمه أنه عدد الحروف الأبجدية بين اليهود. وترتيبهم المتتالي وأسمائهم: الأول التكوين، وبعده خروج، ثم لاويين وعدد وتثنية. يتبع هذا يشوع بن نون وقضاة وراعوث، وبعد ذلك

437. الأنبا إيرآم أسقف الفيوم، الأسفار القانونية التي حذفها البروتستانت، 14.

438. د. وهيب جورجي، مقدمات العهد القديم، 232.

439. كريستوفر أ. هال، التفسير الكتابي بين الشرق والغرب، ترجمة: د. عادل ذكري (مدرسة الإسكندرية، 2018)، 75.

أربع كتب للملوك، الأول والثاني يعدوا كتابًا واحدًا، ومثله الثالث والرابع ككتاب واحدًا. وأيضًا أخبار أول وثاني ويعدوا كتابًا واحدًا. وأيضًا عزرا أول وثاني مثلهم كتابًا واحدًا. وبعد هذا كتاب المزامير وبعده الأمثال ثم الجامعة ونشيد الأنشاد وأيوب يتبعه. وبعدهم الأنبياء الاثنى عشر ويعدوا ككتاب واحدًا. وبعده إشعياء وإرميا مع باروخ والمرثي كتاب واحدًا. وبعد ذلك حزقيال ودانيال وكل منهم كتابًا واحدًا. وهذا تكوين العهد القديم". ثم يضيف القديس أثناسيوس قائلًا: "ولأجل الدقة العظيمة، هناك كتب أخرى بجوار هذا لم تُسلم كقانونية (أي بالنسبة لليهود)، ولكن خصصت بأبأونا أنها تقرأ لهؤلاء الذين يريدون المعرفة ويبحثون عن كلمة التقوى، وهي: حكمة سليمان وحكمة سيراخ وأستير ويهوديت وطوبيت". وأخيرًا يوضح القديس أثناسيوس أنه هناك كتب أخرى ولكنها غير قانونية قائلًا: "وأيضًا تعاليم التلاميذ والراعي"، ثم يوضح الفرق بين الأثنين قائلًا: "ولكن السابقين (القانونية اليونانية) هم مشمولين في القانون، ولكن الآخرين (تعاليم التلاميذ والراعي)، يقرأون نادرًا". ثم يؤكد أنه: "لم يُكتب في أي مكان كتابات سرية، ولكن هذه اختراعات الهرطقة الذين يريدون أن يضلوا العقل البسيط".<sup>440</sup>

إن القديس أثناسيوس الرسولي لم ينكر قانونية الأسفار اليونانية، ولكنه يتكلم أولاً عن تقسيم اليهود القديم، ثم يتناول اعتقاد الكنيسة. فالعهد القديم مر بعدد من التقسيمات، ولكن المحتوى واحدًا. يؤكد القديس أثناسيوس على قانونية الأسفار اليونانية، بدليل أنها تُقرأ للموعوظين حديثي الإيمان، وبالطبع لا يمكن أن يقرأ لحديثي الإيمان إلا الفكر السليم والإيمان المستقيم، وهذا يؤكد على قدسية تلك الأسفار وأهميتها القصوى. لم يذكر البابا أثناسيوس سفر المكابيين، على الرغم من أنه كثيرًا ما استشهد بهما في تفسيره لسفر دانيال. ولكن ربما لم يذكرهم البابا أثناسيوس لاعتبارهم من الأسفار التاريخية.<sup>441</sup>

440. ماجد غالي، "قائمة القديس أثناسيوس لقانونية أسفار العهد القديم والجديد"، موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: فبراير 2025.

<https://www.drghaly.com/articles/display/12869>

441. ماجد غالي، "قائمة القديس أثناسيوس لقانونية أسفار العهد القديم والجديد"، موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: فبراير 2025.

## موثوقية الكتاب المقدس (العهد الجديد)

عندما نتحدث عن الموثوقية التاريخية للكتاب المقدس، فإننا لا نتحدث عن موثوقية وحيه (أي مصدره الإلهي)، بل نختبر موثوقيته كمصدر صحيح للأحداث التاريخية التي يُسجلها. ولإختبار الموثوقية، يجب أن يتم فحص الكتاب وفقاً لمعايير محددة كتلك التي يتم بها فحص أي وثيقة تاريخية أخرى. من شأن تلك المعايير أن تحدد مدي موثوقية أي وثيقة، وتجيب على سؤال هل تعرضت الوثيقة إلى إضافات خارجية لاحقة، أم أنها تعبر عن حقائق تاريخية يمكن الوثوق بها؟. تشمل تلك المعايير الملائمة التاريخية، بحيث تلائم الأحداث الحقائق التاريخية المعروفة، وأن يكون الحادث متصل بمصادر متعددة يمكن التحقق منها.<sup>442</sup>

من المهم جداً الإشارة إلى أنه لم يكن هناك وقت كاف لكي يتم استبدال الحقائق التاريخية المحورية، بتأثيرات خارجية خرافية، وذلك لأن الفجوة الزمنية بين الأحداث الأصلية والبرهان (التقليد الشفهي الذي تم تدوينه) قصيرة جداً، وبالتالي فهي لا تسمح بالميول الخرافية أن تزيل القوام الأساسي للحقائق التاريخية، كما سبق الإشارة. فالأناجيل قد دونت وانتشرت أثناء الجيل الأول بعد الأحداث، بينما كان شهود العيان لا يزالون على قيد الحياة، وحتى تكون الأناجيل أسطورية في أصلها، كان هناك إحتياج إلى أجيال أكثر بين الأحداث وتاريخ تسجيلها.<sup>443</sup>

ولإختبار الموثوقية، يجب أن يتم فحص الكتاب وفقاً لمعايير محددة كتلك التي يتم بها فحص أي وثيقة تاريخية أخرى. يعرض س. ساندرز في كتابه " مقدمة للبحث في تاريخ الأدب الإنجليزي " المبادئ الثلاثة

442 . جوش ماكديول، لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، 77.

443 . وليم لين جريج، مستعدون للمجابهة، 223-224.

الأساسية لدراسة التاريخ، وهم الفحص البيلوغرافي والبرهان الداخلي والبرهان الخارجي. وبالتالي فإن

فحص موثوقية العهد الجديد يتم وفقاً لتلك المبادئ الأساسية.<sup>444</sup>

أولاً: الفحص البيلوغرافي:

ويُقصد به الدراسة التي تتناول عملية الانتقال النصي للوثائق حتى تصل إلينا، أو بعبارة أخرى هو

الدراسة التي تتحقق من مصداقية وأصالة النسخ التي بين أيدينا وتفحص مدى إقترابها من الوثائق الأصلية

التي قد تكون فُقدت، وذلك يتم من خلال مقارنة المخطوطات ومعرفة مدى إقترابها من النص الأصلي.<sup>445</sup>

إن موثوقية العهد الجديد بشكل عام تركز على عدد كبير من المخطوطات، يعكس تفوقاً لا يقارن بأي

من الوثائق التاريخية الأخرى، فعدد النسخ اليونانية وحدها يبلغ 5656 مخطوطة للعهد الجديد كاملاً أو

لأجزاء منه، وتلك المخطوطات تم نسخها باليد ما بين القرن الثاني والقرن الخامس عشر، بالإضافة إلى

المخطوطات الغير يونانية (ترجمات قديمة)، التي تصل إلى أكثر من 19284، ليصبح المجموع الكلي حوالي

خمسة وعشرين ألف مخطوطة.

### Comparison of Ancient Historical Documents

Rank	Historical Document	Original Composition Dates	Earliest Manuscripts	Time Elapsed	Number of Manuscripts
1	New Testament writings	49-95 AD	117 AD	30-150 yrs	25,000+
2	Homer's <i>Iliad</i>	800 BC	400 BC	400 yrs	1757
3	Aristotle's writings	384-322 BC	850 AD	1200 yrs	1000
4	Demosthenes' Speeches	300 BC	1100 AD	1400 yrs	340
5	Caesar's Gallic Wars	44-10 BC	1000 AD	1000 yrs	251

444. جوش ماكديويل، 77.

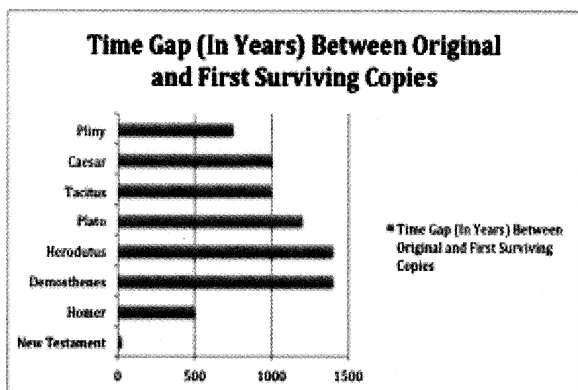
445. جوش ماكديويل، 77.

إن وفرة المخطوطات يتيح لعلماء النقد النصي التحقق من موثوقية النسخ التي بيد أيدينا، لأنه من خلالها يمكن إعادة جمع النسخ الأصلية بدقة بالغة، يساعد في هذا العمل الترجمات وإقتباسات الآباء وكتب القراءات الكنسية.

يقول جون مونتجمري: "إن الشك في نصوص أسفار العهد الجديد من شأنه أن يلقي بالشك على جميع الأعمال الكلاسيكية القديمة، فليس هناك وثيقة من العصر القديم، تثبت المصادر صحتها على النحو الذي به تثبت العهد الجديد".

يضاف إلى ذلك قرب الفترة الزمنية ما بين الأصل وبعض المخطوطات والذي من شأنه أن يدعم الموثوقية. يقول كينون: "إن الفترة الفاصلة بين تاريخ كتابة الأصل وأقدم المخطوطات المتبقية إلى الآن قصيرة للغاية بحيث يمكن إهمالها. وهكذا يزول

كل شك في وصول الأسفار المقدسة إلينا كما كُتبت تمامًا، بل يمكن إعتبار كل من موثوقية وسلامة أسفار العهد الجديد قد تثبت تمامًا." 446



يمثل ذلك أهمية كبرى، فعلى سبيل المثال: كان النقاد يزعمون سابقاً أن القديس يوحنا لم يكتب الإنجيل المعروف باسمه وإنما الذي كتبه هو أحد تلاميذ مدرسة الإسكندرية اللاهوتية في القرن الثاني، حتى تم إكتشاف بردية "جون رايلاند" في مصر بالقرب من الموقع الذي دُونت فيه (أسيا الصغرى). تلك البردية تعد من أهم المخطوطات التي تدعم موثوقية العهد

الجديد بشكل عام وإنجيل يوحنا بشكل خاص، لأنها ترجع للفترة ما بين 117-135م، وبعض الدراسات تُرجع زمنها إلى نهاية القرن الأول. يقول بروس ميتزجر: "لو أن هذه المخطوطة الصغيرة كانت معروفة في منتصف القرن الماضي، ما كنا لتفترض أن الإنجيل الرابع لم يُكتب حتى 160م". وبالتالي فإن تلك البردية أكدت صدق ما تسلمته الكنيسة بالتقليد، وأن كاتب هذا الإنجيل بالروح القدس هو القديس يوحنا بن زبدي.<sup>447</sup>

كذلك بردية بودمر الثانية، والتي ترجع إلى الفترة ما بين 150-200م، وقد تم شراءها من أحد التجار في مصر، وتوجد حالياً في مكتبة "بودمر للأدب العالمية"، وتحتوي على معظم إنجيل يوحنا. يرجع هربرت هنجر مدير المخطوطات بالمكتبة في فيينا، هذه المخطوطة إلى وقت مبكر في المنتصف الثاني للقرن الثاني الميلاد إن لم يكن أوله. هذا بالإضافة إلى مخطوطة P72، والتي تنتمي إلى نفس المجموعة وتضم واحدة من أقدم نسخ إنجيل يوحنا، كذلك بردية تشستر بيتي. يقول فريدريك كينون: "تلك المخطوطات تجعل أي مناقشة حول موثوقية الأسفار ليست ذو قيمة"<sup>448</sup>.

447. القمص عبد المسيح بسيط ابو الخير، الكتاب المقدس يتحدى نقاده والقائلين بتحريفه ( القاهرة: كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، 2004)، 161.

### ثانيًا، البرهان الداخلي Internal evidence :

وهو يمثل شهادة للقراءة من داخل المخطوطة نفسها أو النص ذاته، وخاصة فيما يتعلق بالدليل الجوهري الذي يعتمد على تحليل أسلوب الكاتب في الكتابة المفردات التي يستخدمها والآراء التي يتبناها. وذلك للتحقق من شخصية الكاتب، وخاصة كونه شاهد عيان للأحداث أو اتصل بشهود عيان للأحداث.<sup>449</sup>

#### إنجيل يوحنا كنموذج للتحقق من موثوقية العهد الجديد عبر البرهان الداخلي:

يقول القديس يوحنا: "وَالَّذِي عَايَنَ شَهْدًا، وَشَهَادَتُهُ حَقٌّ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ." (يو 19: 35 فان دايك). يوجد في إنجيل يوحنا العديد من الأمور التي من خلالها يمكن التحقق من موثوقية شهادة الكاتب كونه معاصر ومعاین للأحداث.

يقدم كاتب السفر (القديس يوحنا الحبيب) معلومات دقيقة عن العادات اليهودية، مما يؤكد خلفيته اليهودية. جاءت تلك المعلومات بشكل عفوي وتلقائي مما يدعم مصداقيتها. فالكاتب يدرك أدق عادات وشرائع اليهود مثل شريعة التطهر، ونظرة اليهود للأمم كنجسين، وعادة اليهود في تكفين الموتى، وعدم ترك أجساد المحكوم عليهم بالأعدام معلقة في يوم السبت الكبير، وتحريمهم العمل في السبت، ونظرتهم المتدنية للمرأة. كل تلك التفاصيل جاءت بشكل عفوي، ويسبقها "حسب عادة اليهود"، الكاتب يعلم تلك العادات بحكم إنتمائه لهم.

كما أن الكاتب يقدم معلومات تاريخية دقيقة فيما يخص التاريخ اليهودي، مما يؤكد أنه كان معاصر لتلك الفترة، وبالتالي يقوم بتاريخها، فيذكر المدة التي بُني فيها الهيكل (46 عام)، ويشير إلى العداوة السياسية القائمة بين اليهود والسامريين، كذلك إزدرائهم بيهود الشتات. كما يسجل بدقة تاريخ رؤساء الكهنة المعاصرين (قيافا وحنان) وملخس عبد رئيس الكهنة.

449 . أمير يعقوب، مدخل إلى النقد النصي للعهد الجديد ( القاهرة: دار رسالتنا للنشر والتوزيع، 2019)، 234-

كما يقدم الكاتب وصف دقيق لجغرافيا فلسطين، مما يؤكد أنه عاش في المنطقة ويعرف طبيعتها



وبالتالي هو قادر على تقديم وصف طبوغرافي دقيق للعديد من المدن المناطق التي سار فيها السيد المسيح (كموضع بيت عبرة، ومدينة سوخار، وبحر الجليل- طبرية، وبيت عنيا وغيرهم)، كما يصف الطريق إلى كفر ناحوم بالإنحدار مما يؤكد معرفته به.

كما إن أسلوبه ولغته يدلان على أصله، فالكاتب يستخدم كلمات آرامية وعبرية، ويفسرها ويترجمها إلى اليونانية، وأحياناً يذكر الكلمة اليونانية ثم يرجعها إلى أصلها العبري، مثل: "ربي الذي تفسيره يا معلم"، "أنت تدعو صفا الذي تفسيره يا بطرس"، "بركة سلوام الذي تفسيره مرسل"، "موضع الجمجمة الذي يقال له بالعبرانية جلجثة".<sup>450</sup>

كما يوجد بعض التفاصيل التي ذكرها القديس يوحنا تدعم موثوقية شهادته تاريخياً، مثل: طلب بطرس من يوحنا أن يسأل يسوع سؤال " فَأَوْماً إِلَيْهِ سَمِعَانُ بُطْرُسُ أَنْ يَسْأَلَ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ" (يو: 13: 24)؛ لم يكن هناك سبب يستدعي اضافة هذه التفاصيل إن لم تكن حدثت بالفعل، فكان يستطيع بطرس ان يسأل يسوع بنفسه. إن طلب مثل هذا يدعم الموثوقية لأنه لا يوجد ضرورة له، غير أنه إقرار بما حدث فعلاً.

كذلك إدعاء يوحنا بأن رئيس الكهنة يعرفه "كَانَ ذَلِكَ التَّلْمِيذُ مَعْرُوفاً عِنْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ" (يو: 18: 15) يبدو تاريخياً، فإختراع هذا الإدعاء لا يخدم أي هدف ويعرض يوحنا للتشويه من السلطات اليهودية. كذلك الإشارة إلى شخصية يوسف الرامي الذي دفن يسوع "إِنَّ يَوْسُفَ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ وَهُوَ تَلْمِيذُ يَسُوعَ وَلَكِنْ خُفِيَةً

450 . القمص عبد المسيح بسيط ابو الخير، الإنجيل كيف كُتِب؟ وكيف وصل إلينا؟ (القاهرة: كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، 1994)، 198-201.

لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ سَأَلَ بِيلاطُسَ أَنْ يَأْخُذَ جَسَدَ يَسُوعَ فَأَذِنَ بِيلاطُسُ. فَجَاءَ وَأَخَذَ جَسَدَ يَسُوعَ" (يو 19: 38)، هو عضو في مجمع السنهدرين، من غير المحتمل اختلاق وجوده، كونه معروف للجميع، كما أنه من الصعب أن يتم عهد دفن السيد المسيح لأحد أفراد المجمع الذي حكم عليه بالموت، وذلك على نفوس أحبائه وتلاميذه.<sup>451</sup>

كما ينفرد إنجيل يوحنا ببعض الأمور التي لم تتناولها الأناجيل الأخرى، مثل معجزة السيد المسيح الأولى بتحويل الماء إلى خمر، وإقامة لعازر، والزيارات المتعددة لأورشليم، وتحدياته لرؤساء الكهنة، إهتمام السيد المسيح بالأعياد اليهودية وإعلانه ألقاب تعكس هويته وترتبط بتلك الأعياد مثل أنه خبز الحياة في عيد الفصح. كما أنه يتناول سلسلة من الأقوال التي تعلن مساواته للآب. كما ينفرد بأحاديث السيد المسيح المطولة، وبتفاصيل خاصة لأحداث ونصوص متوازية. إن هذا التفرد يدعم مصداقيته كشاهد عيان يوثق شهادته، لأنه لو كان مجرد ناقل، لكان إكتفي بإعادة صياغة الأناجيل الإزائية. ولكنه لم يفعل ذلك، بل عدم تناوله للأحداث التي جاءت بها، يؤكد أنه أطلع عليها، وأراد أن يوثق بعض الشهادات التي رأى أنها من الأهمية أن يتناولها. وخاصة مع ظهور الحركة الغنوسية، وبالتالي أراد التأكيد على ألوهية السيد المسيح وأيضًا على ناسوته، للرد عليها.<sup>452</sup>

يقول ف. ف. بروس: " إن إختلاق أقوال أو أفعال صادرة عن يسوع في هذه السنوات المبكرة، إذ كان هناك الكثير من تلاميذه الذي يذكرون ما حدث وما لم يحدث ما زالوا على قيد الحياة، ليس أمرًا سهلاً أو ممكنًا".<sup>453</sup>

451 . Craig L. Blomberg, *the historical reliability of the gospels* (England: Inter-varsity press, 1987), 180.

452 . القمص عبد المسيح بسيط ابو الخير، الإنجيل كيف كُتِب؟ وكيف وصل إلينا؟ 198-201.

453 . جوش ماكديويل، برهان جديد يتطلب قرآنًا، 94.

براهين داخلية آخري تؤكد موثوقية العهد الجديد، تؤكد صدق شهادة التلاميذ بشكل عام كونهم شهود عيان:

الأناجيل وكتابات العهد الجديد لم تُسجل بقلم واحد أو بيد الكنيسة، وإنما هي مجموعة من الكتابات المستقلة التي سُجلت بأقلام ثمانية كتاب مختلفين. ورغم أن كتاب العهد الجديد يذكرون نفس الأحداث التاريخية، إلا شهاداتهم تظل مستقلة كونهم شهود عيان، مما يؤكد تاريخية وحقيقة الأحداث.

ف نجد أن كل كاتب يُدرج مادة فريدة لا يمكن أن يعرفها إلا شهود عيان، كما إن رواياتهم في كثير من الأحيان تصف نفس الأحداث الرئيسية، ولكنها تتضمن تفاصيل مختلفة (وهو ما يطلق عليه النقاد مبدأ "الاتساق مع عدم التماثل"، مما يؤكد أنها روايات لشهود عيان مستقلين عن بعضهم، وأنهم يصفون أحداثاً حقيقية وليست خيالات، فالروايات المستقلة يستحيل أن تخرع قصة خيالية تتنوع في التفاصيل دون أن تتعارض. في أثناء رحلة الآلام رب المجد، قيل له: "تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك؟" (مت 26: 67) السؤال هنا: "لماذا يُطلب من إنسان أن يتنبأ من ضربه؟"، جاءت الإجابة على لسان معلمنا لوقا: "وغطوه وكانوا يضربون وجهه" (لوقا 22: 64). واضح أن الشهادتان لا تتطابقان تطابقاً كاملاً، غير أن سؤال الحراس للسيد المسيح كما جاء على لسان معلمنا متى، يفسره القديس لوقا بأن الحراس غطوا وجه السيد المسيح. وهكذا تتكامل الشهادتان دون تطابق ويفسر أحدهما الآخر، مما يدعم الموثوقية.

وعن طريق فحص وثائق العهد الجديد وخاصة إنجيل يوحنا وإنجيل لوقا وسفر الأعمال، يتضح وجود أكثر من 140 معلومة تاريخية تم التأكد من صحتها. إن هذا الشكل من تسجيل الأحداث، لا يتسق مع الكتابات الأسطورية أو القصص الشعبية، فكتاب العهد الجديد يدخلون خيوطاً تاريخية في رواياتهم، بالإضافة إلى الإشارة إلى شخصيات تاريخية حقيقية، يصل إجمالي عددها إلى أكثر من ثلاثين شخصية على الأقل، يمكن التحقق من تاريخيتهم بعلم الآثار وبالمصادر غير المسيحية مثل بيبلاطس وقيافا الذان يأتي ذكرهما في أعمال يوسيفوس. فإذا كانت رواية الأناجيل مصطنعة، فكان لابد أن لا تذكر أسماء هؤلاء الأشخاص

الحقيقيين وخاصة أن أغلبهم أصحاب نفوذ من رجال الدين والدولة، الذين قد يتخذون إجراءات عقابية على من يستغل أسمهم باطلاً.<sup>454</sup>

كذلك يذكر القديس لوقا معلومة تاريخية دقيقة جداً في (لو 22:44)، حين سجل أن يسوع كان يعرق

قطرات دم عشية صلبه، إن تلك الحالة النادرة تعرف طبياً باسم التعرق الدموي hematohidrosis، وفيها

تنفجر الأوعية الدموية الصغيرة بسبب الضغط النفسي

ويختلط الدم بالعرق. تلك الحالة الطبية لم تُعرف من

2000 سنة، وما كان للقديس لوقا أن يسجلها إلا إذا

كان هناك شخصاً رآها بنفسه وأخبره (قد يكون القديس

لوقا غير معابئاً لهذا الحدث تحديداً، ولكنه نقل عن شاهد

عيان، مما يجعل شهادته شهادة عيان). إن تلك التفاصيل، دفعت وليم رامزي أن يقول: "إن تاريخ لوقا لا

يعلوه تاريخ فيما يختص بموثوقيته"، وهو يؤكد أيضاً: "إن لوقا مؤرخ من الطراز الأول ويجب وضعه في

مصاف أعظم المؤرخين".<sup>455</sup>

كما أن كتاب الأنجيل لم يبالغوا أو يجميلوا أو

يصطنعوا الأحداث التي سجلوها، بمعنى أنهم لم يختلقوا كذبة

أو قصة غير حقيقية، وإلا على الأقل كانوا تعمدوا إخفاء كل

ما يشوه صورتهم، ولكنهم في المقابل نجدهم يسجلون

تفاصيل محرجة عن أنفسهم وهو ما يعرف باسم "مبدأ

الهرج"، وهو المبدأ الذي يفترض أن أي تفاصيل محرجة

454 . نورمان جايسلر، وفرانك تورك، 297-292.

455 . نورمان جايسلر وفرانك تورك، 285.

للكتاب هي غالبًا صحيحة، لأن معظم الكتاب يميلون إلى إغفال تلك التفاصيل، فلو كان هؤلاء الكتاب يخلقون قصة خيالية، لكانوا سيغفلون قصورهم وجبنهم وشكهم وهروبهم وإنكارهم.

وعلى نفس القياس، نجدهم يسجلون تفاصيل وأقوال صعبة عن يسوع، مثل أنه به شيطان، وأنه سامري وأخوته لا يؤمنون به وغيرها. لو كان كتاب الأناجيل يحاولون أن يصوروا يسوع بصفته الإله المتأنس، لما اختاروا هذه الصفات التي لا تتفق مع التوقعات اليهودية للمسيا المنتظر.

كذلك يوجد أقوال تنسب إلى يسوع، كان من المستحيل أن يسجلها كتاب الأناجيل، لو كانوا يخلقون قصة من واقع خيالهم، مثل قوله: "أبي أعظم مني" (يو 14:28)، أو أنه "يجهل اليوم والساعة" (مت 24:37). لو أراد كتاب الأناجيل أن يقنعوا الجميع أن يسوع هو الله، فلماذا تركوا هذه الأقوال التي تبدو ظاهريًا أنها تقدم حجة ضد لاهوته. فضلاً عن تصريحه الذي صدم التلاميذ: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ" (يو 6:53 فان دايك)، إن هذا القول لا يمكن أن يخترعه التلاميذ، وخاصة أن القديس يوحنا بنفسه أشار إلى أن: "مِنْ هَذَا الْوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ" (يو 6:66). وهل يعقل أن التلاميذ يخترعون مسيا ضعيف يموت على الصليب، وهو ما يتناقض مع الأبطال الأسطوريين الذين يخترعهم البشر؟<sup>456</sup>

كما إن التلاميذ إذا كانوا يخترعون قصة من واقع خيالهم، ألم يكن من الأفضل أن يخترعوا قصة سهلة التنفيذ، ولكننا نجدهم يسجلون أقوال على لسان المسيح تضع مقاييس عسيرة جدًا، فالعظة على الجبل لا يمكن أن تكون إختراعًا بشريًا، فليس من السهل محبة الأعداء أو تحويل الخد الأخر أو عدم النظر إلى امرأة وغيرها. كل تلك الأمور صعبة التنفيذ، وخاصة أنها ضد أعمق اهتمامات طبيعة الرجال الذين يكتبوها، وضد غرائزهم. من الواضح أن هذه الوصايا ليست من النوع الذي يود البشر أن يفرضوه على أنفسهم.

لقد كان كُتاب الأنجيل من الأمانة أنهم ينقلوا أقوال المسيح كما هي، دون أن يزيدوا أو ينقصوا، مما يؤكد مصداقيتهم التاريخية. والدليل على ذلك أنهم كانوا يمكن أن يحلوا بعض الخلافات اللاهوتية التي واجهتهم في القرن الأول، بمجرد وضع أقوال على فم يسوع لم يقلها. لو كانت قصة المسيحية من الأصل مُخترعة، فما المانع من إضافة المزيد من الأقوال ونسبها إلى يسوع لحل قضايا مثل الختان وطاعة ناموس موسى. ولكن من الواضح أن كُتاب الأنجيل لم يستغلوا سلطتهم على هذا النحو، ولكنهم ظلوا أمناء لم قاله يسوع وما لم يقله.

وفي سبيل هذه الأمانة، تخلوا عن عقائدهم السابقة وممارستهم المقدسة المتأصلة وتبنوا عقيدة وإيمان جديد بممارسات جديدة، ولم ينكروا شهادتهم، حتى لو تعرضوا إلى أخطار وواجهوا الموت. وهذا يؤكد مصداقية التلاميذ، فتلك الكذبة التي يُفترض أنهم اخترعوها، لم يجنوا من ورائها أي مكاسب مادية أو رئاسية أو جنسية، بل أن أغلبهم مات في سبيل شهادتهم. فهل من المعقول أن يموت إنسان لأجل كذبة، قام هو باختراعها؟<sup>457</sup>

يقول معلمنا بطرس الرسول: "لأننا لم نتبع خرافاتٍ مُصنَّعةٍ إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين عظمته." (2بط 1:16). ويشهد القديس يوحنا الحبيب: "الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بغيرونا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة" (1يو 1:1). ويضيف القديس بولس الرسول: "فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره، قد ابتدأ الرب بالتكلم به، ثم تنبأت لنا من الذين سمعوا،" (عب 2:3). إن تلك الشهادات توثقت من خلال شهود العيان الذين كانوا معاينين الأحداث التاريخية وشهدوا عنها بكل مجاهرة بكل أمانة. كذلك جاءت عظة بطرس الرسول يوم الخمسين، بمثابة إقرار تاريخي موثق أمام جميع اليهود بما فيهم رؤساء اليهود والفريسيين على تاريخية شخصية المسيح.

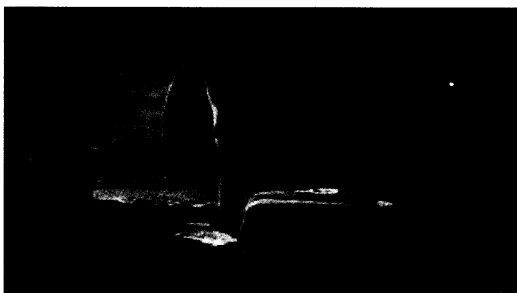
### حدث القيامة كبرهان قوي على موثوقية العهد الجديد:



يظل حدث القيامة، هو حدث المسيحية الأول، كما أنه الحدث الذي تعرض إلى أكبر حملات التشكيك. لقد أجرى جاري هابرماس البحث الأشمل حتى الآن فيما يخص حدث القيامة، لقد جمع هابرماس أكثر من 1400 من أهم الأعمال الأكاديمية التي كُتبت عن القيامة، في الفترة ما بين 1975-2003م. يقول هابرماس في كتابه

"يسوع المقام ورجل المستقبل"، أن كل الباحثين تقريباً من مختلف الأطياف الأيدولوجية، بدءاً من الليبراليين المتطرفين إنتهائاً بالمحافظين [المتشددين، يتفقون على عدد من النقاط التاريخية في ما يخص يسوع والمسيحية وحدث القيامة.

### حقائق القيامة. يجمع النقاد أن:



- يسوع قد مات بعقوبة الصلب الرومانية،
- وأنه قد دفن في قبر خاص،
- وبعد موته شعر التلاميذ بالأحباط واليأس لأن أملهم قد تحطم،
- وأن قبر يسوع قد وُجد فارغاً بعد دفنه بفترة وجيزة،
- وأن التلاميذ قد مروا بخبرات خاصة، آمنوا أنها ظهورات حقيقية ليسوع القائم من الموت،

- وبناء عليه حدث تحول جذري في حياة التلاميذ حتى أنهم أصبحوا مستعدين أن يموتوا في سبيل عقيدتهم،
- وأن إعلان القيامة تم في مرحلة مبكرة جداً في مدينة أورشليم حيث صُلب يسوع ودفن قبل ذلك بفترة قصيرة،
- وأن رسالة الإنجيل تمحورت حول الكرازة بموت المسيح وقيامته،
- وأن تغييراً دراماتيكيًا وتحول قد حدث لشاول الطرسوسي نتيجة لإختبار جازه بلقاء يسوع القائم من الأموات.<sup>458</sup>

تلك الحقائق تم التحقق منها عبر العديد من الوسائل، وفي مجملها تُقدم صورة دقيقة لحدث القيامة، لأنها تمثل حقائق مستقلة. وبناء عليه فإن أي محاولة لتفسير حدث القيامة لابد أن ينطلق ويتوافق مع تلك الحقائق.

بعض الشكوكين يزعمون أن كتاب العهد الجديد كانوا مخدوعين أو بمعنى آخر كانوا مخطئين في ما ظنوه أن خبرة حقيقية. لقد قدم الشكوكين عدة نظريات كمحاولة لتفسير حدث القيامة:

أولاً: نظرية الهلوسة: حيث يفترضون أن التلاميذ خُدعوا بفعل هلاوس بصرية، ظنوا من خلالها أنهم رأوا يسوع المقام. يغفل هؤلاء المُشككين أن الهلاوس لا تحدث لمجموعات بل لأفراد لأنها خبرة نفسية خاصة (وبالطبع هذا يتعارض مع حقيقة ظهورات المسيح في أثنائي عشر مناسبة سجلها العهد الجديد لأشخاص مختلفين على مدي أربعين يوماً)، كما أن القبر الفارغ يفسد نظرية الهلاوس، لأنه كان يكفي أن يطوف اليهود أو الرومان بجسد يسوع في المدينة، حتي تنتهي المسيحية للأبد.

ثانياً: نظرية الأغماء أو الموت الظاهري، وهي تفترض أن يسوع لم يموت أصلاً على الصليب، وأنه تعرض لحالة إغماء، وأنه عندما وضع في القبر، لم يكن قد مات بالفعل، وأنه هرب بطريقة ما، وأقنع تلاميذه

458 . جاري هابرماس، قضية قيامة يسوع (القاهرة: دار رسالتنا للطباعة والنشر، 2025)، 20-45.

أنه قام . بالطبع هذا الافتراض، يتناقض مع الإجراءات المشددة من الرومان تجاه المحكوم عليه بالموت والتي يسجلها التاريخ وعلم الآثار، يضاف إليها تحقق بيلاطس من موت يسوع (بالحرية أو بكسر السينان). حتى لو نجا يسوع من الموت، كيف يتحمل أن يظل بالقبور ستة وثلاثين ساعة وهو ينزف وبه إصابات بالغة، وكيف يحل نفسه من الأكفان ويرفع الحجر الذي يزن طنين وأكثر، كما إن نظرية الأغماء لا تفسر ظهوره لبولس بنور براق على طريق دمشق، كما لا تفسر التحول الجوهرى في حالة التلاميذ.

**ثالثاً: سرقة التلاميذ للجسد:** أخر النظريات هي أن التلاميذ هم من سرقوا الجسد، وأدعوا أن يسوع قد قام، وهو الأمر الذي أشاعه اليهود. ولكن هذا يجعل التلاميذ مخادعين وليسوا مخدوعين، ويبرز السؤال، ما الفائدة التي ستعود عليه جراء هذا الإدعاء؟ وخاصة أن جميعهم تعرض للضرب والتعذيب وأغلبهم إستشهد؟، يضاف على ذلك كيف يمكن لهم أن يجتازوا حراس القبر المدربين الأكفاء، كما إن سرقة الجسد لا تفسر أيضاً الظهور لبولس.<sup>459</sup>

### أدلة القيامة:

يُضاف إلى الحقائق السابقة، أن الطريقة التي يصف بها كُتاب الأنجيل حدث القيامة، لا تتماشى أبداً مع إختراع قصة أسطورية. فالكتاب يصفون هذا الحدث مثل غيره من الأحداث التاريخية، فينقلوه بطريقة بسيطة دون تجميل، ولذلك جاءت التفاصيل خالية من المبالغات أو تجميل الحقائق، وهذه علامة قوية أن السرد التاريخي لا يحتوي على عناصر أسطورية.

وفي المقابل نجد مثال واضح لهذا الشكل الأسطوري لقيامة المسيح في الإنجيل الأبوكريفي المعروف باسم "إنجيل بطرس" الذي تم تدوينه بعد أكثر من مائة عام على الأقل من الحدث، فرواية القيامة في هذا الإنجيل، تشمل جماهير غفيرة وحجارة متحركة ورؤوس رجال تطول السماء وتتجاوزها وصليباً سائراً متحدثاً. أما رواية القيامة في الأنجيل الأربعة، فنجدها لا تحوي أي شيء من هذا القبيل، بل هي تقدم أوصافاً

خالية من المؤثرات التخيلية. وعلى الرغم من أن حدث القيامة هو الحدث المركزي في المسيحية، وكانت القصة أسطورية مختلقة، لكان كُتاب الأناجيل سيحرصون على إضافة المزيد من التفاصيل والمعاني اللاهوتية لكي يقنعوا الآخرين بألوهة المسيح. ولكن الحقيقة أن التلاميذ كانوا شهود عيان يدونون أحداثاً حقيقية حدثت، وليسوا مؤلفي روايات شعبية خيالية، وبالتالي سجلوا كل معجزات المسيح بما فيهم حدث القيامة، في شكل تقارير صحفية وليس عظات حماسية تحوي أوصافاً براقاً أو تعليقات نارية ذات طابع أسطوري.<sup>460</sup>

ومما يؤكد تاريخية ومصداقية شهادتهم، أنهم يسجلون أحداثاً مستقلة تتعلق بحدث القيامة، لا يعقل أن يكون من اختراعهم:

فقد سجل كُتاب الأناجيل أن من دفن يسوع هو يوسف الرامي عضو السنهدريم، وهو المجلس الذي حكم على يسوع بالموت بتهمة التجديف. وإذا نظرنا إلى المرارة التي عانها التلاميذ والمقربون من يسوع تجاه السلطات اليهودية، فلماذا نجدهم يسجلوا أن يسوع تم وضعه في قبر رجل من السلطة اليهودية؟ ألم يكن من الأفضل إختراع قصة دفن بديلة، ترضي المقربين لرب المجد.

كما تخبرنا الأناجيل بأن النسوة هن أول شهود على القبر الفارغ، وفي المجتمع اليهودي لم يكن تؤخذ شهادة النساء بشكل عام وخاصة أن أحدهن كان به شياطين (مريم المجدلية)، ألم يكن من الأفضل أن ينسب التلاميذ هذا الخبر لأنفسهم بدلاً من النسوة، وخاصة إذا كانت رغبتهم أن يمرروا كذبة على أنها حقيقة.<sup>461</sup>

يقول "أر. أف. فرانس" في كتابه " الأناجيل كمصادر تاريخية عن يسوع": "إذا نظرنا إلى المستوي الأدبي والتاريخي للأناجيل، نجد أن لدينا أسباباً جيدة لكي نأخذها مصدرًا للمعلومات عن حياة يسوع وبالتالي مصدرًا عن المنشأ التاريخي للمسيحية. أما بالنسبة لقرار الدارس أن يقبل ما تعرضه هذه المصادر أم لا، فهذا

460 . نورمان جايسلر، وفرانك تورك، 310-314.

461 . نورمان جايسلر، وفرانك تورك، 307-308.

أمر يتعلق بمدى إنفتاحه على فكرة احتمال حدوث أمور تفوق الطبيعة، مُتخطيًا بذلك المعطيات التاريخية وحدها.<sup>462</sup>

### ثالثًا، البرهان الخارجي:

وهو يتأكد من خلال كتابات خارجية تؤكد موثوقية الأسفار سواء من كتاب مسيحيين (بابياس، القديس إيريناؤس والقديس إكليمندس الروماني والقديس أغناطيوس والقديس بوليكرابوس) أو غير مسيحيين (تاتيويس ويوسيفوس) من العصر المسيحي المبكر.

عندما يشير كتاب العهد الجديد إلى أشخاص وأماكن وأحداث، فإن التحقق من تاريخية ومصداقية تلك العناصر، يعطي ثقة كبيرة لموثوقية وصدق العهد الجديد. يقول كريج بلومبرج أستاذ الفلسفة الشهير في كتابه "يسوع والأنجيل": " في غضون المائة سنة الأخيرة، كشف علم الآثار مرارًا وتكرارًا عن إكتشافات أكدت صحة ما جاء في كتابات العهد الجديد". كما يؤكد جون ماكري في كتابه "علم الآثار والعهد الجديد": " ليس هناك شك بأن مصداقية العهد الجديد معززة، بنفس الكيفية التي نقول بها أن أي وثيقة قديمة معززة عندما نحفر وننقب ونجد أن الكاتب كان دقيقاً في حديثه عن مكان أو حدث معين".<sup>463</sup>

يمكن لعلم الآثار أن يؤكد موثوقية العهد الجديد كمستند تاريخي، حتى لو لم يستطع أن يثبت الوحي الكتابي (مصداقية الوحي أو المصدر الإلهي تثبتت من خلال تحقق النبوات كما سبق الإشارة) ، لكنه قادر على إعطاء ثقة وموثوقية لأحداثه التاريخية. لقد أكد نيلسون جليك عالم الآثار اليهودي الشهير أهمية هذا الدليل قائلًا: "لم يناقض أي اكتشاف أثري على الإطلاق المرجع الكتابي. لقد تمت عشرات الاكتشافات الأثرية والتي تؤكد في خطوط عريضة واضحة أو تفاصيل دقيقة، التصريحات التاريخية في الكتاب المقدس"، كما يسجل ميللر بوروز، عالم الآثار الشهير بجامعة ييل أن: "أكثر من عالم آثار واحد قد وجد أن

462 . مارك ألفونس، النص تحت الفحص، 4.

463 . لي ستروبل، القضية المسيح، ترجمة سعد مقاري، 63.

احترامه للكتاب المقدس، قد زاد بواسطة خبرة الحفريات في فلسطين"، كذلك يؤكد وليم ف. نونيريت عند الأثار الشهير: "إن اكتشافاً بعد اكتشاف قد أسس بدقة تفاصيل لا حصر لها، وجلب اعترافاً مترتّباً بجمّة الكتاب المقدس كمصدر للتاريخ".<sup>464</sup>

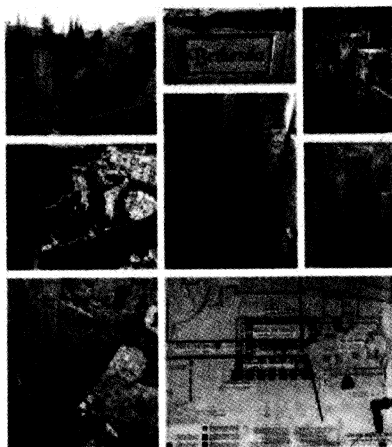
على سبيل المثال، لم يكن معروفاً "ما هو البلاط" الذي أشار إليه القديس يوحنا حين قال أن بيلاطس كان يجلس في موضع يقال له "البلاط وبالعبرانية جباتا"، فلا وجود لأثر له والعلماء لم يكونوا يفهمون ما المقصود به. ولكن العالم الأثري فنست، قد إكتشف عند القوس المعروف بلقب "أكسي أومو أو قوس هوذا الإنسان بلاطاً فاحزراً للغاية".

كذلك تم إكتشاف بجوار قلعة أنطونيا مربع مساحته 2500متر، كان يُستخدم كساحة للقضاء وهو مكان صخري مرتفع ينطبق عليه اسم "جباتا" (أو المرتفع).

أما بركة حسدا التي ذُكرت في الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا، فقد سببت للعلماء كثير من الإرتباك، وذلك لأمرين:

**أولاً:** لأنه لا يوجد أثر لبركة بهذا الإتساع في أورشليم القديمة، ثانياً: كل البرك الصناعية المكتشفة في الشرق الأدنى مربعة أو مستديرة.

ولكن مؤخرًا تم إكتشاف بركة على عمق ثلاثين قدماً بجوار كنيسة قديمة بالقرب من أورشليم مسطحها 40 مترًا مربعًا، وبإستمرار الحفر تم إكتشاف بركة مجاورة تتصل بالبركة الأولى عن طريق مجرى عريض، والبركة لها أربعة أروقة والرواق



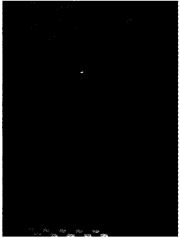
الخامس يقع في المجرى المتوسط. وهو ما يتفق بشكل كبير مع شهادة القديس يوحنا، مما يؤكد موثوقيته كشاهد عيان.<sup>465</sup>



في عام 1961م اكتشف عالم الآثار الإيطالي أنطونيو فروفا نقشًا في قيصرية مارتيما على لوح حجري كان يستخدم وقت الاكتشاف كجزء من السلم المؤدي إلى مسرح القيصرية، وكان النقش باللغة اللاتينية وأشتمل على أربعة سطور، ثلاثة منها يمكن قراءتها على النحو التالي:

طيباريوم، بيلاطس البنطي، حاكم اليهودية، ويرجح أن هذا اللوح المنقوش كان يستخدم أصلاً في تأسيس الطيباريوم (وهو معبد كان يتبع فيه الإمبراطور طيباريوس)، قم أعيد استخدامه لاحقاً في الموقع المكتشف. ويعد هذا النقش هام جداً لأنه هو الدليل الأثري الوحيد لاسم بيلاطس ولقبه معاً.<sup>466</sup>

يقول القديس لوقا الرسول في إنجيله أن: "ليسانْيُوسُ رَئِيسَ رُبْعِ عَلى الأَبْلِيَّةِ" (لو 1:3)، وذلك حوالي 27م، ظل العلماء لفترة يدعون أن لوقا لا يعرف ما يتحدث عنه، لأن الجميع يعرف أن ليسانْيوس لم يكن رئيس ربع، بل كان حاكماً على تشاليس قبل ذلك بربع قرن، إن هذا من شأنه أن يشكك في موثوقية العهد الجديد، فيدعون أن التاريخ لم يعرف شخصاً باسم ليسانْيوس بعد عام 36 ق.م وهو العام



الذي قُتل فيه، فكيف كان هذا الرئيس موجوداً في بدء خدمة يوحنا المعمدان 27م؟

في المقابل، تم العثور على شاهداً بجوار دمشق مكتوب عليه "ليسانْيوس رئيس الربع" ويرجع تاريخه ما بين 14 و29م، فضلاً عن العديد من الصكوك المنقوش عليها "ليسانْيوس رئيس الربع"، والتي عُثر عليها في آثار دوريك في جهة تُسمى النبي هابيل، وهي المنطقة

465 . جون إدر، الأحجار تتكلم، علم الآثار يؤيد الكتاب المقدس، ترجمة د. عزت زكي (القاهرة: دار النشر الأسقفية، 2014)، 168.

466 . جوش ماكديول، برهان جديد يتطلب قراراً، 106.

المسماة الأبلية في العصور القديمة، وبالتالي يتضح وجود مسؤولان حكوميان باسم لسانبوس، وبالتالي يتحقق مصداقية القديس لوقا.

بعض النقاد إدعوا أن القديس لوقا أخفق تمامًا في تسجيل الأحداث التي دارت في فترة ميلاد يسوع، "وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يُكتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. وَهَذَا الْإِكْتِتَابُ الْأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينْيُوسُ وَالْيَ سُورِيَّةً" (لو 2: 1-3)، لأنه لم يكن هناك اكتتاب وقت أن كان كيرينبوس حاكماً لسورية في تلك الفترة.

ولكن الاكتشافات الأثرية تؤكد أن الرومان كانوا يقومون بإحصاء دافعي الضرائب على نحو منتظم، كما كانوا يجرون اكتتاباً عاماً كل أربعة عشر عاماً، وقد أُجْرِيَ أول اكتتاب في الفترة التي أشار إليها القديس لوقا. كذلك وجدت بردية في مصر توضح ما كان يجري في الاكتتاب: "يجب على جميع من يقيمون لأي سبب بعيداً عن موطنهم أن يعودوا فوراً إلى هناك حتى يتموا بنفسهم الاكتتاب، حتى تنسب الأراضي الزراعية إلى أصحابها. كما وجد نقش في أنطاكية ينسب إلى كيرينبوس هذا المنصب بل ويحدد أنه كان حاكماً لسورية مرتين، مرة في 7 ق.م والأخرى 6 م، وهو التاريخ الذي حدده يوسيفوس.

إن دراسة سفر الأعمال، وخاصة النصف الثاني، يظهر القديس لوقا على دراية واسعة ومعرفة كاملة بأماكن وأسماء وظروف بيئية وعادات وظروف محلية، لا تأتي إلا من شاهد عيان معاصر للزمان والأحداث.

قام المؤرخ كويين همر بتتبع سفر الأعمال آية آية، وقام برصد 84 حقيقة في الستة عشر أصحاباً الأخيرة من سفر الأعمال، تأكدت صحتها بالبحث التاريخي والأثري. تلك الحقائق قام القديس لوقا برصدها دون وجود خرائط مثل التي نعرفها في العصر الحديث، فهو يسجل المعبر الطبيعي بين ميناءين مذكورين باسمهما الصحيح "فَهَذَانِ إِذْ أُرْسِلَا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ انْحَدَرَا إِلَى سَلُوكِيَّةَ وَمِنْ هُنَاكَ سَافَرَا فِي الْبَحْرِ إِلَى قُبْرُسَ." (أع 13: 4)، كذلك يذكر الترتيب الصحيح للذهاب إلى دربة ثم لسترة من كيليكية " ثُمَّ وَصَلَ إِلَى

دَرْبَةً وَلِسْتِرَةً وَإِذَا تَلْمِيذٌ كَانَ هُنَاكَ اسْمُهُ تِيْمُوثَاوُسُ ابْنُ امْرَأَةٍ يَهُودِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ وَلَكِنَّ أَبَاهُ يُونَانِيٌّ" (أع 1:16)،  
وغيرهما.

يقول سير وليم رامزي عن دراسة سفر الأعمال: "بدأت بتوجه سلبي نحوه، ولكن بعد فحص الموضوع بدقة، وجدت غالباً أنني أتعامل مع سفر الأعمال بصفته حُجّة في تضاريس آسيا الصغرى وأثارها ومجتمعها. إن دقة لوقا في سفر الأعمال مذهلة.<sup>467</sup>

كذلك ظن رجال الحفريات أن لوقا أخطأ، عندما ذكر "مدينتي ليكاونية: لسترة ودرية"، "شعراً به فَهَرَبَا إِلَى مَدِينَتِي لِيكَاوْنِيَّةَ: لِسْتِرَةَ وَدَرْبَةً وَإِلَى الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ" (أع 14:6)، ولم يذكر إيقونية ضمن مدن ليكاونية، وقد بنوا افتراضهم على كتابات بعض الرومان مثل شيشرون الذين قالوا أن إيقونية في مقاطعة ليكاونية، واستنتجوا أن سفر الأعمال لا يُعتمد عليه. ولكن في سنة 1910م، وجد السير "وليم رمزي" شاهداً أثرياً يقول: "إيقونية كانت مدينة في مقاطعة فرجية"، وبذلك برهنت الحفريات صدق ودقة ما ذكره القديس لوقا الرسول. كذلك كان هناك شك في استخدام لوقا لبعض الكلمات، فهو يقول أن فيلبي جزء من مقاطعة مكدونية. ويستعمل لوقا كلمة يونانية هي Meris، التي تعني جزءاً أو منطقة. وقد احتج "هورت" على استعمال لوقا لهذه الكلمة لأنها لا تعني مقاطعة، ولكن الحفريات برهنت على أن هذه الكلمة كانت تصف أقسام المقاطعة، وبالتالي فقد برهنت الحفريات على دقة القديس لوقا.<sup>468</sup>

كما يذكر القديس بولس في رسالته إلى أهل رومية، أراستس خازن المدينة " يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ غَايُسُ مُضَيِّفِي وَمُضَيِّفِ الْكَنِيسَةِ كُلِّهَا. يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ أَرَاَسْتُسُ خَاَزِنُ الْمَدِينَةِ وَكُوَاَرْتُسُ الْأَخْ." (رو 16:23)، وخلال أعمال التنقيب التي تمت في كورنثوس (مكان كتابة الرسالة) عام 1929م، وُجد رصيف حجري عليه النقش

467 . نورمان جابسلر وفرانك تورك، 277-282.

468 . القس دوماديوس الرزقي، الكتاب المقدس عبر القرون والأجيال (القاهرة: دار الأنبا أنطونيوس للنشر والتوزيع، 2009)، 286-287.

التالي: "أراستس، أمين المباني العامة، أنشأ هذا الرصيف على حسابه الخاص"، ويُرجح أن هذا الرصيف يرجع إلى القرن الأول الميلادي، وبالتالي يرتبط بالرجل الذي أشار إليه بولس.<sup>469</sup>

أحد الأمور الأثرية التي يمكن إلقاء الضوء عليها كما جاءت في أسفار العهد الجديد، هي العملات التي جاء ذكرها في ما بين الأحداث، وهو الأمر الذي من شأنه أن يؤكد تاريخية الأحداث وليس كما يدعي البعض أنها أساطير، وذلك لأن الأساطير لا تحتوي على مثل هذه التفاصيل الدقيقة، التي تصل في بعض الأحيان إلى شرح قيمة عملة ما.

فقد جاءت عملة "الدينار" في أكثر من موضع في العهد الجديد، مثل في سؤال اليهود للسيد المسيح عن دفع الجزية، حين قال: "أزوني مُعَامَلَةَ الْجِزْيَةِ. فَقَدَّمُوا لَهُ دِينَارًا" (مت 22:19)، "عَلِمَ رِيَاءَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: لِمَادَا تُجْرِبُونَنِي؟ أَيُّنُونِي بِدِينَارٍ لِأَنْظُرَهُ" (مر 12:15). "أزوني دِينَارًا. لِمَنِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟ فَأَجَابُوا: لِقَيْصَرَ" (لو 20:24).

كلمة دينار مأخوذة عن الكلمة اللاتينية "ديناريوس denarius"، والتي تعني "عشرة" وذلك لأن الدينار كان يساوي عشرة "أسات" رومانية، وكان الدينار الروماني من الفضة، ويزن حوالي ثلاثة جرامات، وكان على اليهود أن يدفعوا الجزية لروما بالدينار الذي يحمل صورة قيصر روما وألقابه، وبالتالي فإن الدينار واحد من العملات الهامة جدًا لأنها ترتبط بزمان الأباطرة، وبالتالي يمكن عن طريقها تأريخ اكتشافات أثرية.<sup>470</sup>

أما الدرهم فهو عملة فارسية يُرجح أنها تعادل نصف الشاقل، وقد ورد ذكر الدرهم لأول مرة في الكتاب المقدس في سفر أخبار الأيام الأول "وَأَعْطُوا لِخِدْمَةِ بَيْتِ اللَّهِ خَمْسَةَ آلَافٍ وَرُزْنَةَ وَعَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ مِنَ الذَّهَبِ، وَعَشْرَةَ آلَافٍ وَرُزْنَةَ مِنَ الْفِضَّةِ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ وَرُزْنَةَ مِنَ النُّحَاسِ، وَمِئَةَ أَلْفٍ وَرُزْنَةَ مِنَ الْحَدِيدِ"

469 . جوش ماكديول، برهان جديد يتطلب قرارًا، 103-104.

470 . القس صموئيل حبيب وآخرون، دائرة المعارف الكتابية الجزء الثالث ( القاهرة: دار الثقافة، 1991)، 454.

(أخ 7:29). والدرهم في العهد الجديد، يستعمل للدلالة على العملة عموماً دون تحديد لمقدارها، ولو أن البعض يعتقدون أنه كان يعادل الدينار الروماني تقريباً. في حادثة طرد الباعة من الهيكل "فَصَنَعَ سَوَاطِئَ مِنْ جِبَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ الْغَنَمَ وَالْبَقَرَ وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَّارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ" (يو 2:15).<sup>471</sup>

يُعتبر الفلس أصغر عملة متداولة وقد استخدمت كلمة "فلس" في العهد الجديد، نقلاً عن ثلاث كلمات يونانية: (1) "أساريون assarion"، وكان يساوي عُشر الدينار كما جاء في "أَلَيْسَ عَصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفِلْسٍ؟ وَوَاجِدٌ مِنْهُمَا لَا يَسْفُطُ عَلَى الْأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ" (مت 29:10)، "أَلَيْسَتْ خَمْسَةُ عَصَافِيرَ تُبَاعُ بِفِلْسَيْنِ وَوَاجِدٌ مِنْهَا لَيْسَ مَنْسِيًّا أَمَامَ اللَّهِ؟" (لو 6:12). (2) "كودرانتس kodrantes"، وهو مشتق من الكلمة اليونانية "كوادرانتس quadrants"، وكان يساوي ربع أساريون كما جاء في: "أَلْحَقْ أَقُولُ لَكَ: لَا تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ الْفِلْسَ الْأَخِيرَ!" (مت 26:5). (3) "البتون lepton"، وكان يساوي نصف الربع كما جاء في: "فَجَاءَتْ أَرْمَلَةٌ فَقِيرَةٌ وَأَلْفَتْ فِلْسَيْنِ قِيمَتُهُمَا رُبْعٌ" (مر 12:42)، "أَقُولُ لَكَ: لَا تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ الْفِلْسَ الْأَخِيرَ" (لو 12:59)، "وَرَأَى أَيْضًا أَرْمَلَةً مَسْكِينَةً أَلْفَتْ هُنَاكَ فِلْسَيْنِ" (لو 21:2).<sup>472</sup>

إن ارتباط بعض أحداث الكتاب المقدس ببعض العملات، من شأنه أن يضيف موثوقية للأحداث، حيث يتم تقديم خيط جديد يمكن تتبعه للتحقق من تلك الموثوقية، فعلي سبيل المثال جاء في مثل الفعلة أن أجرة العامل في اليوم ديناراً، وهو ما يُمكن التحقق منه تاريخياً للتأكد على مصداقيته.

يقول د. نلسون جليك الأثري والباحث الشهير: "من الحقائق المذهلة، أنه لم يقف اكتشاف واحد من الاكتشافات الحديثة، في وجه الحقائق المدونة بالكتاب المقدس، بل إن كل اكتشاف يؤيد في أدق تفصيلاته كل ما ورد في الكتاب المقدس، وهكذا نستطيع أن نؤكد أن كتاب الأسفار الإلهية، لم يقصدوا من تسطير ما ورد

471. القس صموئيل حبيب وآخرون، دائرة المعارف الكتابية الجزء الثالث، 430.

472. القس صموئيل حبيب وآخرون، دائرة المعارف الكتابية الجزء السادس (القاهرة: دار الثقافة، 2000)، 61-

بها، تاريخًا بحثًا، ولكن كل ما جاء به قد تم التحقق منه تاريخيًا، مما يؤكد مصداقية وموثوقية ما جاء به. وما زال المجال متسعًا لكل اكتشاف جديد، يضيف إلى تلك الموثوقية ويقدم شهادة متجددة عن صدق الكلمة

الإلهية.<sup>473</sup>

### هل نحتاج أكثر من بشارة؟

يتساءل البعض عن سبب وجود أربع بشائر (إنجيل) في العهد الجديد، قائلين: أما كان يكفي إنجيل واحد؟ بالطبع السؤال، يغفل حقيقة الأناجيل: فمعنى إنجيل (هو البشارة المفرحة)، وبالتالي الأناجيل الأربعة ليسوا أربعة كتب، ولكنهم كتاب واحد له أربعة جوانب ويتكلم عن شخص واحد هو موضوع البشارة المفرحة، هو السيد المسيح (محور الأناجيل الأربعة) ولكن من أربعة زوايا.

### أما عن أسباب وجود أكثر من بشارة، فهي كثيرة:

**أولاً:** تقديم صورة أكثر إكتمالا وشمولا عن السيد المسيح، فنجد الوحي الإلهي قد استخدم أشخاص لهم خلفيات مختلفة لتحقيق أهداف مختلفة من خلال كتاباتهم، فكان لكل منهم هدف مميز وجمهور مختلف، فبالتالي كتاباتهم تقدم صورة متكاملة عن شخص رب المجد، فنجد القديس متى يكتب لليهود (يركز على الجوانب التي تهتم اليهود مثل النسب وتحقيق النبوات عن المسيا المنتظر)، أما القديس مرقس، فيكتب للرومان (يفيّر الجانب العملي في شخص المسيح من خلال صنع المعجزات، ولا يقدم الكثير من كلمات السيد المسيح وعظاته)، أما القديس لوقا، فيكتب لليونانيين (أصحاب الفلسفات والحكمة البشرية، فيقدم المسيح كصديق للبشرية جاء ليخلصها، ليس بالفلسفة ولكن بالحب البازل)، أما القديس يوحنا، فيكتب للعالم كله (معلنًا حقيقة الإله المتجسد الذي جاء ليرفعنا لسماواته).<sup>474</sup>

473 . جون إدر، الأحجار تتكلم، علم الآثار يؤيد الكتاب المقدس، 168.

474. القمص تادرس يعقوب ملطي، "مقدمة عامة في الأناجيل الأربعة"، موقع الأنبا تكلا هيمانوت، تاريخ الأقباس : فبراير 2025.

إن وجود أربع روايات عن حياة السيد المسيح، يظهر جوانب مختلفة لشخصية السيد المسيح وخدمته، فالقديس متى ركز على تجسد السيد المسيح (يرمز له بوجه إنسان) ، والقديس مرقس تكلم عن المسيح الخادم القوى (رمز أسد)، والقديس لوقا تكلم عن المسيح الفادي (رمز ثور)، والقديس يوحنا تكلم عن إلهية السيد المسيح (رمز نسر). وبالتالي يصبح كل إنجيل مثل خيط ذو لون مختلف ينسج لوحة أو صورة متكاملة عن شخص رب المجد يسوع.<sup>475</sup>

**ثانيًا:** التسجيل والتكامل، إن حياة السيد المسيح كالمحيط الواسع، وبالتالي لا يستطيع أن يسجل تفاصيل تلك الحياة قلم واحد، "أشياء أخر كثيرة صنعها يسوع ، إن كتبت واحدة واحدة، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة" (يو 21:25).<sup>476</sup>

**ثالثًا:** التيقن من مصداقية شهادة الإنجيلين، فالكتاب المقدس يشير إلى "على فم شاهدين أو فم ثلاثة يقوم الأمر" (تث 19:15)، وبالتالي إن وجود روايات متعددة على فم شهود عيان، يجعلنا نتأكد من موثوقية الأحداث ودقة المعلومات. كما إن تنوع شهادتهم واستقلالها وأتفاقها على الخطوط العريضة مع تنوع وجهات النظر واختلاف التفاصيل، يدل على موثوقية الشهادة ودقتها وامكانية الوثوق بها "وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا أمنتم حياة بأسمه"<sup>477</sup> (يو 20:31)

[https://st-takla.org/pub\\_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/00-General/Introduction-About-The-Four-Gospels\\_El-Anageel-El-Arba3a-06.html](https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/00-General/Introduction-About-The-Four-Gospels_El-Anageel-El-Arba3a-06.html)

470. القمص تادرس يعقوب ملطي، "مقدمة عامة في الأنجيل الأربعة"، موقع الأنبا تكلا هيمانوت، تاريخ الأقباس : يناير 2022

471. البابا تواضروس الثاني، مفتاح العهد الجديد (القاهرة: بطريركية الأقباط الأرثوذكس ، 2013)، 68.

472. القمص تادرس يعقوب ملطي، "مقدمة عامة في الأنجيل الأربعة".

إن وجود أربعة أنجيل، لأن أربعة هو رقم الشمول والعمومية في الكتاب المقدس، فهناك أربعة اتجاهات للأرض وأربعة فصول في السنة، كما يوجد أربع أوجه للشاروبيم، وأربعة حيوانات غير متجسدين (رؤ 7:4)، وأربعة قرون للمذبح (خر 2:27) وأربع أنواع من الذبائح (لا 1-5).<sup>478</sup>

أما عن أدلة أنهم أربعة ليس أقل أو أكثر، فهي كثيرة: فالآباء الرسولين (تلاميذ الرسل) اقتبسوا في كتاباتهم و شروحاتهم من الأربع أنجيل، كما إن الترجمة السريانية (البشيتو)، أقدم الترجمات، لم تضم سواهم، كما إن وثيقة موراتوري التي ترجع للقرن الثاني الميلادي (170 م)، تؤكد على إنهم أربعة أنجيل، كما إن كتاب الديايطرون (الرباعي) لتايتان في القرن الثاني، كان محاولة لضم الأنجيل الأربعة في كتاب واحد، وإن كانت الكنيسة لم تقبل هذا العمل، لأن غاية الأنجيل لم يكن تسجيل سيرة السيد المسيح، ولكن غايتها هي تقديم شهادة متكاملة عن حقيقية واحدة وشخص واحد، إلا أنه يعد دليل على إن الأنجيل أربعة ليس أكثر أو أقل. كما إن القديس إيريناؤس وضع مؤلفاً يحمل اسم "أدلة عدم وجود أكثر أو أقل من أربعة أنجيل"، والمؤرخ يوسابيوس القيصرى يتحدث عن أربعة فقط.<sup>479</sup>

### سر التشابه والتوافق بين البشائر الثلاثة الأولى

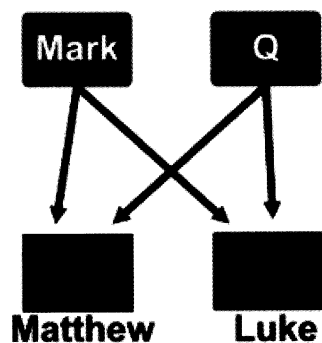
يتساءل البعض عن سر التشابه والتوافق بين البشائر الثلاثة الأولى (متى، مرقس، لوقا)، وينجرف الكثيرين في محاولات لتحليل النصوص الثلاثة ونقدها، بعيداً عن مفهوم عصمة الوحي الإلهي، وبعيداً عن كون كُتاب البشائر الثلاثة كانوا شهود عيان للأحداث أو تتبعوها بمنتهى الدقة مثل القديس لوقا الانجيلي.

473. البابا تواضروس الثاني، 68.

479. البابا تواضروس الثاني، 68.

حاول البعض وضع نظريات لحل مشكلة هذا التوافق:

### Two-source Hypothesis



أولاً: نظرية المصدرين، حيث زعم البعض أن كلا من متى

ولوقا، قد استخدمتا إنجيل مرقس (الأقدم) كمصدر في كتابتهما

لإنجيلهما، بالإضافة إلى مصدر آخر، ربما يكون مصدرًا يونانيًا

مترجمًا من أصل آرامي، ونقلًا منه حرفيًا بالطريقة ذاتها تقريبًا (يسمى

المصدر Q، نسبة إلى الكلمة Quelle، بالغة الألمانية وتعني مصدر)،

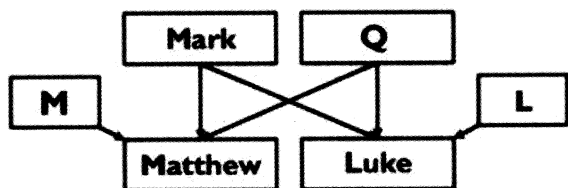
وبالتالي يكون كلا من متى ولوقا، أقتبسا من مرقس من ناحية، كما أعتدما على وثيقة مشتركة مفقودة (مصدر

Q)، بالإضافة إلى أن كل منهما كان يملك مصدرًا خاصًا به (نظرية هولتزمان 1863 م).<sup>480</sup>

ثانيًا: نظرية الوثائق المتعددة، فيدعى البعض وجود مجموعات لأقوال يسوع وأعماله، كانت هي

الأساس الذي بنى عليه الإنجيليين كتاباتهم، بالإضافة إلى وجود اتصالات بين المصادر الأنجيلية، سبق كتابة

الأنجيل.<sup>481</sup>



### Synoptics - Four Source Theory

فنجذ الأبوان بينوا و بومارا (الأستاذان

بمعهد الكتاب المقدس بالقدس 1972م)، يفترضنا

وجود 4 وثائق تمثل المصادر الأولية، التي أتخذ

منها الإنجيليين كتاباتهم، الوثيقة (أ): وهي نبعت

من أوساط يهودية (مرجع يهودى 50م)، ألهمت كلا من متى و مرقس. الوثيقة (ب): وهي مادة تفسيرية

480. حلمى القمص يعقوب، مدارس النقد و التشكيك و الرد عليها- العهد الجديد، موقع الأنبا تكلا هيمانوت،

تاريخ الاقتباس: فبراير 2025.

<https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/new-testament/77.html>

481. البابا تواضروس الثانى، مفتاح العهد الجديد، 73.

(يونانية 55م) للوثيقة (أ)، واستخدمت في الكنائس المسيحية ذات الأصول الوثنية وألهمت جميع الإنجيليين ما عدا متى . والوثيقة (ج): وهى تعليم خاص للقديس بطرس في فلسطين، وقد ألهمت مرقس و لوقا ويوحنا. والوثيقة (م): وهى تمثل معظم المصادر الشائعة بين متى و لوقا، وهى مصدر لأقوال السيد المسيح وترجع إلى ما قبل 70 م، وقد تكون الوثيقة (Q).<sup>482</sup>

### الرد على هذه الفرضيات

**السبب في هذا التوافق هو طبيعة شهود العيان.** فالإنجيليين كانوا شهود عيان، بمعنى أنهم عاشوا وشاركوا فى التقليد الذى تناقلوه، كما إن روح الله القدوس قادم واستخدمهم فى تقديم شهادتهم وكأنه عازف ماهر يستخدم قيثارة ذات أربعة أوتار، ليصنع سيمفونية رائعة، فنجد رواية مرقس مختصرة ومدونة، ورواية متى ولوقا مطورة ومطولة، أما رواية يوحنا فهى مفسرة ومشروحة. كما أن الإنجيليين قدموا شهادتهم دون التقيد بالترتيب الزمنى للأحداث (باستثناء أحداث الميلاد والصلب والقيامة )، فقد أهتموا بالأكثر بالترتيب الموضوعى، الذى يحمل فى طبيعته ترتيباً لاهوتياً، فكان تركيزهم على قول الحقيقة بوجهها المادى (التاريخى) والروحى، حتى لو لم يهتموا بالتحليل الزمنى والمكانى للأحداث.<sup>483</sup> كما أن شهادتهم لا تتطابق بشكل حرفي، فحتى فى تناولهم لنفس الأحداث، دائماً نجد مادة ينفرد بها كل كاتب، سواء حدث أو قول أو حتى زاوية مختلفة للأحداث، لكن دائماً تظل الأحداث واحدة ولكن النظرة تتباين. وهذا أمراً متوقفاً بالنسبة لشهادات شهود العيان.

بالإضافة لأنه لا يوجد دليل واحد يدعم هذه الفرضيات، سواء شهادات من كتاب معاصرين لتلك المصادر، أو مخطوطات لها، فلم يتم العثور على مخطوطة واحدة تؤيد نظرية المصادر. كما أن أسلوب كل

482 . حلمى القمص يعقوب ، مدارس النقد و التشكيك و الرد عليها- العهد لجديد ، موقع الأنبا تكلا هيمانوت ، تاريخ الاقتباس : فبراير 2025.

483. البابا تواضروس الثانى ، 73.

كاتب واهتماماته وألفاظه تظهر واضحة في كل إنجيل، مما يلغي فكرة النقل، بالإضافة إلى انفراد كل كاتب بمادة مستقلة خاصة به، لم يتم تناولها من قبل باقي الإنجيليين.

## النقد النصي للعهد الجديد

يسائل البعض: كيف كان يبدو أي كتاب من كتب العهد الجديد حينما كُتِبَ أو لاء؟ وكيف أنتقلت كتب العهد الجديد عبر الأجيال؟ وهل نستطيع أن نُسلم بأن ما في أيدينا اليوم ونسميه "العهد الجديد"، هو ذاته ما كتبه كُتّاب الأسفار منذ ألفي عام؟ كل تلك الأسئلة وغيرها يدخل ضمن نطاق النقد النصي للعهد الجديد.

كلمة "نقد" في اللغة اليونانية هي "κρίνω"، وهي تعني "اختر أو انتقي أو انتخب"، وبالتالي فالنقد في مفهومه السليم هو القدرة على التمييز بين عدة أمور بهدف الوصول إلى رأي محدد وواضح في أمر ما. فالناقد الأدبي يقوم بعملية تحليلية نقدية بهدف إرجاع النص إلى نصوصه الأصلية. يمكن تبسيط مفهوم النقد بالأية القائلة: "أمتحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن" (1 تس 5:12). النقد في مفهومه العام هو الأسلوب المنهجي الذي يتخذه الإنسان كوسيلة لمعرفة الصواب من الخطأ، عن طريق وضع الأشياء تحت المجهر لفحصها، للتأكد من مدى مصداقيتها وصحتها. قد يبدو للبعض أن النقد عمل سيء، ولكنه على النقيض تمامًا، إذ يعطينا القدرة على الوصول إلى الأمر الأكثر مصداقية.<sup>484</sup>

في اللغة العربية، ورد لفظ "نقد" في (لسان العرب)، بمعنى: ميز الدراهم، وأخرج الزيف منها. كما ورد تعبير "نقد الشعر" في المعجم الوسيط بمعنى أظهر ما فيه من عيب أو حسن، ويفهم من ذلك أن النقد يهدف إلى إظهار المحاسن وكشف العيوب، وتنقية وعزل ما حاد عن الصواب. ولذلك فالتفكير النقدي هو مصطلح يُشير إلى التساؤل الإيجابي والفعال، أو التشكيك في صحة الدعاوي المختلفة، بدلاً من قبولها على ظاهرها. يقول بايلين Bailin عن التفكير النقدي: "هو التفكير ذو الغرض والرامي إلى تكوين حكم، ويستوفي التفكير ذاته معايير الكفاية والدقة".<sup>485</sup>

484. فادي اليكساندر، المدخل إلى علم النقد النصي للعهد الجديد (مكتبة الكتب المسيحية، 2008)، 12.

485. محمد عثمان الخشت، التفكير النقدي وأسسهِ وتنمية مهارته (جامعة القاهرة، 2019)، 82-83.

**النقد الكتابي:** هو العلم الذي به نصل إلى أكبر قدر ممكن من المعرفة حول النص الأصلي للكتاب

المقدس، وينقسم إلى فرعين:

(1) **النقد الأعلى:** وهو العلم الذي يختص بدراسة سفر ما، من حيث كاتب السفر وبيئته والمصادر

التي انتقي منها المعلومات الواردة في السفر، وكذلك التحقق من قانونية السفر في الكنيسة الأولى، ودراسة التقليد الشفهي وتأثيره على النصوص الواردة في السفر، كذلك دراسة الخط الأدبي للنص من حيث الأسلوب المفردات المستخدمة والصياغة.

(2) **النقد الأدنى (النصي):** وهو العلم الذي يهتم بدراسة النص لغويًا وتاريخيًا، إلى جانب التحقق من

موقع النص في مخطوطات الكتاب المقدس، من حيث صحته وأصالته وكذلك دراسة احتمالية حدوث خطأ أثناء النسخ، للوصول إلى النص الأكثر تحقيقًا.

إن لفظنا "الأدنى والأعلى" مستعارتان من صورة النهر الذي تجري مياهه من النبع الأصلي

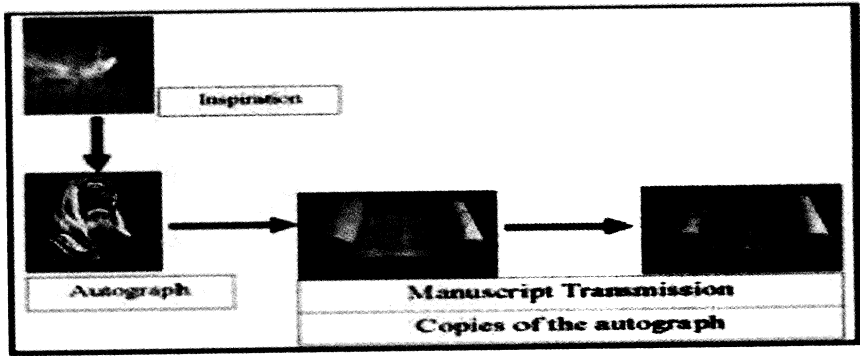


للمصب الأدنى. فالناقد الأدنى يضع نفسه في مستوى أدنى من الكتاب المقدس معترفًا بوحيه، محاولاً الإرتواء منه والتمتع به، ولسان حاله يقول: "فهمني يا رب فأفهم". أما الناقد الأعلى فهو يسعى للتوغل في أعالي النهر أقرب ما يكون من النبع، مسلمًا نفسه لأسطورة العقل الذي يعلو عن كل شيء، حاسبًا نفسه أنه الحكم في كلمة الله، وإذ هو يترأى فوق ما ينبغي أن يترأى، يتكبر ويسقط"

أن هذا المعنى للنقد الكتابي بمفهومه الواضح (قبل أن يتشوه حديثًا)، يعد أحد المبادئ التي ينص

عليها الكتاب المقدس نفسه، حين يأمر بامتحان الأرواح. وقد مارس أباء الكنيسة النقد الكتابي بمفهومه، حين امتحنوا الأسفار، فأقروا بقانونية بعضها، ورفضوا البعض الآخر.

في وقت ما في القرن الأول، كتب كتبة الأسفار المقدسة ما يعرف باسم "العهد الجديد". الوثيقة الأولى التي كتبها المؤلف بيده أو أملاها على أحدهم، تُسمى المخطوطة الأصلية Autograph، وهي التي تحتوي النص الأصلي الذي كتبه المؤلف. هذه المخطوطات مفقودة، فلا يوجد لأي سفر من أسفار الكتاب العهد الجديد نسخة أصلية، المتوفر هو مخطوطات تم نسخها بواسطة نُساخ (هذا الأمر يشمل كل الوثائق التاريخية الأخرى وليس العهد الجديد وحده، فلا يوجد أوتوجراف لأي مخطوطة قديمة). ومع دخول العنصر البشري في عملية الانتقال، يُمكن أن نتوقع حدوث أخطاء. وبالتالي فإن مهمة النقد النصي هو ببساطة دراسة النسخ والمخطوطات، بهدف الوصول إلى أقرب قراءة للنص الأصلي. يقول جوردان: "النقد النصي هو العلم الذي يقارن المخطوطات المعروفة لعمل ما، بهدف معرفة تاريخ القراءات في النص، لإكتشاف النص الأصلي للنص".<sup>486</sup>

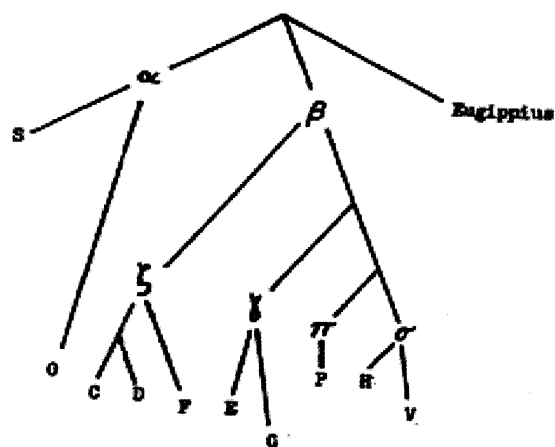


أن وظيفة الناقد تشابه إلى حد كبير وظيفة ضابط التحري الذي يبحث بين الأدلة الجنائية حتى يصل إلى الحقيقة (أي القراءة الأصلية للنص بالنسبة للنقد النصي). إن وظيفة الناقد النصي مهمة جدًا حيث أنه يحاول تحديد قراءة معينة للنص بغرض معرفة ما يقوله لنا الله وما يتوقعه منا.

ولذلك فإن علم النقد النصي يعد حجر الأساس لكل دراسات العهد الجديد، فلا يمكن إنتاج عمل مثمر كالتفسير بدون الاستعانة بالنص الموثق. فالنقد النصي يحاول تأسيس القراءة الأكثر موثوقية للنص وبالتالي

زيادة الثقة في أصالة النصوص بشكل علمي مدروس، كما أنه في حالة وجود أكثر من قراءة ووجود صعوبة في تحديد قراءة معينة، فإنه يساعد على تجنب التشدد تجاه نص محدد، كذلك يساعد القارئ نحو فهم أفضل للحواشي إلهامشية في الترجمات.<sup>487</sup>

تبدأ عملية فحص المخطوطات من خلال عملية تسمى *stemma*، وهي تعني تأسيس "شجرة عائلة" للمخطوطة أو للعمل المكتوب *recensio*، حيث أن المخطوطات لأي عمل أدبي ترتبط معًا بسبب أصلها الواحد الذي نُسخت منه، وبالتالي يوجد روابط مشتركة تميز بعض المخطوطات، وعن طريق تلك الروابط يمكن وضع شجرة عائلة للمخطوطات (الأكثر تشابهًا يشير إلى مصدر واحد)، بداية من النص الأصلي،



ونهاية إلى آخر مخطوطة يتم تأريخها (يتم ذلك من خلال الكربون المشع ودراسة نوع الورق والحبر والخط المستخدم ونوع الأخطاء الواردة)، بالطبع لا يمكن تطبيق تلك الخطوة إلا بوجود عدد كبير من المخطوطات لنص ما. ثم الخطوة التالية *selectio*، حيث يتم مقارنة القراءات لأفراد العائلة المختلفين، لتحديد أيهم أقدم قراءة. ثم الخطوة التالية

*examinatio*، أي دراسة النصوص وتحديد الأخطاء الواردة في النسخة موضع الدراسة. أخيراً *divinatio*، أي تصحيح الأخطاء المهمة للوصول إلى نسخة محققة.<sup>488</sup>

487 . أمير يعقوب، مدخل إلى النقد النصي للعهد الجديد، 100-101.

488 . ماجد غالي، "ملخص مقدمة النقد النصي كامل"، موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: مارس 2025، <https://www.drghaly.com/articles/display/14406>

طور الباحثون مبادئ معينة لفحص النصوص، تشمل هذه المبادئ:

(1) تفضيل القراءة المدعومة بأقدم المخطوطات، وبصفة عامة تعد المخطوطات المبكرة أكثر أهمية من المخطوطات المتأخرة في تكوين النص (يجب استخدام هذا المبدأ بحرص، لأن مخطوطة مبكرة قد تعرض نصًا تالفًا، في حين نسخة متأخرة قد تعكس شكلاً أكثر موثوقية للنص).

(2) تفضيل القراءة المدعومة في مناطق جغرافية منفصلة على نطاق واسع، لأنها أكثر احتمالية أن تعكس القراءة الأصلية، أكثر من المخطوطة المنفردة في منطقة واحدة (وهو الأمر الذي يتحقق بشكل واسع بالنسبة للعهد الجديد).

(3) تفضيل القراءة المدعومة بأكثر عدد من النصوص لأن هذا يدعم بشكل أكبر احتمالية

أصالتها.<sup>489</sup>

النقد النصي يشير بقوة إلى تميز العهد الجديد عن سائر الأعمال الأدبية القديمة، وذلك من خلال عدة نقاط:

(1) عمر المخطوطات age of manuscript، يقترّب جدًا من زمن كتابة النص الأصلي، وهذا يعطي مصداقية كبيرة لتلك المخطوطات، فبعضها يرجع إلى زمن يبعد عن الأصل ما لا يزيد عن عشرات السنين، في حين أن الفارق الزمني لباقي الأعمال الأدبية الأخرى يصل إلى الف سنة.

(2) احتمالية وجود الأصل possibility of autograph، فبعض الدراسات تشير إلى أن بعض

المخطوطات أو الشذرات قد تكون بقايا للنص الأصلي.

(3) العدد الضخم للمخطوطات والذي يصل إلى 25000 ألف مخطوطة، وهذا يعطي معياراً للتحقق

يصل إلى 99.996% في أن النص الذي بين أيدينا هو النص الصحيح، لأنه كلما ارتفع عدد المخطوطات، كلما تمكن النقاد من التحقق من القراءة الأدق.

489. أمير يعقوب، مدخل إلى النقد النصي للعهد الجديد، 71.

(4) تطور اللغة المكتوبة، فاللغة تتغير مع الوقت مما يؤدي إلى ضياع حروف أو إضافة حروف، أو تغير معنى بعض الكلمات، ولكن العهد الجديد قد كُتِبَ باللغة اليونانية في زمن كانت اللغة قد وصلت إلى مرحلة من النضوج والثبات، وبالتالي لم يطرأ تغيير يؤثر في عملية النسخ.

(5) كما أن العهد الجديد استخدم ال koine greek، وهي نسخة ذات تركيب ثابت ومعروف حتى الآن، في مقابل أن بعض الكتابات الأخرى استخدمت أساليب لغوية ليس لها تركيب ثابت، وهو ما يؤثر في عملية النسخ ويزيد من الأخطاء.

(6) تنوع المصادر diversity of sources، والنتائج عن وجود تراجم متعددة ومتفقة في النص. ففي أقل من جيلين، كان قد تم ترجمة العهد الجديد إلى ثلاث لغات، وفي القرون الأولى إلى سبع لغات لكل منها ترجمات، مما أدى إلى حفظ النص بشكل منقطع النظير. أن أي ترجمة هي بمثابة رقيب على النص الأصلي، لأنه تساهم كمعيار خارجي للتحقق من القراءات.

(7) وجود شواهد خارجية external testimony، وهي أمر يفرد بها الكتاب المقدس بشكل عام، حيث قام الآباء بالاعتباس من الكتاب المقدس، بكثافة لدرجة أنه يمكن استعادة الكتاب المقدس أكثر من مرة في أكثر من لغة (32 ألف اقتباس قبل نقيه، 200 ألف اقتباس حتى عام 440م، مليون اقتباس حتى القرن السابع). لاعتباسات الآباء أهمية كبيرة جداً كمعيار إضافي للتحقق من قراءة معينة ومن الوثوقية بشكل عام، وذلك لعدة أسباب: أهمها تاريخ الاقتباس، مما يعطي أهمية خاصة لكتابات آباء القرون الأولى، بالإضافة إلى التنوع الجغرافي لتلك الكتابات.

(8) تواجه بعض الأعمال الأدبية صعوبات تتمثل في أن النسخة التي قبل الطباعة غير محددة أو متفق عليها، أما في حالة الكتاب المقدس فإن نسخة الكتاب المطبوعة (إيرازموس) متفق عليها ومصادر لها موجودة أيضاً.

(9) حجم الكتاب المقدس معروف، فالعهد الجديد مقسم إلى خمس مجلدات ولكل منها تقسيمه

المعروف، وبالتالي لا وجود لاحتمالية وجود أجزاء مفقودة كما يحدث في حالة بعض الأعمال الكتابية كبيرة الحجم.

(10) كانت لغة النساخ هي لغة العهد الجديد، وبالتالي لم يكن هناك صعوبة في النسخ، كما في بعض

الأعمال القديمة التي كُتبت بلغة لا يعرفها النساخ، وبالتالي

ينعكس هذا على كثرة أخطاء النسخ.

(11) يوجد بالكتاب المقدس اختصارات قليلة جدًا

وهي معروفة ومحددة وتسمى Nomina sacra، ولا يوجد

اشكالية في قراءتها أو نسخها، في حين أن بعض الأعمال

الأخرى تحتوي على اختصارات غير مفهومة تشكل معضلة

كبيرة أثناء النسخ.<sup>490</sup>

إن الكتاب المقدس (وخاصة العهد الجديد) عمل مثالي لعلم النقد النصي، فعدد المخطوطات كبير

جداً، مما يسهل عملية مقارنة وتتبع النص، كما أن الفاصل الزمني القصير يضيف إلى معيار المصادقية،

يضاف إلى ذلك نسبة الأخطاء القليلة جداً، والتي جاءت في مواضع لا تؤثر على أي فهم لاهوتي للحقائق

الإيمانية. بكل ثقة نستطيع أن نقول أن النص الذي بين أيدينا، نص يمكن الوثوق به نظراً لعملية الفحص

الواسعة التي خضع لها.

THE NOMINA SACRA (SACRED NAMES)		
Lord – Κερός	ΚΕ	
God – Θεός	ΘΕ	
Jesus – Ιησους	ΙΕ	
Christ – Χριστός	ΧΡ	
Father – Πατήρ	ΠΑΤ	
Son – Υιός	ΥΙ	
Spirit – Πνευμα	ΠΝΑ	
heaven – ουρανός	ΟΥΡΑΝΟΣ	
man – ανθρωπος	ΑΝΘΡ	
Israel – Ισραηλ	ΙΣΡΑ	
David – Δαβιδ	ΔΑΔ	
Jerusalem – Ιερουσαλημ	ΙΑΗΡΩ	
mother – μητηρ	ΜΗΤΡ	
cross – σταυρός	ΣΤΑΥ	
Savior – Σωτηρ	ΣΩΤΡ	

490. ماجد غالي، "ملخص مقدمة النقد النصي كامل"، موقع هولبي بلابل.

## قواعد التحليل الداخلي والخارجي:

طور علماء النقد النصي نظام من المعايير **criteria**، لكي يساعدهم في تحديد الصياغة المحتملة للنص الأصلي، وذلك حين تتعدد القراءات وتختلف فيما بينها، وبالتالي فهذا النظام ساعد الناقد في عمله النقدي. يمكن تقسيم أدلة أو أدوات النقد النصي إلى نوعين:

**أدلة خارجية ( البرهان الخارجي ) External evidence** ، هي تمثل الأدلة الوثائقية لكل قراءة من خارجها، ويتم هذا طريق مقارنة المخطوطة بالكامل كوحدة واحدة بسائر عائلات المخطوطات.

**وأدلة داخلية ( البرهان الداخلي ) Internal evidence** ، وهي تمثل شهادة للقراءة من داخل المخطوطة نفسها أو النص ذاته.

يوجد نوعان من الأدلة الداخلية، وهما: الدليل النسخي الذي يعتمد على سلوك الناسخ، ومدى دقته وقدراته اللغوية ومدى أمانته وعدم انحيازه لأمر ما. والدليل الجوهرى الذي يعتمد على أسلوب الكاتب في الكتابة المفردات التي يستخدمها والأراء التي يتبناها.<sup>491</sup>

وبالتالي فإن الدليل النسخي، هو دراسة نقدية لعمل الناسخ ومدى إتقانه لهذا العمل، ومن خلال الحكم على عمله، يتم الحكم بشكل عام على المخطوطة، كونها جيدة بلا أخطاء، أو العكس. أما الدليل الجوهرى فهو دراسة نقدية لأسلوب الكاتب الأصلي للنص، ومقارنته بأسلوبه في مواضع أخرى، ومعرفة خلفيته وخلفية النص ذاته، والقضايا التي تشغله. ولذلك يمكن الحكم على بعض التعبيرات أو المقاطع، كونها دخيلة على النص، لأنها لا تتناسب مع أسلوب الكاتب المعروف سابقاً.

أحياناً يطلق على الدليل النسخي، **الأحتمال النسخي** **Transcriptional probability**، حيث أنه

يهتم بالأخطاء النسخية وبالتالي فهو يعتمد على معايير محددة، أهمها:

"**القراءة الأكثر صعوبة هي الأفضل**"، لأن الميل إلى التصحيح النسخي من أجل إنتاج قراءة محسنة

ظاهرياً هو الأقرب، أحياناً يميل الناسخ لإضافة توضيح لجعل القراءة أسهل وأكثر جاذبية.

"**القراءة الأقصر هي الأفضل**"، إلا إذا ظهرت نتيجة للحذف العرضي للسطور نتيجة تشابه النهايات

أو حذف مقصود لجزء على خلفية طقسية أو لاهوتية.

"**القراءات الأكثر تناقضاً لفظياً **more verbally dissonant** للمقاطع المتوازية هي الأفضل**"،

فهناك ميل نسخي من أجل توضيح المواضيع المتناقضة لحدث محدد في الكتاب المقدس، كما يوجد ميل لجعل

النصوص المتوازية تتوافق مع بعضها البعض، وبالتالي فإن وجود اختلاف بين النصوص المتوازية، يعكس

كلاهما النص الأصلي.

"**التركيب أو التعبير أو الكلمات الأقل تهذيباً نحويّاً هي الأفضل**"، لأن النساخ يميلون إلى تبسيط

النحو الخشن وتحسين تعبيرات الكتاب المقدس.<sup>492</sup>

"**القراءة التي توضح السبب في قراءات أخرى دون قصد**" هي الأفضل لأنها تعطي صورة أكمل

وأشمل للقراءات كوحدة واحدة.

"**القراءة التي لم تُبرز بسبب استخدام الفصول الكتابية أو نتيجة للإستخدام الكنسي**" فهي الأفضل

لأنها ببساطة لا تشير إلى أنها تم إضافتها على النص.

"**القراءة التي تبدو غير متوافقة أو منسجمة مع غيرها**" هي الأفضل لأنها تعكس أصالة النص

حيث أنها تعكس أن النص لم يحدث لمحاولة توفيق.

"**القراءة التي تحتفظ بخطأ نحوي**" هي الأفضل لنفس السبب.

492 . أمير يعقوب، مدخل إلى النقد النصي للمعهد الجديد، 233-234.

"القراءة التي قد تُستغل من قبل الهراطقة، لأنها تحتوي على كلمات أو تعبيرات تبدو غير مفهومة أو قد يتم إساءة فهمها" هي الأفضل، لأنه كان من الأرجح حذفها لتفادي أي إنحرافات إيمانية. "إن وجد متغيرات تتشابه في عدة أماكن، فإن القراءة ذات الشواهد الأكثر" هي القراءة الأفضل لأنها مدعمة بأدلة أكثر.

"القراءة التي تخالف توقعات الناسخ أو عاداته" هي الأفضل، لأنها تعني أن الناسخ لم يميل إلى تصحيحها وبالتالي فهي تعكس النص الأصلي.

"القراءة التي تبدو مصححة أو التي لها الحس المصدق" هي الأفضل، لأنها تعكس أنه تم مراجعتها وفحصها حتى يتم تصحيحها".<sup>493</sup>

أما الدليل الجوهري، فهو العنصر الأكثر ذاتية في طرق نقد النص الداخلي. فهو يعتمد على احتمالية ترجيح ما كتبه الكاتب، بناء على دراسة أسلوب الكاتب خلال النص وفي كل كتاباته الأخرى، ومن خلال دراسة سياق النص ذاته في الفقرة، وأيضًا بحث تناغم القراءة مع تعليم الكاتب في مواضع أخرى، كذلك معرفة تأثير خلفية الكاتب السابقة على الأحداث، كذلك معرفة مقدمة السفر وقانونيته. ولذلك تفضل "القراءة التي توافق سياق الكلام والمفهوم اللاهوتي للكاتب".<sup>494</sup>

وقع بعض علماء النقد النصي في أخطاء بسبب اعتمادهم على قاعدة واحدة من هذه القواعد، وهو ما يُسمى الانتقاء الرديكالي Rigoorous eclecticism، ويهدف إلى تثبيت فكر أو هدف محدد، وبسبب ذلك نجد اختلافات في التحليل بين النقاد وبعضهم.

493. ماجد غالي، "مقدمة في النقد النصي الجزء الثامن، قواعد التحليل الداخلي"، موقع هولي بايبل، تاريخ

الاهتباس: فبراير 2025

<https://www.drghaly.com/articles/display/11303>

494. ماجد غالي، "مقدمة في النقد النصي الجزء الثامن، قواعد التحليل الداخلي".

في المقابل فإن الاختيار المعتدل أو المسبب **Reasoned Electicism**، هو الاختيار الأفضل لأنه يعتمد على تطبيق قواعد التحليل الخارجي والداخلي معصاً بأكثر من قاعدة للحصول بصورة حيادية، كما يعمل على فحص المخطوطات وتتبع مصادرها ومعرفة الاختلافات بها ومراجعة الترجمات القديمة والمصادر الخارجية كأقوال الآباء واقتباساتهم، من الجدير بالذكر أن هذا الأسلوب يقود لصحة النص التقليدي الذي بين أيدينا.<sup>495</sup>

وعن طريق تطبيق قواعد التحليل الداخلي، يمكن تقسيم المخطوطات تبعاً لنسبة الأخطاء بها، سواء جيدة أو سيئة. كما يمكن وضع علامات وتصنيفات للنصوص، حيث يتم استبعاد النصوص التي يتم التأكد من خطئها، كما يتم وضع أقواس للنصوص التي عليها اختلاف، فيتم وضع قوس واحد للقراءة المختلفة ولكن تم التأكد من صحتها، وقوسين للقراءة المختلفة ولكن الأدلة على صحتها متعادلة.

### الدليل الخارجي:

يسعى إلى تحديد أي القراءات هي المدعومة بأكثر الشواهد موثوقة من المخطوطات والترجمات القديمة المختلفة واقتباسات الآباء الأولين.

لكل مخطوطة عدد من الشواهد الخارجية، ولذلك فقد طور الباحثين قواعد محددة، لكي تساعد على فحص النص أو المخطوطة خارجياً.

**أولاً: الدليل الزمن *chronological evidence***، الذي ينص أن تاريخ نوع النص (ليس بالضرورة المخطوطة) هام جداً، لأن في الأغلب أن أقدم نوع نص هو الأفضل لأنه أكثر قرباً من الأصل، كما أنه قد يكون تعرض للنسخ بصورة أقل. فالقراءة المدعومة بأقدم المخطوطات هي الأفضل، بالطبع يجب

495 . ماجد عالي، "مقدمة في النقد النصي الجزء التاسع، تعليقات على قوانين النقد النصي"، موقع هولي بايبل،

تاريخ الاقتباس: فبراير 2025.

استخدام هذا المبدأ بحرص، لأن أحياناً النص الأقدم قد يحتوي علي أخطاء، في حين أن نص أحدث قد يكون أكثر دقة، كما سبق الإشارة.

**ثانياً، الدليل الجغرافي:** الذي يشير إلى أن التوزيع الأوسع للشواهد المستقلة التي تتفق في دعم قراءة معينة هي المفضلة عن الشواهد ذات العلاقة القريبة داخل منطقة محددة. وبالتالي فإن القراءات المنتشرة جغرافياً من المحتمل أن تكون أصلية عن القراءات المحفوظة في مكان واحد.

**ثالثاً، الدليل النسبي:** الذي يشير إلى أن شواهد القراءات تُوزن ولا تعد من أجل توضيح جداراتها. فالقراءة المدعومة بأكبر عدد من النصوص هي القراءة الأفضل.<sup>496</sup>

**رابعاً، دليل المصادقية Reliabilty evidence:** هو الذي يعتمد على تحليل المخطوطة من حيث مصداقيتها، فكلما قلت أخطاؤها كانت أفضل، فالمخطوطة يُنظر إليها وتُقيم ككل، فالمخطوطة التي تكثر أخطاءها تفقد المصادقية بشكل عام لأنها تعكس عدم دقة الناسخ. كما أن المخطوطة التي نُقلت من مصدر تم مراجعته، هي أفضل من تلك التي نُسخت من نص بلا مراجعة.<sup>497</sup>

يمكن تلخيص قواعد التحليل الخارجي للنقد النصي في عدة نقاط:

(1) القراءة الأفضل هي المؤيدة بأفضل المخطوطات.

(2) وبأقدم المخطوطات.

(3) وبأكثر انتشار وتوزيع جغرافي.

(4) وهي التي تعتمد على أغلب المخطوطات.

496 . يعقوب، 231-232.

497 . ماجد غالي، "مقدمة في النقد النصي الجزء السادس، قوانين النقد النصي"، موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس:

مايو 2025.

(5) كذلك النص الذي حُفظ بعيدًا يعد أفضل لأنه لم يتعرض لأخطاء النساخ.

(6) القراءة الأفضل هي التي ضد عادة موجودة في مخطوطة أو توجه طائفي.

(7) القراءة الأدق هي التي لها أطول تقليد.

(8) القراءات التي بها اختلافات كثيرة تدل على خطأ قديم ومحاولات التصحيح.

(9) القراءة المستمرة بدون أخطاء هي الدقيقة.

(10) القراءة الموجودة في أغلب النصوص القديمة هي الأفضل.<sup>498</sup>

بشكل عام الدليل الخارجي أكثر أهمية لأنه أكثر موضوعية. ولكن بالطبع القراءات يجب أن يُؤخذ في

اعتبارها الدليلين ويتم تقييمهما بعناية.

يلجأ علماء النقد النصي إلى ترجمات العهد الجديد القديمة مثل اللاتينية والقبطية والسريانية،

وأيضًا إلى اقتباسات الأباء الأولين، لتدعيم أدلة النقد النصي.

إن أدلة التحليل الخارجي هامة جدًا لعمل الناقد النصي، إذ تمثل مبادئ رئيسية موضوعية متفق

عليها، لتقييم أي نص أو مخطوطة. بالطبع قد يختلف التقييم من ناقد لآخر، إلا أنها أدوات هامة للتحليل.

من أمثلة تطبيق قواعد التحليل الداخلي والخارجي:

في أفسس

جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس: "بُولُسُ، رَسُوْلُ يَسُوْعِ الْمَسِيْحِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، إِلَى الْقَدِيْسِيْنَ الَّذِيْنَ فِي أَفْسُسَ، وَالْمُؤْمِنِيْنَ فِي الْمَسِيْحِ يَسُوْعَ" (أف 1: 1 فان دايك). جاءت بعض القراءات بدون كلمات "في أفسس"، فأَي من القراءتين أدق؟

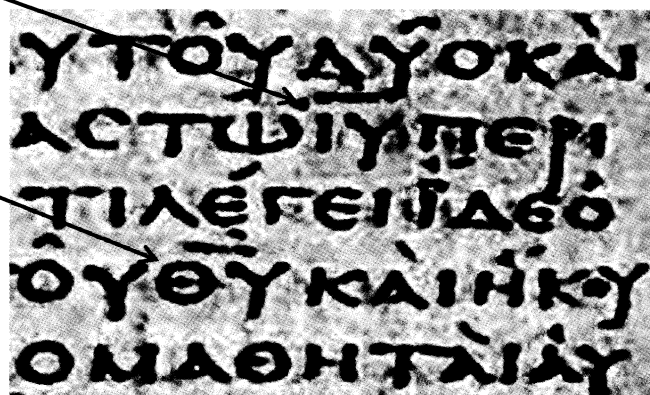
الأدلة الخارجية تشير إلى أن القراءة الأطول، هي القراءة المدعومة بالغالبية العظمى من المخطوطات، ومن الترجمات القديمة، في حين أن شواهد حذف "في أفسس" محدودة للغاية، ولا تظهر إلا في مخطوطات (B و a) واقتباسات أوريجينوس.

ولكن الأدلة الداخلية، تطرح سؤال: إذا كانت الكلمات "في أفسس" أصيلة، لماذا يرغب أي شخص في حذفها؟ لا يبدو أن الأسباب المعتادة للحذف تنطبق على هذه الحالة. البعض قد يفترض افتراضًا بعيدًا، وهو أن اسم "أفسس"، تم اختصاره أولاً ثم تم تجاهله في شكله المختصر لاحقاً، ولكن لا يوجد دليل على أن النساخ قبلوا في أي وقت التعامل باختصارات لأسماء المدن.

وبالتالي فإن التفسير الأكثر ترجيحًا، هو أن الحذف تم لجعل الرسالة "رسالة جامعة"، أي موجهة للكنيسة ككل وليس لمدينة أو جماعة محددة. وهو الأمر الذي تؤيده الدراسات الحديثة، بأن الكنيسة كافحت في وقت مبكر ضد خصوصية رسائل القديس بولس، ولذلك في وقت لاحق عندما تم اعتبار رسائل بولس ككتاب يمكن قراءته واستخدامه من قبل الجميع، أختفت هذه الطريقة الميكانيكية لحل المشكلة.<sup>499</sup>

## عظيم هو سر التقوي

مثال آخر لاستخدام أدلة النقد النصي، جاء في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس: "وَبِالإِجْمَاعِ



عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي

أَلْجَسَدِ. (1 تي 3: 16 فان دايك). "درس

يوهان ج. ويتشتاين، المخطوطة

السكندرية في عام 1975م، ولاحظ أن

كلمة "الله" جاءت بالاختصار ΘΕ،

فلاحظ أن الشرطة داخل حرف الثيتا

باهتة، فظن أنها أوميكرون O، وبالتالي تصبح الكلمة Oς، أي "الذي"، وبالتالي تصبح القراءة: "عظيم هو

سر التقوي الذي ظهر في الجسد"، وبناء عليه فقد تشكك في ألوهية السيد المسيح، وهو الأمر الذي ما زالت

بعض الجماعات تؤيده. ما فعله ويتشتاين يناقض معايير النقد النصي، لأنه لم يرجع إلى باقي المخطوطات

والترجمات واقتباسات الآباء، التي كلها تشهد لأصالة العدد.<sup>500</sup> (يظهر في المخطوطة الفرق بين شكل

"الذي" واختصار "الله" بشكل واضح.

شواهد قراءة "الله": أغلب مخطوطات الخط البيزنطي، أغلب الترجمات مثل الفلجاتا والسلافية

والجورجية، وفي كتب القراءات الكنسية وفي ترنيمة الكنيسة. في اقتباسات الآباء: القديس أغناطيوس

الأنطاكي، القديس هيبوليتس الروماني، الراعي لهرماس، القديس دينوسيوس السكندري، القديس يوحنا ذهبي

الفم (شرح الرسالة، القديس أثناسيوس الرسولي، القديس كيرلس الكبير، وهو ما يعكس تنوع في الآباء. إذا

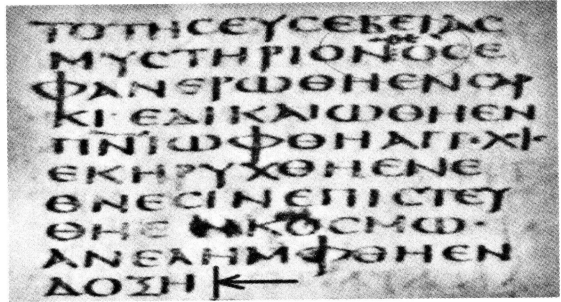
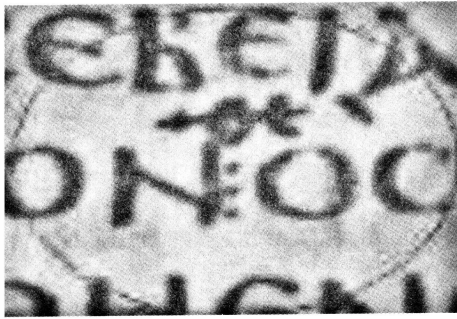
أغلب الشواهد الخارجية في صالح القراءة.

500 . حلمي القمص يعقوب، مدارس النقد والتشكيك والرد عليها، العهد الجديد الجزء الثاني (كنيسة القديسين مار

مرقس والبابا بطرس خاتم الشهداء، 2017)، 242.

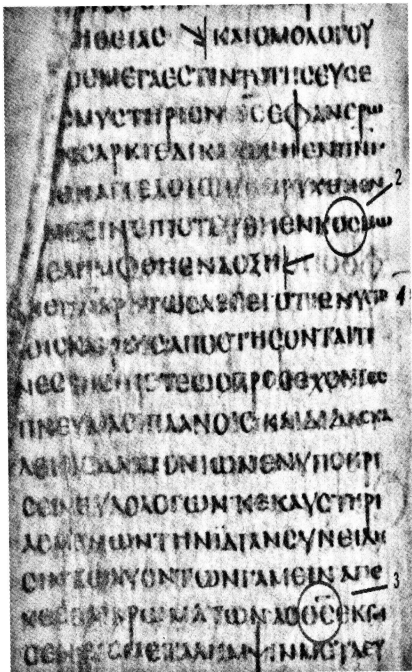
كما يظهر في المخطوطة السينائية تصحيحًا واضحًا، يُعلق عليه فيليب كومفرت قائلًا: "التصحيح

الاول للسينائية تم قبل ان تفارق مكان النسخ".<sup>501</sup>



أما في المخطوطة السكندرية، الكلمة هنا ثيؤس  $\theta\epsilon\omicron\varsigma$ ، وليس هوس  $\theta\varsigma$  أي هو أو الذي، إن هوس

لا تحتاج علامة اختصار وهي الشرطه فوق الحرف الاول والاخير من الكلمة.



الفاتيكانية لا يوجد فيها هذا الجزء من رسالة معلمنا بولس الرسول، والافرايمية غير واضحة لانه خط مكتوب علي خط.

501 . ماجد غالي، "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد"، موقع د. غالي، تاريخ الاقتباس: أكتوبر 2025. <https://www.drghaly.com/articles/display/10025>

الذي هو في السماء

فان دايك. "وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي

السَّمَاءِ". (يو: 3: 13 فان دايك)

ترجمة الحياة: "وما صعد أحد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، وهو ابن الإنسان الذي هو في

السماء"

الترجمة اليسوعية. "فما من أحد يصعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء وهو ابن الإنسان"

ترجمة الأخبار السارة. ما صعد أحد إلى السماء إلا ابن الإنسان الذي نزل من السماء"

No one has ascended to heaven but He who came down from heaven, that is,

the Son of Man who is in heaven. {cf2super [14]}NKJV

No one has ever gone into heaven except the one who came from heaven--

the Son of Man.NIV

الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ: غير موجود في بعض المخطوطات القديمة: P75P,66، السينائية والفاتيكانية،

وفي الترجمات القبطية الصعيدية والفيومية، وواحدة من المخطوطات البحرية، كما أنه غير معروف عند

عدد من آباء الكنيسة مثل يوسابيوس، والقديس غريغوريوس النزينزي والقديس غريغوريوس النيصي

والقديس ديديموس الضرير، والقديس أبيفانيوس.

في المقابل فالنص موجود: في المخطوطة السكندرية والعديد من المخطوطات الأخرى أهمها العائلة

1،13، والمخطوطات E G H K N Θ Δ Π Ψ، 676،1432، بالإضافة إلى كل مخطوطات النص

البيزنطي ومخطوطات القراءات الكنسية، وفي الترجمات: البشيتا واللاتينية القديمة والفلجاتا والأرمنية

والجيورجية

ومن الشواهد الأبائية: القديس هيولتوس، والقديس هيلاري، القديس باسيلوس الكبير، والقديس

أمبروسيوس والقديس كيرلس الكبير والقديس يوحنا ذهبي الفم والقديس أغسطينوس وأوريجانوس.

يري العالم ألفورد أن الحذف جاء بسبب الإهمال أو بسبب عدم فهم النص من قبل النساخ، كما أنه لا

داعي لإضافة النص في عصر متأخر في القرن الخامس أو السادس، بعد إنتهاء الصراع الكريستولوجي.

من الواضح جداً أن النص ليس إضافة بيزنطية لأنه معروف وثابت عند آباء الكنيسة وموجود في

النصوص الغربية والقيصرية.

كما أن أدلة الحذف لم تخرج عن النص السكندري وبالتالي فإن التوزيع الجغرافي يشير بقوة لقراءة

الأثبات.

التحليل الداخلي. في صالح قراءة الأثبات (أي وجود الذي في السماء) لأن استخدام القديس يوحنا

لاسم الفاعل الوصفي O ων، هو أمر معتاد في إنجيل يوحنا" الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في

حضان الأب هو خبر" (يو: 18)، "ليس أحد رأى الأب إلا الذي من الله" (يو: 6: 46)، وفي سفر الرؤيا.

كذلك إذا تم النظر إلى قاعدة "القراءة الأصعب" نجدها في صالح قراءة الأثبات، لأن الحذف أسهل،

حيث أن النساخ وجدوا صعوبة في فهم النص أو تفسيره.

ظهرت قراءات أخرى مثل: "الذي من السماء" ، "الذي كان في السماء" وبالطبع هي ليست أصيلة

ولكنها تفسر قراءة الأثبات، لأنه واضح أنه محاولة لتبسيط العدد وفهمه. وبالتالي تتفق مع قاعدة أن "القراءة

التي تفسر سبب ظهور قراءات أخرى هي المفضلة". وذلك بسبب خوف النساخ أن يكون جسد المسيح هو

جسد هبولي خيالي والمسيح نفسه في السماء في هذه اللحظة. (الهرطقة الدوسيتية).<sup>502</sup>

502 . ماجد غالي، "ابن الإنسان الذي هو في السماء"، موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: فبراير 2025،

<https://www.drghaly.com/articles/display/110031>.

## خاتمة إنجيل مرقس

من الأمور التي يدور حولها الجدل، هو خاتمة إنجيل القديس مرقس، حيث أن الأعداد الإثنى عشر الأخيرة غير موجودة بأكثر مخطوطتين يونانيتين للعهد الجديد، وهما الفاتيكانية والسينائية، كما أنها غير موجودة بأحد أقدم المخطوطات للترجمة السريانية، وأيضًا غير موجودة في الترجمة اللاتينية المسماة Bobiensis، إلى جانب إختفائها من نحو مئة مخطوطة للترجمة الأرمنية.

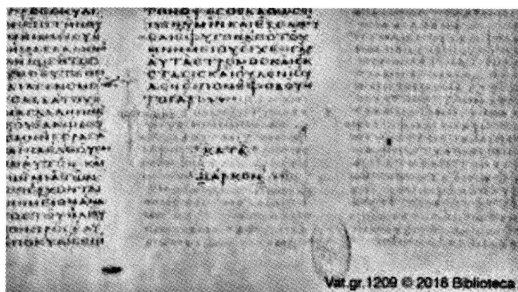
بل يوجد خاتمة أخرى أقصر تظهر في بعض المخطوطات اليونانية وعلى رأسهم الخطوطة L، وفي مخطوطتين قبطيتين للعهد الجديد.

في المقابل فإن الخاتمة موجودة في أكثر من 1600 مخطوطة يونانية، على رأسهم السكندرية والإفرايمية ومخطوطة بيزا بنصبيها، وفي كل مخطوطات النص البيزنطي، وفي الترجمات القديمة وفي كل قراءات الكتب الكنسية وفي اقتباسات الآباء. وبالتالي فإن التحليل الخارجي يؤكد أصالة الخاتمة بشكل قوي.

ولكن يبقى السؤال الهام، لماذا لم ترد هذه الخاتمة في المخطوطة السينائية والفاتيكانية، ما دام النص أصيل بإجماع المخطوطات؟ يقول العالم سكريفتز: "أن ناسخ الرقوق الستة التي تحتوي الأعداد من (مر 2:16) إلى (لو 56:1) في السينائية، هو نفسه ناسخ الفاتيكانية، وذلك بسبب التشابه المستحيل حدوثه بين خط ناسخي المخطوطتين في هذه الحروف، وشكل الحروف المختلف عن بقية أشكال نفس الحروف في بقية السينائية، ولكنه يتفق مع أشكال الحروف في

الفاتيكانية".

وبالنظر إلى الرق الخاص بالأصاح الأخير في إنجيل مرقس في النسخة الفاتيكانية، نجد أن الناسخ ترك عمودًا دون أن يخط فيه حرفًا (وهو



الأمر الذي لم يتكرر في المخطوطة نفسها ولا في غيرها)، وهذا يشير إلى أن الناسخ كان يعرف الخاتمة

تمامًا. (إن أمر ترك عامود فراغ أمر غير محتمل الحدوث، نظرًا للقيمة المرتفعة للرقوق في ذلك الوقت، فكان الناسخ لا يُملك رفاهية ترك فراغات، حتى ما بين الأسفار المختلفة).

يؤكد هورت: "ناسخ المخطوطة الفاتيكانية يعرف المخطوطات التي بها الخاتمة الطويلة". أما عن المخطوطة السينائية، فيوجد بها شيء يتكرر أكثر من مرة يسمى Cancel sheet، وهو يعني أن ناسخًا ما غير الناسخ الأصلي، أزال رفقًا أو أكثر من الرقوق ووضع رقوقًا أخرى، وهذا ما حدث بالنسبة للمخطوطة السينائية عند نهاية إنجيل مرقس، فبداية من الأعداد (مر 19:15)، بدأ النص يأخذ شكلًا مختلفًا عن ما هو متبع في البداية، كما أن النصوص بدأت تأخذ مساحة أوسع من السابقة.

يضاف إلى ذلك أن الرقوق التي تم إضافتها تحتوي الاسمين "ببلاطس ويوحنا" بإستهزاء مختلف عن سائر المخطوطة، كما تحتوي على كلمات كاملة بدلاً من اختصارات متبعة في باقي المخطوطة.

كل تلك الشواهد تؤكد أن ناسخًا آخر، أعتقد بوجود خطأ في نهاية مرقس في السينائية وبداية إنجيل لوقا، فقام بإزالة أربعة رقوق (أو قد يكونوا تعرضوا للتلف)، وقام بإعادة كتاباتهم مستخدمًا مخطوطة ليس بها الخاتمة الطويلة، وبالتالي بدأ يكتب بشكل موسع لكي يتحاشى وجود أعمدة فارغة بين البشارتين. تؤكد الموسوعة الكاثوليكية: "البرهان الخارجي لصالح النهاية الطويلة المعتادة قوي للغاية."<sup>503</sup>

## الفصلة اليوحناوية

جاء في الطبعة البيروتية (سميث-فاندايك) في رسالة يوحنا الأولى: "فإنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي

السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُّسُ. وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الْأَرْضِ هُمْ

ثَلَاثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالِدَّمُ. وَالثَّلَاثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ." (1يو5: 7-8).

وفي كتاب الحياة: "فإن هنالك ثلاثة شهود في السماء، الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء

الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة: الروح، والماء، والدم. وهؤلاء الثلاثة هم في الواحد."

(1يو5: 7-8).

“For there are three that bear witness in heaven: the Father, the Word,

and the Holy Spirit; and these three are one. And there are three that bear

witness on earth: the Spirit, the water, and the blood; and these three agree as one”.

NKJV.

في حين جاء في الأخبار السارة: "والذين يشهدون هم ثلاثة. الروح والماء والدم، وهؤلاء الثلاثة هم

في الواحد." (1يو5: 7-8)

وفي الترجمة اليسوعية: "والذين يشهدون ثلاثة: الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون" (1يو5:

8-7)

“For there are three that testify: the Spirit and the water and the blood; and

these three agree”.ASV

البعض يدعي أن العدد رقم سبعة الخاص بالذين يشهدون في السماء، قد تم إضافته وأنه غير أصيل،

والدليل على ذلك، أنه لم يظهر في أي مخطوطة باللغة اليونانية قبل القرن الخامس عشر. وبناء عليه ينقسم

المُشككين إلى نوعين: الأول يُشككون في عقيدة الثالوث، وهم أقلية جداً وإدعاءهم سطحي جداً بسبب عدد

الآيات في العهد الجديد (260آية)، وجميعها يشهد لعقيدة الثالوث. الثاني، وهم الأغلبية ويشككون في مصداقية وموثوقية الكتاب المقدس نتيجة لإضافة عدد غير موجود في النسخ الأصلية.

**أولاً، البرهان الخارجي:**

أغلب مخطوطات العهد الجديد غير مُكتملة، وذلك بسبب عامل الزمن ونتيجة لتآكل صفحاتها. وبما

أن رسالة القديس يوحنا تأتي في أواخر أسفار العهد الجديد، فهي غير موجودة في أغلب المخطوطات.

**تحليل المخطوطات:**

**المخطوطات اليونانية:** من القرن الرابع: السينائية والفاتيكانية (العدد غير موجود بهما). من القرن

الخامس: الإسكندرية و048 (العدد غير موجود بهما). من القرن التاسع وحتى القرن السادس عشر أي في

زمن الطباعة، العدد غير موجود في أربعة وأربعين مخطوطة، وموجود في عشرة مخطوطات.

**المخطوطات اللاتينية:** العدد موجود في عدد ضخم جداً من المخطوطات اللاتينية والتي يرجع عمر

بعضها إلى القرن الثاني الميلادي، مثل المخطوطات اللاتينية القديمة (150-160م) والفلجاتا (القرن الرابع)،

كما أن توزيعهم الجغرافي أوسع. كما إن العدد موجود في المخطوطات السريانية والأرمنية (القرن

الخامس).<sup>504</sup>

504 . ماجد غالي، "الذين يشهدون في السماء باختصار"، موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: مايو 2024.

<http://drghaly.com/articles/display/13366>

بالنسبة للمخطوطة السينائية: العدد السابع غير موجود بالكامل، في حين أن العدد الثامن موجود،

وترجمته كالتالي:

“for they that testify are three: the spirit and the water and the blood and the three are one”

ولكن بالتدقيق نجد أن هناك إضافة، أسفل العدد ونصها:

ΚΑΙ ΤΩ ΔΙΑΜΑΤΙΚΩΝ  
ΤΟΙΝΑ ΕΣΤΙΝ ΤΩ  
ΜΑΡΤΥΡΟΥΝ ΟΤΙ Π-  
ΤΙΝ ΕΣΤΙΝ ΗΛΛΗ  
ΘΣΙΑ ΟΤΙ ΟΙ ΤΡΕΙΣ  
ΣΙΝ ΟΙ ΜΑΡΤΥΡΟΙ  
ΤΕΣΤΟΙΝ ΑΚΑΙ ΤΟΥ  
ΛΩ ΚΑΙ ΤΟ ΔΙΑΜΑ  
ΚΑΙ ΟΙ ΤΡΕΙΣ ΕΙΣ Τ-  
ΕΝ ΣΙΝ ΕΙΣ ΗΜΑ  
ΤΥΡΙΑΝ ΤΟΥ ΘΥΛΑΝ  
ΚΑΝΟΜΕΝ ΗΜΑΡ

“testify the same thing”

وترجمتها: "يشهد/ يشهدون نفس الشيء"، والسؤال هو:

من هو أو من هم الذين لهم نفس الشهادة؟ إذا من الواضح أن

عددًا ما ناقص أو كلمات مفقودة في السينائية، وبالتالي لا تصلح

كدليل مع أو ضد.

بالنسبة للفاتيكانية: فقد حدث دمج ما بين الآيتين: فقد تم حذف الجزء الأول، وتم إضافة العدد

الثامن، ثم رجوعًا لنهاية العدد الأول.

"إِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الْآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَوْلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ.

وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الْأَرْضِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَالثَّلَاثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ." (1يو5: 7-8).

فجاء النص كالتالي: "والذين يشهدون ثلاثة الروح والماء والدم، وهؤلاء الثلاثة هم واحد". لم يأتي

العدد الثامن في الفاتيكانية كاملاً، ولكنه مزيج ما بين العددين، وإن كان هذا يدل على شيء، فهو يدل على

حدوث خطأ أثناء النسخ.<sup>505</sup>

505 . غالي، "الذين يشهدون في السماء باختصار"، موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: مايو 2024.

## أقوال الآباء:

أولاً: إن كان بعض الآباء الذين لم يستشهدوا الذين لم يستشهدوا بالعدد، فهذا ليس بدليل على عدم

أصالة العدد، بل يكفي استشهاد البعض لكي يؤكد أصالته.

ثانياً: الآباء الذين استشهدوا بالعدد:

القديس أغسطينوس من القرن الرابع: "وبطعن جنبه بالحربة خرج دم وماء، وهم ثلاثة أشياء لو نظرنا إلى تكوينهم، فهم ليسوا واحداً، ولكن لو طلبنا أن نعلم هذه الأشياء، فسيأتي في ذهننا الثالوث ذاته الذي هو واحد فقط، بالحق الله الأعظم: هو الآب والابن والروح القدس، الذي يُقال له بالحق الذين يشهدون هم ثلاثة، وهؤلاء الثلاثة هم واحد".<sup>506</sup>

القديس كبريانوس: "لقد حذر الرب من هو ليس معي، فهو على. من لا يُجمع معي فهو يفرق. الذي يكسر السلام ويهاجم المسيح، فذاك ضد المسيح. ومن يجمع في مكان آخر ليس الكنيسة، فهو يُفرق كنيسة المسيح. فالرب قال أنا والآب واحد، ومكتوب أيضاً الآب والابن والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد".<sup>507</sup>

القديس أغريغوريوس العجائبي: "ولهذا وهناك إله واحد، وهو الآب في الكلمة في الروح الحياة، وهؤلاء الثلاثة هم واحد".

القديس أغريغوريوس النزينزي: "لنا إله واحد وهو الآب الذي منه جميع الأشياء، ورب واحد هو يسوع المسيح، الذي به جميع الأشياء، وروح قدس واحد، الذي به جميع الأشياء، ولذلك لنا إله واحد، وهؤلاء الثلاثة هم واحد"

506. St.Augstin: Homilies on the epistle of John,v.7,8, tres sunt testes: spiritus et aqua et sanguis et tres unum sunt.

507. St.Cyprian, To jubaianus, concerning the baptism of heretics, volume 5 page 629.

القديس جيروم: وله شهادة هامة جدًا: "في المكان الذي نقول فيه عن وحدة الثالوث، الذي هو في رسالة القديس يوحنا الأولى، الذي فيه أيضًا الأسماء الثلاثة الماء والدم والروح حيث يضعونهم في نسخهم، ويحذفون شهادة الآب والكلمة والروح الذي فيه الإيمان العام والجوهر الواحد".

كما جاء في مقدمته عن الرسائل القانونية، أن هذه الآية حذفها الأريوسيين من بعض نسخ الكتاب لأنها كانت ضربة قاصية لبدعتهم وتعاليمهم الكفرية، ولذلك الترجمة اللاتينية.<sup>508</sup>

القديس أنثاسيوس الرسولي عن المعمودية: "أليست هذه معمودية خلاص وحياة، وفقًا لذلك لننا غفرانًا للخطايا، حيث نلنا هذا السر باسم الآب والابن والروح القدس، كما يقول القديس يوحنا، وهؤلاء الثلاثة هم واحد". كما أنه في شرحه لرسالة القديس يوحنا، يقول عن ملخص الأصحاح الخامس " هنا التلميذ يوحنا، يعلمنا الوحدة بين الآب والابن". على الرغم بأنه لا يوجد أي إشارة لهذه الوحدة في الأصحاح الخامس، باستثناء هذا العدد".

مهرطق من القرن الرابع، يدعى بريسكليان (380م): "يقول يوحنا يوجد ثلاث شهود على الأرض وهم الماء والروح والدم، وهؤلاء الثلاثة في الواحد، وهناك ثلاث شهود في السماء الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد".<sup>509</sup>

بالطبع إن هذه الشهادات لا تؤكد بالضرورة أصالة العدد، ولكن على الأقل تنفي إدعاءات الذين يفترضوا أن العدد لم يظهر قبل القرن السادس عشر.

المجامع: مجمع قرطاج المنعقد 400م في أيوجنيوس، الذي حضره 400 أسقف من إفريقيا، وقد جاء في إعلان الإيمان الخاص به: "في وضوح أكثر من وضوح الشمس، فإن لاهوت الآب والابن والروح القدس

508 . الأسقف إيسينوروس، مشكاه الطلاب في حل مشكلات الكتاب (مجلة صهيون، 1929)، 558-559.

509 . ماجد غالي، "الذين يشهدون في السماء".

هو لاهوت واحد، وهذا مثبت بواسطة القديس يوحنا الذي كتب: هناك ثلاثة يشهدون في السماء: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد".<sup>510</sup>

قانون الإيمان المُعتبر في الكنيسة اليونانية ويعود تاريخه للقرن الأولي ميلادياً: "إن الله حق أزلي خالق كل الأشياء، المنظورة وغير المنظورة، وكذلك الابن والروح القدس وكلهم من جوهر واحد، فإن يوحنا الإنجيلي قال: الذين يشهدون في السماء ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد".  
الليتورجيات القديمة جداً الخاصة بعماد الأطفال في الكنيسة اللاتينية، بها العدد في أكثر من موضع.  
البرهان الداخلي:

أولاً: وجود اسم الفاعل المذكر للفعل "يشهدون" μαρτυρουντες: في العدد القصير بعد الحذف، جاء اسم الفاعل مُذكر، وهذا خطأ لغوي وفقاً لقاعدة الانجذاب في السنطاكس اليوناني power of attraction، وذلك لوجود ثلاث أسماء محايدتين "الدم والماء والروح". أما في العدد بدون حذف أي في وجود الآب (اسم مُذكر)، والكلمة (اسم مُذكر)، والروح (اسم مُحايد)، فإنه من المناسب وجود الفعل يشهدون في تصريف المذكر. وبالتالي فإن وجود اسم الفاعل المذكر دليل على وجود حذف أو نقص بالعدد.

ثانياً، التوافق النصي: جاء في الأصحاح الخامس: " إِنْ كُنَّا نَقْبَلُ شَهَادَةَ النَّاسِ فَشَهَادَةُ اللَّهِ أَكْبَرُ، لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ شَهَادَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا عَنِ ابْنِهِ. مَنْ يُؤْمِنُ بِابْنِ اللَّهِ فَعِنْدَهُ الشَّهَادَةُ فِي نَفْسِهِ. مَنْ لَا يُصَدِّقُ اللَّهَ فَقَدْ جَعَلَهُ كَاذِباً، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا اللَّهُ عَنِ ابْنِهِ" (1يو5: 9-10). وهذا تكبير لما حدث في عماد رب المجد عند الظهور الإلهي، فهذه هي الشهادة التي تكلم عنها القديس يوحنا من خلال صوت الآب من السماء، ووجود الكلمة في الماء، وحلول الروح القدس في هيئة جسمية مثل حمامة. إن باختفاء العدد السابع لا يكون هناك ربط لهذه الشهادة، ويصبح المعنى غير مُكتمل، ولكن في وجوده، يتم فهم كلمات القديس يوحنا بشكل أوضح،

**ثالثاً: تعبير "اللوغوس":** لو أراد أحد أن يضيف العدد لاحقاً، لكان قال الذين يشهدون في السماء ثلاثة، هم: الأب والابن والروح القدس، ولكنه استخدم "الكلمة" وهو التعبير المحبب للقديس يوحنا الحبيب، ولذلك وفقاً لقواعد التحليل الداخلي، فإن القراءة التي تتوافق مع أسلوب الكاتب تكون هي الادق.

**رابعاً: حوار رب المجد مع نيقوديموس:** " أَجَابَ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُؤَلِّدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ.» (يو:5:3)، ثم " الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا" (يو:3: 11). إن هذا العدد شهادة واضحة عن الثالوث، لأن رب المجد يتحدث في صيغة الجمع، كما أنه شهادة عن أصالة "الذين يشهدون في السماء"، وخاصة بعد ربطها بالولادة من الماء والروح، فقط يتبقى الإشارة إلى الدم وهذه تأجل بعد الفداء على الصليب. يقول القديس كيرلس الكبير: "فالمخلص لأنه له في ذاته طبعاً الأب والروح القدس، يتحدث عن الشهود بصيغة الجمع".

**خامساً: سبب الحذف، هو البدايات المتشابهة Homoioarction:** أحياناً تأتي جملتين، ويكون لهما نفس البداية، وعندها قد يقفز نظر الناسخ، فينتقل من البداية الأولى إلى الثانية، ونتيجة لذلك يتم حذف الجزء الذي في الوسط ما بين البدايتين، فالناسخ في حالتنا بدأ بمقدمة العدد رقم سبعة، وانتقل منه سهواً إلى العدد رقم ثمانية لتكلمته. ويُمكن اكتشاف هذه الخطأ حين يكون هناك خطأ لغوي أو معنى ناقص في العدد (وهذا ما حدث في السينائية والفاتيكانية).

أخيراً كل هذه الشواهد تؤكد أصالة العدد، كما أنه تؤكد قدمه من القرن الثاني الميلادي، وليس كما يدعي البعض، بأنه لم يظهر إلى في القرن الخامس عشر. فقط هناك أمر واحداً محيراً، هو لماذا لم يتناوله آباء الكنيسة مثل القديس كيرلس الكبير في كتابه "حوار حول الثالوث"، والقديس هيلاري أسقف بواتيه في كتابه "عن الثالوث": " فَإِنَّمَا نَنْظُرُ الْآنَ فِي مِرَاةٍ فِي لُغْرٍ لَكِنُ حِينِيذٍ وَجْهًا لَوْجِهِ. الْآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ لَكِنُ حِينِيذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ" (1كو:13: 12). قد يكون هناك رأي هو أن تركيز القديس كيرلس والقديس هيلاري كان على التأكيد على طبيعة السيد المسيح، والرد على الهرطقات التي شككت بها.

## المرأة التي امسكت في ذات الفعل

يدعي البعض أن القصة التي جاءت في إنجيل معلمنا يوحنا من آية 1-11، مضافة إلى الإنجيل وليست أصيلة، وأن القديس يوحنا لم يدونها بنفسه وإنما أضيفت في زمن لاحق ربما القرن الثامن.

أسباب الإدعاء. غياب النص عن بعض المخطوطات مثل المخطوطة السينائية والفاتيكانية والسكندرية والإفرامية و p66,p45,p75. بالإضافة إلى عدم تعليق القديس يوحنا ذهبي الفم والعلامة أوريجينوس عليها في شرحهما لإنجيل يوحنا.

النص. "أَمَّا يَسُوعُ فَمَضَى إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ. ثُمَّ حَضَرَ أَيْضاً إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصُّبْحِ وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ. وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكُتَّابَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ امْرَأَةً أَمْسَكَتْ فِي زِنَا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسْطِ قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ أَمْسَكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ، وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنْ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمَ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟» قَالُوا هَذَا لِيَجْزِيَهُ لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلِ وَكَانَ يَكْتُمُ بِإِصْبَعِهِ عَلَى الْأَرْضِ. وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلَا خَطِيئَةٍ فَلْيُرِمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!» ثُمَّ انْحَنَى أَيْضاً إِلَى أَسْفَلِ وَكَانَ يَكْتُمُ عَلَى الْأَرْضِ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ خَرَجُوا وَاحِداً وَاحِداً مُبْتَدِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الْأَخْرَيْنِ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَخَدَّهُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْوَسْطِ. فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَداً سِوَى الْمَرْأَةِ قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ أَيْنَ هُمُ أَوْلِيكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ؟ أَمَا دَانِكَ أَحَدٌ؟» فَقَالَتْ: «لَا أَحَدٌ يَا سَيِّدُ». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «وَلَا أَنَا أَدِينُكَ. اذْهَبِي وَلَا تُخْطِي أَيْضاً». (يو: 8: 1-11 فان دايك).

## الرد

الترجمات. الترجمات العربية (فان دايك، الحياة، الأخبار السارة، اليسوعية، العربية المشتركة، البولسية، الكاثوليكية) بلا استثناء تحتوي الأعداد ولا يوجد ترجمة عربية لا تحتوي الأعداد. جدير بالذكر أن

ترجمات مثل الكاثوليكية واليسوعية والعربية المشتركة تتبع النص النقدي، وبالتالي فوجود هذه الأعداد بها، يؤكد أصالة القصة والأعداد.

الترجمات الإنجليزية القديمة مثل جون ويكليف 1385م، وتندال 1543م، وكرينمر 1539م تحتوي الأعداد، بالإضافة إلى الترجمات الحديثة مثل: KJV, NKJV, RV, GNB, ESV, BBE, ASV وغيرها تحتوي الأعداد.

الترجمة اللاتينية القديمة (وهي ترجمة أسنقلت بالنص ولم تمتاز بالنسخ التي بعدها من اليوناني، ولذلك فهي تُعطي صورة للنص اليوناني القديم التي أخذت عنه) بها الأعداد، وهذا دليل هام على أصالتها. هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المخطوطات اللاتينية والفلجاتا التي تعود إلى القرن الرابع (نسخة القديس جيروم هي نسخة نقدية، لأنه من المعروف تاريخياً أن القديس جيروم رجع إلى نسخ أقدم لإتمام ترجمته).

النسخة الأشورية المكتوبة بالأرامية والتي تُرجمت 160م، وترجمات سريانية من القرن الرابع وبعده، تحتوي جميعها الأعداد، بالإضافة إلى الترجمة القبطية والأرمنية والجورجينية والأثيوبية. إن هذا العدد الكبير من الترجمات يؤكد أصالة القصة، وخاصة أن بعضها يعود للقرون الميلادية الأولى.

كما أن النسخ اليونانية للعهد الجديد مثل نسخة تشيندروف Tischendorf 8<sup>th</sup> edition، ونسخة ويستكورت وهورت Westcott-Hort، نسخة استفانوس Stephanus، نسخة Greek NT، أيضاً تحتوي الأعداد.

هذا بالإضافة إلى عدد من مخطوطات القراءات الكنسية. إجمالاً يُمكن التأكيد على أن القصة موجودة في أكثر من 900 مخطوطة.

### المخطوطات اليونانية التي تحتوي الأعداد.

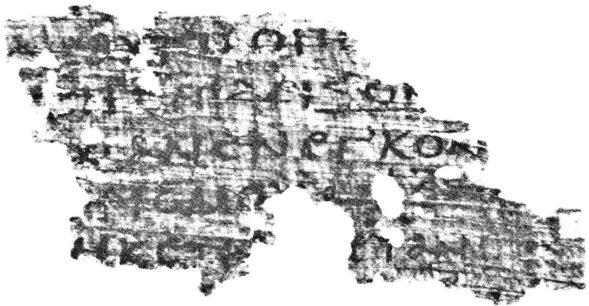
أهمهم مخطوطة بيزا وهي تعود للقرن الخامس، والقصة موجودة بها سواء في النص اليوناني أو اللاتيني. بالإضافة إلى شواهد يونانية كثيرة مثل:

F,G,H,K,M,S,U ومجموعة مخطوطات الخط الصغير، ومجموعة مخطوطات f13.



بردية أجزتون Egerton fragment، وهي مخطوطة هامة تعود إلى 120م، ويرجح أنها كُتبت

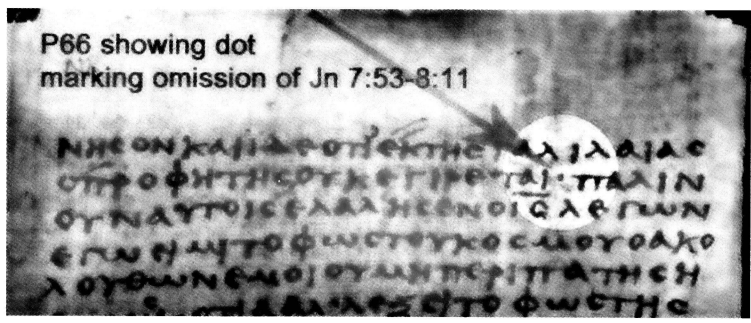
في مصر أو فلسطين، وهي مخطوطة للقراءات الكنيسة (أي أنها تجميع لعدد من أعمال السيد المسيح المعجزية ونقاشه مع اليهود، في ليست نصًا من الإنجيل ولكن أعداد مُجمعة). وهي من جزءين، الأولى تتكلم عن الأبرص، والثانية تحتوي في السطر رقم 47 عبارة "ولا تُخطئ أيضًا and sin no more". إن هذه العبارة لم تأت في الكتاب المقدس إلا مرة واحدة في يوحنا 8: 11، وبالتالي فإن وجود الكلمتين دليل على أصالة القصة وإن القصة جزءًا من الكتاب المقدس الذي نُسخت منه البردية، وخاصة أن الجزء السابق من البردية مفقود وجزء ممزق.



### تحليل المخطوطات التي لا توجد بها الأعداد.

مخطوطة P66، وترجع إلى 150م، ويوجد بها مسافة ونقطة كدليل على وجود حذف أو أن الناسخ

يعرف أن هناك جزءًا مفقودًا.



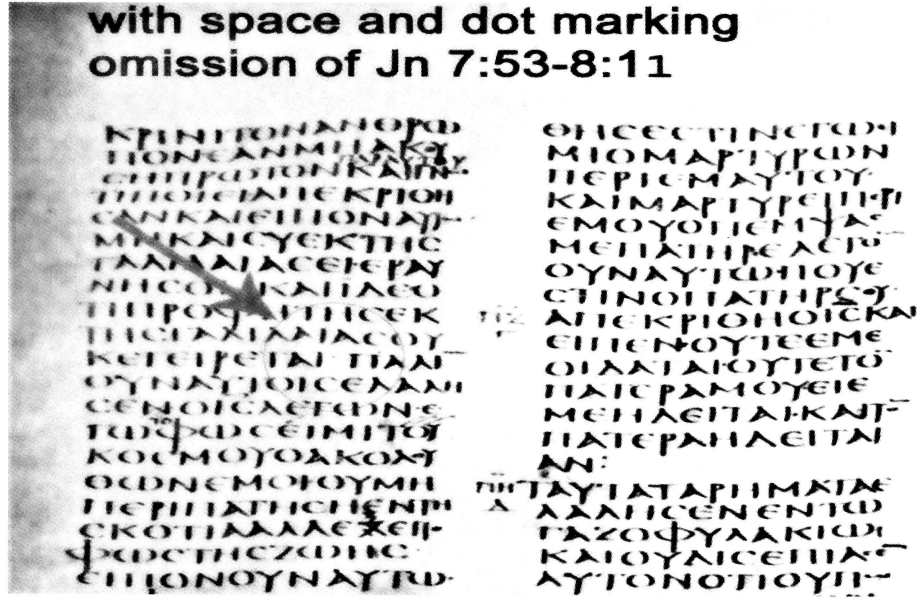
نفس الأمر يتكرر بالضبط في مخطوطة P75.

أما مخطوطة P45، الصفحات من يو 5: 24 إلى يو 10: 6 مفقودة.

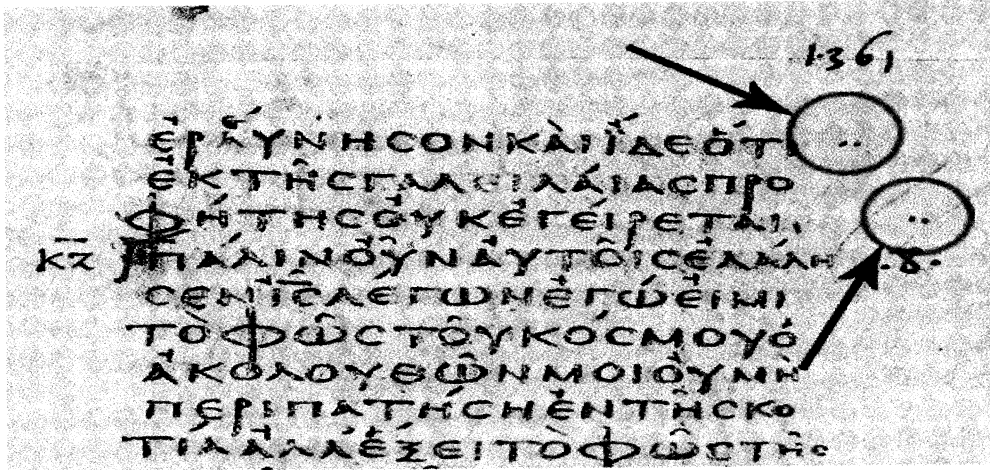
وبالنسبة للمخطوطة السينائية 340م، فيها أيضًا مسافة ونقطة كدليل على الحذف.

## Codex Sinaiticus:

with space and dot marking omission of Jn 7:53-8:11



المخطوطة الفاتيكانية، بها علامة نقديّة umlaut، في الهامش مما يؤكد الحذف.



Codex Vaticanus (B, 02) Column 3 top:  
John 7:52b, 8:12 (skipping 7:53-8:11)

7:52 ΕΡΔΥΝΗΣΟΝ ΚΑΙ ΙΔΕ ΟΤΙ ..  
[ΕΚ ΤΗΣ ΓΔΛΕΙΛΑΔΙΔΣ] ΠΡΟ ..  
ΦΗΤΗΣ ΟΥΚ ΕΓΕΙΡΕΤΑΙ ..  
8:12 ΠΔΛΙΝ ΟΥΝ ΔΥΤΟΙΣ ΕΛΔΛΗ ..  
ΣΕΝ ΙΣ ΛΕΓΩΝ ΕΓΩ ΕΙΜΙ ..  
ΤΟ ΦΩΣ ΤΟΥ ΚΟΣΜΟΥ Ο ..

The double dots, called 'umlauts', are written in the same ink as the original scribe, and clearly indicate textual variants throughout the manuscript. Here they indicate a word order reversal ("a prophet" 1st & 2nd lines), and the omission of the Pericope de Adultera. Other marks are secondary.

المخطوطة السكندرية من القرن الخامس، الصفحات من يو 6: 5 إلى يو 8: 52 مفقودة.

المخطوطة الإفرايمية من القرن الخامس، الصفحات من يو 3: 7 إلى يو 8: 54 مفقودة.

### أقوال الآباء

اقتبس العديد من الآباء قصة المرأة وقاموا بالتعليق عليها، مثل بابياس 70-155م، والعلامة ترتليان

160-220م، والبابا كالستس من القرن الثالث، بالإضافة إلى القديس جيروم والقديس أغسطينوس والقديس

جيروم والقديس أمبروسوس والقديس ديديموس الضرير.

كما جاء في قوانين الرسل: "أحضروا إليه امرأة أخرى خاطئة وأقاموها أمامه وتركوا الحكم له، ومضوا لأن الرب فاحص القلوب، يطلبها حتى لو الشيوخ أدانوها، وقال لها: أذهبي ولا أنا أدينك أيضاً"

“And when the elders had set another woman which had sinned before him, and had left the sentence to him, and were gone out. Our lord, the searcher of the hearts, inquiring of her whether the elders had condemned her and being answered no, he said unto her: “go the way therefore, for neither do I condemn you”

أسباب الحذف. ذكر القديس أغسطينوس سبب الحذف، وهو أن "بعض المخالفين للتعاليم، أرادوا إرهاب زوجاتهم، بعد أن خافوا أن تكون القصة سبب فكرة أن الزوجات إذا أخطأوا- فإن باب التوبة مفتوح- ولذلك حذفوها من نسخهم.

“Neither do I condemn you: go and sin no more: “this proceeding, however, shocks the minds of some weak believers, or rather unbelievers and enemies of the Christian faith, in a much, that after I suppose of its giving impunity of sinning. They struck out from copies of the gospels, that our lord did pardoning the woman taken in adultery: as if he granted leave of sinning”

وبالنسبة للعلامة أوريجينوس، فقد عُرف عنه أنه كان مُحارب بالعلاقات الجنسية، ولذلك اتخذ موقفاً عدائياً منها ومن الزواج نفسه، حتى أنه خصى نفسه، وقد عُوقب بسبب أخطاء كثيرة منها هذا الفكر المرفوض.

أما بالنسبة للقديس يوحنا ذهب الفم، فهو لم يقم بشرح الأعداد في سياق شرحه لإنجيل يوحنا (وإن كان أشار إليها في مواضع أخرى)، وذلك لأنه كان معروف عنه أنه قد اضطهد بشدة بسبب مسامحة الخطاة

ومنهم الزناة ولذلك اعتبره البعض مفسداً. ولذلك السبب، قد يكون ترك هذا الجزء بدون تفسير، لكي لا يفسح المجال لأعداءه لكي يتصيدوه بكلمة.<sup>511</sup>

كما أن التحليل النصي للقصة يشير إلى وجود تفاصيل كثيرة تدل على قيام شاهد عيان بتدوين القصة وهو القديس يوحنا الحبيب، وإنها لم تكن إضافة لكاتب آخر في زمن مغاير.

### هل الاختلافات في القراءة تؤثر على مصداقية النص أو على الإيمان؟

إن اختلافات القراءات لا تؤثر في الإيمان المسلم، يقول روبرتسون A.T. Robertson: "0.1% أي واحد من الألف من القراءات لها مغزي، و 99.99% خالي من الاختلافات التي لها مغزي". يقول بروس ميتزجر: "يمكننا أن نثق ثقة عظيمة في الإخلاص الذي وصلت له إلينا النصوص، خاصة لو قورنت بأي أعمال قديمة أخرى".

يقول ديفيد آلان بلاك: "لا توجد عقيدة في الكتاب المقدس يمكن أن تُصبح غير مدعومة، إذا حدث التخلي عن قراءة مفضلة لمصلحة قراءة أخرى أدق".

يقول موريس روبنسون: "أي إدعاء يُوحى أن غياب الأصول المادية، يساوي غياب الموثوقية والسلطة الكتابية، هو زائف أو كاذب أو وهمي. إن نسخ المخطوطات التي نمتلكها تطابق الأصول بشكل جوهري"

يقول سير فريدريك كينيون: "من المطمئن في النهاية أن نجد أن النتيجة العامة لكل هذه الاكتشافات وكل هذه الدراسة، هي تقوية البرهان على صحة وأصالة الأسفار المقدسة، وإقتناعنا بأننا نملك في أيدينا، بشكل سليم حقاً، كلمة الله الصحيحة" ويضيف قائلاً: "إننا نؤكد بكل يقين أنه لا يوجد عقيدة مسيحية مبنية على قراءة بها اختلاف. إن نصوص الكتاب المقدس أكيدة في مادتها، وبالتالي يمكن للمسيحي أن يمك الكتاب

511 . ماجد غالي، "امرأة أمسكت في زنا. هل قصة المرأة الزانية في إنجيل يوحنا أصيلة أم مضافة؟، موقع drghaly.com، تاريخ الاقتباس: ديسمبر 2025.

المقدس ويقول بدون خوف أو تردد أنه يمك كلمة الله الحقيقية التي سلمت عبر القرون من جيل إلى جيل بدون أن يُفقد شيء من قيمتها".<sup>512</sup>

### أخطاء النساخ:

مر نص الكتاب المقدس بعمليات نسخ عبر القرون بواسطة نساخ، وبسبب العامل البشري تعرض

النص إلى أخطاء نسخية Scribal Errors.

يمكن تصنيف أخطاء النسخ العارضة إلى:

(1) أخطاء نتيجة الخلط بين الحروف (mistaken letters)، وهو أحد الأخطاء النسخية الشائعة

عند النساخ وهو الخلط بين الحروف المتشابهة في شكلها مثل " أو ميكرون O " و " ثيتا Θ ".

(2) أخطاء نتيجة الخلط بين الأصوات Homophony، ويطلق عليه أحياناً Itacism، وهو يعني

إبدال الحروف ذات الأصوات المشابهة مثل حرف " أو ميكرون O " وحرف " أو ميغا Ω "، حيث أن لهم نفس النطق ويسهل الخلط بينهم عن طريق الإملاء.

(3) أخطاء نتيجة حذف الحروف Haplography، وهو يحدث بسبب البدايات المتشابهة

homoiarcton، أو النهايات المتشابهة homoioteleuton، فيخطأ الناسخ دون قصد حيث تقفز عينه

من موضع إلى آخر، فيحذف حرف أو أكثر (وأحياناً نص يتم إسقاطه أو حذفه ويطلق عليها عيوب البصر (parablepsis).

(4) أخطاء نتيجة تكرار الحروف Dittography، ويحدث حين يكرر الناسخ كلمة أو حرف.

(5) أخطاء نتيجة عكس ترتيب الحروف Metathesis، ويحدث عندما يعكس الناسخ حرفين، وهو

خطأ شائع.

512 . حلمي القمص يعقوب، مدارس النقد والتشكيك والرد عليها، العهد الجديد الجزء الثاني، 242.

(6) أخطاء نتيجة للدمج المشوش Fusion، عندما يقوم الناسخ بدمج كلمتين في كلمة واحدة، أو

تقسيم مشوش fission، عندما يقوم الناسخ بتقسيم الكلمة الواحدة إلى جزئين بالخطأ.

(7) أخطاء نتيجة إعادة ترتيب الكلمات Transposition، وهو خطأ نسخي حين يعكس الناسخ

كلمتين بغير قصد.<sup>513</sup>

إن أخطاء النساخ قليلة جدًا، ويمكن اكتشافها بسهولة، كما أنها لا تؤثر على موثوقية النص بأي شكل من الأشكال، وذلك بسبب العدد الكبير من مخطوطات العهد الجديد ومصادره الخارجية، مما يجعل استعادة النص واكتشاف الخطأ النسخي أمر في غاية السهولة. يقول د. إدوار ج. يونج: "مما لا شبهة فيه أن الكتاب المقدس في وضعه الحالي، في صورة مثيرة، ومن نواح متعددة، يعد آية في الدقة ويمثل تقريبًا فيما نعتقد أنه المخطوطات الأصلية".

كذلك يؤكد سير فريدريك كينتون، ما سبق قائلًا: "إن ما بين أيدينا بلا شك هو النص السليم لكلمة الله الحقيقية. كل هذه الشهادات تؤكد أن الاختلافات موجودة، وهذه هي طبيعة عملية النسخ البشري، ولكن عن طريق عمليات الفحص والنقد النصي، نصل إلى نتيجة هي أن ما بين أيدينا هو كلمة الله الأصلية القادرة أن تخلص النفوس."<sup>514</sup>

إدعاء تحريف الكتاب المقدس

كلمة "تحريف" يُقصد بها تحريف النص نفسه، أي تغييره عمدًا بإضافة أو حذف أو تبديل محتوى

معين، وعند إثارة شبهة التحريف لا بد من الإشارة إلى عدد من الأدلة التاريخية التي تؤكد سلامة النص.

513. يعقوب، مدخل إلى النقد النصي للعهد الجديد، 190-193.

514. حلمي القمص يعقوب، مدارس النقد والتشكيك والرد عليها، العهد الجديد الجزء الثاني (كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس خاتم الشهداء، 2017)، 237-239.

**أولاً، مخطوطات الكتاب المقدس.** بالنسبة للعهد القديم يوجد لدينا مخطوطات وادي قُمران Red Sea Scrolls (250ق.م-70م)، وقد اكتشفت عام 1947، وعند مقارنتها بالنص العبري الحالي، نجد التطابق مذهلاً مما يؤكد دقة نقل النص عبر 1000 عام. فعلى سبيل المثال، عند دراسة مخطوطة إشعياء الكبرى، ومقارنتها بالنص الحالي، نجد أن تطابق بشكل شبه تام. هذا بالإضافة إلى مخطوطات الترجمة السبعينية (ترجمة يونانية للعهد القديم، تمت قبل ميلاد السيد المسيح بحوالي 300 عام، في مصر على يد سبعين شيخاً يهودياً بأمر من بطليموس الأول)، ونصها يُطابق إلى حد كبير النصوص العبرية الموجودة حالياً، وهذا يُثبت أن نص العهد القديم كان محفوظاً قبل المسيح بقرون.

أما بالنسبة للعهد الجديد، فكما سبق الإشارة يوجد أكثر من 5800 مخطوطة يونانية، بالإضافة إلى آلاف المخطوطات (حوالي 20000 مخطوطة) باللغات القديمة (القبطية، السريانية، واللاتينية). كما أن أقدم مخطوطة تم العثور عليها، هي بردية جون رايلاند P52، وترجع إلى حوالي 125م، وهو زمن قريب لكتابة النص الأصلي، كما سبق الإشارة. إن هذا الكم الهائل من المخطوطات، يجعل من السهل على النقاد، اكتشاف أي محاولة لتحريف.

**الترجمات القديمة.** تم ترجمة الكتاب المقدس إلى لغات عديدة، وبعض هذه الترجمات يرجع إلى القرن الثاني الميلادي، وهو زمن قريب جداً لزمن تدوين النص الأصلي، وبالتالي فإن هذه الترجمات بمثابة رقابة على سلامة النص، لأنها تشهد له وتؤكد عدم وجود أي تحريف.

**اقتباسات الآباء.** إن كتابات آباء الكنيسة الأوائل (القرون الثلاثة الأولى) مليئة بالاقتباسات من الكتاب المقدس، حتى أنه يمكن إعادة تركيب العهد القديم بالكامل تقريباً من اقتباساتهم. فلو وُجد أي تحريف، لظهر التناقض وضحاً ما بين كتابات الآباء بعضهم البعض، ومع النص الحالي للكتاب المقدس، وهم ما لم يحدث.

**الاستحالة العلمية للتحريف.** بداية من نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني، انتشرت مخطوطات العهد الجديد في كل العالم المسيحي، بداية من فلسطين وسوريا، إلى روما والإسكندرية، انتشاراً واسعاً.

وبالتالي فإن أي محاولة لتغيير النصوص في كل هذه المناطق، كان يتطلب جمع كل تلك النسخ وإعادة كتابتها وتعديلها، وهو أمرًا مستحيلًا. وبالتالي فإن الانتشار الواسع للمخطوطات، حمى النص من أي تلاعب، بالإضافة إلى أن عملية كهذه كان من المستحيل أن تتم في سرية وتوافق، وخاصة في عدم وجود سلطة مركزية تشمل كل الكنائس في القرون الأولى، كان في مقدرتها أن تفرض تحريفًا عالميًا.

**شهادة التاريخ والكنيسة.** التاريخ يشهد على أن الكنيسة قد حفظت الكتاب المقدس وحمته نصوصه ونقلته على مدار تاريخها.

يقول دانيال والاس: "خلال 130 عامًا، لم يتم اكتشاف أي مخطوطة أصيلة من شأنها في نظر العلماء أن تقدم قراءة مختلفة للعهد الجديد، فلا يوجد مخطوطة تخبرنا بحكاية مختلفة عن يسوع".<sup>515</sup>

**كيف يُمكن الرد على من يهاجمون الكتاب المقدس؟**

أحيانًا كثيرة، يُهاجم البعض الكتاب المقدس، بسبب وجود كلمة أو عدد غير واضح، أو صعب الفهم، أو وجود أمور تتعارض ظاهريًا وتحتاج لدراسة، ولذلك فعلى المؤمن، أن يكون دائماً مستعداً للرد على تلك الشبهات التي تواجه الكتاب المقدس، وذلك من خلال نقاط أو أدوات محددة:

أول تلك الأدوات هو الصلاة وطلب إرشاد الروح القدس، ثم القراءة بتأني عدة مرات للنص، ومحاولة فهم الآية أو العدد بما يريد أن يقول، وليس كما يوافق الشخص ذاته. فلا بد من فهم الخطوط العريضة للعدد بدون إضافات شخصية، كما يجب البحث عن أعداد موازية، تتناول نفس المعنى حتى تكتمل الصورة.<sup>516</sup>

515 . ماكديويل، برهان جديد يتطلب قرآنا، 160.

516. ماجد غالى، علم اللاهوت الدفاعي (القاهرة: دار رسالتنا للطباعة والنشر، 2025)، 40-45.

إن وجدت بعض الكلمات أو الألفاظ التي يصعب فهمها ، فلا بد من الرجوع إلى المعاجم اللغوية، حيث إنها تشرح المعنى من واقع السياق التاريخي للكلمة، لأن بعض الكلمات تتغير معانيها من زمن لآخر، وبالتالي يجب معرفة كيف فهمها من قبلت لهم أولاً؟ (لو معنى الكلمة ثابت لما إحتاجنا إلى معاجم )، إن التركيز على فهم أهم كلمة أو مقطع فى العدد، له أهمية كبيرة حيث إنه يوضح مضمون ومفهوم العدد كله، كذلك للمعاجم فائدة كبيرة فى معرفة تصريف الأفعال، ومعرفة الزمن الذى يتكلم فيه العدد، لأن ذلك يعطى فهم أكبر، كما إنه يوضح استخدام الكلمة فى مواضع وأعداد اخرى. كما أن المعاجم تفيد جدا، فى تحديد الدلالة اللفظية للكلمة من خلال فهم جذرها.

ان دراسة أعداد الكتاب المقدس، تقتضى معرفة المعنى اللفظى للعدد (Exegesis)، حيث يتم شرح العدد كيفما كُتب فى موقفه وفى زمنه، حتى نستطيع الوصول للمعنى الروحى (hermeneutics)، وهو فهم ما يعنيه النص للقارئ، حتى يستطيع تطبيقه رغم إنه كُتب فى زمن آخر (هذه العملية يُطلق عليها التحليل اللغوي).<sup>517</sup> وهذا بالإضافة للمعنى التاريخى و الرمزى للعدد.

من الأدوات الهامة جداً لفهم أى نص فى الكتاب المقدس: الترجمات المختلفة، حيث يفضل الرجوع إلى أكثر من ترجمة، لأن الشرح (الفهم) الذى تتفق عليه أغلب الترجمات غالباً هو الفهم الصحيح، كذلك يفضل إختيار ترجمة أو أكثر تكون مدققة ومن النوعية الدينامكية، أى إنها تشرح المعنى أثناء الترجمة مع الإحتفاظ بالدقة اللغوية (بمعنى آخر ليست حرفية، فتؤثر على المعنى، وليست تفسيرية، فتؤثر على دقة الألفاظ ). كذلك يفضل أن يكون النص الأسمى للكتاب المقدس، هو مرجعية الترجمة وليس ترجمة اخرى.<sup>518</sup>

517. غالي، علم اللاهوت الدفاعي، 46.

518. غالي، 45-47.

من أهم المعايير التي يجب مراعاتها، عند إختيار ترجمة معينة، هي: (1) الدقة، حيث يتحرى المترجم الدقة لكي يصل إلى هدف و قصد الكاتب عبر ترجمته، (2) الملائمة: بحيث تكون كلمات و تعبيرات و أسلوب المترجم، إنعكاس كامل للأصل، بمعنى أحر صورة طبق الأصل ، (3) الطبيعية: حيث تكون العبارات سهلة ومفهومة وخالية من التركيبات النحوية الصعبة ، (4) الشكل: بحيث يحتفظ المترجم بالشكل الذي وضعه الكاتب الأصلي قدر الإمكان.<sup>519</sup>

أداة أخرى تساعد في الفهم، وهي الرجوع إلى التفسيرات المتنوعة (كلمة تفسير، مصطلح يوناني αἰνήμηρῆ، ويعنى ترجمة من لغة أجنبية إلى لغة معروفة عند القارئ، أو عرض جوهر الأمور بطريقة سهلة وواضحة)<sup>520</sup> ، حيث يوجد مدارس عديدة للتفسير- حرفي أو رمزي- ولذلك يفضل الإطلاع عليها، كما يفضل عدم التحيز لتفسير معين وفهم معين ومحاولة فرضه على النص، كذلك لو وجد أكثر من حل أو تفسير لشبهة ما، يفضل عرضهم جميعاً، مع تقديم حل واحد يكون أكثر إقناعاً وتكاملاً، ويكون أتفق عليه أغلب المفسرين، لأنه في الأغلب هو الأقرب للصواب.<sup>521</sup> وبالطبع يفضل الرجوع إلى تفسيرات وأقوال الآباء مع ملاحظة الفروق التاريخية، كما يقول القديس أغسطينوس: "نحن لم نعرف الكتاب المقدس إلا من خلال الكنيسة والآباء هم الكنيسة، فهم الذين جعلوا الكتب في متناول أيدينا، وأن الكلمة الإلهية لا تنفصل عن كلمة الآباء الذين يفسرونها"<sup>522</sup>

519 . حلمي القصم يعقوب ، "مدارس النقد و التشكيك و الرد عليها العهد الجديد" ، موقع الانبا تكلأ هيمانوت : تاريخ الإقتباس : أبريل 2025.

<https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/new-testament/120.html>

520 . موقع اللاهوت الدفاعي ، "تفسير الكتاب المقدس عند الآباء" ، تاريخ الإقتباس : أبريل 2025.  
<https://www.difa3iat.com/27584.html/>

521 . ماجد غالي، 50.

522 . موقع اللاهوت الدفاعي، "تفسير الكتاب المقدس عند الآباء" ، تاريخ الإقتباس : أبريل 2025.

أيضًا من الأمور الهامة، معرفة السياق التاريخي للنص، وزمن كتابته والظروف المعاصرة والقضايا الهامة التي تطرق إليها وقام بمعالجتها أو عرضها، لأن لهذا أهمية خاصة تحقق مزيدًا من الفهم. كذلك يجب معرفة الخلفية الحضارية لبعض الأحداث والأقوال التي وردت بالنص. وذلك لأن بعض الأحداث والأقوال كان لها واقع خاص لدى اليهود في زمنهم، وبالتالي يجب فهم النص كما فهمه اليهود في زمن كتابته وليس وفقًا للثقافة المعاصرة.

كذلك عند دراسة الكتاب المقدس، و لفهمه بشكل صحيح ، لابد من معرفة الأسلوب الذى دون به نص معين، حيث يختلف الأسلوب الروائى، عن الأسلوب الناموسى والأسلوب النبوى.

فبالأسلوب الروائى (40% من العهد القديم) يسجل الحدث بكل أمانة وموضوعية، و لذلك فهو لا يعلم عقيدة، لأنه يشرح ما حدث، وليس ما يجب أن يحدث، فهو يمثل عمل الله فى الإنسان وبالإنسان، وبالتالي فهو لا يعلم مباشرة ولكنه يترك إلى ضمير الإنسان أن يتعلم من الحادثة بعد أن يكون قد قدم له الوصية من البداية، ولذلك فهو يعلم بطريقة غير مباشرة، وبالتالي لا يجب تخمين ما لم يذكر لان المعلن بوضوح هو المهم فى النص.

الأسلوب الروائى له اهمية خاصة فى توضيح ان الكل بعيدين عن الكمال وبالتالي فالجميع يحتاج إلى بر الله (الإنسان فى إحتياج شخصى لله، وشعب إسرائيل فى حاجة إلى المخلص، والبشرية فى إحتياج للقداء). وبما إن الكتاب المقدس يستخدم فى بعض الأحيان الأسلوب الروائى، فلذلك لابد من ربط الأعداد معاً للتعرف على بداية الرواية ومنتصفها ونهايتها والنتيجة المترتبة عليها، والهدف من الرواية. كما ينبغى التفريق بين عمل الله وعمل الإنسان فى الرواية، لتحقيق فهم أفضل. ولتحديد الأمر اللاهوتى الذى يقدم له العدد حل أو شرح، حتى يتم معرفة وضعه اللاهوتى اللانق من حيث إعلانات الله وحتى يتم ربطه مع اعداد أخرى لاهوتيا، فتتضح الصورة الكتابية.<sup>523</sup>

يجب إدراك أن الكتاب المقدس ، قد كتب بأساليب أدبية متعددة، وبالتالي لا يجب التعامل مع النص، قبل معرفة الأسلوب الذي كتب به، فعلى سبيل المثال، العدد الشعري لا يجب أن يأخذ بطريقة حرفية ولكن يجب أن يتم فهمه في الأطار الذي كتب لأجله لأن فهمه بعيدا عن سياقه سيقدم معنى مختلف .

من الهام جدا معرفة ان الكتاب المقدس ينفرد بوجود ظاهرة الطيبولوجي (typology)، حيث هناك بعض الشخصيات التي ترمز للسيد المسيح في صفة أو أكثر و ليس في كل الصفات، و هو أمر لا يوجد في أى ديانة أخرى. وبالتالي يجب فهم هذا الأمر لأنه له انعكاس هام على فهم بعض الأحداث والأقوال.

يقول القديس يوحنا ذهبى الفم، واصفا من يقرأ الكتاب المقدس بدون فهم قائلا: "من يعمل في منجم بغير خبرة في فهم هذا الفن، فانه يخلط بين الأشياء النفيسة والتراب، بل ويضيع عمله هباء. هكذا الذين لا يفهمون الكتاب المقدس ولا يراعون خصوصياته قوانينه، بل يسرون في كل نقطة من محتوياته بأهمال من غير حكمة-ي مزوجون الذهب مع التراب- ، ولا يكتشفون السر الخفى داخله".<sup>524</sup>

## قضايا تشكيكية في الكتاب المقدس

لماذا يبدو الله عنيقاً في العهد القديم؟

يوكد العديد من المُشككين أن العهد القديم يُصور الله كإله قاسٍ عديم الرحمة، يأمر بقتل الرجال الأبرياء والنساء والأطفال.

بالتطبع الرد على هذا الإدعاء، يحتاج إلى أبحاث مفصلة لدراسة كل موقف على حدة، وذلك لمعرفة السياق التاريخي الذي جاء فيه الأمر، وهل كانت الحرب بأمر من الله أم بفكر بشري؟

في صفحات قليلة، يُمكن شرح حادثة واحدة كنموذج، وهي أمر الحرب ضد الكنعانيين. وذلك لأن هذه الحرب، كثيراً ما يتم الاستشهاد بها كدليل على قسوة الله، حيث يصورها البعض بأنها كانت دعوة للإبادة

524 . موقع اللاهوت الدفاعي، "مقالة تفسير الكتاب المقدس عند الأباء".

الجماعية لشعب أعزل وبقسوة بالغة. وهنا يجب الإشارة إلى عدة نقاط، يُمكن من خلالها فهم طبيعة الأمر الإلهي وأسبابه.

أولاً: كان الكنعانيون أشرارًا للغاية، فقد لعن نوح كنعان حفيده، لأنه أستهزأ به عندما سكر وتعرى (تك9: 2025)، كما كان أحفاد كنعان خطاة بشكل لا يُصدق، فقد مارسوا كل أشكال الشرور، بداية من عبادة الأوثان وما يرتبط بها من زنا وفجور علني، وتقديم الأطفال ذبائح للأوثان. ومن شدة قسوتهم كانوا يدقون الطبول بقوة حتى تغطي على صوت صراخ الأطفال وهم يحترقون في النار لإرضاء مولك إله الكنعانيين "بُنُوا مُزْتَفَعَاتٍ تُؤَفِّةَ الَّتِي فِي وَادِي ابْنِ هِنُومَ لِيُحْرَفُوا بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ بِالنَّارِ" (إر 7: 31). هذا بالإضافة إلى زنا المحارم وممارسة الجنس مع الحيوانات والمثلية الجنسية. وبعد 400 سنة من ممارسة الشر، صار الكنعانيون أشرارًا جدًّا، حتى أن الكتاب المقدس يقول: "فَتَنَجَّسَتِ الْأَرْضُ. فَاجْتَرَى ذَنْبَهَا مِنْهَا فَتَقْدِفُ الْأَرْضُ سُكَّانَهَا" (لا18: 25). فقد كان اهتمام الله هو تطهير الأرض من الخطية ومن كل تلك الشرور، وبالتالي لم يكن الأمر نزعة غير مبررة تجاه شعب ما.<sup>525</sup>

ثانياً: يتجاهل كثير من النقاد أن اللغة المستخدمة عن الكنعانيين هي اللغة المستخدمة مع شعب إسرائيل، وهو ما يؤكد النقطة السابقة، وهي ان غرض الله هو إدانة الخطية "يَكَلِّ هَذِهِ لَا تَتَنَجَّسُوا لِأَنَّهُ يَكَلِّ هَذِهِ قَدْ تَنَجَّسَ الشُّعُوبُ الَّذِينَ أَنَا طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ... فَلَا تَقْدِفُكُمْ الْأَرْضُ بِتَنَجِّسِكُمْ أَيَّاهَا كَمَا قَدَفَتِ الشُّعُوبَ الَّتِي قَبْلَكُمْ" (لا18: 24-28)، وبناء عليه فقد كان الأمر مجازاة عن الشر، وليس تطهيراً عرقياً.<sup>526</sup>

ثالثاً: كان القصد من حكم الإدانة أن يكون طردًا من الأرض، فقد قصد الله أن يُطهر هذه المنطقة من الكنعانيين، لكي يتركوها لبني إسرائيل. إن لغة المحو الكلي وعدم ترك ناجين، كانت لغة مجازية تشير إلى

525 . جورج باسيلوس، 190.

526 . جورج باسيلوس، 191.

تطهير الأرض، وقد تكررت في أكثر من موضع (يش: 10: 40)، (اصم)، حيث يتم وصف مدناً قد مُحيت بالكامل. غير أن الكنعانيين لم يتم إبادتهم بالكامل، لأنه ظهروا لاحقاً (قض: 1: 21).<sup>527</sup>

رابعاً: كان الرب صبوراً جداً مع الكنعانيين، فقد منحهم 400 عام من التحذيرات. وبالتالي لم يكن قرار الطرد من الأرض، قراراً فجائياً من قبل الرب، فقد أخبر الله إبراهيم أن نسله سيكونون عبيداً في أرضاً غريبة لمدة 400 عام، ولكنهم سيعودون بعد أربعة أجيال "وَفِي الْجِيلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ أَلَى هَهُنَا لِأَنَّ ذَنْبَ الْأُمُورِيِّينَ لَيْسَ أَلَى الْآنَ كَامِلاً" (تك 13: 16)، والسبب في هذا التأجيل أن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً.<sup>528</sup>

خامساً: كان يُمكن للكنعانيين أن يتوبوا، فقد كان لديهم من الفرص الكثير لمعرفة الإله الحق. فقد عاش إبراهيم بينهم، وكان إيمانه شاهداً للكنعانيين. كما كان هلاك سدوم وعمورة دليلاً على حكم الله ضد الخطية (تك 18-19)، كذلك كان ملكي صادق ملك أورشليم شاهداً لشعبه عن الإله الحق. وحتى في زمن يشوع، فقد سمع الكنعانيون عما فعله الله لأجل الإسرائيليين، وكيف أخرجهم من مصر بيد قوية، واعطاهم نصرة على ملوك الأموريين، حتى أن راحاب الزانية تقول: "عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَعْطَاكُمْ الْأَرْضَ، وَأَنَّ رُغْبَكُمْ قَدْ وَقَعَ عَلَيْنَا، وَأَنَّ جَمِيعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ دَابُّوا مِنْ أَجْلِكُمْ. لِأَنَّا قَدْ سَمِعْنَا كَيْفَ بَيَّسَ الرَّبُّ مِيَاهَ بَحْرِ سُوفَ قُدَّامَكُمْ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، وَمَا عَمَلْتُمُوهُ بِمَلِكِي الْأُمُورِيِّينَ اللَّذِينَ فِي عِبْرِ الْأَرْضِ: سِيحُونَ وَعُوجَ، اللَّذِينَ حَرَّمْتُمُوهُمَا. سَمِعْنَا قَدَابَتَ قُلُوبِنَا وَلَمْ تَبْقَ بَعْدَ رُوحٍ فِي إِنْسَانٍ يَسْبِيكُمْ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقِ وَعَلَى الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِ" (يش: 2: 9-11). على مدى أجيال، كان هناك العديد من الفرص للكنعانيين لكي يقدموا توبة، ويوجهوا قلوبهم نحو اله كما فعلت راحاب، غير أنهم قرروا التعمق في الخطية.<sup>529</sup>

527 . جورج باسيلوس، 192.

528 . جورج باسيلوس، 192.

529 . جورج باسيلوس، 193.

سادساً: كان حكم الله مقصوداً، وذلك لكي يمنع فساد الإسرائيليين نتيجة اختلاطهم بالكنعانيين، وذلك لانه مُزمع أن ياتي من خلالهم مخلص العالم، وبالتالي كان لابد أن يبقي إسرائيل طاهرًا ومنفصلاً تمامًا عن شرور الكنعانيين، وهو ما وضحه الله قائلا: "لِكَيْ لَا يُعْلَمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ الَّتِي عَمَلُوا لِإِلَهَتِهِمْ فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ" (تث16: 18).<sup>530</sup>

سابعاً: الله هو واهب الحياة، فهو من خلق كل البشر ومنحهم نعمة الحياة، وله كل الحق أن ينزعها وقتما يريد وكيفما يرى ذلك مناسباً. كما أن الموت في حقيقته ليس فناء، فلن يختفي البشر عن الوجود بعد الموت، ولكنهم سوف يستبدلون المواقع. كما أن الله عادل ويحكم بالعدل ويجازي كل أحد على عمله.

ثامناً: محبة الله للبشر مُعلنة في العهد القديم، رغم إدانته للخطية "الرَّبُّ آلَهُ رَحِيمٌ وَرَأُوفٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الْأَحْسَانِ وَالْوَفَاءِ" (خر34: 6)، "الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ النَّقِيَّا. الْبِرُّ وَالسَّلَامُ تَلَأْتَمَا" (مز85: 10)، "أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَإِنَّكَ رَحِيمٌ وَرَأُوفٌ طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَالْحَقِّ" (مز86: 15).

### الرؤية المتعمقة لحروب العهد القديم

صفات الله. الله كلي القداسة، وهو الخالق مانح الوجود ومعطي الحياة، وهو كلي العدل والبر، وكلي الصلاح وله عدم التغيير من جيل إلى جيل. وبناء عليه فإن هذه الصفات تنعكس على بعض الحقائق الجوهرية الهامة.

أولاً: الله يمتلك كل نسمة في حياة البشر، فهو معطي الحياة وله الحق في أخذها، فالإنسان ليس هو علة وجوده، ولكن الله هو من أوجده وأعطاه نعمة الحياة وبالتالي، فهو له الحق في أخذها بحسب إرادته، "الرَّبُّ يُمِيتُ وَيُحْيِي. يُهْبِطُ إِلَى الْهَوَايَةِ وَيُصْعِدُ" (1صم2: 6).

ثانيًا: الله هو الملك وعلى الإنسان احترام قوانينه، فالله هو من وضع النواميس والقوانين، وبالتالي لابد من طاعة قوانينه، لأنه تعكس طبيعته ومشينته الصالحة، كما أنه تضمن سلام الخليقة وأمانها وحمايتها.

ثالثًا: الله له الحق ضمن إطار طبيعته أن يحافظ على خلقه وأن يفعل كل ما يقتضيه لأجل هذا. فالله

هو مالك أرواح الشر، وعلى البشر احترام قوانين مملكته، لأن تلك القوانين وضعت لنمو الخليقة ولأجل ازدهارها. وعلى الإنسان أن يحافظ على القصد الإلهي. مما سبق يُطرح تساؤل في غاية الأهمية، هل شعوب

كنعان حافظت على هذا الإطار وعلى الحالة التي تتسق مع القصد الإلهي؟<sup>531</sup>

**الدينونة المشروعة** إن دينونة الله لهذه الشعوب لم تكن رد فعل إنفعاليًا وقتيًّا، بل كان نتيجة. إن فكرة

البر والعدل تعنى الانسجام الكامل مع ما هو صحيح، ويتحتم الرحمة أو العقاب بوصفه نتيجة لفعل الإنسان.

إن شر الإنسان في أرض كنعان، صار تهديدًا للحياة البشرية. لو لم يجازى الله الشر ويغضب على ما هو

عكس طبيعته، لفقد الحق أن يكون كاملاً. فمع استمرار تزايد شر الإنسان وتصاعد الشر الأخلاقي له، كان الله

يرسل الكهنة والأنبياء ويعطي الشعوب منات السنين للتوبة، ولكنها شعوب أصرت على عصيان الله. فالنتيجة

الطبيعية لهذه المعطيات أن يوقف الله شر الأنسان حتى لو بالقوة.

الله له الحق في إتمام الدينونة على الشعب الكنعاني، فالخطية ضد الله القدوس تستدعي دينونته بحق.

فقد كان الكنعانيون مجموعة من الأشرار، حتى بالمعايير القديمة في عصرهم، ولم تكن أعمالهم مقتصرة على

أنفسهم فقط، فقد دمروا عائلاتهم والدائرة المحيطة بهم بكل أنواع العلاقات الجنسية كزنا المحارم والزنا مع

الحيوانات. والأسوأ من ذلك، أن تصرفاتهم كانت معدية، فقد أراد الله إزالة الكنعانيين لأنه كانت يعلم أن

ممارستهم سوف تتسلل إلى المجتمع الإسرائيلي، "لأنه يزدُ ابْنَك مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ إِلَهَةً أُخْرَى فَيَحْمِي غَضَبُ

الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعاً" (تث7: 4)، "إِكْبِي لَا يَلْمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا

531. يزن ملكونيان، حروب العهد القديم ما بين الوصف والوصفة (الأردن: خدمة تثقيف الشباب، 2018)، 53.

لِإِلَهَتِهِمْ فَخَطَبُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ" (تث 20: 18). بالفعل هذا ما حدث عندما لم يقم إسرائيل بطرد الكنعانيين بالكامل، فانتشرت ثقافتهم الخاطئة بشكل كبير بين إسرائيل، "فَعَلَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ. تَرَكَوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمُ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَسَارُوا وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى مِنْ إِلَهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ" (قض 2: 11-12).<sup>532</sup>

**أمور ترتبط بالحروب الكنعانية، تعطي فهماً أعمق لماهيتها**

أولاً. الأمم الكنعانية لم تكن مثل الدول الحديثة، فقد كانت في الأغلب دويلات صغيرة، تسيطر على مناطق من الأرض، وتتمركز عادة حول مدينة محصنة أو أكثر. فهي لم تكن مدن كبيرة تتضمن شعبا ومدنيين، بل كانت المدن المحصنة بمثابة ثكنة عسكرية للجيش والملك ورجال الدولة.

ثانياً. الذبح لم يكن هو الوسيلة الوحيدة لغزو أرض كنعان، فالصورة الأكثر تكراراً هي "طرد شعب الأرض"، "ارسلُ اِمامَكَ الزَّنايِبِ فَتَطْرُدُ الحَوِيِّينَ وَالكَنْعانيينَ وَالحِثِّيِّينَ مِنْ اِمامِكَ. لا اَطْرُدُهُمْ مِنْ اِمامِكَ فِي سَنَةٍ واحِدَةٍ لِئلا تَصِيرَ الارضُ حَرْبَةً فَتَكُنْ عَليكَ وَحُوشُ البَرِّيَّةِ. قَلِيلا قَلِيلا اَطْرُدُهُمْ مِنْ اِمامِكَ اِلى اَنْ تُنَمِرَ وَتَمْلِكَ الارضَ" (خر 23: 28-30)، يرى جون والستون أن: "التعريف الأفضل لأمر الله هو إزالة الهوية الكنعانية من الأرض".

ثالثاً. انخفض عدد الكنعانيين قبل بدء الغزو، فقد أعلن الله أن سوف يطرد الكثير منهم بواسطة الزنايب أي الدبابير، كما أنه من الطبيعي أن معظم غير المقاتلين مثل النساء والأطفال يوف يغادرون بسبب سماعهم لأخبار الحرب، وهو ما يدعم الفكرة السابقة بالطرد.

رابعاً. الكلمة التي تترجم مدينة عند الإشارة إلى مدن كنعان، في الأغلب تُشير إلى مستوطنة صغيرة دائمة، فمدينة مثل أريحا لم تكن مدينة كبيرة، بدليل أن يشوع تمكن هو ورجاله من الألتفاف حول المدينة سبع

532 . ماثيو تنجبلاد وجوش ماكدويل، لماذا فعل الله ذلك؟ ترجمة يوسف جميل (القاهرة: هيئة الخدمة الروحية،

مرات، وكان لا يزال لديهم ما يكفي من الطاقة لغزو المدينة في يوم واحد (يش5:6)، فأريحا كانت في الأغلب حصن للجيش ورجال الدولة.

**خامساً.** الكلمة العبرية "الف" والتي ذُكرت في مواضع عديدة، تُشير في الأغلب إلى فرقة من الجنود تتراوح ما بين (20-1000 جندي)، وهذا يزيد احتمالية أن الآلاف المسجلة عن الكنعانيين ربما تكون أصغر في العدد.

**سادساً.** عندما يعلن سفر يشوع أن السكان "دمروا تمامًا"، أو "أن الإسرائيليين ضربوا كل الأرض" أو "أنهم لم يتركوا ناجياً"، فمن الممكن أن تكون هذه الصيغة هي صيغة الحروب في زمن يشوع، ولا تؤخذ حرفياً بدليل وجود بقية ناجية في أسفار الكتاب اللاحقة.<sup>533</sup>

### ورطة الملحدون

عندما يدين الملحدون الله بأنه قاسٍ وغير عادل وأنه يقترف أمر غير أخلاقية، فهم بذلك يفترضون وجود معيار أخلاقي عام، يتم على أساسه إدانة الله. في المقابل هم دائماً يؤكدون على رفضهم لوجود أي أخلاق موضوعية، وأن البشر تطوروا من طين بدائي غير حي، وبالتالي فإن التزام الإنسان بالأخلاقيات مجرد اشارات ما للخلايا العصبية في المخ ليس أكثر. وبناء عليه، فهم ينكروا وجود أي قانون أخلاقي، ويؤكدوا أن كل التصرفات نسبية ولا يوجد شيء مُلزم يحدد أو يقيم أي تصرف، وهو ما لا يعطيهم الحق في إدانة الله، لأنه لا يوجد معيار عام يتم وفقاً له تقييم أفعال الله (وفقاً لا اعتقادهم)، وبذلك فهم يناقضون أنفسهم.<sup>534</sup>

533 . تجلبرد وماكدويل، 80-82.

534 . جورج باسيلوس، 194.

## التقليد والكتاب المقدس

لا يُقصد "بالتقليد" المحاكاة Imitation، أو الجمود، و إنما يقصد به "التسليم"، وهو ترجمة للكلمة اليونانية παραδόσεις، والتي تعني "الأمر التي تسلم من يد إلى يد" أو "الشئ الذي يُعهد به من شخص لآخر"، كما يحدث في الوظائف حين يقوم موظف قديم ذو خبرة بتسليم أمور العمل لشخص مستجد. وتقابل في اللغة العبرية التعبير nasar أي يودع أو يسلم. و في اللغة الإنجليزية tradition، من الكلمة اللاتينية traditio.<sup>535</sup>

و"التقليد" هو كل ما يخص محتوى إيمان و حياة المسيحية الأرثوذكسية، والذي سلم عن طريق رب المجد إلى تلاميذه ورسله، الذين نقلوه بالتتابع إلى الكنيسة بتعاقب مستمر لا ينقطع، للأسقافة و القسوس، ومنهم إلى الأجيال المتعاقبة. بدأ التقليد بشكل شفاهي في الكنيسة الأولى، ثم بمرور الزمن صار مكتوبًا و إنضم إلى الحقائق الصادقة التي تشهد لتفسير الكتاب. حيث كان معروفًا أن الرسل سلموا جزءً صغيرًا من الإعلان الكتابي مكتوبًا (أي كتب العهد الجديد)، ولكن ظلت أهمية التقليد الشفاهي في الكنيسة كبيرة، وخاصة في حفظ الإيمان.<sup>536</sup>

لقد نمت الكنيسة الأولى و اتسعت بواسطة التعليم الشفاهي غير المكتوب و بالعظة الحية للرسول، قبل أن يتم تدوين الإعلان الكتابي في الأناجيل و الرسائل. لقد عاشت الكنيسة الأولى على التقليد الشفاهي الذي كان بمثابة الحامل الفريد لحقائق الإعلان الألهي، ومع الوقت دعت الحاجة بسبب ظهور مسببات وحوادث إلى بلورة الإعلان الألهي بواسطة الكلمة المكتوبة. و القديس بولس دائمًا ما اعتبر أن التعليم الكتابي و الشفاهي، كلاهما يمثل محصلة للإعلان الألهي الذي صار في المسيح يسوع، ولذلك فهو يوصي المؤمنين بالثبات على

535 . الشمس نشأت عطية عبد الله، التقليد الكنسي و دوره في الكنيسة الجامعة الجزء الأول ( لجنة النشر بمطرانية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم، 1988)، 21.

536 . جورج عوض إبراهيم، تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة ( د. جورج عوض إبراهيم، 2012)، 24.

ما تعلموه شفهيًا " فأنبئوا إذا أيها الإخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها، سواء كان بالكلام أم برسالتنا" (2 تس 2:15).<sup>537</sup>

الكنيسة (الإكليروس) هي حارس التقليد، فيقول القديس إيريناؤس: "الأسقافة أو القسوس كانوا مفوضين في الكنيسة وخدامًا للحقيقة التي أودعت فيها، ومن عندهم التصرف اللائق الذي لا عيب فيه، وينطقون بكلام طاهر لا غش فيه، فهؤلاء يحفظون أيضًا إيمانًا واحدًا، ويفسرون لنا الكتاب من دون خطر" ويضيف القديس أغسطينوس قائلا: "أنا أقبل الكتاب المقدس مسلمًا من الكنيسة، مشروحًا بالأباء، معاشًا في

### القديسين<sup>538</sup>

لقد شهدت القرون الأولى للمسيحية، إحتكام الهراطقة إلى الكتاب المقدس، حيث إستشهدوا بآيات منه مستغلين سلطة الكتاب المقدس، لنشر أفكار غريبة عن الإيمان. وبالتالي كانت الحاجة ماسة إلى سلطان التقليد الذي يفسر الكلمة بشكل سليم من داخل الكنيسة و جماعة المؤمنين و يس خارجها. فيرى العلامة ترنتليان: "أن الكتاب ملك الكنيسة"، و لذلك فإن من هم خارج الكنيسة لا يحق لهم أن يفسروا الكتاب، لأن الكتاب عندهم حرف ميت ومجموعة من النصوص والسير غير المرتبطة، تلك التي حاولوا ترتيبها وفقًا لطريقتهم الخاصة التي استقوها من مصادر غريبة، فأتى إيمانهم مختلفًا، ولذلك فهم يستشهدون بآيات من الكتاب دون معرفة المعنى الحقيقي لها، ودون معرفة القصد الجامع للكتاب بشكل عام.

و لذلك فقد كان "التقليد"، أو ما أطلق عليه "قانون الحق"، هو المرشد الضروري لفهم الكتاب والضامن للتفسير الصحيح ، فهو الوسيلة أو الأداة التي يمكن من خلالها أن نشاهد الصورة الحقيقية الملائمة للسياق الصحيح للكتاب.<sup>539</sup>

537 . جورج عوض إبراهيم، تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة، 26.

538 . حلمي القمص يعقوب، النقد الكتابي الجزء الأول، 262.

539 . حلمي القمص يعقوب، النقد الكتابي الجزء الأول، 262.

إن تفسير الكتاب المقدس منفصلاً عن التقليد الكنسى هو من أفرز الهرطقة، فالهرطقة إعتدوا في فهمهم و في تفسيرهم للكتاب على العقل البشرى الذى إنحرف و حلق شارداً بعيداً عن روح الكنيسة و هدف الإيمان.

يقول القديس إيريناؤس عما يفعله الهرطقة بالكتاب المقدس: "إنهم يتجاهلون ويمزقون الترابط والترتيب الموجودين في الكتاب المقدس، ويقطعون أوصال الحقيقة، ولذلك فإن كلماتهم و تعبيراتهم أصيلة، ولكن قياسهم مزاجى و خاطئ".<sup>540</sup>

فالأريوسيون استشهدوا بنصوص كتابية كثيرة ليدافعوا عن معتقداتهم الخاطئة، فكان رد الكنيسة في شخص القديس أثناسيوس الرسولى هو: "ضرورة الرجوع والإحتكام إلى إيمان الكنيسة المسلم والذي أعلن مرة و حفظ بصدق. لقد وضع القديس أثناسيوس إيمان الكنيسة المتمثل في "التقليد" كقاعدة لفهم و دراسة الكتب الموحى بها، فيقول في رسالته الأولى إلى سراييون فقرة 28: "دعونا ننظر إلى تقليد الكنيسة الجامعة و تعليمها و إيمانها، الذى هو من البداية و الذى أعطاه الرب و كرز به الرسل و حفظه الآباء".

يضيف القديس أثناسيوس موجهاً حديثه إلى الأريوسيين قائلاً: "فليكنوا إذاً عن إنكارهم بأن هذه الهرطقة إنما غريبة، ولم يتعلموها من الآباء، و الذى لم يأت من الآباء، بل أبتدع لن يكون شيئاً آخر سوى ما تنبأ عن المغبوط بولس: "وَلَكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحًا: إِنَّهُ فِي الأَزْمَنَةِ الأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الإِيمَانِ، تَابِعِينَ أَرْوَاحًا مُضَلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيْطَانٍ،" (1 تي 4: 1 فان دايك).<sup>541</sup>

لقد إعتبر القديس باسيليوس الكبير أن التسليم أو التقليد المكتوب هو كل ما تمارسه الكنيسة بواسطة الأسرار للإستخدام الليتورجى، فهو يطلق عليه "ترتيب الكلمة، و لذلك فقد رأى أن الإحتكام إلى التقليد غير

540 . جورج عوض إبراهيم، تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة (د. جورج عوض إبراهيم، 2019)، 28.

541 . القديس أثناسيوس الرسولى، المقالات الثلاثة ضد الأريوسيين (القاهرة: المركز الأرثوذكسى للدراسات الأبائية، 2017)، 48.

المكتوب هو إحتكام لإيمان الكنيسة وإلى "المعنى الجامع" و إلى "الفكر الكنسى"، ولذلك فإنه لا يمكن فهم الكتاب بعيداً عن قانون الإيمان غير المكتوب. كما أضاف أن أقوال الروح القدس في الأسفار ليست سهلة لكي يتعرف كل واحد على دقة و معانى الكنيسة وحده، بل الأمر يحتاج إلى موهبة الروح القدس الذى يُعطى من خلال أسرار الكنيسة.<sup>542</sup>

لم يكن التقليد هدفه خنق الإبداع أو سبب جمود، فقد كان هناك حرية في البحث التاريخي، كما كانت هناك مقاربات عديدة للكتاب و إستعمالات بحسب الأطر الخاصة ، إلا أن المعنى العقائدى الأعمق لتقليد الكنيسة هو ما حافظ عليه الآباء، فقد حفظ التقليد تفسير الآباء ضمن روح تعليم الكنيسة و قانون الإيمان المسلم للرسول مرة.<sup>543</sup>

542 . جورج عوض إبراهيم، تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة، 31-33.

543 . الأب ثيودور ستيليانوبولوس، العهد الجديد نظرة أرثوذكسية (الأب أنطون ملكي، 2004)، 116.

## ملحق: الأرثوذكسية وأسرار الكنيسة

### سر الفداء وأسرار الكنيسة

لقد أتى السيد المسيح ليمنحنا بمجيئه حياة أبدية، بعد أن كان محكومًا علينا بالموت الأبدي، ولكي يجعل حياتنا أفضل مما كانت، ولكي يجعلها حياة موفورة بالكرامة، حياة سامية مثمرة ونافعة وصالحة وذات قيمة ومعنى. فهدف المسيحية الأساسي، هو أن يؤمن الإنسان بعمل السيد المسيح الكفاري، وبناء عليه تصير له الحياة الأفضل والتي تبدأ بعمل التجديد الذي يتم في المعمودية، ويتصل بالحياة الأخرى بعد الموت، التي لا تضمحل ولا تفنى، لأنها حياة الأبد في ملكوت السماوات.<sup>544</sup>

إن الفداء هو أساس المسيحية كلها، وهو حجر الأساس للإيمان. الفداء هو عمل الله لخلص الإنسان، حتى ينعم من جديد بالفردوس الذي فقده بسبب الخطية، وبميراثه الأبدي في ملكوت السماوات. فالفداء هو الحقيقة الدينية الكبرى وذلك لأن جميع الحقائق الأخرى منطوية في حقيقة الفداء ومستورة فيه. فوجود الله وطبيعته وصفاته ووحداية جوهره وتثليث أقانيمه وعنايته بالإنسان، وكذلك طبيعة الإنسان وحقيقة نفسه الحرة الخالدة ومصيرها الأبدي، منطوي عليهم جميعًا في سر الفداء العجيب.<sup>545</sup>

إن البركات التي ينالها الإنسان من خلال عمل الفداء، أعظم من أن تُوصف بكلمات بشرية، فمن

### خلال الفداء:

(1) يتبرر الإنسان وينال غفرانًا لخطاياهِ وصفحًا عن آثامهِ: "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَقَارَةَ بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ لِإِظْهَارِ بَرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّحِّحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ" (رو 3: 23-25 فان دايك).

544. الأنبا غريغوريوس، اللاهوت العقيدى الجزء الثالث: في أسرار الكنيسة السبعة (القاهرة: مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس، 2005)، 10.

545. الأنبا غريغوريوس، سر الفداء (القاهرة: الكلية الإكليريكية للقط الإرتوذكس، ب.ت)، 3-5.

(2) وبه أفندي الإنسان من لعنة الناموس، إذ حمل عنه اللعنة وأزالها: "المسيح أفندانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من غلق على خشبة" (غل 3:13). (اللعنة سببها الخطية وعدم القدرة على استيفاء متطلبات الناموس).

(3) الفداء أبطل الفساد الذي طال الطبيعة البشرية وجعل البشر خليقة جديدة: "أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسته الحق" (أف 4:22-24).

(4) كذلك من خلال الفداء، أبطل رب المجد سلطان الموت، وأعاد الحياة للإنسان، وذلك بقيامته المحيية التي أُنارت للإنسان الحياة والخلود: "الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل" (2 تي 1:9-10).

(5) الفداء أعطي الإنسان حرية من الخطية ومن عبوديتها: "عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبتل جسده الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية." (رو 6:6).

(6) وبالفداء، تم إزالة العداوة بين الله والإنسان، وأعطى خدمة المصالحة: "أي إن الله كان في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة." (2 كو 5:19).

(7) وبالفداء، أصبح البشر أبناء الله بالتبني: "ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفندي الذين تحت الناموس، لننال التبني." (غل 4:4-5).<sup>546</sup>

يقول القديس أثاناسيوس الرسولي: "لأجل ذلك نزل إلى عالمنا كلمة الله الذي بلا جسد، عديم الفناء وغير المادي. إذ رأى الجنس العاقل يهلك والموت يملك عليهم بالفناء، إذ رأى أيضاً أن عقوبة التعدي قد

546. أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية، خدمة الخلاص، مراجعة وتقديم القمص تادرس يعقوب ملطي (الإسكندرية: كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس اسبورتيج، 2007)، 255-256.

خلدت الفناء فينا. هكذا أتخذ جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا، وبذل جسده للموت عوضاً عن الجميع، وقدمه للآب، كل هذا فعله من أجل محبته للبشر، أولاً: لكي يبطل سلطان الموت والفناء، وذلك لأن سلطان الموت قد استنفذ في جسد الرب. وثانياً: لكي يعيد البشر إلى عدم الفساد ويحييم من الموت بالجسد، الذي جعله جسده الخاص، وبنعمة القيامة يبيد الموت منهم كما تبيد النار القش.<sup>547</sup>

لقد أسس السيد المسيح أسرار الكنيسة، ومارسها الآباء الرسل وسلموها للكنيسة، لكي ليحصل

المؤمنين من خلالها وبعمل الروح على بركات الفداء. يقول مار إغناطيوس الشهيد: " على الشمامسة المقيمين لخدمة أسرار يسوع المسيح أن يحسنوا لدي الجميع في كل شيء ". قرب المجد قد أسس الأسرار، والروح القدس هو من يعمل من خلالها، فيأخذ مما للمسيح ويعطي المؤمنين: " ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ." ( يو 14:16). أي أن الروح القدس، يأخذ من استحقاقات دم المسيح وفاعليته، وعمله الخلاصي والفدائي، ويعطي للمؤمنين غفراناً للخطايا وتقديساً وتطهيراً.<sup>548</sup>

إن الأسرار المقدسة هي هبات الروح الذي يفيض النعم المبررة في نفوس المؤمنين وذلك من رصيد سر الفداء، وبالتالي فالأسرار تفعل فعلاً حقيقياً في المؤمن المشترك بها، ولكنها ليس لها قوة في ذاتها، بل هي آلات في يد الله لعمل النعمة، وتعمل بالروح القدس عملاً مؤسساً على سر الفداء. فالأسرار وسائط للنعمة، يتحصل من خلالها المؤمنون على بركات الفداء، وبدونها يحرم الإنسان نفسه من تلك البركات.

وبالتالي فإن الأسرار الكنسية ليست عللاً أصلية (ليست أهدافاً في حد ذاتها، بل وسيلة)، فهي قوة في يد الروح القدس تعمل لكي يحصل المؤمنون على بركات من رصيد سر الفداء. يقول القديس كيرلس

547. القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، 21-23.

548. القس بيشوي حلمي، كنيسة الإرتوذكسية.. ما أملكك (القاهرة: مطابع النوبار بالعبور، 2002)، 83.

الأورشليمي: "إن بإستدعاء الروح القدس، لا يكون بعد الميرون المقدس دهناً بسيطاً، ولكن سرّاً فعالاً بموهبة المسيح وحضور لاهوته وبعمل الروح القدس".<sup>549</sup>

استخدم القديس بولس تعبير "سراير الله" بقصد الإشارة إلى أسرار الله التي وكل الله عليها الكنيسة ممثلة في "خدام المسيح"، أي الآباء الرسل الأطهار الذين خلفهم الآباء الأساقفة والكهنة على مر الأجيال: "هَكَذَا فَلْيُحْسِبْنَا الْإِنْسَانُ كَخُدَّامِ الْمَسِيحِ وَوُكَلَاءِ سَرَائِرِ اللَّهِ" (1كو 4:1). وتعلمنا الكنيسة أن "السر الكنسي هو نعمة وعطية إلهية غير منظورة يحصل عليها المؤمنون بواسطة عمل منظور يتم من خلال الكنيسة مُمثلة في الأساقفة والكهنة وكوكلاء سراير الله المؤتمنين على تقديمها للمؤمنين". ونجد هذا المعنى واضحاً عند آباء الكنيسة الأولين، يقول العلامة ترلتيان: "مما لا شك فيه أن الله قد جعل كل العناصر المادية تطيعه، وهكذا في أسرارها.. فإن المادة التي تحكم الكرة الأرضية تعمل كوسيط للحياة السماوية". الله يستخدم العناصر المادية، كالماء والزيت والتي تؤثر في الحياة الأرضية، كمادة منظورة في الأسرار، ولكن لها فاعلية غير منظورة، ليست في ذاتها، بل من خلال عمل الروح القدس الذي يهب النعمة لمن ينال شركة الأسرار.

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "وسائط القوة والنعمة نسميها "أسرار"، لأننا نؤمن لا بما يُرى، إذ إننا نرى شيئاً، بينما نؤمن بآخر". إن ترتيب السر في الكنيسة يناسب الطبيعة الحسية للبشر، فالبشر يحتاجون إلى أشياء حسية منظورة، لكي يتعاملوا معها وذلك بسبب طبيعة الحواس التي للجسد المادي.

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم قائلاً: "إن لم يكن لديك جسداً مادياً، لكانت المواهب غير الجسدية- أي النعمة الألهمية والخلاص- قد أعطيت بالحقيقة، ولكن لأن النفس متحدة بالجسد، فإن الحياة الألهمية تنقل إليك في صورة منظورة مثل الماء والزيت"، وبالتالي فالسر هو علامة أو عمل، يشير إلى أمور مقدسة خفية،

549. الأرشيدياكون حبيب جرجس، أسرار الكنيسة ( القاهرة: مكتبة المحبة، 1979)، 9-10.

وينسكب من خلاله عمل النعمة بواسطة قوة وهبة الروح القدس، ومن خلال رصيد دم السيد المسيح، بيد كاهن أو أسقف للمؤمنين.<sup>550</sup>



إن الأسرار الكنسية سبعة، وهي نعمة كافية ومناسبة لحاجات الإنسان في رحلة جهاده على الأرض، فيحصل على ولادة جديدة وميلاداً روحياً بعمل المعمودية، وينال قوة روحية بتبتيته بسر الميرون، ويتغذي بغذاء وشراباً روحياً في الأفخارستيا، بسبب ضعفه وطبيعته التي قد تميل للشر، أُعطي له سر التوبة لمغفرة خطاياها، وسر المسحة المقدسة لشفاء أمراضه

الجسدية وضعفاته النفسية، كذلك بسر الزيجة يتقدس برباط الزواج لحفظ أعضاء الكنيسة ونموها بواسطة الولادة الطبيعية. كذلك أُعطي مدبرين ومرشدين ورعاة ومعلمين وخدام لخدمة الأسرار ورعاية الشعب بسر الكهنوت. وبالتالي فإن تدبير الأسرار مناسب لإحتياجات الإنسان الروحية والجسدية.<sup>551</sup>

### سر المعمودية

في المعمودية يحل الروح القدس على الماء، ليخلق المؤمن كخليقة جديدة، فالمعمودية من حيث مباشرتها لها طقوسها، ومن حيث الإيمان بمعناها وأهميتها وضرورتها وفعاليتها، هي عقيدة أساسية ومدخل لكل أسرار الكنيسة، وذلك لأن المعمودية بمثابة شركة مع المسيح في موته وقيامته، وعن طريقها يحصل المؤمن على بركات الخلاص الذي تم بموت المسيح على الصليب فداءً للإنسان، ومن خلالها ينقل الروح

550 . أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية، خدمة الخلاص، مراجعة وتقديم القمص تادرس يعقوب ملطي، 299-302.

551 . الأرشيدياكون حبيب جرجس، أسرار الكنيسة، 20.

القدس كل استحقاقات دم السيد المسيح للمعمد. ومن خلالها يخلع المعمد جسم الخطايا البشري الذي للإنسان العتيق، ويُمنح طبيعة جديدة طاهرة من الخطية الأصلية.<sup>552</sup>

اسم المعمودية يعبر عن معناها وطبيعتها، وهذا يتضح من اللفظ اليوناني "βαπτισμα" المشتق من الفعل "βαπτω" بمعنى "يصبغ"، وكما أن الثوب يتم تغطيسه في السائل المراد الإصطباغ به، حتى يكتسب لوناً جديداً، هكذا المعمد يصطبغ ويكتسب طبيعة جديدة من خلال ماء المعمودية وعمل الروح القدس، فماء المعمودية يلون من يقبلها بلون باطني جديد ويغير من طبيعته. أما في اللغة العربية فقد أصطلح على تسمية السر بمعمودية أو عماد، وهو "الغسل بالماء" واللفظة سريانية الأصل مأخوذة من "العمد" أي "البلل"، في حين أن البعض يرى أن مقتبسة من "العماد" أي "سند الشيء وداعمه الذي يرفعه ويقوم عليه" وفي ذلك إشارة إلى أن المعمودية هي الأساس والمدخل لسائر أسرار الكنيسة وللإيمان المسيحي بشكل عام.<sup>553</sup>

أثناء ممارسة سر المعمودية، يقوم الكاهن باستلام الطفل من الأُسببين من الناحية اليسرى، ويقوم بتعميده بثلاث غطسات، قائلاً: "أعمدك يا فلان" باسم الأب وهذه هي الغطسة الأولى، ويصعده من الماء وينفخ في وجهه، ثم يغطسه ثانية بنفس الطريقة، ثم يقول: "والابن" وهذه هي الغطسة الثانية، ثم يصعده من الماء أيضاً وينفخ في وجهه، ثم يغطسه ثالثاً حتى يغمره الماء كله، وهو يقول: "والروح القدس" وهذه هي الغطسة الثالثة. ثم يسلم الكاهن الطفل إلى أمه من الناحية اليمنى، وفي ذلك إشارة إلى فاعلية سر المعمودية التي تنقل المعمد من الجانب الشمال حيث المرفوضون إلى الجانب الأيمن حيث المقبولون. وذلك يُقال في

552. الأنبا غريغوريوس، اللاهوت العقدي الجزء الثالث: في أسرار الكنيسة السبعة، 12.

553. الأنبا غريغوريوس، اللاهوت العقدي الجزء الثالث: في أسرار الكنيسة السبعة، 24-25.

القسمة السريانية: "عوض الخطية المحيطة بالعالم، مات الابن بالصليب وردنا من التدبير الشمالي إلى التدبير اليميني".<sup>554</sup>

المعمودية هي عملية موت مع المسيح ودفن معه ثم قيام معه، ولذلك يقول القديس بولس الرسول: "أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلٌّ مِّنْ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَةِ لِلْمَوْتِ حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الْآبِ هَكَذَا نَسْأَلُكَ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ. لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ" (رو 4:6). المعمودية ولادة جديدة، والولادة هي خروج جسم من جسم، وبالتالي يُعبر الخروج من جرن المعمودية عن تلك الولادة الجديدة.<sup>555</sup>

الماء يرسم صورة الموت، إذ يقبل الجسد كأنه قبر له، أما الروح فهو من يعطي عربون الحياة. ولذلك يقول القديس يوحنا ذهبي الفم (347-407م): "في المياه يتم الدفن والموت والقيامة والحياة، كل هذه تحدث مرة واحدة عندما تغطس رؤسنا تحت المياه كما لو كنا في قبر". ويقول القديس باسيليوس الكبير (330-379م): "أعطانا مدبر حياتنا عهد المعمودية وصفة ورمزًا للحياة والموت، فالمياه تكمل صورة الموت أما الروح فهو يعطينا عربون الحياة". وأيضًا القديس غريغوريوس النيسي (330-395 م): "حينما ندخلون إلى الماء لا تجدون بعد ماءً بسيطاً، بل تنظرون خلاصاً بالروح القدس". وهو نفس ما يؤكد القديس كيرلس الأورشليمي (315-386م): "عندما تنزلون في الماء، لا تفكروا في المادة مجردة، بل تطلعوا إلى الخلاص بقوة الروح القدس"، ويضيف أيضاً: "إن الذي يدخل في الماء ويُعمد ينغمر بالمياه من كل جهة، وهكذا قد إعتد تماماً بالروح أيضاً. المياه تغمر الخارج، أما الروح فيعمد النفس داخلياً بلا إنقطاع".<sup>556</sup>

554. الأنبا متاؤس، روحانية طقوس الأسرار في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ( القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، 1995)، 37.

555. البابا شنودة الثالث، اللاهوت المقارن- الجزء الأول، 33-34.

556. الراهب أثناسيوس المقاري، معمودية الماء والروح ( القاهرة: دار نوبار بشبرا، 2002)، 99-104.

جاء في الديداعي أي تعليم الرسل: "أما بشأن العماد، فعمدوا هكذا: بعدما سبقنا فقلناه، عمدوا باسم الأب والابن والروح القدس بماء جار. وإن لم يكن لك ماء جار، فعمد بماء آخر. وإن لم يمكنك بماء بارد، فماء ساخن. وإن لم يكن لديك كلاهما، فاسكب ماء على الرأس ثلاث مرات باسم الأب والابن والروح القدس".<sup>557</sup>

### من آمن واعتمد خلص

يدعي البعض أن الإيمان برب المجد يسوع كافي وحده للخلاص، وأنه ليس هناك أي حاجة لأسرار الكنيسة ومنها سر المعمودية. ويستند هؤلاء على إجابة القديسان بولس وسيلا على حارس سجن فيلبي، حين سألهم قائلاً: "مَاذَا يَتَّبَعِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أُخَلِّصَ؟"، فَقَالَ: «آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخَلِّصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ" (أع 16:30-31 فان دايك). وبذلك يقرون أن الإيمان بالسيد المسيح هو كل متطلبات الخلاص، وليس هناك أي حاجة لأمر آخر: "لَأَنْتُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلِّصُونَ، بِالْإِيمَانِ" (أف 2:8). ويغيب عن فكر هؤلاء أن بولس وسيلا كانا يجيبان سؤال إنسان وثني، ولذلك فإنه من الطبيعي أن يهدياه إلى الخطوة الأولى نحو الخلاص، وهي الإيمان بالسيد المسيح، ولذلك جاء الفعل "تخلص" في زمن المستقبل، وذلك للإشارة إلى أن الخلاص لا يتم بمجرد الإيمان أو بالإيمان وحده، ولكن مما يتبع فعل الإيمان ويعبر عنه.<sup>558</sup>

في المقابل نجد رب المجد يسوع يربط بين الإيمان والمعمودية، كطريق أساسي للخلاص والهروب من الدينونة، وذلك بقوله: "مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلِّصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدْنِ" (مر 16:16 فان دايك). لقد أضاف رب المجد إلى شرط الإيمان شرطاً آخر وهو المعمودية، وذلك لأن المعمودية هي الوسيلة التي يُولد بها الإنسان ولادة جديدة، فيتأهل لبداية رحلة الخلاص، ومن خلالها يموت الإنسان العتيق (إنسان الخطية)، ويحيا الإنسان الجديد من خلال استحقاقات دم المسيح على الصليب وقيامته وإنتصاره على الموت. فالمعمودية هي

557 . الديداعي، 174-175.

558. الأنبا غريغوريوس، اللاهوت العقدي الجزء الثالث: في أسرار الكنيسة السبعة، 77.

شركة مع المسيح في عمله الخلاصي، وهي الخطوة الأولى لكل من يبدأ طريق الخلاص، ويتبعها خطوات أخرى تشمل الجهاد الروحي: "الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ" (مت 22:10)، والسيرة النقية والأعمال الصالحة والاشتراك في أسرار الكنيسة.

وبالتالي فإن الإيمان وحده لا يُخلص، ولكن المعمودية هي بداية طريق الخلاص، لأن من خلالها يأخذ الإنسان نعمة عمل المسيح بفعالية الروح القدس، وهكذا أشرط رب المجد المعمودية للخلاص: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُؤَدُّ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ" (يو 3:5). صحيح أن الإيمان هو الذي يفتح سبيل الخلاص، ولكنه وحده لا يخلص. في المقابل فإن عدم الإيمان هو ما يغلق طريق الخلاص، لذلك يقول رب المجد: "من لم يؤمن يُدن". وهو ما يؤكد القديس بطرس في حديثه عن فلك نوح عن أهمية المعمودية للخلاص: "الَّذِي مِثَالُهُ يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الْآنَ، أَيِ الْمَعْمُودِيَّةِ. لَا إِزَالَةَ وَسَخِ الْجَسَدِ، بَلْ سُؤَالُ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللَّهِ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (1بط 3:20)، وكذلك القديس بولس: "لَا بِأَعْمَالٍ فِي بِرِّ عَمَلِنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغَسْلِ الْمِيلَادِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (تي 3:4).<sup>559</sup>

"مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَّصَ"، أي إن المعمودية مرتبطة بالإيمان في وحدة خلاصية واحدة، ومن خلال المعمودية ينعم طالب العماد بالحياة المقامة في المسيح. يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "ليس بأم وأب، ليس بإجتماع بشر، ولا بالآم المخاض تُولد ثانية، ولكن من الروح القدس تُصنع أنسجة طبيعتنا الجديدة، وفي الماء تُشكل ومن الماء تُولد سرًا كما في الرحم، في العماد يتحقق عربون ميثاقنا مع الله. الموت والدفن والقيامة والحياة، يحدث هذا كله دفعة واحدة".<sup>560</sup>

559. الأنبا غريغوريوس، اللاهوت العقائدي الجزء الثالث: في أسرار الكنيسة السبعة، 77-78.

560. القمص تادرس يعقوب ملطي، تفسير إنجيل مرقس (الإسكندرية: كنيسة مار مرقس بسبورتنج، 1984)،

الحياة عينها، ولذلك نقول في القداس الإلهي "لأنك أنت هو حياتنا كلنا"، ويقول القديس كبريانوس: "كن مستعداً لتتال الحياة الجديدة، وتمتلي بها، لأن هذه الحياة الجديدة هي الله نفسه".<sup>563</sup>

لقد أساء آدم استخدام حريته، فأختار الانفصال عن الله الذي هو مصدر الحياة والصلاح، فمات وفسد، لذلك نقول في القداس الإلهي: "أنا أحتظفت لي قضية الموت"، لأن الموت دخل إلى العالم بسبب الخطية. وكنتيجة للسقوط، أصبح الإنسان متغريباً عن الحياة التي في الله، فأصبح للموت والفساد سيادة شرعية على الطبيعة البشرية، وتغرب الإنسان بعيداً عن الحياة الأبدية. ولذلك جاء رب المجد، ليرفع الإنسان من الحياة الفاسدة إلى حياة أفضل: "لأن ملء الحياة فيه". يقول القديس كيرلس الكبير: "عندما نأكل الجسد المقدس الذي لمخلصنا الصالح ونشرب دمه الثمين، يكون لنا حياة فينا، لكوننا قد جُعلنا واحداً معه، كائنين فيه مقتنين له، لكوننا جُعلنا واحداً معه. أنه يسكب في الأشياء الموضوعه أماناً (الخبز والخمر) قوة الحياة ويحولها إلى فاعلية جسده، لكيما نأخذها لشركة تعطي الحياة، وكي يُوجد فينا جسد ذاك الذي هو الحياة، كبذرة تنتج حياة". نحن بالإتحاد بالمخلص في الإفخارستيا، نتحد بالجسد المحيي، نانلن فيه الغلبة على الموت، إذ في كل مرة نتناول من جسد الرب ودمه، نموت عن خطايانا ونتخلص من الفساد، إذ نصلي "ولا تقوي علينا نحن عبيدك موت الخطية"، فالإفخارستيا هي ترياق الحياة، وعربون الأبدية الذي نعبّر من بابها: "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ" (يو 6:54).<sup>564</sup>

يقول القديس كيرلس الكبير: "إن كانوا يريدون أن يصيروا فوق الفساد، وأن يخلعوا الموت الذي أصابنا بسبب المعصية، فعليهم أن يتقدموا إلى الشركة القادرة على الإحياء، وإبادة الفساد وهدم الموت، وذلك في الحقيقة عمل يليق به وحده لأنه هو بالطبيعة الحياة". ثم يضيف قائلاً: "إن الذين يقبلون في أنفسهم

563. مارك شنودة، الإفخارستيا سر الحياة، مراجعة وتقديم الأنبا رافائيل ( القاهرة: مركز بناريون للتراث الأبائي، 2013)، 239-240.

564. شنودة، الإفخارستيا سر الحياة، مراجعة وتقديم الأنبا رافائيل، 240-243.

خبز الحياة، سوف ينالون الخلود مكافأة لهم، فلا يحل بهم فساد بعد ولا شروره الناجمة عنه، وسوف يرتفعون إلى الحياة الأبدية التي لا نهاية لها أي الحياة في المسيح".

يشرح القديس كيرلس عمل رب المجد قاتلاً: "منذ أن سكن كلمة الله المعطي الحياة في الجسد، حوله إلى صلاحه الذاتي الخاص به، أي الحياة، وبالإتحاد غير المنطوق به، أي مجيئه الكامل في الجسد، قد جعله معطيًا للحياة، كما هو ذاته بالطبيعة مُعطي الحياة، فلهذا فإن جسد المسيح يعطي حياة لكل من يشترك فيه، لأنه يطرد الموت حينما يدخل في أناس مانتين ويزيل الفساد، إذ أن جسده ممتلئ بالكامل بالكلمة الذي يبدد الفساد والموت. ومن ينال "جسد مخلصنا الصالح" ويشرب "دمه الثمين"، يصير واحدًا معه ممتزجًا ومختلطاً به من خلال الشركة، لكي يُوجد في المسيح والمسيح فيه أيضاً".<sup>565</sup>

الإفخارستيا أو سر الشكر هو سر مقدس به يأكل المؤمن جسد الرب الأقدس ويشرب دمه الزكي في هيئة خبز وخمر. إن هذا السر له المقام الأسمى بين أسرار الكنيسة السبعة، وذلك لسمو النعمة الإلهية المعطاة في هذا السر، الذي تستحيل مادته (الحبز والخمر) إلى جسد ودم حقيقي لرب المجد ويُعطى للمؤمنين بسر يفوق الإدراك الطبيعي، ولذلك فهو يختلف عن سائر الأسرار التي يعطي فيها السيد المسيح جزءاً من مواهبة الخلاصية بحسب طبيعة كل سر، أما في سر الشكر فهو يقدم ذاته للبشرية غذاءً مقدساً للحياة، ولغفران الخطايا والذنوب.

تسلم الرسل الأطهار هذا الإيمان وسلموه للمؤمنين في كل الكنائس لكي يُمارس فيها هذا السر للأبد. سُمي هذا السر منذ القديم بأسماء متعددة، فدُعي "سر الشكر" و"العشاء الرباني والعشاء السري والعشاء الإلهي"، وأيضاً "مائدة الرب ومائدة المسيح المائدة السرية"، كذلك "سر المسيح وسر الشركة وسر الإتحاد

والأسرار المقدسة والأسرار الإلهية والأسرار المخوفة السماوية"، وأيضًا "الخبز السماوي والخبز الجوهري وجسد المسيح ودمه والذبيحة المقدسة السرية".<sup>566</sup>

"إفخارستيا" εὐχαριστία كلمة يونانية تعني "الشكر" وهي ترد مصحوبة أحياناً بكلمة "ثيا" θεια أي إلهي، فالإفخارستيا هي الشكر الإلهي أي الشكر الذي نُعبر عنه بالتسبيح والصلوات. يرتبط فعل الشكر بتأسيس السر، حين أخذ رب المجد خبزاً وخبزاً ليلة آلامه "وشكر". ولذلك يرتبط هذا السر المقدس بالشكر الذي تقدمه الكنيسة للثالوث على كل النعم والعطايا، بداية من عطية الوجود إلى نعمة تدبير الخلاص. فالشكر هو المحور الطبيعي للعلاقة بين الإنسان والله، ولذلك يقول الكاهن في القداس الإلهي نيابة عن كل إنسان: "خلقتني إنساناً كمحب للبشر، ولم تكن أنت محتاجاً لعبوديتي بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك، من أجل تعطفاتك الجزيلة كونتني إذ لم أكن". لقد أنعم الله في العهد الجديد على الإنسان أن يشترك في جسده ودمه، وبذلك يكون الإنسان هو الكائن الإفخارستي الوحيد دون سائر المخلوقات وحتى الملائكة، ولذلك يقول الكاهن: "أنت الذي أعطيتني هذه الخدمة المملوءة سرّاً، أعطيتني إصعاد جسدي بخبز وخبزاً".

ولذلك يقول القديس إيريناؤس: "الكنيسة هي وحدها التي أنعم الله عليها بتقديم الشكر لله بلسان العالم، وهي وحدها التي تقدم التقدمة الطاهرة إلى الله الخالق". ولذلك تبدأ صلاة القداس بمباركة الله على أعماله في الخلق، وعلى محبته للعالم وعنايته بخليقته، كذلك رتبت الكنيسة في جميع القداسات أن يردد الشعب والشماس: "أمين" بعد أن ينطق الكاهن بما فعله الرب ليلة آلامه، وذلك يعني أن الشعب مصادقاً على ما يرويه الكاهن عن مخلصنا، وأنه يعبر عن شكره وإمتنانه لما فعله رب المجد لأجل شعبه، ولنعمه الخلاصية التي لا تُستقصى.<sup>567</sup>

566. الأرشيدياكون حبيب جرجس، أسرار الكنيسة، 62-65.

567. مارك شنودة، الإفخارستيا سر الحياة، 5-14.

كل الأسرار تتوج بسر الشكر، فالذي يعتمد يجب أن يتناول بعد المعمودية مباشرة، والذي يتوب ويعترف يجب أن يتناول بعد الاعتراف مباشرة، والذي يتزوج يجب أن يتناول بعد الإكليل مباشرة ( وذلك بحسب الطقس الأصلي للإكليل الذي يجب أن يتم بين رفع بخور باكر والقداس الإلهي)، والذي يُرسم في أي رتبة كهنوتية يجب أن يتناول في نهاية قداس الرسامة. فليس التناول فوائد عديدة أولها الثبات في المسيح بحسب وعده الصادق "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ." (يو 6:56)، وبه يصير شريك للطبيعة الإلهية، كما يُمنح عربون الحياة الأبدية، وينمو في النعمة، كذلك يُمنح الشفاء للنفس والجسد والروح، ولذلك نصلي في الأواشي: "إجعلنا يا سيدنا مستحقين أن نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأروحنا"، كما إن الأسرار المقدسة تمنح غفراناً للخطايا، وتحصن المؤمن ضد حروب الشيطان، وتعطي وحدانية الروح والقلب للذين يتناولون منه، وتقدم لهم الميراث الأبدي مع كافة القديسين الذين أرضوا الله بأعمالهم. بالحقيقة إن الإفخارستيا هي "سر الشكر" لغزارة النعم الإلهية التي ينبغي تقديم الشكر لله عنها.<sup>568</sup>

إن ذبيحة الإفخارستيا هي بعينها ذبيحة الصليب، وذلك في طبيعتها وجوهرها، وإن كانت غير دموية، فهي تتم بطريقة سرية غير محسوسة. وبالتالي فإن ذبيحة الإفخارستيا تقدم شفاعة كفارية عن خطايانا الفعلية بإعتبارها امتداداً لذبيحة الصليب، ولذلك تُعلم الكنيسة أن سر الشكر هو قربان وذبيحة استغفارية لله عن كل الشعب وجميع البشر أحياء أو أموات وعن سائر الخليقة، وخصوصاً عن الذين قُدمت عنهم والذين قُدمت بواسطتهم. لذلك نقول في صلاة الحجاب في قداس القديس باسيليوس: "نسألك يا سيدنا أن لا تردنا إلى الوراء، عندما نضع أيدينا على هذه الذبيحة المخوفة غير الدموية، لأننا لا نتكل على برنا، بل على رحمتك".

إن ذبيحة الإفخارستيا هي قناة توصل لنا ماء الغفران الذي يجري من النبع الأساسي الذي هو النبع الذي تفجر على الصليب.<sup>569</sup>

568 . الأنبا متاوس، روحانية طقوس الأسرار في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، 97-99.

569 . الأنبا غريغوريوس، اللاهوت العقيدى الجزء الثالث: في أسرار الكنيسة السبعة، 275.

يقول القديس كيرلس الكبير: "إن الجسد المقدس الذي جعله جسده الخاص، كان مزودًا بفاعلية قوة الكلمة، بأن زرع فيه قوة إلهية، لذلك فلندعه يمسك بنا أو بالحري فلنمسك نحن به بواسطة الإفخارستيا، لكي يحررنا من أمراض النفس ومن هجمات الشياطين" ويضيف قائلاً: "من المستحيل أن الحياة لا يُحيي أولئك الذين يكون فيهم، لأنه كما لو كان شخص ما قد أخذ جذوة ودفنها وسط حصيد الزرع، حتى تظل الجذوة محفوظة فيه، هكذا يخفي ربنا يسوع المسيح الحياة فينا بواسطة جسده المقدس، ويغرسها كبذرة خلود ويبيد كل الفساد الذي فينا".<sup>570</sup>

التناول هو عملية تطعيم كتلك التي تتم للأشجار، فكما أنه يمكن لشجرة أن تطعم بشجرة أفضل، فتأخذ من صفات الشجرة لمطعم بها، هكذا طبيعتنا البشرية تحدث لها عملية تطعيم بجسد الرب ودمه، وقد أعطانا الرب مثالاً لعملية التطعيم، فكنيسة العهد الجديد (الزيتونة البرية) التي أمكن تطعيمها في الزيتون الأصلية التي للعهد القديم، وبالتناول تصبح أغصان في الكرمة الحقيقية "رب المجد": "أُثْبِتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْعُصْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ دَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكُرْمَةِ كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ" (يو 15:5)، فتغذي الأغصان بعصارة الكرمة المحيية، وتنمو وتأتي بثمر كثير.<sup>571</sup>

يقول القديس أغناطيوس الأنطاكي: "أثبتوا أيها الأخوة في إيمان يسوع المسيح مقسمين نفس الخبز الواحد الذي هو ترياق الخلود والمصل المضاد للموت"، ثم يضيف قائلاً: "كونوا غيورين مواظبين على سر الشكر لأن جسد ربنا يسوع المسيح واحد والكأس واحدة في جسده الواحد." ويتحدث القديس كبريانوس

570 . القديس كيرلس الإسكندري، تفسير إنجيل لوقا، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد ( القاهرة: مركز القديس أنطونيوس للدراسات الأبائية، 1990)، 108.

571 . البابا شنودة الثالث، الوسائط الروحية ( القاهرة: الكلية الإكليريكية بالعباسية، 1992)، 104.

عن طقس مزج عصير الكرمة بالماء، قائلاً: "إن الماء يمثل الشعب، وعصير الكرمة يمثل دم المسيح، فحينما يمتزج الماء بالخمير في الكأس، يكون الشعب متحدًا بالمسيح".<sup>572</sup>

مما سبق يتضح أن سر الإفخارستيا ليست ذكري، بل هو عمل خلاصي حقيقي.

يقول الأنبا شنودة رئيس المتوحدين: "يقول آخرون إن الخبز والكأس ليسا جسد المسيح ودمه ولكنهما مجرد رمز. لقد انهرت وأنا أقول هذا الكلام. إن كان الرب نفسه يقول: "من يأكل جسدي ويشرب دمي يحيا إلى الأبد"، وأيضًا: "هذا هو جسدي وهذا هو دمي". أما هؤلاء فيقولون: "ليس هذا جسده ولا دمه"، فكم يكون ويلهم، وكم يكون الويل لمن يقبل كلامهم. من ذا الذي يحتقر الخبز والكأس ولا يحتقره يسوع أكثر؟ لأنه بذلك قد احتقر أيضًا الروح القدس الذي يرسله الله عليهما ليصيرا جسد المسيح ودمه. ومن ذا الذي سوف يقول إن هذا ليس هكذا ولا يكون مزدريًا بالمكان المقدس، مذبح الذين يخرون ويسجدون لهما؟ لأنهم لا يكثرثون لهذا الأمر، كما لو أنهم يأكلون خبزًا عاديًا ويشربون خميرًا عاديًا".<sup>573</sup>

كما يؤكد: "هل خبزًا وخميرًا يطهران إنسانًا من الخطايا، أو يشفيانه من أمراض، أو يصيران له بركة حية؟ لا يُمكن أبدًا أن إنسانًا يتكلم بالروح القدس يقول أن السر المقدس ليس جسد المسيح ودمه. ولا يُمكن لإنسان أن يقول إن السر المقدس هو جسد ودم يسوع المسيح ابن الله إلا بالروح القدس".<sup>574</sup>

"هكذا أيضًا الخبز والخمر الموضوعان على مذبح الرب المقدس ومستقران عليه يُسميان خبزًا وخميرًا، ولكن عندما تُنتلى عليهما تلك الإفخارستيا المخوفة، يرسل عليهما الرب الإله روحه القدوس من

572 . القس بيشوي حلمي، كنيسة الإثونوكسية.. ما أجملك؟، 106.

573 . صموئيل قزمان معوض، الأنبا شنودة رئيس المتوحدين- الجزء الأول (القاهرة: مكتبة بناريون، 2009)،

129-128.

574 . صموئيل قزمان معوض، 133.

السماء ولا يعودان منذ تلك اللحظة خبزًا وخبزًا، بل جسد الرب ودمه" وكل أعمال الله تصير بالإيمان، فإن كان عندك إيمان فعندك كمال السر، وإن لم يكن عندك إيمان فليس لك رجاء في السر ورب السر".<sup>575</sup>

### الآبوة (الكهنوت) والبنوة في الكنيسة الأرثوذكسية

يقول القديس بطرس في رسالته الأولى: "كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَنِّيِّينَ كَجِجَارَةِ حَيَّةٍ، بَيْنًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللَّهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ." (1بط 2:5 فان دايك)، كذلك جاء في سفر الرؤيا: "وَجَعَلْنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ" (رؤ 6:1). إن الكنيسة هي جسد السيد المسيح ملكنا ورئيس كهنتنا: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا" (1كو 12:27)، وبالتالي فإن أعضاء الكنيسة من البشر هم "ملوكًا وكهنة"، باعتبارهم جسد السيد المسيح، كذلك لأنهم يقدمون لله ذبائح روحية هي صلواتهم وأصوامهم وعبادتهم. ولكن هذه الذبائح تختلف عن الذبائح المقدسة التي يقدمها الكهنة المعيّنين والمخصصين لهذه الخدمة، والتي لا يجوز لغيرهم تقديمها. يقول القديس أمبروسيوس: "إن كل مؤمن يُمسح كاهنًا وملكًا، غير أنه لا يصير ملكًا حقيقيًا، ولا كاهنًا حقيقيًا، بل ملكًا روحياً وكاهنًا روحياً يقرب لله ذبائح روحية وتقدمات الشكر والتسبيح".<sup>576</sup> وبالتالي ليس الجميع كهنة وبالتأكيد ملوكًا بالمعنى الحرفي، ويظل الكاهن كاهنًا.

يقول معلمنا بولس في رسالته الأولى إلى تلميذه تيموثاوس: "لأنه يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيْطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ،" (1 تي 2:5 فان دايك)، وبنفس المعنى يؤكد القديس يوحنا: "وإن أخطأ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ أَبِي، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَفَقَطٌ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا" (ابو 2:2-3). البعض يستخدم هاتين الآيتين استخدامًا واسعًا، بحيث يخرجهما عن المعنى المقصود، وهو موضوع الكفارة والفداء، وذلك بهدف إلغاء الوساطة بين الله والناس، أو بمعنى آخر إهداء عدم الحاجة

575 . صموئيل قرمان معوض، 176.

576. أمدج بشارة، الأسرار الكنسية- دراسة تاريخية (القاهرة: إيكونوميا للدراسات المسيحية، 2023)، 129-130.

إلى الكهنوت ووساطة الكنيسة، لأنهم يعتبرون أن الكهنوت مجرد وساطة، لا يؤمنون أو يعتقدون الحاجة إليه.<sup>577</sup>

بعض الكنائس تنكر سر الكهنوت، وتزعم أن جميع المؤمنين هم كهنة الله العلي، وهذا مخالف لتعليم الكتاب المقدس، فرب المجد قد أقام لنفسه صفًا خاصًا، ومنحهم القوة والسلطان ليكونوا معلمين ومباشرين للخدمة. فقد أختار رب المجد من بين تلاميذه اثني عشر تلاميذًا وسماهم رسلاً: "لَيْسَ أَنْتُمْ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ وَيَدُومَ ثَمْرُكُمْ لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ الْآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِي" (يو 15:16)، ثم أقام سبعين آخرين وأرسلهم: "بَعْدَ ذَلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضًا وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُرْمَعًا أَنْ يَأْتِي" (لو 10:1)، وهؤلاء أعطاهم السلطان والحق في تعليم الأمم وإتمام الأسرار ومنح الغفران باسمه "مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكْتُمْ" (يو 20:23)، كذلك أمرهم بالكراسة بالإنجيل لكل الخليقة (مر 16:10).

والأمر الذي يؤيد هذا التدبير الإلهي، هو حرص التلاميذ على إختيار شخصًا ليكون عوضًا عن يهوذا الأسخريوطي: "وَصَلُّوا قَائِلِينَ: أَيُّهَا الرَّبُّ الْعَارِفُ قُلُوبَ الْجَمِيعِ عَيْنَ أَنْتَ مِنْ هَذَيْنِ الْإِثْنَيْنِ أَيًّا اخْتَرْتَهُ. لِيَأْخُذَ فُرْعَةَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ وَالرَّسَالَةِ الَّتِي تَعَدَّاهَا يَهُودًا لِيَذْهَبَ إِلَى مَكَانِهِ" (أع 1:24-25)، كذلك إرشاد الروح القدس للكنيسة: "وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدُمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: أَفْرَزُوا لِي بَرْنَابَا وَسَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ" (أع 13:2). كما إن الرسل أنفسهم قاموا برسامة أساقفة وشمامسة في الكنائس التي بشروا فيها، ومنحهم موهبة الخدمة بوضع الأيادي. كما إن أقوال آباء الكنيسة تشهد عن هذه الحقيقة الثابتة، يقول القديس إيريناؤس: "يمكننا أن نذكر الذين أقامهم الرسل أساقفة في الكنائس وخلفائهم أيضًا بأسمائهم"<sup>578</sup>

577. البابا شنودة الثالث، اللاهوت المقارن الجزء الأول، 138.

578. الأرشيدياكون حبيب جرجس، أسرار الكنيسة، 160.

يقول قداسة البابا شنودة الثالث: "إن كان جميع المؤمنين كهنة، وإن كان جميعهم متساوين، فلماذا إن كان كل هذه الوظائف المميزة: وكلاء، سفراء، ملائكة، رعاة، آباء، معلمين، مرشدين، مدبرين. واضح أن كل هذه الوظائف لم تكن لجميع المؤمنين، وإنما كانت لمجموعة مميزة منهم، فلو كان الكل آباء فمن يكونوا الأبناء؟". إن كل رجال الكهنوت في كل درجاتهم يُدعون آباء، وهو ما يعترض عليه البعض، بسبب قول رب المجد: "وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ آبَاءَ عَلَى الْأَرْضِ لِأَنَّ آبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلَا تَدْعُوا مُعَلِّمِينَ لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ" (مت 23:9). غير أن القديس بولس يدعو كل من تيموثاوس وتيطس وأنسيمس "أبناء": "إِلَى تِيموثَاوَسَ، الْإِبْنِ الصَّرِيحِ فِي الْإِيمَانِ" (1 تي 2:1)، "وَعَنْ تَيْطُسَ: "إِلَى تَيْطُسَ، الْإِبْنِ الصَّرِيحِ حَسَبَ الْإِيمَانِ الْمَشْتَرِكِ" (تي 1:4)، ويرسل لفليمون: "أَطْلُبُ إِلَيْكَ لِأَجْلِ ابْنِي أَنْسِيمُسَ، الَّذِي وَلَدْتُهُ فِي فُيُودِي،" (قل 15).

من المعروف أن القديس بولس كان بتولاً، وليس له أبناء بالجسد، ولكنه كان أباً روحياً لكل هؤلاء، بل لكل المؤمنين: "يَا أَوْلَادِي الَّذِينَ أَمَحَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ" (غل 4:19)، كذلك يقول القديس يوحنا الحبيب: "يَا أَوْلَادِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ لَا تُحْطِئُوا. وَإِنْ أَحْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ" (1 يو 2:1). إن رب المجد لم يلغي الأبوة الروحية، ولكنه أنشأ أبوة جديدة، بخلاف القديمة التي كانت للكثبة والفريسيين الذين كانوا يتسلطون على الشعب لأجل أهوائهم وتفسيراتهم الخاصة، أبوة كهنوتية باذلة كتلك التي تربطه بالكنيسة: "فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ تَعَلَّمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا" (مت 20:25-26).

579.

إن كان الكل رعاة، فمن تكون الرعية؟، وهل يمكن أن يكون هناك رعاة حيث لا يوجد خراف أو قطع غنم؟، إن كل هيئة اجتماعية لا بد أن تدار بموجب قانون واضح، وإن يتم تعيين أو تخصيص فئة محددة

579. القس تادرس حبيب، أسرار الكنيسة السبعة (القاهرة: مطرانية شبرا الخيمة للأقباط الأرثوذكس، ب.ت)،

للأشراف على تدبير وتنفيذ القوانين، وإلا تحل الفوضى. وبالتالي لا يمكن أن رب المجد يترك كنيسته بدون تدبير كهذا، فيجعل الكل يباشر الخدمة الدينية والأسرار الإلهية.

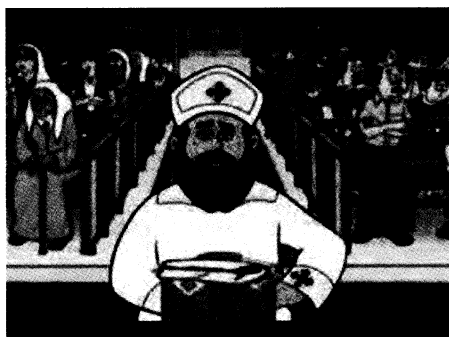
بالطبع لا يوافق الجميع على هذا الفكر بسبب قول معلمنا بولس: " وَلَكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ الْإِيمَانُ لَسْنَا بَعْدَ نَحْتِ مُؤَدِّبٍ. لِأَنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءَ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ." ( غل 3:25-26)، غير أن القديس بولس لم يلغي السلطة الكهنوتية، فهو لا يتكلم عن مباشرة الأسرار الكنسية، ولكنه يؤكد على حق الجميع في الميراث السماوي، فالجميع صاروا أبناء الله بالإيمان بالمسيح وبالمعمودية المقدسة، ولا فضل لأحد على الآخر بل الجميع أخوة في المسيح وأعضاء جسده وهو الرأس. ولكن هذا لا يمنع أن رب المجد أقام رعاة ومعلمين وأباء وقضاة روحيين لتدبير بيعته المقدسة. فالله وضع نظام ووكلاء لأسرار بيعته، ولذلك فالبعض آباء والبعض أبناء: " فَوَضَعَ اللَّهُ أَناساً فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلًا رُسُلًا ثَانِيًا أَنْبِيَاءَ ثَالِثًا مُعَلِّمِينَ ثُمَّ قُوَاتٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ أَعْوَانًا تَدَابِيرَ وَأَنْوَاعَ أَسِنَّةٍ." (1كو 12:28). وللآباء دور هام في الرعاية والخدمة، وللأبناء أيضاً دوراً في تكميل العمل: " اذْكُرُوا مُرَشِدِيكُمْ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ... أَطِيعُوا مُرَشِدِيكُمْ وَأَخَضَعُوا، لِأَنَّكُمْ يَسْهَرُونَ لِأَجْلِ نَفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوَفَ يُعْطُونَ حِسَاباً، لَكِي يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لِأَنَّ هَذَا عَيْزٌ نَافِعٌ لَكُمْ." ( عب 13:17-17). " ثُمَّ نَسَأَلُكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْ تَعْرِفُوا الَّذِينَ يَتَعَبُونَ بَيْنَكُمْ وَيُدَبِّرُونَكُمْ فِي الرَّبِّ وَيُنذِرُونَكُمْ،" ( 1 تس 12:5) 580.

لقد وضع سر الكهنوت لحفظ نظام الكنيسة وحقوقها وصلواتها، ولممارسة أسرار الكنيسة ووصول النعم والعطايا للمؤمنين، ولتعليم الشعب ورعايته وإنتشار كلمة الله. إن رجال الكهنوت أشخاص مميزون بأعمال مميزة، فالكهنوت ليس لكل أحد بل لأناس أختارهم الله لهذه الخدمة، ومنحهم السلطان داخل الكنيسة ووسط المؤمنين، فلمهم سلطان التعليم والتعميد: " لَيْسَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ بَلْ لِشُهُودِ سَقِّ اللَّهِ فَانْتَحَبَهُمْ. لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرَبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الْأَمْوَاتِ. وَأَوْصَانَا أَنْ نَكْرُرَ لِلشَّعْبِ وَنَشْهَدَ بِأَنَّ هَذَا هُوَ الْمَعِينُ مِنَ اللَّهِ دَيَاناً

لِلأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ" (أع 10:41-42). كما أعطاهم سلطان الحل والربط: "كُلُّ مَا تَرَبُّطُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاءِ وَكُلُّ مَا تَحُلُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ" (مت 18:18)، وممارسة سر الأفخارستيا: "أصنعوا هذا لذكري" (لو 22:19)، كما أعطاهم موهبة وسلطان وضع اليد وإقامة خدام: "الَّذِينَ أَقَامُوهُمْ أَمَامَ الرَّسُلِ فَصَلُّوا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمُ الْأَيْدِيَّ" (أع 6:6)، ولهم منح الروح القدس: "لَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ فَطَفُّوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ وَيَنبَأُونَ." (أع 19:6)، ولهم عمل الإرشاد والتدبير وإقامة الأسرار الكنيسة والصلوات الكنسية.<sup>581</sup>

كون أن المؤمنين لا يقدمون الذبيحة، فهذا لا يجعلهم بعيدين عن خدمة الأسرار، وذلك لأن الشعب بأكمله جزء من العبادة ولا يمكن الاستغناء عليه، فالأسقف والكاهن لا يستطيع أن يتم الخدمة بدون اشتراك الشعب معه في العبادة. فالخدمة الليتورجيا تقام من قبل الجماعة، ولأجل الجماعة كلها. إن التعبير المسيحي للعبادة " الليتورجيا" يشير إلى العمل المشترك الذي يشمل الكل، بحيث يكون الجميع فعالون "أباء وأبناء"، وهذا ما يظهر بوضوح في أسلوب الحوار والتعاون والأشتراك بين الكاهن وجماعة المصلين داخل العمل الليتورجيا. وكلمة أمين التي يختم بها الشعب الصلاة، بمثابة قبول للتقدمة الإلهية المقدسة بحرية وبفرح.<sup>582</sup>

مما سبق يتضح أن الكنيسة مبنية على آبائها وأبنائها، ولكل منهم دوره في جسد السيد المسيح، الأباء يرعوا الشعب ويقدموا الأسرار التي تركز على دم رب المجد، والشعب يشترك في العبادة ويخضع لأبائه ومعلميه ويشهد للسيد المسيح في حياته الخاصة.



581 . القس بيشوي حلمي، الفروقات مع البروتستانت (القاهرة: كنيسة الانبا أنطونيوس بشبرا، ب.ت)، 64-65.

582 . أمجد بشارة، الأسرار الكنسية – دراسة تاريخية، 132.

## المراجع

- إبراهيم، القس رفيق. **حتميات الإيمان المسيحي: دراسة مقارنة بين أثناسيوس وترتليان**. القاهرة: دار الثقافة، 2021.
- أثيناغوراس الفيلسوف الأثيني. **المرافعة**، ترجمة مارك الفونس كامل. القاهرة: مدرسة الإسكندرية، 2017.
- إسحق، شامل. **أيام الخليفة الستة**. القاهرة: دار رسالتنا للطباعة والنشر، 2024.
- أغسطينوس، القديس. **خواطر فيلسوف في الحياة الروحية**، نقلها للعربية الخوري يوحنا الحلو. لبنان: دار المشرق ببيروت، 2013.
- أمبروسيو أسقف ميلان، القديس. **شرح الإيمان المسيحي**. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2018.
- الفونس، مارك. **النص تحت الفحص: كيف تطور يسوع من البشارة إلى الأناجيل**. القاهرة: دار سلام للنشر والطباعة، 2018.
- ادريشم، الفريد. **حياة السيد المسيح والزمان الذي عاش فيه**، ترجمة وعرض القمص أنطونيوس فكري. القاهرة: مكتبة الكنوز القبطية، 1997.
- أثناسيوس الرسولي، القديس. **تجسد الكلمة**، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2002.
- أثناسيوس الرسولي، القديس. **المقالات الثلاثة ضد الأريوسيين**. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2017.
- أثناسيوس المقاري، الراهب. **معمودية الماء والروح**. القاهرة: دار نوبار بشبرا، 2002.
- إلكساندر، فادي. "لاهوت الكتاب المقدس (الوحى – العصمة)". موقع اللاهوت الدفاعي، تاريخ الإقتباس: أبريل 2024.
- <https://www.difa3iat.com/4232.html/>
- إلكساندر، فادي. **المدخل إلى علم النقد النصي للعهد الجديد**. مكتبة الكتب المسيحية، 2008.
- إيسودورس، العلامة الأسقف. **الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة**، طبعة جديدة منسقة ومنقحة. مكتبة المحبة، سلسلة كتب التراث القبطي، 2002.
- إيسيدوروس، الأسقف. **مشكاه الطلاب في حل مشكلات الكتاب**. مجلة صهيون، 1929.

- إبرآم، الأنبا. الأسفار القانونية التي حذفها البروتستانت. مطرانية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم، 2010.
- إدر، جون. الأحجار تتكلم، علم الآثار يؤيد الكتاب المقدس، ترجمة د. عزت زكي. القاهرة: دار النشر الأسقفية، 2014.
- إبراهيم، جورج عوض. تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة. د. جورج عوض إبراهيم، 2019.
- إبراهيم، زكريا. دراسات لاهوتية وفلسفية. القاهرة: مطبوعات مدرسة الأحد القبطية بمصر الجديدة، 1942
- أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية. خدمة الخلاص، مراجعة وتقديم القمص تادرس يعقوب ملطي. الإسكندرية: كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس اسبورتنج، 2007.
- باسيليوس، جورج. الله و الالحاد وجهات نظر العالم. جامعة هولى صوفيا القبطية الارثوذكسية ، ماجستير اللاهوت الدفاعي.
- باسيليوس، جورج. الحقيقة في زمن يُنكر الحقيقة. كاليفورنيا: كنيسة القديس أنطونيوس القبطية الأرثوذكسية، 2022.
- باسيليوس الكبير، القديس. الله ليس مسبباً للشروع، ترجمة د. جورج إبراهيم عوض. القاهرة: جورج إبراهيم، 2012.
- بدوي، عبد الرحمن. موسوعة الفلسفة الجزء الأول. لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984.
- بدوي، عبد الرحمن. فلسفة العصور الوسطى. بيروت: دار القلم، 1979.
- بياجية، جان. الإستيمولوجيا التكوينية، ترجمة وتقديم د. السيد نفادي دمشق: دار التكوين، 2004.
- بلانتينجا، ألفين. المعرفة والإيمان المسيحي، ترجمة ديانا مجدي. القاهرة: مدرسة الإسكندرية، 2022.
- بديع، القس متى. قضية الإيمان. القاهرة: أسقفية الشباب، 2018.
- بديع، القس متى. قضية الخلق: سلسلة قضايا دفاعية. القاهرة: بطريركية الأقباط الأرثوذكس أسقفية الشباب، 2019.
- بنيامين ألمحرقى ، الراهب. دراسات فى علم اللاهوت النظرى. أسيوط: الكلية الإكليريكية بدير ألمحرقى العامر، 2009.

بيهي، مايكل. صندوق داروين الأسود تحدى الكيمياء الحيوية لنظرية التطور، ترجمة ديمون الحسن ود. أسامة إبراهيم وآخرون. الاسماعلية: مراكز براهين للأبحاث و الدراسات، 2018.

بوردم، جورجيا. حقائق تحت المجهر خلق أم تطور، هل نظرية التطور هي نفسها الاصطفاء الطبيعي؟ لبنان: مركز مورغان للنشر و الأعلام، 2018.

باتروسون، روجر. إجابات جديدة الجزء الثالث، أيؤمن مؤمنو نظرية التطور بأفكار داروينية من جهة التطور؟ لبنان: مركز مورغان للنشر و الأعلام، 2021.

بينغتون، ميلاني. "التطور الكيميائي نظرة عامة". موقع science direct، تاريخ الإقتباس: مايو 2024.  
[https://www.sciencedirect.com/topics/earth-and-planetary-sciences/chemicalevolution#:~:text=The%20modern%20theory%20of%20c\(chemical,first%20functioning%20cell\(s](https://www.sciencedirect.com/topics/earth-and-planetary-sciences/chemicalevolution#:~:text=The%20modern%20theory%20of%20c(chemical,first%20functioning%20cell(s)

بشارة، أمجد. الثالوث القدوس قبل نيقية. القاهرة: دار سلام للنشر والتوزيع، 2017.

بشارة، أمجد. الأسرار الكنسية – دراسة تاريخية. لقاهرة: إيكونوميا للدراسات المسيحية، 2023.

بولاد اليسوعي، الأب هنري. الإيمان وتحدي الإلحاد. لبنان: دار ألمشرق، 2018.

تاوضروس، موريس. علم اللاهوت العقدي الجزء الأول. القاهرة: بطريركية الأقباط الأرثوذكس- أسقفية الشباب، 1994.

تاوضروس، موريس. رسائل إلى عزيزي الملحد. القاهرة: الكلية الإكليريكية اللاهوتية للقبط الأرثوذكس، 2016.

تاوضروس الثاني، البابا. مفتاح العهد الجديد. القاهرة: بطريركية الأقباط الأرثوذكس ، 2013.

تنجلاد، ماثيو وجوش ماكديويل. لماذا فعل الله ذلك؟ ترجمة يوسف جميل. القاهرة: هيئة الخدمة الروحية، 2024.

جايزلر، نورمان وفرانك تورك. لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد. القاهرة: مكتبة الأخوة للنشر، 2017.

جورجي، وهيب. مقدمات العهد القديم. الكلية الأكليريكية للأقباط الأرثوذكس، 198.

جرس، الأرشيدياكون حبيب. أسرار الكنيسة. القاهرة: مكتبة المحبة، 1979.

حلمي، القس بيشوي. وجود الله حقيقة أم خرافة؟ القاهرة: مطابع النوبار بالعبور، 2017.

حلمي، القس الدكتور بيشوي. التوحيد و التثليث. القاهرة: كنيسة القديس أنطونيوس بشبرا، 2016.

حلمي، القس بيشوي. كنيسة الإرتوذكسية.. ما أجملك؟ القاهرة: مطابع النوبار بالعبور، 2002.

حلمي، القس بيشوي. عقيدة التجسد الإلهي. القاهرة: كنيسة الانبا أنطونيوس بشبرا، 2013.

حلمي، القس بيشوي. الفروقات مع البروتستانت. القاهرة: كنيسة الانبا أنطونيوس بشبرا، ب.ت.

حليم، القس بولس. المسيا المنتظر. القاهرة: كنيسة مار جرجس بالقلي، 2018.

حبيب، القس تادرس. أسرار الكنيسة السبعة. القاهرة: مطرانية شبرا الخيمة للأقباط الأرثوذكس، ب.ت.

ابو الخير، القمص عبد المسيح بسيط. الأعلان الألهي وكيف كلم الله الأنسان؟ القاهرة: مطبعة المصريين، 1997.

ابو الخير، القمص عبد المسيح بسيط. هل اقتبست المسيحية عقائدها من الأساطير الوثنية. القاهرة: كنيسة السيد العذراء الأثرية بمسطرد، 2010.

ابو الخير، القمص عبد المسيح بسيط. الأتجيل كيف كتب؟ وكيف وصل إلينا؟ القاهرة: كنيسة السيد العذراء الأثرية بمسطرد، 1994.

ابو الخير، القمص عبد المسيح بسيط. أبوكريفا العهد الجديد، كيف كُتبت؟ ولما رفضتها الكنيسة؟ القاهرة: كنيسة العذراء الأثرية بمسطرد، 2007.

ابو الخير، القمص عبد المسيح بسيط. الكتاب المقدس يتحدى نقاده والقائلين بتحريفه. القاهرة: كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، 2004.

الخشت، محمد عثمان. التفكير النقدي وأساسه وتنمية مهارته. جامعة القاهرة، 2019.

صالح، جرجس إبراهيم. النبوة والأنبياء في العهد القديم.

صموئيل حبيب، القس والقس منيس عبد النور، وآخرون. دائرة المعارف الكتابية الجزء الثالث. القاهرة: دار الثقافة، 1991.

صموئيل حبيب، القس والقس منيس عبد النور وآخرون. دائرة المعارف الكتابية الجزء السادس. القاهرة: دار الثقافة، 2000.

دود، سي. إتش. التاريخ والإنجيل، ترجمة بيشوي جرجس. القاهرة: دار رسالتنا للنشر، 2018.

دوماديوس الرزوقي، القس. الكتاب المقدس عبر القرون والأجيال. القاهرة: دار الأنبا أنطونيوس للنشر والتوزيع، 2009.

ذكي غالي، ميلاد. الله في فلسفة القديس توما الأكويني. الإسكندرية: مركز الدلتا للطباعة بسبورتنج، 1996.

رأيومند، روبرت ل.. الإيمان وموجباته المنطقية، ترجمة ميشال خوري. لبنان: مركز مورجان للكباعة والنشر، 2015.

ريدل، مايك. إجابات جديدة 3، هل لنظرية التطور فرصة؟ لبنان: مركز مورغان للنشر و الإعلام، 2021.

روفانيل البراموسي، القمص. أما إسرائيل فلا يعرف، مراجعة الأنبا إيسيدورس. القاهرة : دار الكلمة الحقيقية للنشر والترجمة والتوزيع، 2003.

رمزي، القس بولس. الأسفار القانونية- مذكرة دراسية جامعة هولي صوفيا

الرسالة إلى ديجونيتس، ترجمة أنطون فهمي جورج. الإسكندرية: كنيسة مار مرقس والبابا بطرس، 1992.

زكرياس، رافي. الوجه الآخر للإلحاد. القاهرة: د. ماهر صموئيل، 2014.

زقروق، محمود حمدي. تمهيد الفلسفة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1979.

سمارنة، داني. السبب الكافي: حجج في مسألة وجود الله. الأردن: أوفير للطباعة والنشر، 2023.

ابن سينا. الشفاء. القاهرة: وزارة المعارف العمومية، 1952.

ستروبل، لي. القضية الخالق، ترجمة حنا يوسف وسليم اسكندر. القاهرة: مكتبة دار الكلمة، 2006.

ستروبل، لي. القضية المسيح. القاهرة: مكتبة دار الكلمة، 2007.

ستامب، مايكل. "الطفرة والتصميم والإيمان". معهد بحوث الخلق ICR، تاريخ الاقتباس: نوفمبر 2022.

<https://www.icr.org/article/mutation-design-and-faith>

السواح، فراس. الأسطورة والمعنى: دراسات في أمثولوجيا والديانات ألمشرقية. دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2001.

ستيليانوبولوس، الأب ثيودور. العهد الجديد نظرة أرثوذكسية. الأب أنطون ملكي، 2004.

شنودة الثالث، البابا. طبيعة المسيح. القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، 1991.

شنودة الثالث، البابا. اللاهوت أمقارن الجزء الأول. القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، 1991.

شنودة الثالث، البابا. الوسائط الروحية. القاهرة: الكلية الإكليريكية بالعباسية، 1992.

شنودة، مارك. الإفخارستيا سر الحياة، مراجعة وتقديم الأنبا رافائيل. القاهرة: مركز بناريون للتراث الأبائي، 2013.

عبد السيد، القس إبراهيم. البدع والهرطقات خلال عشرين قرناً. القاهرة: كنيسة مارجرجس بالمعادي، 1987.

عزمي، الدكتور القس أشرف. في البدء تفسير لغوي ولاهوتي وتاريخي لسفر التكوين 1-11. رؤية للطباعة، 2017.

عازر، القس إبراهيم القمص. مدخل إلى حقيقة الثالوث، مراجعة د. موريس تواضروس. بني سويف: انسيبراشن للطباعة والنشر، 2015.

غالي، ماجد. "علم اللاهوت الدفاعي مقدمة الجزء الثاني". موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: مارس 2024  
<https://www.drghaly.com/articles/display/11961>

غالي، ماجد. "التطور العضوي واحتمالية تكوين بروتين بسيط". موقع هول بايبل، تاريخ الاقتباس: مايو 2024

<https://www.drghaly.com/articles/display/12400>

غالي، ماجد. "التطور الكبير والطفرة". موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: مايو 2024

<https://www.drghaly.com/articles/display/12784>

غالي، ماجد. "بعض أدلة خطأ التطور وتطور الإنسان". موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: مايو 2024

<https://www.drghaly.com/articles/display/11347>

غالي، ماجد. "مقدمة علم اللاهوت الدفاعي الجزء الرابع". موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: فبراير 2025

<https://www.drghaly.com/articles/display/12021>

غالي، ماجد. "خلفية تاريخية عن مجمع جامنيا اليهودي وقانونية أسفار العهد القديم" موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: مارس 2025

<https://www.drghaly.com/articles/display/11240>

غالي، ماجد. "قائمة القديس أثناسيوس لقانونية أسفار العهد القديم والجديد". موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: فبراير 2025

<https://www.drghaly.com/articles/display/12869>

غالي، ماجد. "ملخص مقدمة النقد النصي كامل"، موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: مارس 2025

<https://www.drghaly.com/articles/display/14406>

غالي، ماجد. "مقدمة في النقد النصي الجزء الثامن، قواعد التحليل الداخلي". موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: فبراير 2025

<https://www.drghaly.com/articles/display/11303>

غالي، ماجد. "مقدمة في النقد النصي الجزء التاسع، تعليقات على قوانين النقد النصي". موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: فبراير 2025.

<https://www.drghaly.com/articles/display/11304>

غالي، ماجد. "مقدمة في النقد النصي الجزء السادس، قوانين النقد النصي". موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: مايو 2024.

<https://www.drghaly.com/articles/display/11301>

غالي، ماجد. "ابن الإنسان الذي هو في السماء". موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: فبراير 2025،

<https://www.drghaly.com/articles/display/110031>

غالي، ماجد. "الذين يشهدون في السماء باختصار". موقع هولي بايبل، تاريخ الاقتباس: مايو 2024.

<http://drghaly.com/articles/display/13366>

غريغوريوس، الأنبا. موسوعة الأنبا غريغوريوس: اللاهوت العقيدى الجزء الأول. القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس، 2004.

غريغوريوس، الأنبا. اللاهوت العقيدى الجزء الثالث: في أسرار الكنيسة السبعة. القاهرة: مكتبة أمتنيح الأنبا غريغوريوس، 2005.

غريغوريوس أسقف نصيص، القديس. سر المعمودية ومياه التجديد، ترجمة أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية. الإسكندرية: كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بسبورتنج، 2004.

فارس، القس فايز. الله المحب و الإنسان المتألم. القاهرة: دار الثقافة، 1999.

القمص يعقوب، حلمي. النقد الكتابي: الجزء الثاني، مدارس النقد والتشكيك والرد عليها. الإسكندرية: كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس خاتم الشهداء.

القمص يعقوب، حلمي. رحلة إلى قلب الإلحاد ج.1- الإلحاد..بذار ورجال. الإسكندرية: كنيسة القديسين مار مرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء، 2011.

القمص يعقوب، حلمي. النقد الكتابي: العهد القديم الجزء الثاني، مدارس النقد والتشكيك والرد عليها. الإسكندرية: كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس خاتم الشهداء، 2006.

القمص يعقوب، حلمي. **النقد الكتابي: العهد القديم الجزء الرابع**، مدارس النقد والتشكيك والرد عليها. الإسكندرية: كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس خاتم الشهداء، 2008.

القمص يعقوب، حلمي. **مدارس النقد والتشكيك و الرد عليها- العهد الجديد**. موقع الأنبا تكلا هيمانوت ، تاريخ الاقتباس : فبراير 2025.

<https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/new-testament/77.html>

القمص يعقوب، حلمي. **أسئلة حول صحة الكتاب المقدس، خرافة إنجيل برنابا**،

القمص يعقوب، حلمي. **مدارس النقد والتشكيك والرد عليها**، العهد الجديد الجزء الثاني. كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس خاتم الشهداء، 2017.

القمص عازر، القس إبراهيم. **وهم الإلحاد**. أسيوط: الكلية الإكليريكية بدير ألمحرق، ب.ن.

كريفت، بيتر. **نقد النسبية الأخلاقية: حوارات مع مؤيد للأخلاق المطلقة**. القاهرة: مدرسة الإسكندرية، 2023.

كونيارس، الأب أنتوني م. **ماذا حدث لتشويش الحق؟ ألمنيا: مطرانية بني مزار والبهنسا**، 2014.

كواسنين، جوهانسن. **علم الآبائيات " باترولوجي" - المجلد الأول " بدايات الأدب الآبائي"**، ترجمة وتقديم أنبا مقار. القاهرة: مركز بناريون للتراث الآبائي، 2015.

الأكويني، توما. **الخلاصة اللاهوتية**، ترجمة الخوري بولس عواد. لبنان: المطبعة الأديبية ببيروت، 1881.

كيرلس الإسكندري، القديس. **شرح إنجيل يوحنا المجلد الأول**، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، 2009.

كيرلس الإسكندري، القديس. **شرح إنجيل يوحنا المجلد الثاني**، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، 2012.

كيرلس الإسكندري، القديس. **حوار حول الثالوث**، ترجمة جوزيف موريس فلتس. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، 2014.

كيرلس الإسكندري، القديس. **تفسير إنجيل لوقا**، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد. القاهرة: مركز القديس أنطونيوس للدراسات الآبائية، 1990.

كيرلس الإسكندري، القديس. **رسائل القديس كيرلس- الرسالة الخمسة وخمسون لشرح قانون الإيمان**. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، 1997.

كيرلس الأسكندري، القديس. رسائل القديس كيرلس- الرسالة الأولى، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد ود. موريس تواضروس. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2020.

كيرلس الأسكندري، القديس. رسائل القديس كيرلس إلي نسطور ويوحنا الأنطاكي. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2001.

كيرلس الإسكندري، القديس. المسيح واحد، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، 2023.

كريج، وليم لين. أجوبة ليست سهلة، ترجمة القس عزت شاكر. القاهرة: دار الثقافة، 2023.

كريج، وليم لين. مستعدون للمجاوبة، ترجمة سامح فكر حنا. الأردن: أوفير للطباعة والنشر، 2017.

كوكل، جريجوري. تكتيكات، ترجمة ماريانا كتكوت. الأردن: أوفير للطباعة والنشر، 2023.

كلر، تيموثي. الإيمان في عصر التشكيك، ترجمة سعيد فارس باز. الأردن: أوفير للطباعة والنشر، 2019.

كليتش، مناحم. يسوع في كتب العهد القديم، ترجمة نور ادور يوسف. القاهرة: كنيسة مار مرقس القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة، 2022.

ليسل، جايسون. سلسلة الخليقة تجيب – الإلحاد: نظرة كونية منافية للمنطق، ترجمة ياسر فرج. القاهرة: خدمة ذهن جديد، 2021.

لمعي، أبونا لمعي. المنطق في حوارات المسيح. القاهرة: كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة، 2014.

لوريمر، جون. تاريخ الكنيسة – عصر الآباء: من القرن الأول وحتى السادس. القاهرة: دار الثقافة، 2013.

ليزل، جيسون. حقائق تحت المجهر – خلق أم تطور، تقديم سامي مورغان. لبنان: مركز مورغان للنشر والإعلام، 2018.

لويس، ماجد ليون. الطوفان بين الكتاب المقدس والأساطير والعلم الحديث. القاهرة: دار الثقافة، 2016.

لويس، سي. أس. المسيحية المجردة. الأردن: أوفير للطباعة والنشر، 2006.

لويس، سي. إس. الله - الإنسان والآلم. د. سامي فوزي سلسلة الكلاسيكيات، 2014.

ماكديول، جوش. برهان جديد يتطلب قرارًا. القاهرة: هيئة الخدمة الروحية وتدريب القادة، 2004.

ماكديول، جوش. **أصعب 77 سؤالاً عن الله والكتاب المقدس وأجاباتها**. القاهرة: هيئة الخدمة الروحية للنشر، 2017.

ماكديول، جوش. **أعظم من نجار**، ترجمة سمير الشوملي. القاهرة: دار الثقافة، 1999.

ماجرائ، اليستر. **الدفاعيات المجردة**، ترجمة ماريانا كتكوت. القاهرة: مؤسسة رزيم الشرق الأوسط، 2013.

ماكفريلاند، أليكس. **عشرة أنواع للإلحاد**، ترجمة القس جورج عزت. القاهرة: دار الثقافة، 2014.

ماهر، هاني. **العلم وحقيقة وجود الله**. القاهرة: كنيسة مار مرقس القبطية الأرثوذكسية، 2016.

ماهر، هاني. **من هو الإله الحقيقي؟**، مراجعة وتقديم أبونا داود لمعي. القاهرة: كنيسة مار مرقس القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة، 2017.

ماهر، أبونا لوقا. "لماذا الشر والألم كورس"، apologetic program ask، تاريخ الإقتباس : مايو 2024.

ماير، ستيفن. **العلم ودليل التصميم في الكون**، ترجمة رضا زيدان. المملكة العربية السعودية- الخبر: مكتبة مؤمن قريش، 2016.

ماير، ستيفن. **توقيع في الخلية الدنا وآلة التصميم الذكي**، ترجمة د. ألاء الحسكي ومهند التومي وآخرون. الاسماعلية: مركز براهين للأبحاث والدراسات ، 2017.

مصطفى، عادل. **المغالطات المنطقية فصول في المنطق غير الصوري**. المملكة المتحدة : مؤسسة هندواي سي آى سي ، 2017.

ملطي، القمص تادرس يعقوب. **نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى**. الإسكندرية: كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بسبورتنج، 2008.

ملطي، القمص تادرس يعقوب. **تفسير سفر المزامير الإصحاح التاسع عشر**. الإسكندرية: كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بسبورتنج، 1990.

ملطي، القمص تادرس يعقوب. **رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي**. الإسكندرية: كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج، 2003.

ملطي، القمص تادرس يعقوب. **تفسير إنجيل مرقس**. الإسكندرية: كنيسة مار مرقس بسبورتنج، 1984.

ملطي، القمص تادرس يعقوب. **تفسير إنجيل متى الإصحاح السادس عشر**. موقع الانبا تكلا هيمانوت ، تاريخ الإقتباس : مايو 2024.

[https://st-takla.org/pub\\_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/01-Engeel-Matta/Tafseer-Engil-Mata\\_01-Chapter-16.html#1](https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/01-Engeel-Matta/Tafseer-Engil-Mata_01-Chapter-16.html#1)

ملطي، القمص تادرس يعقوب. "مقدمة عامة في الأناجيل الأربعة". موقع الأنبا تكلا هيمانوت، تاريخ الأقتباس: فبراير 2025.

مرقوريوس الأنبا بيشوي، القس. مدخل إلى الأسفار القانونية الثانية. دير الأنبا بيشوي- دراسات كتابية، 1995.

ملكونيان، يزن. حروب العهد القديم ما بين الوصف والوصفة. الأردن: خدمة تثقيف الشباب، 2018.

مناؤس، الأنبا. روحانية طقوس الأسرار في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، 1995.

معوض، صموئيل قزمان. الأنبا شنودة رئيس المتوحدين- الجزء الأول. القاهرة: بناريون، 2009.

مجمع اللغة العربية. المعجم الوجيز. جمهورية مصر العربية: مجمع اللغة العربية، 1980.

موقع answersingenesi، "أفضل 10 إثباتات تؤكد عمر الأرض القصير"، تاريخ الإقتباس: مايو 2024.

موقع اللاهوت الدفاعي. "وجود أفتنوم الابن الأزلي". تاريخ الإقتباس: مايو 2024.

<https://www.difa3iat.com/19882.html/>

موقع Got questions. "مقالة ما هي النظريات المختلفة حول نظريات الوحي؟" تاريخ الإقتباس: فبراير 2025.

<https://www.gotquestions.org/Arabic/Arabic-inspiration-theories.html>

منتون، ديفيد. "أصل الحياة". موقع answersingenesi، تاريخ الإقتباس: مايو 2024.

<https://answersingenesi.org/origin-of-life/origin-of-life-chance-events>

مينتون، ديفيد. إجابات جديدة الجزء الثاني، أحقاً تطور البشر من مخلوقات شبيهة بالقرود؟ لبنان: مركز مورغان للنشر والإعلام، 2020.

موريس، جون د. حقائق تحت المجهر خلق أم تطور، الحفريات وإشارات الدفن السريع. بيروت: مركز مورغان للنشر والأعلام، 2018.

متى المسكين، الأب. الإيمان بالمسيح. القاهرة: دير القديس العظيم أنبا مقار بوادي النطرون، 2009.

محمود، ذكي نجيب. نظرية المعرفة. المملكة المتحدة: مؤسسة هندواي، 2018.

كليتش، مناخم. يسوع في كتب العهد القديم، ترجمة نور ادور يوسف. القاهرة: كنيسة مار مرقس القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة، 2022.

هودج، بودي. إجابات جديدة الجزء الثاني، ما هو عمر الأرض؟ بيروت: مركز مورغان للنشر والأعلام، 2021.

هام، كين. الطوفان العالمي نظرة كتابية وعلمية للكارثة التي غيرت وجه الأرض. خدمة ذهن جديد بالتعاون مع هيئة answers in genesis ، 2013.

هيلارى أسقف بواتييه، القديس. عن الثالوث. دير القديس العظيم الانبا أنطونيوس بالبحر الأحمر، 2017.

هيرك، ل. فان دن. أقصر قفزة للإيمان، ترجمة القس إسحق وليم. القاهرة: دار الثقافة، 2023.

هال، كريستوفر أ. التفسير الكتابي بين الشرق والغرب، ترجمة: د. عادل ذكري. مدرسة الإسكندرية، 2018.

هابرماس، جاري. قضية قيامة يسوع. القاهرة: دار رسالتنا للطباعة والنشر، 2025.

ويتمور، جون. إجابات جديدة الجزء الثاني، هل تتطلب عمليات التطور الجيولوجي ملايين السنين؟ بيروت: مركز مورغان للنشر والأعلام، 2020.

ويب، كليمنت سى. تاريخ الفلسفة، ترجمة أ.د. محمد محمود منصف. القاهرة: إبداع للترجمة والتدريب والنشر والتوزيع، 2019.

يوافيم، الشماس مراد مجدي. رحلة مع النبوة والأنبياء في الكتاب المقدس. كنيسة القديس العظيم مار جرجس بسبورتنج، 2012.

يوساببوس القيصري. تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقس داود. القاهرة: مكتبة المحبة، 1979.

يوانس، الأنبا. الكنيسة المسيحية في عصر الرسل. القاهرة: الأنبا رويس-الأوفست-بالعباسية، 1970.

يعقوب، أمير. مدخل إلى النقد النصي للعهد الجديد. القاهرة: دار رسالتنا للنشر والتوزيع، 2019.

AugstinSt.: Homilies on the epistle of John, v.7,8, tres sunt testes: spiritus et aqua et sanguis et tres unum sunt.

Beattie, F.R. *Apologetics*. Richmond: Pressbyterian Comitte of publication, 1903.

Barth, Karl. *Theology: An Introduction*. translated by Grover Foley, Holt, Rinehart, Winston, 1963.

Budziszewski, J. *The revenge of Conscience: Politics and the fall of man*. Wipf, Stock Pub., 2010.

Blomberg, Craig L. *the historical reliability of the gospels*. England: Inter-varsity press, 1987.

Cyprian, St. To Jubaianus, concerning the baptism of heretics, volume 5 page 629.

Geisler, Norman. *when skeptics ask?* Victor Books, Wheaton: Illinois, 1990.

Frame, John M. *Apologetics: A justification of Christian belief*. New Jersey: PUBLISHIN COMPANY, 2015.

Howel, Elizabeth. *what is the big bang theory?* space.com: updated July 2023, date of caption: April 2024,

<https://www.space.com/25126-big-bang-theory.html>

Little, Paul. *Know what you believe*. Wheaton: Scripture Press publication, Inc, 1987.

Lewis, C.S. *Christian Apologetics*. C.S. Lewis: essay collection, London: Harper-Collins, 2000.

Pinnok, Clark. *set forth your case*. Nutley, N.J: The Craig Press, 1967.

Ross, Hugh. *why I believe in divine creation*.

Skroog, view, Root-Bernstein, "creationism considered"

Vitensis, Victor. *Historia Persecutionis Africanae*, volume 7, paragraph 46.



# دليل الدفاعيات

يقول معلمنا بطرس الرسول: "قَدَّسُوا الرَّبَّ الْإِلَهَ فِي قُلُوبِكُمْ، مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمَجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ" (إبط ٣: ١٥).

إن دليل الدفاعيات هو محاولة لمساعدة خادم الدفاعيات في تحقيق الآية السابقة. فالدليل بمثابة رحلة يجتازها خادم الدفاعيات لكي يتعرف من خلالها على موضوعات عديدة تساعد في خدمته.

ينقسم دليل الدفاعيات إلى ثلاثة محطات رئيسية:

**المحطة الأولى** تتضمن قضية وجود الله والحجج المنطقية التي تؤيد هذا الوجود، والرد على القضايا التي يمكن أن تشكك فيه، بالإضافة إلى تقديم نبذة قصيرة عن الثالوث القدوس وما يُثار ضده من إعتراضات.

**أما المحطة الثانية**، فتضمن تدرج الإعلان الإلهي وصولاً إلى كمال الإعلان بتجسد الابن الوحيد، والأدلة التي تؤكد تاريخية تجسده، وإيمان الكنيسة بألوهيته، بالإضافة إلى الإعلان الإلهي المكتوب المتمثل في الكتاب المقدس، وما يرتبط به من موضوعات، مع تقديم نبذة عن علم النقد النصي وأصوله.

وأخيراً، **المحطة الأخيرة** وتشمل ملحق عن الأرثوذكسية والإيمان بأسرار الكنيسة.

يسبق المحطات الثلاثة، مقدمة عن الحق وطبيعته، ودحض النسبية، بالإضافة إلى دراسة لعلم الدفاعيات، مع تقديم نبذة عن الإلحاد وأسبابه وكيفية خدمة المتشككين والملحدين. دليل الدفاعيات عمل دفاعي ذو صبغة قبطية أرثوذكسية، يستلهم روح آباء الكنيسة ويستند على تعاليمهم وكتاباتهم.

كتاب دليل الدفاعيات لدكتور شريف فتحي هو بالفعل دليل رائع على صحة الإيمان المسيحي، حيث تم تغطية أغلب نقاط الدفاعيات بأسلوب واضح ومنسق ومبسط ومختصر. أتمنى أن هذا الكتاب ينتشر في المكتبات المسيحية، ويصبح في يد الكثيرين وخاصة الشباب.

د. ماجد غالي

عميد كلية اللاهوت الدفاعي  
جامعة هولي صوفيا القبطية الارثوذكسية